[illegible]

س سبعي المكي مجلد

الحسيني علو ٥

٢١٨
٤٠٣

ايقاظ الهمم فى شرح الحكم العطائيه ، لابن عجيبه ، أحمد بن محمد - ١٢٢٤هـ . بخط المكى بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الكبير ابن عبد الرحمن بن عبد الحق الفريبنى ، ١٢٨١هـ .

٥٣٠٣

١٩٥ ق ٢٤ س ١٧×٢١سم

نسخه جيده ، خطها مغربى مقروء . طبع

الاعلام ط٤ ١ :٢٤٥ دار الكتب المصريه ١ : ٢٧١

١- الشعائر والتقاليد والأخلاق الاسلامية

أ- المؤلف ب- الناسخ جـ- تاريخ النسخ د - شرح ابن عجيبه على الحكم العطائيه .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ الإمام العالم الهمام العارف الأكبر الواصل الدال على الله بأقواله وأفعاله أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني لطف الله به وحباه وحشرنا في أحبته آمين

إن أولى ما عقدت عليه الجنان، ونطقت به ألسنة الفصاحة والبيان، وخضعت
به أقلام البنان، حمد الفتاح العليم الكريم المنان، الحمد لله الذي ملأ قلوب
أوليائه بمحبته، واختص أرواحهم بشهود عظمته، وهيأ أسرارهم لحمل
أعباء معرفته، فقلوبهم في روضات جنات معرفته يحبرون، وأرواحهم في رياض
ملكوته يتنزهون، وأسرارهم في بحار جبروته يسبحون، فاستخرجت أفكارهم
يواقيت العلوم، ونطقت ألسنتهم بجواهر الحكم ونتائج الفهوم، فسبحان
من اصطفاهم لحضرته، واختصهم بمحبته، فهم بين سالك ومجذوب، ومحب
ومحبوب، أفناهم في محبة ذاته، وأبقاهم بشهود آثار صفاته، والصلاة
والسلام على سيدنا ومولانا محمد منبع العلوم والأنوار، ومعدن المعارف
والأسرار، ورضي الله تعالى عن أصحابه الأبرار، وأهل بيته الأطهار، أما بعد
كل شيء وقبله ومعه وعلم التصوف من أجل العلوم قدرا، وأعظمها محلا وفخرا،
وأسناها شمسا وبدرا، وكيف لا وهو لباب الشريعة، ومنهاج الطريقة، ومنه
تشرق أنوار الحقيقة، وكان أعظم ما صنف فيه الحكم العطائية، التي هي
مواهب لدنية، وأسرار ربانية، تعطرت بها أفكار فحول صوفية، وأسرار جبروتية،
ولقد سمعت شيخ شيخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه يقول سمعت الفقيه
البناني يقول كادت حكم ابن عطاء الله أن تكون وحيا ولو كانت الصلاة تجوز بغير
القرآن لجازت بكلام الحكم أو كما قال، وقد طلب مني شيخنا العارف الواصل
المحقق الكامل سيدي محمد البوزيدي الحسني أن أضع عليها شرحا متوسطا

يبين

يبين المعنى، ويحقق المبنى، معتمدا في ذلك على حول الله وقوته، وما يفتح
الله به من خزائن علمه وحكمته، أو ما كان مناسبا لتلك الحكمة من كلام القوم
فأجبته لطلبته، وأسعفته رغبته، رجاء أن يقع به الإمتاع، ويعم به الانتفاع
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وسميته إيقاظ الهمم في شرح الحكم
جعله الله خالصا لوجهه العظيم، بجاه نبينا المصطفى الكريم، عليه أفضل الصلاة
وأزكى التسليم، ولنقدم بين يدي الكتاب مقدمتين إحداهما في حد التصوف
وموضوعه وواضعه واسمه واستمداده وحكم الشارع فيه وتصور مسائله وفضيلته
ونسبته وثمرته، والمقدمة الثانية في ترجمة الشيخ وذكر محاسنه، أما حده

حد التصوف

فقال الجنيد هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به، وقال أيضا أن تكون مع الله
بلا علاقة، وقيل الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني، وقيل
هو أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام، وقيل أن لا تملك شيئا ولا
يملكك شيء، وقيل استرسال النفس مع الله على ما يريد، وقيل التصوف مبني
على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك
التعرض والاختيار، وقيل الأخذ بالحقائق، والإياس مما في أيدي الخلائق،
وقيل ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع، وقيل الإناخة
على باب الحبيب وإن طرد، وقيل صفوة القرب بعد كدورة البعد، وقيل
الجلوس مع الله بلا هم، وقيل هو العصمة عن رؤية الكون، والصوفي
الصادق علامته أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة
وعلامة الصوفي الكاذب أن يستغني بعد الفقر ويعز بعد الذل ويشتهر بعد
الخفاء قاله أبو حمزة البغدادي، وقال الحسين بن منصور الصوفي وحداني
الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحدا، وقيل الصوفي كالأرض يطرح عليه كل قبيح
ولا يخرج منه إلا كل مليح ويطؤه البر والفاجر، وقالوا أقبح من كل قبيح صوفي شحيح
وقال الشبلي الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق لقوله تعالى واصطنعتك
لنفسي ثم قال أيضا الصوفية أطفال في حجر الحق، وقيل الصوفي لا تقله الأرض

ولا تظله السماء يعني لا يحجبه الكون وقال الشيخ زروق رضي الله قد حد التصوف ورسم
وفسر بوجوه تبلغ نحو الالفين ترجع كلها لصدق التوجه الى الله تعالى وانما هي وجوه
فيه والله اعلم ثم قال والاختلاف في الحقيقة الواحدة ان كثر دل على بعد ادراك
جملتها ثم هو ان رجع لاصل واحد يتضمن جملة ما قيل فيها كانت العبارة عنه بحسب
ما فهم منه وجملة الاقوال واقعة على تفاصيله واعتبار كل واحد على حسب مثاله
علما وعملا وحالا وذوقا وغير ذلك والاختلاف في التصوف من ذلك فمن اجل ذلك
اتى الحافظ ابو نعيم رحمه الله بغالب اهل حليته عند تحلية كل شخص قولا من
اقواله يناسب حاله قائلا وقيل ان التصوف كذا فاقتضى ان كل من له نصيب من
صدق التوجه له نصيب من التصوف وان تصوف كل احد صدق توجهه فافهم اه
وقال ايضا قاعدة صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما
يرضاه ولا يصح مشروط بدون شرطه ولا يرضى لعباده الكفر فلزم تحقيق الايمان وان
تشكروا يرضه لكم فلزم العمل بالاسلام فلا تصوف الا بفقه اذ لا تعرف احكام الله
تعالى الظاهرة الا منه ولا فقه الا بتصوف اذ لا عمل الا بصدق توجه ولا هما الا بايمان
اذ لا يصح واحد منهما بدونه فلزم الجمع لتلازمهما في الحكم كتلازم الارواح للاجساد
اذ لا وجود لها الا فيها كما لا كمال لها الا بها ومنه قول مالك رحمه
الله من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع
بينهما فقد تحقق قلت تزندق الاول لانه قائل بالجبر الموجب لنفي
الحكمة والاحكام وتفسق الثاني لخلو عمله عن صدق التوجه الحاجز عن معصية الله
وعن الاخلاص المشترط في الاعمال وتحقق الثالث لقيامه بالحقيقة في عين تمسكه
بالحق فاعرف ذلك اذ لا وجود لها الا فيها كما لا كمال له الا بها فافهم انتهى

موضوعه

واما موضوعه فهو الذات العالية لانه يبحث عنها باعتبار معرفتها اما
بالبرهان او بالشهود والعيان فالاول للطالبين والثاني للواصلين وقيل موضوعه
النفوس والقلوب والارواح لانه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من الاول

واضعه

لان من عرف نفسه عرف ربه واما واضع هذا العلم فهو النبي صلى الله عليه وسلم

علم

علمه الله له بالوحي والالهام فنزل جبريل عليه السلام اولا بالشريعة فلما تقررت نزل
ثانيا بالحقيقة فخص بها بعضا دون بعض واول من تكلم فيه واظهره سيدنا علي كرم
الله وجهه واخذه عنه الحسن البصري وامه اسمها خيرة مولاة ام سلمة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم وابوه مولى زيد بن ثابت توفي الحسن سنة عشر ومائة واخذه
عن الحسن حبيب العجمي واخذه عن حبيب ابو سليمان داود الطائي توفي سنة
ستين ومائة واخذه عن داود ابو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي رضي الله عنه
واخذه عن معروف الكرخي ابو الحسن سري بن مغلس السقطي توفي سنة احدى
وخمسين ومائتين واخذه عن السري امام هذه الطريقة ومظهر علم الحقيقة
ابو القاسم محمد بن الجنيد الخزاز اصله من نهاوند ومنشاه العراق تفقه على ابي ثور
صاحب الشافعي وكان يفتي على مذهب ابي ثور ثم صاحب خاله السري وابا الحارث
المحاسبي وغيرهما وكلامه وحقائقه مدونة في الكتب رضي الله عنه توفي سنة سبع
وتسعين ومائتين وقبره ببغداد مشهور يزار ثم انتشر التصوف في اصحابه
وهلم جرا ولا ينقطع حتى ينقطع الدين ومن رواية اخرى اخذه عن سيدنا علي
رضي الله عنه اول الاقطاب سيدنا الحسن ولده ثم عنه ابو محمد جابر ثم القطب
سعيد الغزواني ثم القطب فخر السعود ثم القطب سعد ثم القطب سعيد
ثم القطب سيدي احمد المرواني ثم ابراهيم البصري ثم زين الدين القزويني ثم
القطب شمس الدين ثم القطب تاج الدين ثم القطب نور الدين ابو الحسن ثم القطب
فخر الدين ثم القطب تقي الدين الفقير بالتصغير فيهما ثم القطب سيدي عبد الرحمن
المدني ثم القطب الكبير مولاي عبد السلام بن مشيش ثم القطب الشهير ابو
الحسن الشاذلي ثم خليفته ابو العباس المرسي ثم العارف الكبير سيدي احمد بن
عطاء الله ثم الولي الكبير سيدي داود الباخلي ثم العارف سيدي محمد بحر الصفا ثم
العارف ولده سيدي علي بن وفا ثم الولي الشهير سيدي احمد بن عقبة ثم الولي
الكبير سيدي احمد زروق ثم سيدي ابراهيم افحام ثم سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار
ثم العارف الكبير سيدي عبد الرحمن المجذوب ثم الولي الشهير سيدي يوسف

العباسي ثم العارف سيدي عبد الرحمن الفاسي ثم العارف سيدي محمد بن عبد الله ثم العارف سيدي قاسم الخصاصي ثم العارف سيدي أحمد بن عبد الله ثم العارف سيدي العربي بن عبد الله ثم العارف الكبير سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني الحسني ثم العارف الشهير شيخ المشايخ سيدي العربي الدرقاوي الحسني ثم العارف الكامل الصوفي الواصل شيخنا سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الحسني ثم عبد ربه وأقل عبيده أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ثم عنه خلق كثير والمنة لله العلي الكبير. وأما اسمه فهو علم التصوف واختلف في اشتقاقه على أقوال كثيرة ومرجعها إلى خمس أولها أنه من الصوفة لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له. الثاني من صوفة القفا للينها فالصوفي هين لين كهي. الثالث أنه من الصفة إذ جملته اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف المذمومة. الرابع أنه من الصفاء وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ... جهلا وظنوا أنه مشتق من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى ... صافى فصوفي حتى سمي الصوفي

الخامس أنه منقول من صفة المسجد النبوي الذي كان منزلا لأهل الصفة لأن الصوفي تابع لهم فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وهو الأصل الذي يرجع إليه كل قول فيه قاله الشيخ زروق رضي الله عنه. وأما استمداده فهو مستمد من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين وقد أدخلوا فيه شيئا من علم الفقه لمس الحاجة إليه في علم التصوف حررها الغزالي في الإحياء أربعة كتب كتاب العبادات وكتاب العادات وكتاب المهلكات وكتاب المنجيات وهي فيه كالأشرف الأهل لا يجمعه في باب العبادات والله تعالى أعلم. وأما حكم الشارع فيه فقال الغزالي أنه فرض عين إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام. وقال الشاذلي من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر وحيث كان فرض عين يجب السفر إلى من يأخذه عنه إذا عرف بالتربية واشتهر الدواء على يده وإن خالف والديه حسبما نص عليه غير واحد كالبناني والسنوسي وغيرهما. قال الشيخ السنوسي النفس إذا غلبته كالعدو

اسمه

استمداده

حكم الشارع فيه

إذا هجم يجب مجاهدتها والاستعانة عليها وإن خالف الوالدين في جهاد العدو إذا هجم فالسير فيه أحرى وما أحسن قول القائل

أخاطر بمحبتكم بروحي ... وأركب بحركم إما وإما
وأسلك كل فج في هواكم ... وأشرب كأسكم لو كان سما
ولا أصغي إلى من قد نهاني ... ولي أذن عن العذال صما
أخاطر بالخواطر في هواكم ... وأترك في رضاكم أبا وأما

وأما تصور مسائله فهي معرفة اصطلاحاته والكلمات التي تتداول بين القوم كالإخلاص والصدق والتوكل والزهد والورع والرضى والتسليم والمحبة والفناء والبقاء وكالذات والصفات والقدرة والحكمة والروحانية والبشرية وكمعرفة حقيقة الحال والوارد والمقام وغير ذلك وقد ذكر القشيري في أول رسالته جملة شافية وقد كنت جمعت كتابا فيه مائة حقيقة من حقائق التصوف سميته معراج التشوف إلى حقائق التصوف فليطالعه من أراده ليستعين به على فهم كلام القوم ثم قلت بل التحقيق في مسائل هذا العلم أنها القضايا التي يبحث عنها السالك في حال سيره ليعمل بمقتضاها ككون الإخلاص شرطا في العمل وكون الزهد ركنا في الطريق وكون الخلوة والصمت مطلوبين وأمثال هؤلاء القضايا فهي مسائل هذا الفن فينبغي تصورها قبل الشروع في الخوض فيه علما وعملا والله تعالى أعلم. وأما فضيلته فقد تقدم أن موضوعه الذات العلية وهي أفضل على الإطلاق فالعلم الذي يتعلق بها أفضل على الإطلاق إذ هو دال بأوله على خشية الله وبأوسطه على معاملته وبآخره على معرفته والانقطاع إليه ولذلك قال الجنيد لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه. وقال الشيخ الصقلي رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بأنوار القلوب في علم الموهوب قال وكل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو من النجم الذي لا يدرك والبحر الذي لا ينزف. وقال إذا رأيت من فتح الله له في التصديق بهذه الطريقة فبشره وإذا رأيت من فتح له في الفهم فيه فاغبطه وإذا رأيت من فتح

تصور مسائله

فضيلته

لمن التصوف فيه وتخصص واذا رايت متصدا عليه فيهم منه جارى من الاحد والهجر وما من
علم الا وقد يقع الاستغناء عنه في وقت ما الا علم التصوف فلا يستغني احد عنه في وقت من
الاوقات واما نسبته من العلوم فهو كلي لها وشرط فيها اذ لا علم ولا عمل الا بصدق (نسبته)
التوجه الى الله تعالى فالاخلاص شرط في الجميع هذا باعتبار الصحة الشرعية والجزاء والثواب
واما باعتبار الوجود الخارجي فالعلوم توجد في الخارج بدون التصوف لكنها ناقصة
او ساقطة ولذلك قال السيوطي نسبة التصوف من العلوم كعلم البيان مع النحو
يعني هو كمال فيها ومحسن لها وقال الشيخ زروق رضي الله عنه نسبة التصوف من
الدين نسبة الروح من الجسد لانه مقام الاحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل ان تعبد الله كانك تراه الحديث اذ لا معنى له سوى ذلك اذ مداره على مراقبة
بعد مشاهدة او مشاهدة بعد مراقبة والا لم يقم له وجود ولم يظهر له موجود فافهم
ولعله اراد بالمراقبة بعد المشاهدة الرجوع للبقاء بشهود الاثار بالله واما فايدته (فايدته)
فتهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب او تقول ثمرته سخاوة النفوس وسلامة الصدور
وحسن الخلق مع كل مخلوق واعلم ان هذا العلم الذي ذكرنا ليس هو القلقلة باللسان
وانما هو اذواق ووجدان ولا يوخذ من الاوراق وانما يوخذ من اهل الاذواق وليس
ينال بالقيل والقال وانما يوخذ من خدمة الرجال وصحبة اهل الكمال والله ما افلح من
افلح الا بصحبة من افلح وبالله التوفيق واما ترجمة الشيخ فهو الشيخ الامام تاج الدين
وترجمان العارفين ابو الفضل احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله
ابن احمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي المالكي مذهبا الاسكندري
دارا القرافي مزارا الصوفي حقيقة الشاذلي طريقة اعجوبة زمانه ونخبة عصره واوانه
المتوفى في جمادى الاخيرة سنة تسع بتقديم التاء وسبعمائة قاله الشيخ زروق وقال
في الديباج المذهب كان جامعا لانواع العلوم من تفسير وحديث ونحو واصول وفقه
وغير ذلك كان رحمه الله متكلما على طريق اهل التصوف واعظا انتفع به خلق كثير
وسلكوا طريقه قلت وقد شهد له شيخه ابو العباس المرسي بالتقديم قال
في لطايف المنن قال لي الشيخ ابو العباس الزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين يريد

مذهب

مذهب اهل الشريعة اهل العلم الظاهر ومذهب اهل الحقيقة اهل العلم الباطن وقال فيه ايضا
والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو الى الله وقال له ايضا والله ليكونن لك شان
عظيم والله ليكونن لك شان عظيم قال فكان بحمد الله ما لا انكره وله من التواليف
خمسة التنوير في اسقاط التدبير ولطايف المنن في مناقب الشيخ ابي العباس وشيخه
ابي الحسن وتاج العروس وهو مولع منهما ومفتاح الفلاح في الذكر وكيفية السلوك
وله ايضا القول المجرد في الاسم المفرد والحكم التي اردنا ان نتكلم عليه ومضمنه من
علوم القوم اربعة الاول علم التذكير والوعظ وقد حاز منه اوفى نصيب وهو لمقام
العوام وتضمنها مواضع من كتب ابن الجوزي وبعض تاليف المحاسبي وصدر كتب
الاحياء والقوت وتخبير التفتيش وما جرى مجراها والله اعلم الثاني تصفية الاعمال
وتصحيح الاحوال بتخلية الباطن بالاخلاق المحمودة وتطهيره من الاوصاف
المذمومة وهذا احظ المتوجهين من الصادقين والمبتدين من الصالحين وقد
حاز منها جملة صالحة وما دونها من كتب الغزالي والسهروردي ونحوها الثالث
تحقيق الاحوال والمقامات واحكام الاذواق والمنازلات وهو نصيب المتقدم في
من المريدين والمبتدين من العارفين وهذا النوع من اكثرها وقع فيه وما دونه من
مثل كتب الحاتمي في المعاملات والتونسي في المنازلات الى غير ذلك الرابع المعارف
والعلوم الالهامية وفيه منها ما لا يخفى لكن كتبه مليئة بشرحها لا سيما
التنوير ولطايف المنن اللذان هما كالشرح لجملة هذا الكتاب وبالجملة
فهو جامع لما في كتب الصوفية المطولة والمختصرة مع زيادة البيان واختصار
الالفاظ والمسلك الذي سلك فيه مسلك توحيدي لا يسع احدا انكاره ولا الطعن
فيه ولا يدع للمتعلق به صفة حميدة الا اكسبه اياها ولا صفة ذميمة الا ازالها
عنه باذن الله كما قال الشيخ ابن عباد في وصف التنوير وهما اخوان من اب واحد
وام واحدة قاله سيدي احمد زروق رضي الله عنه في بعض شروحه ولما كان علم التصوف
انما هو نتائج الاعمال الصحيحة وثمرات الاحوال الصافية من عمل بما علم اورثه الله
علم ما لم يعلم بدا بالكلام على العمل فقال من علامة الاعتماد على العمل

…وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

نقصان الرجاء عند وجود الزلل، الاعتماد على الشيء هو الاستناد عليه والركون اليه
والعمل حركة الجسم او القلب فان تحرك بما يوافق الشريعة سمي طاعة وان تحرك بما
يخالف الشريعة سمي معصية والاعمال عند اهل الفن على ثلاثة اقسام عمل
الشريعة، وعمل الطريقة، وعمل الحقيقة، او تقول عمل الاسلام، وعمل الايمان
وعمل الاحسان، او تقول عمل العبادة، وعمل العبودية، وعمل العبودة اي الحرية
او تقول عمل اهل البداية، وعمل اهل الوسط، وعمل اهل النهاية، فالشريعة
ان تعبده، والطريقة ان تقصده، والحقيقة ان تشهده، او تقول الشريعة
لاصلاح الظواهر، والطريقة لاصلاح الضمائر، والحقيقة لاصلاح السرائر، واصلاح
الجوارح بثلاثة امور بالتوبة والتقوى والاستقامة واصلاح القلوب بثلاثة امور
بالاخلاص والصدق والطمانينة واصلاح الاسرار بثلاثة امور بالمراقبة والمشاهدة
والمعرفة او تقول اصلاح الظواهر باجتناب النواهي وامتثال الاوامر واصلاح
الضمائر بالتخلية من الرذائل والتحلية بانواع الفضائل واصلاح السرائر وهي هنا
الارواح بذلها وانكسارها حتى تتهذب وترتاض بالادب والتواضع وحسن الخلق
واعلم ان الكلام هنا انما هو في الاعمال التي توجب تصفية الجوارح او القلوب او
الارواح وهو ما تقدم تعيينها لكل قسم واما العلوم والمعارف والواردات
فانما هي ثمرات التصفية والتطهير فاذا تطهرت الاسرار ملئت بالعلوم والمعارف
والانوار ولا يصح الانتقال الى مقام حتى يحقق ما قبله فمن اشرقت بدايته اشرقت
نهايته فلا ينتقل الى عمل الطريقة حتى يحقق عمل الشريعة وترتاض جوارحه
معها بان يحقق التوبة بشروطها ويحقق التقوى باركانها ويحقق الاستقامة
باقسامها وهي متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله واحواله فاذا
تزكى الظاهر وتنور بالشريعة انتقل من عمل الشريعة الظاهرة الى عمل الطريقة
الباطنة وهي التصفية من اوصاف البشرية على ما يأتي فاذا تطهر من اوصاف البشرية
تحلى باوصاف الروحانية وهي الادب مع الله في تجلياته مختلفة فتستريح الجوارح من
التعب، وما بقي الا حسن الادب، قال بعض المحققين من بلغ الى حقيقة الاسلام

لم

لم يقدر ان يفتر عن العمل ومن بلغ الى حقيقة الايمان لم يقدر ان يلتفت الى العمل ومن بلغ الى
حقيقة الاحسان لم يقدر ان يلتفت الى احد سوى الله هـ ولا يعتمد المريد في سلوك
هذه المقامات على نفسه ولا على عمله ولا على حوله وقوته وانما يعتمد على فضل ربه
وتوفيقه وهدايته وتسديده، قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة
وقال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك
وقال صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فالاعتماد على النفس من علامة الشقاء والبوس
والاعتماد على الاعمال من عدم التحقق بالزوال، والاعتماد على الكرامات والاحوال
من عدم صحبة الرجال، والاعتماد على الله من تحقق المعرفة بالله، وعلامة الاعتماد
على الله، انه لا ينقص رجاؤه اذا وقع في العصيان، ولا يزيد رجاؤه اذا صدر منه
احسان، او تقول لا يعظم خوفه اذا صدرت منه غفلة، كما لا يزيد رجاؤه اذا
وقعت منه يقظة، فقد استوى خوفه ورجاؤه على الدوام، لان خوفه ناشئ عن شهود
الجلال، ورجاؤه ناشئ عن شهود الجمال، وجلال الحق وجماله لا يتغيران بزيادة ولا
نقصان، وكذا ما ينشأ عنهما بخلاف المعتمد على الاعمال، اذا قل عمله، قل
رجاؤه، واذا كثر عمله، كثر رجاؤه، لشركه مع ربه، وتخففه بجهله، ولو فني
عن نفسه، وبقي بربه، لاستراح من تعبه، وتحقق بمعرفة ربه، ولا بد من شيخ
يخرجك من تعب نفسك، الى راحتك بشهود ربك، فالشيخ الكامل هو الذي يريحك
من التعب، لا الذي يدلك على التعب، من دلك على العمل فقد اتعبك، ومن دلك
على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على الله فقد نصحك، كما قال الشيخ ابن مشيش
تنسيان
رضي الله عنه والدلالة على الله هي الدلالة على النفس فاذا نسيتها نفسك ذكرت
ربك قال تعالى واذكر ربك اذا نسيت اي ما سواه، وسبب التعب هو ذكر النفس
والاعتناء بشؤونها وحظوظها واما من غاب عنها فلا يلقى الا الراحة واما قوله
تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد اي في تعب فهو خاص باهل الحجاب او تقول خاص
باحياء النفوس واما من ماتت فقد قال تعالى فيه فاما ان كان من المقربين فروح وريحان

وجنة نعيم في روح الوصال وريحان الجمال، وجنة الكمال، وقال تعالى لا يمسهم فيها نصب
اي تعب ولكن لا تدرى الراحة الا بعد التعب، ولا يحصل الظفر الا بالطلب، حفت الجنة بالمكاره،
ايها العاشق معنا حسننا مهرنا غال لمن يخطبنا جسد مضنى وروح في العنا
وجفون لا تذوق الوسنا وفؤاد ليس فيه غيرنا واذا ما شئت ادّ الثمنا فافن ان
شئت فناء سرمدا فالفنا يدنى الى ذاك الفنا واخلع النعلين ان جئت الى
ذلك الحي ففيه قدسنا وعن الكونين كن منخلعا وازل ما بيننا من بيننا واذا قيل
من تهوى فقل انا من اهوى ومن اهوى انا وقال بعض اهل الرموز ثم اعلم انك لا تصل
الى منازل القربات حتى تقطع ست عقبات، العقبة الاولى فطم الجوارح عن المخالفات
الشرعية، العقبة الثانية فطم النفس عن المالوفات العادية، العقبة الثالثة
فطم القلب عن الرعونات البشرية، العقبة الرابعة فطم النفس عن الكدورات
الطبيعية، العقبة الخامسة فطم الروح عن البخورات الحسية، العقبة السادسة
فطم العقل عن الخيالات الوهمية، فتشرف من العقبة الاولى على ينابيع الحكم
القلبية، وتطلع من العقبة الثانية على اسرار العلوم اللدنية، وتلوح لك
في العقبة الثالثة اعلام المناجاة الملكوتية، ويلمع لك في العقبة الرابعة انوار
المنازلات القربية، وتطلع لك في العقبة الخامسة انوار المشاهدات الحبية،
وتهبط من العقبة السادسة على رياض الحضرة القدسية، وهنالك تغيب
بما تشاهده من اللطائف الانسية، عن الكثائف الحسية، فاذا ارادك بخصوصية
الاصطفائية، سقاك بكاس محبته شربة فتزداد بتلك الشربة ظمأ وبالذوق
شوقا وبالقرب طلبا وبالسكر قلقا اهـ المراد منه **تتميم** اشكل على بعض
ايضا قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون مع قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل
احدكم الجنة بعمله الحديث **والجواب** ان الكتاب والسنة وردا بين شريعة وحقيقة
او تقول بين تشريع وتحقيق فقد يشرعان في موضع ويحققان في اخر في ذلك الشيء
بعينه وقد يحققان في موضع ويشرعان فيه في اخر وقد يشرع القرءان في موضع ويحققه
السنة وقد تشرع السنة في موضع ويحققه القرءان فالرسول عليه السلام مبين لما

انزل

انزل الله قال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم فقوله تعالى ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون هذا تشريع لاهل الحكمة وهم اهل الشريعة وقوله صلى الله عليه
وسلم لن يدخل احدكم الجنة بعمله هذا تحقيق لاهل القدرة وهم اهل الحقيقة كما
ان قوله تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله تحقيق وقوله صلى الله عليه وسلم اذا هم
احدكم بحسنة كتبت له حسنة تشريع **والحاصل** ان القرءان تقيده السنة
والسنة يقيدها القرءان فالواجب على الانسان ان تكون له عينان احداهما تنظر الى
الحقيقة والاخرى تنظر الى الشريعة فاذا وجد القرءان قد شرع في موضع فلابد ان يكون
قد حقق في موضع اخر او حققه السنة واذا وجد السنة قد شرعت في موضع فلابد
ان تكون قد حققت في موضع اخر او حققها القرءان ولا تعارض حينئذ بين الاية
والحديث ولا اشكال وهنا جواب اخر وهو ان الله تعالى لما دعا الناس الى التوحيد
والطاعة علم انهم لا يدخلون فيه من غير طمع فوعدهم بالجزاء على العمل فلما
رسخت اقدامهم في الاسلام اخرجهم عليه السلام من ذلك الحرف ورقاهم الى اخلاص
العبودية والتحقق بمقام الاخلاص فقال لهم لن يدخل احدكم الجنة بعمله والله تعالى
اعلم وهنا اجوبة لاهل الظاهر لا تجدي شيئا **ولما كان** الانتقال من عمل الظاهر
الى عمل الباطن لابد ان يظهر اثره على الجوارح قال تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
وظهور الاثر هو التجريد اشار اليه بقوله **ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك**
في الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد
انحطاط عن الهمة العلية **قلت** التجريد في اللغة هو التكشيط والازالة
تقول جردت الثوب ازلته عنه وتجرد فلان ازال ثوبه وجردت الجلد ازلت شعره واما
عند الصوفية فهو على ثلاثة اقسام تجريد الظاهر فقط او الباطن فقط او هما معا
فتجريد الظاهر هو ترك الاسباب الدنيوية وخرق العوائد الجسمانية والتجريد
الباطن هو ترك العلائق النفسانية والعوائق الوهمية وتجريدهما معا
هو ترك العلائق الباطنية والعوائد الجسمانية او تقول تجريد الظاهر
هو ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة الله وتجريد الباطن هو ترك كل

ما يشغل القلب عن الحضور مع الله، وتجريد هما هو اخراج القلب والقلب لله، والتجريد
الكامل في الظاهر هو ترك الاسباب، وتعرية البدن من معتاد الثياب، وفي الباطن هو
تجريد القلب من كل وصف ذميم، وتحليته بكل وصف كريم، وهو التجريد الكامل
الذي اشار اليه شيخ شيوخنا المجذوب بقوله: افاريبي علم التوحيد هنا البحور
التي تغيب، هذا مقام اهل التجريد، الواقفين مع ربي، واما من جرد
ظاهره دون باطنه فهو كذاب كمن كسا النحاس بالفضة باطنه قبيح وظاهره مليح
ومن جرد باطنه دون ظاهره ان تأتى له ذلك فهو حسن كمن كسا الفضة بالنحاس
وهو قليل اذ الغالب ان من تجرد ظاهره تجرد باطنه ومن اشتغل ظاهره بالحس
اشتغل باطنه به والقوة لا تكون في الجهتين ومن جمع بين تجريد الظاهر والباطن
فهو الصديق الكامل وهو الذهب المصفى الخالص الذي يصلح لخزانة الملوك قال الشيخ
ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه آداب الفقير المتجرد اربعة الحرمة للاكابر والرحمة
للاصاغر والانصاف من نفسك وعدم الانتصار لها وفي آداب الفقير المتسبب اربعة
موالاة الابرار ومجانبة الفجار وايقاع الصلاة في الجماعة ومواساة الفقراء والمساكين
بما يفتح عليه وينبغي له ايضا ان يتأدب بآداب المتجرد اذ هو كمال في حقه ومن
آداب المتسبب اقامته فيما اقامه الحق تعالى فيه من جعل الاسباب حتى يكون الحق تعالى
هو الذي ينقله منها على لسان شيخه ان كان او بالاشارة الواضحة كتعذرها من كل وجه
فحينئذ ينتقل للتجريد فارادته التجريد مع اقامته له تعالى في الاسباب من الشهوة الخفية
لان النفس قد تقصد بذلك الراحة ولم يكن لها من اليقين ما تحمل به مشاق الفاقة فاذا
نزلت بها الفاقة تزلزلت واضطربت ورجعت الى الاسباب فيكون اقبح لها من الاقامة فيها
فهذا وجه كونها شهوة وانما كانت خفية لانها في الظاهر طلبت الانقطاع والتبتل
وهو مقام شريف وحال منيف، لكنها في الباطن اخفت حظها من قصد الراحة
او الكرامة او الولاية او غير ذلك من الحروف ولم تقصد تحقيق العبودية وتزيين اليقين
وما نقها ايضا الادب مع الحق حيث ارادت الخروج بنفسها ولم تصبر حتى يؤذن لها
وعلامة اقامته فيها دوامها له مع حصول النتائج وعدم العوائق القاطعة

له عن الدين وحصول الكفاية بحيث اذا تركها حصل له التشوف الى الخلق والاهتمام
بالرزق فاذا اقرت هذه الشروط انتقل الى التجريد قال في التنوير والذي يقتضيه الحق
منك ان تمكث حيث اقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى اخراجك كما تولى
ادخالك وليس الشأن ان تترك السبب بل الشأن ان يتركك السبب قال بعضهم
تركت السبب كذا وكذا مرة فعدت اليه فتركني السبب فلم اعد اليه قال ودخلت على
الشيخ ابي العباس المرسي رضي الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد قائلا في نفسي ان الوصول
الى الله على هذه الحالة التي انا عليها بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود المخالطة
للناس فقال لي من غير ان اسأله صحبني انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها
فذاق من هذا الطريق شيئا فجاء الي فقال لي يا سيدي نخرج عما انا فيه ونتفرغ لصحبتك
فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما انت فيه وما قسم الله لك على ايدينا فهو لك
واصل ثم قال الشيخ ونظر الي وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق
سبحانه هو الذي يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي
ووجدت الراحة بالتسليم الى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هم القوم لا يشقى جليسهم قال شيخنا رضي الله عنه وانما منعه من التجريد
لشره نفسه اليه والنفس اذا شرهت للشيء كان خفيفا عليها والخفيف عليها لا خير
فيه وما خف عليها لا حظ لها فيه ثم قال فلا يتجرد المريد في حال الغفلة حتى تموت ان
اراد ان يستفيد نفسه فان جردها في حال القوة اتاه الضعف فيعقبه الخصمان فيشو
شونه ويفتنونه وربما اخذ المريد ركن المولى بالصحبة فسامح في الخلطة فيرجع الى ما خرج منه
حتى يعجز في ظنه باهل التجريد ويقول ليسوا على شيء كلما دخلنا البلد وما رأينا شيئا
والذي يثقل عليه التجريد اولا هو الذي ينبغي له ان يتجرد لانه ما ثقل عليها الا حيث
تحققت ان عنقها تحت السيف مهما حرك يده قطع اوداجها انتهى المقصود
منه واما المتجرد اذا اراد الرجوع الى الاسباب من غير اذن صريح فهو انحطاط من
الهمة العلية الى الهمة الدنية او سقوط من الولاية الكبرى الى الولاية الصغرى
قال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه قال لي شيخي سيدي العربي لو رأيت

شيئا اخلاص التجريد واقرب وانفع لا خير لك به ولاكن هو عند اهل الطريق بمنزلة الاكسير
الذي في الطمعة يقلب ما يراه ذهبا فيبقى في هباكة لي التجريد في هاذه الطريق وسمعنا
شيخ شيخنا رضي الله عنه يقول معرفة المتجرد افضل ومعرفته انصع لان المعاملة الصفا
والكدر من الكدر صفاء الباطن من صفاء الظاهر وكدر الباطن من كدر الظاهر وكلما
زاد في الحس نقص من المعنى وفي بعض الاخبار اذا اخذ العالم شيئا من الدنيا نقصت
درجته عند الله وان كان كريما على الله واما من اخذ في السبب فهو كالمتجرد اذ صار
حينئذ سببه عبودية والحاصل ان التجريد من غير اذن سبب والسبب مع الاذن في
تجريد وبالله التوفيق تنبيه هذا الكلام كله مع السائرين واما الواصلون
المتمكنون فلا كلام عليهم اذ هم رضي الله عنهم ماخوذون عن انفسهم يقبضون من
الله ويدفعون بالله قد تولى الحق امورهم وحفظ اسرارهم وحرس قلوبهم
بجند الانوار فلا تؤثر فيها ظلم الاغيار وعليه يحمل حال الصحابة في الاسباب رضي الله
عنهم ونفعنا ببركاتهم امين واعلم ان المتسبب والمتجرد عاملان لله اذ كل واحد منهما
حصل له صدق التوجه الى الله حتى قال بعضهم مثل المتجرد والمتسبب كعبدين للملك
قال لاحدهما اعمل وكل وقال للاخر الزم انت حضرتي وانا اقوم لك بقسمتك لكن صدق
التوجه في المتجرد اقوى لقلة عوائقه وقطع علائقه كما هو معلوم ولما كانت همة
الفقير المتجرد لا تخطئه في الغالب لقوله عليه السلام ان لله رجالا لو اقسموا على الله
لابرهم في قسمهم قال شيخنا ولله رجال اذا اهتموا بالشيء كان باذن الله وقال ايضا
عليه السلام اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله خشي الشيخ ان يتوهم احد ان في
الهمة تخرق سور القدر وتفعل ما لم يجر به القضاء والقدر فرفع ذلك بقوله
سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار قلت السوابق جمع سابقة وهي
المتقدمة والهمم جمع همة والهمة قوة انبعاث القلب في طلب الشيء والاهتمام
به فان كان ذلك الامر رفيعا كمعرفة الله وطلب رضاه سميت همة علية وان كان امرا
خسيسا كطلب الدنيا وحظوظها سميت همة دنية وسوابق الهمم من اضافة
الموصوف الى الصفة اي الهمم السوابق لا تخرق اسوار الاقدار اي اذا اهتم العارف

او المريد بشيء وقويت همته في ذلك فان الله تعالى يكون ذلك بقدرته في ساعة واحدة حتى يكون
امرا من امر الله وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول المريد الصادق اذا كان
في باب الاسم مهما اهتم بالشيء كان وان كان في باب الذات تكون الشيء في جناحه
قبل ان يهتم به او كلام هذا معناه وهو صحيح وفي بعض الاخبار يقول الله تعالى عبدي انا
الله الذي اقول للشيء كن فيكون فاطعني اجعلك تقول للشيء كن فيكون وفي الحديث الصحيح
ايضا فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومويدا ان سالني اعطيته الحديث ومع ذلك
ما ينفعل في ذلك ولا يتكون الا ما احاط به قدر الله وقضاؤه فهمة العارف تتوجه
للشيء فان وجدت القضاء سبق به كان ذلك باذن الله وان وجدت سور القدر مضروبا
عليه لا تخرقه بل تنتكد في معه وترجع لموضعها وهي العبودية فلا تتاسف ولا تحزن
بل ربما تفرح لرجوعها لمحلها وتحققها بموضعها وقد كان شيخ شيخنا سيدنا
علي رضي الله عنه يقول نحن اذا قلنا شيئا لا يخرج في حينا مرة واحدة واذا لم يخرج في حينا عشر
مرات وذلك لتحققه بمعرفة الله قيل لبعضهم بماذا عرفت ربك قال بنقض العزائم
وقد يحصل هذا التاثير للهمة القوية وان كان صاحبها نافقا كما يقع للعائن
والساحر عن خبثهما وكلاهما فينفعلها الله فيه اذا نظر الشيء بقصد انفعال ذلك
باذن الله وهذا كله ايضا لا يخرق اسوار الاقدار بل لا يكون الا ما اراد الواحد القهار
قال تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وقال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر
وقال تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله وقال صلى الله عليه وسلم كل شيء بقضاء
وقدر حتى العجز والكيس اي النشاط للفعل واشعر قوله سوابق ان الهمم
الضعيفة لا ينفعل لها شيء وهو كذلك في الغيب والشهادة وفي استعارته الخرق
والاسوار ما يشعر بالقوة في الجانبين لا كرامة من قاهر ولا عبرة بقوة العبد القاهرة
واذا كانت الهمة لا تخرق اسوار الاقدار فلا بال بالتدبير والاختيار الذي اشار
اليه بقوله ارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به انت عن نفسك قلت
التدبير في اللغة هو النظر لعواقب الامور واواخرها وفي الاصطلاح هو كما قال الشيخ
زروق رضي الله عنه تقدير شؤون يكون عليها في المستقبل بما يخاف او يرجى بالحكم

لا بالتفويض فإن كان مع تفويض وهو اخروي فنية خير او طبيعي فشهوة او دنيوي فامنية
فاقتضى كلامه ان التدبير على ثلاثة اقسام قسم مذموم وقسم مطلوب وقسم مباح فاما
القسم المذموم فهو الذي يصحبه الجزم والتصميم سواء كان دينيا او دنيويا لما فيه من
قلة الادب وما يعجله لنفسه من التعب اذ ما قام به الحي القيوم عنك لا تقوم به انت
عن نفسك وغالب ما تدبر لنفسك لا تساعده رياح الاقدار وتعقبه الهموم والاكدار
ولذلك قال احمد بن مسروق من ترك التدبير فهو في راحة وقال سهل بن عبد الله ذروا
التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل
الروح والراحة في الرضى واليقين وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه لا تختر من امرك شيئا
واختر ان لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء الى الله تعالى وربك يخلق ما يشاء
ويختار وقال ايضا ان كان ولا بد من التدبير فدبروا ان لا تدبروا وقيل من لم يدبر دبر له وقال
شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه من اوصاف الولي الكامل ان لا يكون مختارا الا على الحالة
التي يقيمه مولاه فيها في الوقت يعني ما له مراد الا ما يبرز من عنصر القدرة فكلام هؤلاء
السادات محمول على ما اذا كان بالتدبير مع الجزم واما ما كان مع التفويض فليس بمذموم
ما لم يطل واما القسم المطلوب فهو تدبير ما كلفنا به من الواجبات وما ندبنا اليه من
الطاعات مع تفويض المشيئة والنظر للقدرة وهذا يسمى النية الصالحة وقد قال عليه
الصلاة نية المؤمن خير من عمله وقال ايضا اخبارا عن الله سبحانه اذا هم عبدي بحسنة فلم
يعملها كتبت له حسنة كاملة الحديث وهذا مفهوم قول الشيخ فما قام به غيرك
اذ مفهومه ان ما لم يقم به عنك وهو الطاعات لا يضر تدبيره ولذلك قال ابراهيم الخواص
رضي الله عنه العلم كله في كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فقوله لا تتكلف
ما كفيته هو القسم الاول المذموم وقوله ولا تضيع ما استكفيت هو القسم الثاني
المطلوب وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه وكل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك
منه شيء انما هو مختار الله لك فاسمع واطع وهذا محل الفقه الرباني والعلم الالهامي
وهو ارض لتنزل علم الحقيقة المأخوذة عن الله تعالى لمن استوى وقوله ثم استوى
اذا كمل عقله وتمت معرفته واستوت حقيقته مع شريعته لانه لا ينبغي الاسترسال

هو

معه فيشغله عن الله واما القسم المباح فهو التدبير في امر دنيوي او طبيعي مع التفويض
للمشيئة والنظر لما يبرز من القدرة غير معول على شيء من ذلك وعليه يحمل قوله عليه
الصلاة التدبير نصف العيش بشرط الا يجده المرء بعد المرة فالقدر المباح منه هو
مرور على القلب كالريح يدخل من طاق ويخرج من اخرى وهذا هو التدبير بالله وهو
شان العارفين المحققين وعلامة كونه بالله انه اذا برز من القدرة عكس ما دبر لم ينقبض
ولم يضطرب بل يكون كما قال الشاعر ❊ اتبع رياح القضا ودر حيث دارت ❊ وسلم لسلمى
وسر حيث سارت ❊ وقال في التنوير فائدة اعلم ان الاشياء انما تذم وتمدح بما
تؤدي اليه فالتدبير المذموم ما شغلك عن الله وعطلك عن القيام بخدمة الله وصدك عن
معاملة الله والتدبير المحمود هو الذي يؤديك الى القرب من الله ويوصلك الى مرضاة
الله انتهى بقية كلامه فيها فتدبر ما ظهر لي في شان التدبير وقد الف الشيخ رضي الله
عنه فيه كتابا سماه التنوير في اسقاط التدبير احسن فيه واجاد ومن جملة ما ذكرنا
والله تعالى اعلم ولما كمله اطلع عليه الولي الكامل سيدي ياقوت العرشي فلما طالعه
قال له جميع ما قلته مجموع في بيتين وهما هاتين ❊ ما ثم الا ما اراد ❊
❊ فارح همومك واطرح ❊ واترك شواغلك التي ❊ شغلت بها تسترح ❊
ولما كان الانهماك في التدبير والاختيار يدل على انطماس البصيرة وتركهما او
جعلهما بالله يدل على فتح البصيرة ذكر علامة اخرى اظهر واشهر منهما على فتح
البصيرة او طمسها فقال اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك
دليل على انطماس البصيرة منك **قلت** الاجتهاد في الشيء استفراغ الجهد
والطاقة في طلبه والتقصير هو التفريط والتضييع والبصيرة ناظر القلب كما ان البصر
ناظر القالب فالبصيرة لا ترى الا المعاني والبصر لا يرى الا المحسوسات او تقول البصيرة
لا ترى الا اللطيف والبصر لا يرى الا الكثيف او تقول البصيرة لا ترى الا القديم والبصر لا يرى
الا الحادث او تقول البصيرة لا ترى الا المكون والبصر لا يرى الا الكون فاذا اراد الله
فتح بصيرة العبد اشغله في الظاهر بخدمته وفي الباطن بمحبته فكلما عظمت المحبة
في الباطن والخدمة في الظاهر قوي نور البصيرة حتى يستولي على البصر فيغيب نور البصر

فنور البصيرة فلا يرى الا ما اراه البصيرة من المعاني اللطيفة والانوار الغيبية وهذا معنى
قول شيخ شيوخنا المجذوب ... غيبت نظري في نظري ... وافنيتنا عن كل فان
... حققت ما وجدت غيري ... وامسيت في الحال هائم ... واذا اراد الله خذلان عبده
اشغله في الظاهر بخدمة الاكوان وفي الباطن بمحبتها فلا يزال كذلك حتى ينطمس نور
بصيرته فيستولي نور بصره على بصيرته فلا يرى الا الحس ولا يخدم الا الحس فيجتهد في طلب
ما هو مضمون من الرزق المقسوم ويقصر فيما هو مطلوب منه من الفرض المحتوم ولو كان
بدل الاجتهاد استغراقا وبدل التقصير تركا لكان بدل الطمس عمى وهو الكفر والعياذ
بالله فالدنيا كنهر طالوت لا ينجو منها الا من لم يشرب او اغترف غرفة بيده فالامر يشرب
على قدر عطشه فافهم قاله الشيخ زروق رضي الله عنه وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
البصيرة كالبصر ادنى شيء يقع فيه يمنع النظر وان لم ينته الى العمى فالخطرة من الشيء
تشوش النظر وتكدر الفكر والارادة له تذهب بالخير راسا والعمل به يذهب عن
صاحبه سهام الاسلام فيما هو فيه وبالنية بضده فاذا استمر على الشيء نقلته من الاسلام
فاذا انتهى الى الوقيعة في الامة وموالاة الظلمة حبا في الجاه والمنزلة وحبا للدنيا على
الاخرة فقد نقلته من الاسلام كله ولا يغرنك ما توسم به ظاهرا فانه لا روح له الاسلام
حب الله وحب الصالحين من عباده انتهى ولما كان الاجتهاد في المضمون كله مذموم
كان بالفعل كما تقدم او بالقول وهو الاستعجال في تحصيله قبل ابانه بالدعاء او بغيره
اشار الى ذلك بقوله لا يكن تاخر امد العطاء مع الالحاح في الدعاء موجبا لياسك
فهو ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت
الذي تريد قلت الالحاح في الشيء هو تكرره من موجبه واحدا والدعاء طلب
محبوب للحب في بساط العبودية لجناب الربوبية والموجب للشيء ما كان اصلا في وجوده
والياس قطع المطامع اعلم ان من اسمائه تعالى القيوم وهو مبالغة في القيام فقد
قام تعالى بامر خلقه من عرشه الى فرشه وعين لكل مظهر وقتا محدودا واجلا معلوما
ولكل واحد شكلا معلوما ورزقا مقسوما فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
فلا تعلق قلبك بحاجة من حوائج الدنيا والاخرة فارجع الى وعد الله واقنع

بعلم

بعلم الله ولا تيأس من فيض الحق من تعب وعده لك قال شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه الناس
تقضى حوائجهم بالحرص فيها والحرص عليها ونحن تقضى حوائجنا بالزهد فيها والاشتغال
بالله عنها انتهى وان كان ولا بد من الدعاء فليكن في عاقبة عبودية لا طلبا للحظ فان
تركت الحظوظ صبت عليك الحظوظ وان غلب عليك وارد الطلب وطلبت شيئا ثم تاخر عنك
وقت العطاء فيه فلا تتهم الله في وعده حيث قال ادعوني استجب لكم ولا تيأس من نواله
ووعده فان الله قد ضمن لك الاجابة فيما يريد من خير الدنيا والاخرة وقد يمنعك
لطفا بك قال الشيخ ابو الحسن اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن انفسنا من حيث
نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم وقد قال بعض المفسرين
في قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ما موصولة اي ويختار الامر
الذي لهم فيه خير لهم وقد يكون اجابك وعين لذلك وقتا هو اصلح لك وانفع فيعطيك
ذلك في الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد وقد يؤخر ذلك لدار الكرامة والبقاء
وهو خير لك وابقى وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من داع الا
وهو بين احدى ثلاث اما ان تعجل له طلبته واما ان يدخر له ثوابها واما ان يصرف عنه
من السوء مثلها الحديث وقال الشيخ عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه من لم
يكن في دعائه تاركا لاختياره راضيا باختيار الحق تعالى له فهو مستدرج ممن قيل له
اقضوا حاجته فاني اكره ان اسمع صوته فان كان مع اختيار الحق تعالى لا مع اختياره
لنفسه كان مجابا وان لم يعط والاعمال بخواتمها انتهى ثم حقق لك ما تقدم من
انجاز الوعد وثبوت الموعود ولا بد على الوجه الذي يريد وفي الوقت الذي يريد وامرك
في ذلك بالصدق والتصديق ونهاك عن الشك والتردد ليتكمل بذلك فتح بصيرتك
وتنتهج انوار سريرتك فقال لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود وان تعين
زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك التشكيك في الشيء
هو التردد في الوقوع وعدمه والوعد الاخبار بوقوع الشيء في محله والموعود المخبر به
والقدح في الشيء التنقيص له والغض من مرتبته والبصيرة القوة المهيئة لادراك
المعاني والسريرة القوة المستعدة لتمكن العلم والمعرفة واعلم ان النفس والعقل

والروح والسر شيء واحد لكن تختلف التسامي باختلاف المدارك فما كان من مدارك
الشهوات فمدركه النفس وما كان من مدارك الاحكام الشرعية فمدركه العقل وما كان
من مدارك التجليات والواردات فمدركه الروح وما كان من مدارك التحقيقات والتمكنات
فمدركه السر والمحل واحد واختلاف الشيء خفاؤه بعد ظهوره **قلت**
اذا وعدك الحق تعالى بشيء على لسان الوحي او الالهام من نبي او ولي او تجلي قوي
فلا تشك ايها المريد في ذلك الوعد ان كنت صادقا فان لم يتعين زمنه فالامر واسع وقد
يطول الزمان وقد يعقم فلا تشك في وقوعه وان طال زمنه وقد كان بين دعاء سيدنا موسى
وهارون على فرعون بقوله ربنا اطمس على اموالهم الآية اربعون سنة على ما قيل وان تعين
زمنه ولم يقع في ذلك عند حلوله فلا تشك في صدق ذلك الوعد فقد يكون ذلك معلقا
على اسباب وشروط غيبية اخفاها الله تعالى عن ذلك النبي او الولي لتظهر قهريته
وعزته وحكمته ومثاله قضية سيدنا يونس عليه السلام حيث اخبر قومه بالعذاب
لما اخبر به ومحي عنهم وكان ذلك متوقفا على اسلامهم فلما اسلموا تأخر عنهم العذاب
وكذلك قضية سيدنا نوح عليه السلام حيث قال ان ابني من اهلي وان وعدك الحق
فوقف مع ظاهر العموم فقال الله تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وانما وعدناك
بنجاة الصالح من اهلك وان فهمت العموم فعلمنا متسع ولهذا السر الخفي كان الرسل
عليهم السلام واكابر الصديقين لا يقفون مع ظاهر الوعد فلا تزول اضطرارهم
ولا يكون مع غير الله قرارهم بل ينظرون لسعة علمه تعالى ونفوذ قهره **ومنه** قول
سيدنا ابراهيم الخليل ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء
علما **وقول** سيدنا شعيب عليه السلام وما يكون لنا ان نعود فيها اي ملة الكفر
الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما **وقضية** نبينا عليه السلام يوم بدر
حيث دعا حتى سقط رداؤه وقال اللهم عهدك ووعدك اللهم ان تهلك هذه
العصابة لم تعبد بعد اليوم فقال له الصديق حسبك يا رسول الله فان الله منجز
لك ما وعدك فنظر المصطفى اوسع لعدم وقوفه مع ظاهر الوعد ووقف الصديق
مع الظاهر فكل على صواب والنبي صلى الله عليه وسلم اوسع نظرا واكمل علما **واما**

قضية

قضية الحديبية فلم يتعين فيها زمن الوعد لقوله تعالى فعلم ما لم تعلموا **وقد** قال عليه
السلام لعمر حين قال له الم تخبرنا انا ندخل مكة فقال افقلت لك هذا العام فقال لا فقال
انك داخلها ومطوف بها فشد يدك يا اخي على تصديق ما وعدك الله به وحسن
ظنك به وبرسوله واوليائه ولا سيما شيخك فاياك ان تضمر التكذيب او الشك فيكون ذلك
قدحا في بصيرتك وقد يكون سببا في طمسها ويكون ايضا اخطر الاخطار واطفاء لنور
سريرتك فترجع من حيث جئت وتهدم كل ما بنيته فانظر احسن التأويلات والتمس
احسن المخارج **وقد** تقدم قول شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه حتى اذا قلنا
شيئا فخرج في حينه مرة فلاذا لم يخرج في حينه عشر مرات وما ذلك الا لوسع نظره وتمكنه
في معرفة ربه **وايضا** قد يطلع الله اولياءه على نزول القضاء ولا يطلعهم على نزول
اللطف فينزل ذلك القضاء مصحوبا باللطف فينزل خفيفا سهلا حتى يظن انه لم ينزل
وقد شهدنا هذا وما قبله من انفسنا ومن اشياخنا رضي الله عنهم فلم ينقص صدقنا ولم
يخمد نور سريرتنا فلله الحمد ربنا **تنبيه** كان شيخنا الفقيه العلامة سيدي التاودي
ابن سودة يستشكل هذه الحكمة ويقول كيف يتصور تعيين الزمن ان كان بالوحي فقد
انقطع وان كان بالالهام فلا يلزم من الشك فيه القدح في البصيرة اذ لا يجب الايمان به
قلنا كلامنا مع المريد الصادق في السائرين او الواصلين وهم مطالبون بالتصديق
للاشياخ في كل ما نطقوا به اذ هم ورثة الانبياء فهم على قدمهم فللانبياء وحي احكام
وللاولياء وحي الهام لان القلوب اذا صفت من الاكدار والاغيار وملئت بالانوار والاسرار
لم يتجل فيها الا الحق فاذا نطقوا بشيء من وعد او وعيد يجب على المريد تصديقه فان
دخله تشكيك او تردد فيما وعده الله على لسان نبيه او شيخه قدح ذلك في نور بصيرته ثم
واخمد سر سريرته فاذا لم يتعين زمنه انتظر وقوعه وان طال وان تعين زمنه ولم يقع
تأول فيه ما تقدم في حق الرسل من توقفه على اسباب وشروط خفية وبهذا يفترق الصديق
والكاذب لان الصديق لا يتردد ولا يتعجب والكاذب يتردد ثم يجحد وان رجع اخرى عاد يتعجب
واستغرب والله تعالى اعلم **ولما كانت** التجليات القهرية ظاهرها جلالي وباطنها
جمالي كما يعرفها من اوصاف الكمال وربما يشك المريد في وعد الحق عليها من الخيرات

وما رتب عليها من الفتوحات * نبه الشيخ على ذلك فقال اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبالي
معها ان قل عملك فانه ما فتحها عليك الا وهو يريد ان يتعرف اليك الم تعلم ان التعرف
هو مورده عليك والاعمال انت مهديها اليه واين ما تهديه اليه مما هو مهديه اليك
فتح هنا بمعنى هيأ ويسر والغالب استعماله في الخير فلا يصح الاتيان به هنا ان جهة التعريف
من الامور الجميلة والوجهة هي الجهة والمراد هنا الباب والمدخل والتعرف طلب المعرفة
تقول تعرف فلان اذا طلب منه معرفته والمعرفة تذكر حقيقة العلم بالمعروف من القلب
حتى لا يمكن الانفكاك عنه بحال والمراد انا التفهم بعوارض الشيء * قلت
اذا تجلى لك الحق تعالى باسمه الجليل او باسمه القهار وفتح لك منها بابا او وجهة لتتعرف به
منها فاعلم ان الله تعالى قد اعتنى بك واراد ان يجتبيك لنفسه * ويصطفيك لحضرته * فلا تنزع
الادب معه بالرضى والتسليم وقابله بالفرح والسرور ولا تبالي بما يفوتك بها من الاعمال
البدنية * فانما هو وسيلة للاعمال القلبية * فانه ما فتح هذا الباب * الا وهو يريد ان يرفع
بينك وبينه الحجاب * الم تعلم ان التعرف الجلالية هو الذي اوردها عليك لتكون عليه وارداه
والاعمال البدنية انت مهديها اليه لتكون اليه بها واصلا * وعوض كبير بين ما تهديه انت
من الاعمال المدخولة * والاحوال المعلولة * وبين ما يهديه اليك الحق تعالى من تحف
المعارف الربانية * والعلوم اللدنية * فطب نفسا ايها المريد بما ينزل عليك من هذه
التعرفات الجلالية * والنوازل القهرية * ومثل ذلك كالامراض والاوجاع والشدائد
والاهوال وكل ما يثقل على النفس ويؤلمها كالفقر والذل واذاية الخلق وغير ذلك مما
تكرهه النفوس فكل ما ينزل بك من هذه الامور فهي نعم كبيرة * ومواهب غزيرة *
تدل على قوة صدقك اذ بقدر ما يعظم الصدق يعظم التعرف اشدكم بلاء الانبياء
فالامثل فالامثل والصدق متبوع واذا اراد الله تعالى ان يطوي مسافة البعد بينه وبين
عبده سلط عليه البلاء حتى اذا تخلص وتخلص صلح للحضرة كما تنقى الفضة والذهب
بالنار فتصلح تخلية الملك وما زالت الشيوخ والعارفون يفرحون بهذه النوازل
ويستعدون لها فانها كتب المواهب وكان شيخ شيوخنا سيدي علي العمراني رضي الله عنه
يسميها ليلة القدر ويقول كل الخير في ليلة القدر التي هي خير من الف شهر وذلك

لاجل

لاجل ما يجتنيه العبد منها من اعمال القلوب التي هي القدر فمنها افضل من امثال الجبال
من اعمال الجوارح وقد قلت في ذلك بيتين وهما ** اذا طرقت باب من الدهر فاقة
** فخذ لها باب الصبر فهو البشير ** وقلت لها اهلا وسهلا ومرحبا **
** فوقتك عندي احظى من ليلة القدر ** واعلم ان هذه التعرفات
الجلالية هي اختبار من الحق ومعيار للناس تعرف بها الفضة والذهب من النحاس
فكثير من المدعين يظهرون على السنتهم المعرفة واليقين فاذا وردت عليهم
عواصف رياح الاقدار التقتهم في مهاوي القنط والانكار فمن ادعى ما ليس فيه فضحته
شواهد الامتحان * وكان شيخ شيخنا سيدي العربي رضي الله عنه يقول
العجب كل العجب ممن يطلب معرفة الله ويحرص عليها فاذا تعرف له الحق تعالى
هرب منه وانكره * وقال شيخنا البوزيدي رضي الله عنه هذه التعرفات الجلالية على
ثلاثة اقسام قسم عقوبة وطرد وقسم تاديب وتنبيه وقسم زيادة وترقي اما
الذي هو عقوبة وطرد فهو الذي يسيء الادب فيعاقبه الحق تعالى ويجهل فيها فيسخط
ويقنط ويشكو فيزداد من الله بعدا او طردا واما الذي هو تاديب فهو الذي يسيء
الادب فيؤدبه الحق تعالى فيصبر فيها ويتنبه لسوء ادبه وينهض من غفلته
فهي في حقه نعمة في مظهر النقمة * واما الذي هي في حقه زيادة وترقي فهو الذي
تنزل به هذه التعرفات من غير سبب فيعرف بها ويتادب معها ويترقى بها الى مقام
الرسوخ والتمكين انتهى بالمعنى * قلت ولذلك قال بعضهم بقدر الامتحان
يكون الامتكان وقال ايضا اختبار البلاء يقطع التنافي * فائدة * اذا اردت
ان يفهم عليك الجلال فقابله بضده وهو الجمال فانه ينقلب جمالا في ساعته
وكيفية ذلك انه اذا تجلى باسمه القابض في الظاهر فقابله انت بالبسط في الباطن
فانه ينقلب بسطا واذا تجلى لك باسمه القوي فقابله انت بالضعف او تجلى
باسمه العزيز فقابله بالذل في الباطن وهكذا تقابل الشيء بضده فيما يليق بالقدرة
والحكمة * وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول ما هما الا حقيقة
واحدة ان شربتها عسلا وجدتها عسلا وان شربتها لبنا وجدتها لبنا

وان شئت قلت حنظلا وجنيتها حنظلا فلا تشرب باناء الطيب ولا تشرب الخبيث هو معنى
كلامه رضي الله عنه هو ما تقدم كما تقابله يقابلك والله تعالى اعلم وكما تكلم على
الاعمال وثمراتها وهو الادب ومرجعه الى السكون تحت مجاري الاقدار من غير تدبير
ولا اختيار ولا تعجيل لما تأخر ولا تأخير لما تعجل بل يكون محط نظره الى ما يبرز من
عنصر القدرة فيتلقاه بالمعرفة تكلم على تنوعها وتهذيبها بتهذيب عاملها
فقال **تنوعت اجناس الاعمال بتنوع واردات الاحوال** تنويع الشيء
تكثيره والاعمال هنا عبارة عن حركة الجسم والواردات والاحوال عبارة عن حركة
القلب فالخاطر والوارد والحال محلها واحد وهو القلب لانه ماعون القلب فتخطر
فيه الخواطر الظلمانية والنورانية تسمى ما يخطر فيه خاطرا وان انقطعت عنه الخواطر
الظلمانية سمي ما يخطر فيه واردا وحالا فاضافة احدهما الى الاخر اضافة بيانية
وكلاهما يتحولان فان دام ذلك سمي مقاما **قلت** قد تنوعت اجناس الاعمال
الظاهرة بتنوع الاحوال الباطنة **او** تقول اعمال الجوارح تابعة لاحوال القلوب
فان ورد على القلب قبض ظهر على الجوارح اثره من السكون **وان** ورد عليه بسط
ظهر على الجوارح اثره من الخفة والحركة **وان** ورد على القلب زهد وورع ظهر على
الجوارح اثره وهو ترك واجتناب اغتنام **وان** ورد على القلب رغبة وحرص ظهر على
الجوارح اثره وهو كد وتعب **وان** ورد على القلب محبة وشوق ظهر على الجوارح اثره
وهو شطح ورقص **وان** ورد على القلب معرفة وشهود ظهر على الجوارح اثره وهو
راحة وركود الى غير ذلك من الاحوال وما ينشأ عنها من الاعمال **وقد** تختلف
هذه الاحوال على قلب واحد فيتلون الظاهر في اعماله **وقد** يغلب على قلب حال
واحد فيظهر عليه اثر واحد **فقد** يغلب على الشخص القبض فيكون منقبضا
في الغالب **وقد** يغلب عليه البسط كذلك الى غير ذلك من الاحوال والله تعالى اعلم
وفي الحديث ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الا وهي القلب **قلت** ولاجل هذا المعنى اختلفت احوال الصوفية
فمنهم عباد ومنهم زهاد ومنهم الورعون والمريدون والعارفون **قال الشيخ**

زروق

زروق رضي الله عنه في قواعده **قاعدة** التمسك الاخذ بكل مسك من الفضائل من
غير مراعاة لغير ذلك فان رام التحقيق في ذلك اي التمسك فهو العابد وان مال للاخذ
بالاحوط فهو الورع وان آثر جانب الترك طلبا للسلامة فهو الزاهد وان ارسل نفسه
في مراد الحق فهو العارف وان اخذ بالتخلي والتحلي فهو المريد اذ المراد منه
وقال في قاعدة اخرى لا يلزم من اختلاف المسالك اختلاف المقاصد بل يكون متحدا
مع اختلاف مسالكه كالعبادة والزهادة والمعرفة مسالك لقرب الحق على سبيل
الكرامة وكلها متداخلة فلا بد للعارف من عبادة والا فلا عبرة بمعرفته اذ لم يعبد
معروفه ولا بد له من زهادة والا فلا حقيقة عنده اذ لم يعرض عما سواه ولا بد للعابد
منهما اذ لا عبادة الا بمعرفة ولا فراغ للعبادة الا بزهد والزاهد كذلك اذ لا زهد
الا بمعرفة اذ هو الجهلة ولا زهد الا بعبادة والا عاد بطالة نعم من غلب عليه العمل
فعابد او الترك فزاهد او النظر لتصريف الحق فعارف والكل صوفية والله اعلم انتهى
ولما كان الاخلاص شرطا في كل عمل ذكره باثره فقال **الاعمال صور قائمة
وارواحها وجود سر الاخلاص فيها** الاعمال هنا عبارة عن الحركة الجسمانية او
القلبية والصور جمع صورة وهو ما يتشخص في الذهن من الكيفيات والروح الجسم
الموضوع في الحيوانات وهو هنا عبارة عما يقع به الكمال المعتبر في الاعمال والاخلاص
افراد القلب بعبادة الرب وسره نيته وهو الصدق المعبر عنه بالتبري من الحول والقوة
اذ لا يتم الا به وان صح دونه اذ الاخلاص نفي الرياء والشرك الخفي وسره نفي العجب
وملاحظة النفس والرياء قادح في صحة العمل والعجب قادح في كماله فقول **قلت**
الاعمال كلها اشباح واجساد وارواحها وجود الاخلاص فيها فكما لا قيام للاشباح
الا بالارواح والا كانت ميتة ساقطة كذلك لا قيام للاعمال البدنية والقلبية
الا بوجود الاخلاص فيها والا كانت صورا قائمة واشباحا خاوية لا عبرة بها
قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقال تعالى فاعبد الله
مخلصا له الدين **وقال صلى الله عليه وسلم** حاكيا عن الله تعالى يقول انا اغنى الشركاء
من اشرك معي غيري فيه تركته وشركه **وقال صلى الله عليه وسلم** اخوف ما اخاف على

اتقوا الشرك الخفي وهو الرياء وفي رواية اتقوا هذا الشرك الخفي فانه يدب دبيب
النمل قيل وما الشرك الخفي قال الرياء انتهى بالمعنى لطول العهد به وفي حديث
مسلسل الى النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الاخلاص فقال حتى اسأل جبريل فلما
سأله قال حتى اسأل رب العزة فلما سأله قال له هو سر من اسراري اودعته قلب من
احببت من عبادي لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده قال بعضهم هو مقام
الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه والاخلاص على ثلاث درجات درجة العوام
والخواص وخواص الخواص فاخلاص العوام هو اخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب
الحظوظ الدنيوية والاخروية كحفظ البدن والمال وسعة الرزق والقصور والحور واخلاص
الخواص طلب الحظوظ الاخروية دون الدنيوية واخلاص خواص الخواص اخراج الحظوظ
بالكلية فعبادتهم تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية او محبة وشوقا
الى رؤيته كما قال ابن الفارض ۞ ليس سؤلي من الجنان نعيم ۞ غير اني
احبها لأراك ۞ وقال آخر ۞ كلهم يعبدون من خوف نار ۞ ويرون
النجاة حظا جزيلا ۞ او بان يسكنوا الجنان فيحظوا ۞ بقصور ويشربوا سلسبيلا ۞
ليس لي في الجنان والنار رأي ۞ انا لا ابتغي بحبي بديلا ۞ قال الشيخ
ابو طالب رضي الله عنه الاخلاص عند المخلصين اخراج الخلق من معاملة الحق والخلق
النفس والاخلاص عند المحبين ان لا يعمل عملا لاجل النفس والا دخل عليه مطالعة
العوض وميل الى حظ النفس والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم
في الافعال وعدم السكون والاستراحة اليهم في الاحوال وقال بعض المشايخ صحح
عملي بالاخلاص وصحح اخلاصي بالتبري من الحول والقوة انتهى كلامه وقال بعض
العارفين لا يتحقق الاخلاص حتى يسقط من عين الناس ويسقط الناس من عينيه لذلك
قال اخي كلما سقطت من عين الخلق عظمت في عين الحق وكلما عظمت في عين الخلق سقطت
من عين الحق يعني مع ملاحظتهم ومراقبتهم وسمعت شيخنا يقول مادام العبد يراقب
الناس ويهابهم لا يتحقق اخلاصه ابدا وقال ايضا لا تجتمع مراقبة الحق مع مراقبة
الخلق ابدا اذ محال ان تشهده وتشهد معه سواه اه والحاصل لا يمكن الخروج

من

من النفس والتخلص من دقائق الرياء من غير شيخ ابدا والله تعالى اعلم ولما كان الخمول من
مظان الاخلاص بل لا يتحقق في الغالب الا به اذ لا حظ فيه للنفس ذكره بعده فقال
ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه الدفن هو التغطية
والستر والخمول سقوط المنزلة عند الناس ونتاج الشيء ثمرته استعير هنا للحكم
والمواهب والعلوم التي يجتنيها العبد من المعرفة بالله وذلك عند موت نفسه وحياة
روحه قلت استر نفسك ايها الفقير وادفنها في ارض الخمول حتى تمتن تربيتها
وتستثقله ويكون عندها احلى من العسل ويصير الظهور عندها امر من الحنظل فاذا دفنتها
في ارض الخمول وامتدت عروقها فيه فحينئذ تجني ثمرتها ۞ ويتم لك نتاجها ۞ وهو سر
الاخلاص ۞ والتحقق بمقام خواص الخواص ۞ واما اذا لم تدفنها في ارض الخمول ۞
ونشرتها على ظهر الشهرة تجول ۞ فلا تنتج نتاجها ۞ او اسقطت ثمرتها فاذا جنى العارفون
ما غرسوه من جنات معارفهم من العلوم ۞ وما دفنوه من كنوز الحكم ومخازن
الفهوم ۞ بقيت انت فقير اصابعك ۞ او سارقا صايحا ۞ قال سيدنا عيسى عليه السلام
لاصحابه اين تنبت الحبة قالوا في الارض فقال كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب كالارض
انتهى وقال بعض العارفين كلما دفنت نفسك ارضا ارضا سما قلبك سماء سماء
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله
لابره فيهم وكان عليه السلام جالسا مع الاقرع بن حابس كبير بني تميم فمر عليه
رجل من فقراء المسلمين فقال عليه السلام للاقرع بن حابس ما تقول في هذا فقال
هذا يا رسول الله من فقراء المسلمين حقيق ان خطب الا يزوج وان استأذن الا يؤذن
له وان قال لا يسمع له ثم مر بهما رجل من الاغنياء فقال له عليه السلام وما تقول
في هذا فقال هذا حقيق ان خطب ان يزوج وان استأذن ان يؤذن له وان قال ان يسمع
له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا يعني الفقير خير من ملء الارض من هذا
وفي مدح الخمول احاديث كثيرة وفضائل مشهورة ولو لم يكن فيه الا الراحة وفراغ
القلب لكان كافيا وانشد بعضهم وهو الحضرمي ۞ ۞ عش خامل الذكر بين الناس
وارض به ۞ ۞ فذاك اسلم للدنيا وللدين ۞ ۞ من عاشر الخلق لم تسلم ديانته ۞ ۞

ولم يزل يبرئني بك وتسكين وقال بعض الحكماء الخمول نعمة، والنفس
تأباه، والظهور نقمة، والنفس تهواه، وقال في اخرى يعني لا تصلح الا لاقوام كنست
بارواحهم المزابل قلت ويجب على من ابتلي بالجاه او الولاية ان يستعمل من اسباب
ما يسقط جاهه وان كان مكروها دون الحرام المتفق عليه بقصد الدواء كالسؤال في الحوانيت
او الديار وكالاكل في السوق وحيث يراه الناس وكالرقاد فيه وكالسعي بالقربة وحمل الزبل على
الراس بغرارة وكالمشي بالحفا واظهار الحرص والبخل والشح وكلبس المرقعات وتعليق
السبحة الكبيرة وكل ما يثقل على النفس من المباح او المكروه دون الحرام قال الشيخ زروق
رضي الله عنه وكما لا يصح دفن الزرع في ارض ردية لا يجوز الخمول بحالة غير مرضية وقياس
ذلك بالقصة لا يصح لان فوات الحياة الحسية مانع من كل خير واجبا ومندوبا ولو فوتنها
مع امكان ابقائها مع اجماع الفرق تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بخلاف الخمول
لا يفوت به شيء من ذلك انما يفوت به الكمال وهو نفي الجاه والمنزلة واصله الاباحة اهـ
واجاب بعضهم بانه اذا جاز تفويت الحياة الفانية فاولى ان يجوز تفويت الحياة
الدايمة وهو المعرفة فتامله وقصة لص الحمام تشهد له والله تعالى اعلم ولقد سمعت
شيخنا رضي الله عنه يقول الفقير الصادق يقتل نفسه بلا دين في شيء من المباح والفقير
الكذاب يقع في الحرام ولا يقتلها وكان كثيرا ما ينهى عن الاحوال الظلمانية ويقول له
عند نفس المباح ما يغنينا عن الحرام والمكروه واما السؤال فانما هو مكروه او
حرام لقصد قوت الاشباح واما القصد قوت الارواح فليس بحرام وقد ذكر القسطلاني
في شرح البخاري عن ابن العربي الفقير انه واجبا على الفقير في بداية فانظره وقد ذكره
في المباحث الاصلية مستوفى فانظره وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله عند قوله
ما تقدمت يديك الى الاخذ من الخلائق فان قلت هذا الخراب الذي ذكرت فيه شهرة الى
الاخرة ايضا اذ الخمول هو الخفاء عن اعين الناس وهذا فيه ظهور كبير قلت
الخمول هو اسقاط المنزلة عند الناس وكتمان سر الولاية وكل ما يسقط المنزلة
عندهم ويبقي تهمة الولاية فهو خمول وقال النجيبي في الانالة ما نصه ومن يقول
من الصوفية ان المرقعة شهرة فجوابه ان سلمان الفارسي لبس كساء غليظا

في زيارة ابي الدرداء من العراق الى الشام فقيل له اشهرت نفسك فقال الخير خير الآخرة
وانما انا عبد البس كما يلبس العبد فاذا اعتقت لبست حلة لا تبلى حواشيها ومن
ذلك قصة الغزالي رضي الله عنه من حمله جلد الثور على ظهره عند مكافاة شيخه الخراز
وكنسه السوق واستعماله القربة لسقي الناس كما اسمعتها من الشيخ مرارا ولم اقف
عليها عند احد ممن عرف به وانظر ما جرى له مع ابن العربي عند قوله رب عمر اتسعت
في اماده وقلت امداده وكذلك قصة الششتري مع شيخه ابن سبعين كان الششتري
كان وزيرا وعالما وابوه كان اميرا فلما اراد الدخول في طريق القوم قال له شيخه لا تنال
منها شيئا حتى تبيع متاعك وتلبس قشابة وتاخذ بنديرا وتدخل السوق ففعل
جميع ذلك فقال له ما تقول في السوق فقال قل بدأت بذكر الحبيب فدخل السوق
يضرب ببنديره ويقول بدأت بذكر الحبيب فبقي ثلاثة ايام وخرقت له الحجب وجعل
يغني في الاسواق بعلوم الاذواق ومن كلامه رضي الله عنه وارضاه

شويخ من ارض مكناس ... وسط الاسواق يغني ... اش علي من الناس
واش على الناس مني ... ثم قال ... اش حد من حد احد
افهموا ذي الاشارة ... وانظروا كبر سني ... والعصا والغرارة
هكذا عشت بفاس ... وكذا هو نهون ... اش علي من الناس
واش على الناس مني ... وما احسن كلامه ... اذا يخطر في الاسواق
وترى اهل الحوانيت ... تلتفت لو بالاعناق ... بغرارة في عنقو
وعكيكز وبغراف ... شيخ يبني على اساس ... كما شاء الله يبني
اش علي من الناس ... واش على الناس مني ... وكذلك قصة الرجل الذي

كان مع ابي يزيد البسطامي يقرب من ثلاثين سنة فكان لا ينقطع عن مجلسه ولا يفارقه فقال
له يوما يا استاذ انا منذ ثلاثين سنة اصوم النهار واقوم الليل وقد تركت الشهوات
ولست اجد في قلبي من هذا الذي تذكر شيئا البتة وانا اصدق بكل ما تقول واصدقه فقال
له ابو يزيد رضي الله عنه لو صليت ثلاثمائة سنة وانت على ما ارى عليه لا تجد منه ذرة
قال ولم يا استاذ قال لانك محجوب بنفسك قال افلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب

فقال نعم ولكنك لا تقبل ولا تعمل قال بل اقبل واعمل ما تقول فقال له ابو يزيد اذهب الساعة
الى الحجام واحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة
واملأها جوزا واجمع حولك صبيانا وقل باعلى صوتك يا صبيان من يصفعني صفعة اعطه
جوزة وادخل سوقك الذي تعظم فيه وانت على هذه الحالة حتى ينظر اليك كل من يعرفك فقال
يا ابا يزيد سبحان الله مثلي يقال له هذا فقال له قولك سبحان الله شرك فقال له وكيف قال
ابو يزيد لانك عظمت نفسك فسبحتها فقال يا ابا يزيد لست اقدر على هذا
ولا افعله ولكن دلني على غير هذا حتى افعله فقال له ابو يزيد ابدأ بهذا قبل كل شيء
حتى يسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك اعرفك بما يصلح لك قال لا اطيق هذا
قال انك قد قلت انك تقبل وتعمل وانا اعلم فلا مطمع لعبد فيما حجب عن العامة من
اسرار الغيب حتى تموت نفسه وتخرق عوائد العامة فحينئذ تخرق له العوائد وتظهر له
الفوائد اهـ وكذلك قصة ابي عمران البردعي مع شيخه ابي عبد الله التاودي في جلسه
من حلق راسه ولبس جلابة واحدة وخبزة ينادي عليها من يخلصها فيفعل جميع ذلك
وكذلك قصة شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب من اكله الخبز عند انجار الناس
وعثاره بالاسواق وخرابه بالفم مشهور حتى طوف به مرارا وكذلك قصة سيدي علي
العمراني في لباسه مشهور وكذا رعاه على سكر الصعليات حتى مات رضي الله عنه
وكذلك قصة شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه من لبس الغرارة وسقيه بالقربة
وغير ذلك مما هو معلوم فهذه الحكايات تدل على ان الخمول ليس هو ما يفهمه العوام
من لزوم البيوت او الفرار الى الجبال فذلك هو عين الظهور عند المحققين وانما الخمول
هو كما قال الشيخ زروق رضي الله عنه تخفي النفس بوصفها الادنى وشعورها به ابدا
ووصفها الادنى هو الذل وكلما ثقل عليها تخفف بوصف التواضع وفائدته
تحصيل العمل وكمال الحقيقة اهـ فان قلت فعل هذه الاحوال التعرض
لكلام الناس وايقاعهم في الغيبة قلت هذا مبني على القصد والنية وكل من
فعل شيئا من ذلك بلا قصد فقتل نفسه وتحقيق اخلاصه ودوام قلبه وهم
مما يحب الرفق فيهم عاذرون له قال سيدي يحيى في كتابه نحن نعذر من عذرنا

ونعتذر

ونعتذر من لم يعذرنا وقال سيدي يحيى في كتاب الشيخ زروق في قواعده قاعدة
حكم الفقه عام في العموم لان مقصده اقامة رسم الدين ورفع مناره واظهار كلمته
وحكم التصوف خاص في الخصوص لانه معاملة بين العبد وربه من غير زائد على ذلك
فمن ثم صح انكار الفقيه على الصوفي ولم يصح انكار الصوفي على الفقيه ولزم الرجوع
من التصوف الى الفقه في الاحكام لا في الحقائق اهـ تنبيه هذه الادوية التي
ذكرنا انما هي في حالة المرض واما من تحقق شفاؤه وكمل فناؤه فهو عبد الله سواء الظهور
او الخفاء وفي هذا قال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه من احب الظهور فهو
عبد الظهور ومن احب الخفاء فهو عبد الخفاء وعبد الله سواء عليه الظهور او الخفاء اهـ
ولما كان التخلص من دقائق الرياء ومخادع النفوس لا يكون في الغالب الا بالفكرة
ولا تتم الفكرة الا بالعزلة ذكرها فقال ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها
ميدان فكرة النفع ايصال العائدة والقلب القوة المستعدة لقبول العلم والعزلة
انفراد القلب بالله وقد يراد بها الخلوة التي هي انفراد القالب عن الناس وهو المراد هنا
اذ لا ينفرد القلب في الغالب الا اذا انفرد القالب والميدان بالفتح والكسر في الميم مجال الخيل
استعير هنا للافكار اذ تجدها في مواقعها كتردد الخيل في مجالها والفكرة سير القلب
الى الحضرة وهو على قسمين فكرة تصديق وايمان وفكرة شهود وعيان على ما يأتي قلت
لا شيء انفع للقلب من عزلة مصحوبة بفكرة لان العزلة كالحمية والفكرة كالدواء فلا
ينفع الدواء من غير حمية ولا فائدة في الحمية من غير دواء فلا خير في عزلة لا فكرة فيها ولا
نهوض لفكرة لا عزلة معها اذ المقصود من العزلة هو تفريغ القلب والمقصود من التفريغ
هو جولان القلب واشتغاله بالفكرة والمقصود من اشتغال الفكرة تحصيل العلم وتمكنه
من القلب وتمكن العلم بالله من القلب هو دواؤه وغاية صحته وهو الذي سماه الله القلب
السليم قال تعالى في شأن القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
اي صحيح وقد قالوا ان القلب كالمعدة اذا قويت عليها الاخلاط مرضت ولا ينفعها الا
الحمية وهي قلة موادها ومنعها من كثرة الاخلاط وفي الحديث المعدة بيت الداء
والحمية راس الدواء وكذلك القلب اذا قويت عليه الخواطر واستحوذ عليه الحس

مرض ووبطالات ولا ينفعه الا الحمية منها والتباعد من مواطنها وهي الخلطة فاذا اعتزل عن
الناس واستعمل الفكرة نجح دواؤه واستقام قلبه والا بقي سقيما حتى يلقى الله بقلب
سقيم بالشك والخواطر الردية نسأل الله العافية قال الجنيد رضي الله عنه اشرف
المجالس الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
ثمار العزلة الظفر بمواهب المنة وهي اربعة كشف الغطاء وتنزل الرحمة وتحقق
المحبة ولسان الصدق في الكلمة قال الله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون
الله وهبنا له الاية انتهى واعلم ان في الخلوة عشر فوايد الاولى السلامة من
آفات اللسان فان من كان وحده لا يجد مع من يتكلم وقد قال عليه السلام رحم الله عبدا
سكت فسلم او تكلم فغنم ولا يسلم في الغالب من آفات الاتيان الى الخلوة على الاجتماع
وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه اذا رايت الفقير يوثر الخلوة على الاجتماع والصمت
على الكلام والصيام على الشبع فاعلم ان جنده قد عمل واذا رايته يوثر الخلطة والكلام
والشبع على ضدها فاعلم ان جنده خاو وقال ابو العون في كثرة الكلام قلة الورع وعدم
التقوى وطول الحساب وفشو الكتاب وكثرة الطالبين وتعلق المظلومين بالظالمين وكثرة
الاشهاد من الكرام الكاتبين ودوام الاعراض عن الملك الكريم لان الكلام مفتاح كبائر من
اللسان وفيه الكذب وفيه الغيبة والنميمة والزور والبهتان ثم قال وفي الخبر اكثر خطايا
ابن ادم في لسانه واكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم خوضا فيما لا يعنيه الفايدة
الثانية حفظ البصر والسلامة من آفات النظر فان من كان معتزلا عن الناس يسلم من النظر
اليهم والى ما هم منكبون عليه من زهرة الدنيا وزخرفها قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه فيمتنع بذلك النفس من التطلع اليها
والاستشراف لها ومنافسة اهلها وقال محمد بن سيرين رضي الله عنه اياك وفضول
النظر فانها تودي الى فضول الشهوة وقال بعض الادباء من كثرت عليه لحظاته
دامت حسراته وقالوا ان العين سبب الحين اي الهلاك ومن ارسل طرفه اقتنص حتفه
وان النظر بالابصار الى الاشياء يوجب تفرقة القلب الفايدة الثالثة حفظ القلب
وصونه عن الرياء والمداهنة وغيرهما من الامراض قال بعض الحكماء من خالط الناس

داراهم

داراهم ومن داراهم رااهم ومن رااهم وقع فيما وقعوا فيه فهلك كما هلكوا وقال بعض
الصوفية قلت لبعض الابدال المنقطعين الى الله كيف الطريق الى التحقيق قال لا تنظر الى الخلق
فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي قال لا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي
قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران وحسرة ووحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من
معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله يكون قال يا هذا
تنظر الى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد ان تجد
حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله هيهات هذا لا يكون ابدا ثم غاب عني وقال القشيري
رضي الله عنه فارباب المجاهدات اذا ارادوا صون قلوبهم عن الخواطر الردية لم ينظروا
الى المستحسنات من الدنيا قال وهذا اصل كبير لهم في المجاهدات في احوال الرياضة انتهى
الفايدة الرابعة حصول الزهد في الدنيا والقناعة منها وفي ذلك شرف العبد وكماله وسبب
محبته عند مولاه لقوله صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس
يحبك الناس ولا شك ان من انقطع عن الناس ولم ينظر الى ما هم فيه من الرغبة في الدنيا والانكباب
عليها يسلم من متابعتهم في ذلك ويسلم من متابعة الطباع الردية والاخلاق الدنية وخلاص
مخالطهم ان يسلم مما هم فيه وقد روي عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت
قلوبكم قالوا ومن الموتى يا روح الله قال المحبون للدنيا الراغبون فيها الفايدة الخامسة
السلامة من صحبة الاشرار ومخالطة الارذال وفي مخالطتهم فساد عظيم وخطر جسيم وفي بعض
الاخبار مثل الجليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وقال سيدي عبد
الرحمن المجذوب رضي الله عنه الجلسة مع غير الاخيار ترذل ولو تكون صافيا اوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانيا فقال الهي قليت الخلق من اجلك
فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل اخ لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه
فانه لك عدو ويقسي قلبك ويباعدك مني فان اردت الصحبة فعليك بصحبة الصوفية
فان صحبتهم كنز لا نفاد له قال الجنيد رضي الله عنه اذا اراد الله بعبد خيرا اوقعه الى
الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال ءاخي والله ما افلح من افلح الا بصحبة من افلح الفايدة
السادسة التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر ولا شك ان العبد اذا كان

وحده تفرغ لعبادة ربه، واجتمع عليها بجوارحه وقلبه، لقلة من يشتغل عن ذلك. قال في القوت
واما الخلوة فانها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم بالخالق وتقوى العزم على الثبات
الى آخر كلامه. الفائدة السابعة: وجدان حلاوة الطاعات، وتمكن لذيذ المناجاة،
لفراغ سره وهذا مجرب صحيح. قال ابو طالب: ولا يكره المريد ضاد فا حتى يجد في الخلوة من الحلاوة
والنشاط والقوة ما لا يجده في العلانية، وحتى يكون انسه في الوحدة وروحه في الخلوة واحسن
اعماله في السر. الفائدة الثامنة: راحة القلب والبدن فان في مخالطة الناس ما يوجب
تعب القلب بالاهتمام بامرهم، وتعب البدن بالسعي في اغراضهم، وتكميل مرادهم،
وان كان في ذلك الثواب فقد يفوته ما هو اعظم واهم وهو جمع القلب وحضرة الرب. الفائدة
التاسعة: صيانة نفسه ودينه من التعرض للشرور والخصومات التي توجبها الخلطة
فان النفس تولعت وتسارع الى الخوض في مثل هذا اذا اجتمعت بارباب الدنيا وزاحمتهم فيها
وللشافعي رضي الله عنه * ومن يذق الدنيا فاني طعمتها * وسيق الينا عذبها
وعذابها * فلم ارها الا غرورا وباطلا * كما لاح في ظهر الفلاة سرابها *
وما هي الا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها * فان تجتنبها
عشت سلما لاهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها * فطوبى لنفس
اوطنت قعر بيتها * مغلقة الابواب مرخى حجابها * الفائدة
العاشرة: التمكن من عبادة التفكر والاعتبار وهو المقصود الاعظم من الخلوة وفي الخبر
تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكان عيسى عليه السلام يقول طوبى لمن كان كلامه
ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرة وان اكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال
كعب من اراد شرف الآخرة فليكثر من التفكر وكان افضل عبادة ابي الدرداء التفكر وذلك
لانه يطلع به على حقائق الاشياء وتبين الحق من الباطل ويطلع بها ايضا على خفايا آفات
النفوس ومكايدها وغرور الدنيا ويتعرف بها وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة
منها. قال الحسن رضي الله عنه: الفكرة مرآة تريك حسنك من سيئك ويطلع بها ايضا
على عظمة الله وجلاله اذا تفكر في آياته ومصنوعاته ويطلع بها ايضا على عظمة الا
ئه ونعمائه الجلية والخفية فيستفيد بذلك احوالا سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم

بها

بها على طاعة ربه. قاله الشيخ ابن عباد رضي الله عنه وفيه، ثم ان عزلة اهل البداية
واما اهل النهاية فمعنى عزلتهم مصحوبة معهم ولو كانوا وسط الخلق لانهم اقوياء رضي
الله عنهم محجوبون بالجمع عن الفرق وبالمعنى عن الحس استوى عندهم الخلوة والخلطة
لانهم ياخذون النصيب من كل شيء ولا ياخذ النصيب منهم شيء، وفي هذا المعنى قال
شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه * الخلق نوار * وانا رعيت فيهم *
* هم الحجب الاكبر * والمدخل فيهم * فان اضاف المريد الى العزلة
الصمت والجوع والسهر فقد كملت ولايته، وظهرت عنايته، واشرقت عليه الانوار،
وامتحت مرآة قلبه من صور الاغيار وقد اشار الشيخ الى بعض ذلك متعجبا من ضده
فقال كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته يعني بضد الياء اي يستنير
ويضيء وصور الاكوان اشخاصها وتماثيلها الحسية والمعنوية والاكوان انواع المخلوقات
دقت او جلت ومنطبعة اي ثابتة وانطبع الشيء في الشيء ظهر اثره فيه والمرآة يعني
الجسم آلة صقيلة ينطبع فيها ما يقابلها وكلما قوي صقلها قوي ظهور ما يقابلها
فيها واستعيرت هنا للبصيرة التي هي عين القلب التي تتجلى فيها الاشياء حسنها
وقبيحها قلت جعل الله قلب الانسان كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها كل
ما يقابلها وليس لها الا وجهة واحدة فاذا اراد الله عناية عبد اشغل فكرته بانوار
ملكوته، واسرار جبروته، ولم يعلق قلبه بمحبة شيء من الاكوان الظلمانية والخيالات
الوهمية، فانطبعت في مرآة قلبه انوار الايمان والاحسان، واشرقت فيها اقمار
التوحيد وشموس العرفان، والى ذلك اشار الششتري في بعض ازجاله بقوله
* اغمض الطرف ترى * وتلوح اخبار * واتعرى عن الورى *
* تنظر الاسرار * وتصقل المرآة * به تزول انكارك * ثم قال
* الفلك فيك يدور * وفيك يلمع * والشموس والبدور *
* فيك تغيب وتطلع * اه وبصقل مرآة قلبه يزول انكاره للحق ويعرفه
في كل شيء فيصير قلبه فلكا للانوار الروحانية والاقمار التوحيدية وشموس العرفان
واذا اراد الله تخليته لان عبده بعدله وحكمته اشغل فكرته بالاكوان الظلمانية،

والشهوات الجسمانية فانطبعت تلك الأكوان في مرآة قلبه فانحجب بظلماتها الكونية
وصورها الخيالية عن إشراق شموس العرفان وأنوار الإيمان وبقدر ما تكاثفت فيها صور
الأشياء انطمس نورها واشتد حجابها فلا ترى إلا الحس ولا تشتكي إلا الحس فمنها
ما يشتد حجابها وينطمس نورها بالكلية فينكر وجود النور من أصله وهو مقام الكفر والعياذ
بالله ومنها ما يغلب صداها ويرق حجابها فتتقي بالنور ولا تشاهده وهو مقام عوام المسلمين
وهم متفاوتون في القرب والبعد وقوة الدليل وضعفه كل على قدر يقينه وقلة تعلقاته
الدنياوية وعوائقه الشهوانية وخيالاته الوهمية وفي الحديث إن القلوب تصدى
كما يصدأ الحديد وإن الإيمان يخلق كما يخلق الثوب الجديد وفي حديث آخر لكل شيء
مصقلة وإن مصقلة القلوب ذكر الله وقال أيضا صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا أخطأ خطيئة
نكتت في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر صقلت فإن عاد زيد فيها حتى تعلو
قلبه فذلك الران الذي ذكر الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أو كما قال عليه
السلام وإذا علمت أن القلب ليس له إلا وجهة واحدة إذا قابلها النور أشرقت وإذا
قابلتها الظلمة تظلمت ولا تجتمع الظلمة والنور أبدا علمت وجه تعجب الشيخ بقوله
كيف يشرق قلب بنور الإيمان والإحسان وصور الأكوان الظلمانية منطبعة في مرآة
قلبه فالضدان لا يجتمعان قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فما ثم إلا
للعبد إلا قلب واحد إذا أقبلت به على الخلق أدبرت عن الحق وإذا أقبلت به على الحق أدبرت
عن الخلق فكيف ترحل من عالم الملك إلى الملكوت ومن الملكوت إلى الجبروت وما دمت مقيدا بهذا
العالم بشهواتك وعوائدك فلا يمكنك الرحيل إلى ربك وإلى ذلك أشار بقوله أم كيف
يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته الرحيل هو النهوض والانتقال من وطن إلى وطن وهو
هنا من ترك الكون إلى شهود المكون أو من الملك إلى الملكوت أو من الوقوف مع الأسباب
إلى رؤية مسبب الأسباب أو من وطن الغفلة إلى اليقظة أو من حظوظ النفس إلى حقوق
الله أو من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح أو من رؤية الحس إلى شهود المعنى أو من الجهل
إلى المعرفة أو من علم اليقين إلى عين اليقين أو من عين اليقين إلى حق اليقين أو من المراقبة
إلى المشاهدة أو من مقام السائرين إلى وطن المتمكنين والمكبل هو المقيد والمراد بالشهوات

كل ما تشتهيه النفس وتميل إليه قلت الرحيل مع التكبيل لا يجتمعان فما دام القلب
محبوسا بالميل إلى شيء من هذا العرض الفاني ولو كان مباحا في الشرع فهو مقيد به ومكبل
في وطنه فلا يرحل إلى الملكوت ولا تشرق عليه أنوار الجبروت فتعلق القلب بالشهوات مانعة
له من النهوض إلى الله لاشتغاله بالالتفات إليها وعلى تقدير النهوض معها تكون مثبطة
له عن الإسراع بالميل إليها وعلى تقدير الإسراع فلا يؤمن العثار معها لأنس النفس بها
ولذلك ترى الأكابر لا تلتفت إليها حتى قال بعضهم لدغ الزنابير على الأجسام المقرحة أيسر من
لدغ الشهوات على القلوب المتوجهة قاله الشيخ زروق رضي الله عنه قلت هذا
إن تعلق القلب بطلبها قبل حصولها وإلا فلا لعدم تعلق القلب بها وقد تقدم في حقيقة
التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة وكان شيخنا رضي الله عنه يقول إن شئتم أن تقسم
لكم لا يدخل عالم الملكوت من في قلبه علقة فانقطع عنك بالأخص عروق العلائق وفر من
وطن العوائق تشرق عليك أنوار الحقائق ولهذا كانت السياحة والهجرة من الأمور
المؤكدة على الفقراء إذ الإقامة في وطن الحس لا يخلو معها من التعلقات الحسية وقد
قالوا الفقير كالماء إذا طال في موضع واحد تغير وإذا جرى عذب وبقدر ما يسير في الحس
يسير في المعنى وبقدر ما يسير القالب يسير القلب والهجرة سنة نبوية ومنذ هاجر النبي
صلى الله عليه وسلم لم تتركه راحة إلا في الهجرة للجهاد حتى فتح الله عليه البلاد وكذلك
الصحابة رضوان الله عليهم لم يستقر في وطنه إلا القليل منهم حتى فتح الله على يدهم سائر
البلاد وهدى الله بهم العباد نفعنا الله ببركاتهم آمين وإذا رحل القلب من
وطن شهواته وتطهر من لوث غفلاته وصل إلى حضرة ربه وتنعم بشهود قربه ولذلك أشار
بقوله أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته الحضرة
هي حضور القلب مع الرب وهي على ثلاثة أقسام حضرة القلوب وحضرة الأرواح وحضرة
الأسرار فحضرة القلوب للسائرين وحضرة الأرواح للمستشرفين وحضرة الأسرار
للمتمكنين أو تقول حضرة القلوب لأهل المراقبة وحضرة الأرواح لأهل المشاهدة وحضرة
الأسرار لأهل المكالمة وتحقق لك أن الروح ما دامت تتقلب بين الغفلة والحضرة كانت
في حضرة القلوب فإذا استراحت بالوصال سميت روحا وكانت في حضرة الأرواح وإذا

تمكنت وتصفت وصارت سرا من اسرار الله فسميت سرا وكانت في حضرة الاسرار والله
تعالى اعلم **قلت** الحضرة منزهة مقدسة مرفوعة لا يدخلها الا المطهرون فـ
حرام على القلب الجنب ان يدخل مسجد الحضرة وجنابة القلب غفلته عن ربه قال تعالى يا ايها
الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل
حتى تغتسلوا اي لا تقربوا صلاة الحضرة وانتم سكارى بحب الدنيا حتى تستفيقوا وتتدبروا
ما تقولون في حضرة الملك ولا جنبا من جماع الغفلة وشهود السوى حتى تتطهروا بماء الغيب
التي اشار اليه الحاتمي رضي الله عنه كما في الطبقات الشعرانية في ترجمة ابي المواهب بقوله

توضا بماء الغيب ان كنت ذا سر ... والا تيمم بالصعيد او بالصخر
وقدم اماما كنت انت امامه ... وصل صلاة الظهر في اول العصر
فهذي صلاة العارفين بربهم ... فان كنت منهم فانضح البر بالبحر

اي تطهر من شهود نفسك بماء الغيبة عنها بشهود ربك او تطهر من شهود الحس
بشهود المعنى او تطهر من شهود عالم الشهادة بماء شهود عالم الغيب او تطهر
من شهود السوى بماء العلم بالله فانه يغيب عنك كل ما سواه واذا تطهرت من
شهود السوى تطهرت من العيوب كلها والى ذلك اشار الششتري رضي الله عنه بقوله

طهر العين بالمدامع سبعا ... من شهود السوى تزل كل علة

وهذا الماء الذي هو ماء الغيب هو النازل من سماء بحار الجبروت الى حياض رياض الملكوت
فتنشئه سحائب الرحمة وتثيره رياح الهداية فتسوقه الى ارض النفوس الطيبة فتسيل
منه اودية القلوب المنورة وخلجان الارواح المطهرة واليه الاشارة بقوله تعالى انزل من
السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية شبه الحق تعالى العلم النافع بالمطر النازل من
السماء فكما ان المطر تعم منه الاودية والغدران وتجري منه العيون والانهار كل على قدر سعته
وكبره كذلك العلم النافع نزل من سماء عالم الغيب الى ارض عالم الشهادة فسالت به اودية
القلوب كل على قدر طاقته وحسب استعداده وكما ان المطر يطهر الارض من الاوساخ كذلك
العلم النافع يطهر النفوس من الادناس والقلوب من الاغيار والارواح من الاكدار والاسرار
من رؤية الانوار وهذا الماء هو الذي اشار اليه بقوله توضا بماء الغيب ان كنت ذا سر ان

وهو معنى قوله تعالى فاحتمل السيل زبدا رابيا من زبد على وجه الماء

كنت

كنت صاحب سر والسر هو شهود الوحدة ونفي السوية او شهود العظمة بالعظمة
ومن لم يتحقق بهذا ولم يمكنه التطهير بماء الغيب بالكلية لفقد ذلك الماء او لعدم
قدرته عليه فلينتقل للتيمم الذي هو رخصة الضعفاء وطهارة المرضى والى ذلك اشار بقوله
والا تيمم بالصعيد او بالصخر اي وان لم تقدر على الطهارة الاصلية وهي الغيبة عن السوى
لمرض قلبك مع عدم صدقك فانتقل للطهارة الفرعية التي هي العبادة الظاهرية
او تقول وان لم تقدر على الطهارة الحقيقية التي هي الطهارة الباطنية فانتقل للطهارة
المجازية التي هي الطهارة الظاهرية او تقول وان لم تقدر على طهارة المقربين
فانتقل لطهارة اهل اليمين او تقول وان لم تقدر على طهارة اهل المحبة فانتقل
لطهارة اهل الخدمة قوم اقامهم الله لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء
وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا فطهارة اهل المحبة الفكرة والنظرة
وطهارة اهل الخدمة بالمجاهدة والمكابدة في عبادة ظاهرة من صلاة وصيام وذكر
وتلاوة وتعليم وغير ذلك وفي عبادة خفية كخوف ورجاء وزهد وصبر وورع ورضى
وتسليم ورحمة وشفقة وغير ذلك مما لا يظهر للعيان وهذا هو تصوف اهل الظاهر
واما تصوف اهل الباطن فهو الغيبة عن الاكوان بشهود المكون او الغيبة عن الخلق
بشهود الملك الحق وهو الذي عبر عنه الناظم بماء الغيب فكل من لم يدرك تصوف
اهل الباطن فهو من اهل التيمم فان كان مشغولا بالعمل الظاهر كالصلاة والصيام
ونحوهما فهو كالمتيمم بالصعيد لظهورها كظهور اثر التراب على الجوارح وان كان
مشغولا بالعبادة الخفية كالزهد والورع ونحوهما فهو كالمتيمم بالصخر لعدم
ظهورها في الغالب كعدم ظهور اثر الصخر ولما امرك بالغيبة عن السوى خاف
عليك انكار الواسطة واسقاط الحكمة فتقع في الزندقة فقال وقدم اماما كنت
انت امامه والمراد بالامام هو النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان على قدمه ممن جمع
بين الشريعة والحقيقة فامرك باتباع الشريعة المحمدية في حال غيبتك عن السوى
فيكون ظاهرك سلوكا وباطنك جذبا فظاهرك مع الحكمة وباطنك مع القدرة
ولا بد ان تقتدي بامام كامل سلك الطريقة على يد شيخ كامل فيعلمك كيفية العمل

بالشريعة ويبدلك على الحقيقة والابقية مربطا على الدوام وتستعمل طهارة الماء على
الدوام واذا لا تجد ماء الغيب ولا تقدر على استعماله الا بصحبة اهل هذا الماء الذين شربوه
وسكروا به ثم صحوا من سكرتهم وسلكوا من جذبهم فيملكهم زمام امرك وتنقاد اليهم
بكليتك بعد ان اطلعك الله على خصوصيتهم وكشف لك عن اسرارهم وشهدت
لهم روحك بالتقديم وسرك بالتعظيم فتقدمهم امامك بعد ان كنت انت امامهم
وهم يطلبونك للحضرة وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس الى الله وهم
فارون امامه فلما عرفوا الحق قدموه امامهم وهذا معنى قوله كنت انت امامه وقوله
وصل صلاة الفجر اول العصر وفي بعض النسخ وصل صلاة الظهر اول العصر اذا جمع
طهر الشريعة بعلم الحقيقة وفي اخرى النسخ وصل صلاة الفجر اول العصر اذا رجع
الى البقاء بعد كمال الفناء او الى السلوك بعد الجذب اذ الغالب على المريد ان يتقدم
السلوك ثم يلتقيه الجذب فاوله سلوك واخره جذب كما ان اول النهار صلاة الفجر
واخره صلاة العصر اذا رجع الى صلاة الفجر التي كانت في اول نهارك فصلها في اخر نهارك
فارجع الى السلوك الذي كان في اول امرك فاجعله في اخر امرك وهو معنى قولهم منتهى الكمال
الشرايع وقالوا ايضا نهاية السالكين بداية المجذوبين ونهاية المجذوبين بداية
السالكين وقالوا ايضا علامة النهاية الرجوع الى البداية وسياتي الكلام على هذا في محله
ان شاء الله وقوله فهذا في صلاة العارفين يعني لانهم تطهروا الطهارة الاصلية
وصلوا الصلاة الدائمة قال تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون فالعوام حدوا صلاتهم
اوقاتهم والعارفون في الصلاة على الدوام فقيل لبعضهم هل للقلوب صلاة فقال نعم
اذا سجد لا يرفع راسه ابدا اي اذا سجدت الروح لهيبة الجلال والجمال لا ترفع راسها ابدا
والى ذلك اشار الششتري بقوله ** فاسجد لهيبة الجلال ** عند التداني ** وتغني ايها
الكمال ** سبع المثاني ** وقوله فان كنت منهم فلتنضح البر بالبحر اذا كنت
من العارفين المحققين فانضح برشح بحرك بحر حقيقتك بحيث يغطي شريعتك من بحر
حقيقتك حتى تضمرها وتغطيها فتصير الشريعة عين الحقيقة والحقيقة عين
الشريعة حتى يصير عملك كله بالله والله تعالى اعلم وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله

واذا دخل القلب حضرة القدس ومحل الانس فهو في قابض الاسرار ومليء
بالمواهب والانوار والى ذلك اشار بقوله او كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار وهو لم
يتب من هفواته الرجا تمني الشيء مع السعي في اسبابه والا فهو امنية والفهم حصول العلم
بالمطلوب ودقائق الاسرار غوامض التوحيد والتوبة الرجوع عن كل وصف ذميم الى كل
وصف حميد وهذه توبة الخواص والهفوات جمع هفوة وهي الزلة والغفلة قلت
فهم دقائق الاسرار لا يكون ابدا مع وجود الاصرار او تقول فهم غوامض التوحيد
لا يكون الا في قلب جريد فمن لم يتب من هفواته ويتخلص من شهواته فلا يطمع في فهم
غوامض التوحيد ولا في ورود اسرار اهل التجريد قال احمد بن ابي الحواري سمعت شيخي
ابا سليمان الداراني رضي الله عنه يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك الاثام جالت في الملكوت
ورجعت الى صاحبها بطرائف الحكمة من غير ان يؤدي اليها عالم علما قال احمد بن حنبل
صدقت يا احمد وصدق شيخك ما سمعت في الاسلام حكاية اعجب الي من هذه من عمل بما
علم اورثه الله علم ما لم يعلم وقيل للجنيد رضي الله عنه كيف الطريق الى التحقيق فقال
بتوبة تزيل الاصرار وخوف يقطع التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل واهانة النفس
بقربها من الاجل وبعدها من الامل فقيل له بماذا يصل الى هذا فقال بقلب مفرد فيه
توحيد مجرد هـ فلذا انفرد القلب بالله وتخلص مما سواه فهم دقائق التوحيد
وغوامضه التي لا يمكن التعبير عنها وانما هي رموز واشارات لا يفهمها الا اهلها ولا تفشى
الا لهم وقليل ما هم ومن افشى شيئا من اسرارها مع غير اهلها فقد اباح دمه وتعرض
لقتل نفسه كما قال ابو مدين رضي الله عنه وارضاه ** وفي السر اسرار دقاق لطيفة **
** تراق دمانا جهرة لو بها بحنا ** وقال في اخرى ** عوبي حبيب عني لا ابوح به **
** اخشى فضيحة وجهي يوم القاه ** وهذه الاسرار هي اسرار الذات وانوار
الصفات التي تجلى الحق بها في مظاهر الاكوان والى ذلك اشار بقوله الكون كله ظلمة وانما
اناره ظهور الحق فيه الكون ما كونته القدرة واظهرته للعيان والظلمة ضد النور وهي
عدمية والنور وجودي وانما كان ظلمة لانه حجب نور الحق بتجليه قلت الكون من حيث
كونيته وظهور حسه كله ظلمة لانه حجاب لمن وقف مع ظاهره عن شهود ربه ولانه سحاب

يغطي شمس المعاني لمن وقف مع حس الاواني واليه اشار الششتري بقوله ؞ لا تنظر الى الاواني ؞ وخض بحر المعاني ؞ لعلك تراني ؞ فصار الكون بهذا الاعتبار كله ظلمة وانما انارة تجلي الحق به وظهوره فيه فمن نظر الى الظاهر حسه راه حسا ظلمانيا ومن نفذ الى باطنه راه نورا ملكوتيا قال الله تعالى الله نور السموات والارض مختصر ان قول الشيخ الكون كله ظلمة انما هو في حق اهل الحجاب لانطباع ظاهر صور الاكوان في مرءات قلوبهم واما اهل العرفان فقد نفذت بصيرتهم الى شهود الحق فراوا الكون نورا فائضا من بحر الجبروت فصار الكون عندهم كله نورا قال تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض اي من نور ملكوته واسرار جبروته او من اسرار المعاني القائمة بالاواني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله احتجب عن اهل السماء كما احتجب عن اهل الارض وان اهل الملا الاعلى ليطلبونه كما تطلبونه انتم وانه ما حل في شيء ولا غاب عن شيء ؞ وهذه المعاني انما هي اذواق لا تدرك بالعقل ولا بنقل الاوراق وانما تدرك بصحبة اهل الاذواق فسلم ولا تنتقد ان لم ترى الهلال فسلم لاناس راوه بالابصار ثم قسم الناس في شهود الحق على ثلاثة اقسام عموم وخصوص وخصوص الخصوص فقال فمن راى الكون ولم يشهده فيه او عنده او قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الاثار فاهل مقام البقاء يشهدون الحق في وقوع بصرهم على الكون فهم يثبتون الاثر بالله ولا يشهدون سواه الا انهم لكمالهم يثبتون الواسطة والموسوط فهم يشهدون الحق في شهود الواسطة او عندها بلا تقديم ولا تاخير ولا ظرفية ولا مظروف ؞ ؞ ؞ ؞ ؞ مذ عرفت الاله لم ار غيرا ؞ ؞ وكذا الغير عندنا ممنوع ؞ ؞ ؞ وقال الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه لابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه يا ابا الحسن حدد بصر الايمان تجد الله في كل شيء وعند كل شيء ومع كل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شيء وتحت كل شيء وقريبا من كل شيء ومحيطا بكل شيء بقرب هو وصفه وبحيطة هي نعته وعد عن الظرفية والحدود وعن الاماكن والجهات وعن الصحبة والقرب في المسافات وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الاول والاخر والظاهر والباطن وهو هو كان الله ولا شيء معه وهو الان على ما عليه كان هـ وقال بعضهم ما رايت شيئا الا رايت

الله

الله فيه فاهل الفناء من المريدين يشهدون الكون ثم يشهدون المكون عنده وبان ثم يختفي فيختفي الكون من نظرهم فيغيبون عنه ويغيبون عن نظرهم اليه وهذا حال المتشوفين واهل مقام البقاء يشهدون الحق قبل شهود الخلق بمعنى انهم لا يرون الخلق اصلا اذ لا ثبوت له عندهم لانهم لتمكنهم غائبون عن الواسطة فانون عن الحكمة غرقى في بحر الانوار مطموس عليهم الاثار وفي هذا المقام قال بعضهم ما رايت شيئا الا رايت الله قبله واهل الحجاب من اهل الدليل والبرهان انما يشهدون الكون ولا يشهدون المكون لا قبله ولا بعده انما يستدلون على وجوده بوجود الكون وهذه العلة الحلبي من اهل اليمين فقد اعوزهم اي فاتهم وجود الانوار ومنعوا اشهادها وحجبت عنهم شموس المعارف بسحب الاثار بعد طلوعها واشراق نورها لانه لا بد للشمس من سحاب ؞ وللحسناء من نقاب ؞ ولله در القائل ؞ وما احتجبت الا برفع حجابها ؞ ومن عجب ان الظهور تستر ؞ ؞ وقال اخر ؞ لقد ظهرت فلا تخفى على احد ؞ ؞ الا على اكمه لا يبصر القمرا ؞ ؞ لكن بطنت بما اظهرت محتجبا ؞ ؞ ؞ وكيف يعرف من بالعزة استترا ؞ ؞ ؞ ثم احتجابه تعالى في حال ظهوره معاينك على وجود قهره كما اشار اليه بقوله معاينك على وجود قهره ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه قلت من اسمائه تعالى القهار ومن مظاهر قهره احتجابه في ظهوره وظهوره في بطونه وبطونه في ظهوره ومما يدلك ايضا على وجود قهره ان احتجب بلا حجاب وقرب بلا اقتراب بعيد في قربه قريب في بعده احتجب عن خلقه في حال ظهوره لهم وظهر في حال احتجابه عنهم فما احتجب عنهم بشيء ليس بموجود وهو الوهم والوهم امر عدمي مفقود فلا حجبه الا شدة ظهوره وما منع الابصار من رؤيته الا قهار نوره مختصر انفراد الحق بالوجود وليس مع الله موجود قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه واسم الفاعل حقيقة في الحال وقال تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن وقال تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله وقال تعالى وهو معكم اين ما كنتم وقال تعالى واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ؞ ؞ الا كل شيء ما خلا الله باطل ؞ ؞ وكل نعيم لا محالة زائل ؞ ؞ وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى

يا عبدي مرضت فلم تعدني فيقول يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول أما إنه مرض عبدي
فلان فلم تعده فلو عدته لوجدتني عنده ثم يقول يا عبدي استطعمتك فلم تطعمني ثم يقول
استسقيتك فلم تسقني الحديث فدل الحديث على أن هذه الهياكل والأشخاص خيالات
لا حقيقة لها فهي أشبه شيء بالظلال قال الششتري رضي الله عنه الخلق خلقكم
والأمر أمركم فأي شيء إذا أنتم من ظلال ما الحجاب مكان في وجودكم
إلا بعين حروف انظر إلى الجبل انتم للنور عليكم منكم ولكم فيوم مذ عبرت
عن غامض الأزل عرفتم بكم هذا الخبر بكم انتم هو باحجبة القلب بالاملي
قوله الخلق خلقكم أي المراد بالخلق صور الأشباح وبالأمر سر الأرواح أي الأشباح هياكلكم
والأرواح سر من أسراركم فأنا لا وجود لي أصلا فأي شيء وقدرتنا نفسي وجدتها لكم ومظهرا
من مظاهركم وإنما أنا ظل من ظلال وجودكم ثم قال ما الحجاب مكان في وجودكم أي لا موضع
للحجاب الحسي في وجودكم إذ لو كان للحجاب مكان في وجودكم لكان أقرب إلينا منكم وهو محال لأنك
قلت ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقوله
إلا بعين حروف أي الاستثناء منقطع أي لا موضع للحجاب الحسي بيننا وبينكم لكن حجاب القهرية
ورداء العزة والكبرياء وهو الذي منع الأبصار من رؤية نوركم الأصلي الجبروتي إذ لو ظهر ذلك
النور لاضمحلت المكونات ولاحترقت من نور السبحات ولهذا السر أمر الله سيدنا موسى
عليه الصلاة والسلام حين طلب الرؤية بالنظر إلى الجبل لما أراد الله تعالى أن يتجلى له بشيء من ذلك النور
فلم يثبت الجبل لشيء قليل منه علمنا أنه لا طاقة للعبد الضعيف في هذه الدار على رؤية
نور الواحد القهار إلا بواسطة الأكوان الكثيفة بعد أن تنقش عليها الأدلة المعنوية
وهذا معنى قوله إلا بعين حروف انظر إلى الجبل أي الانحجاب مفهوم من قوله تعالى انظر إلى
الجبل والحجاب فالمتصف بصر الحكمة المفهوم من قوله تعالى انظر إلى الجبل وكأنه تعالى يقول
يا موسى لن تقدر أن تراني من غير حجاب الحكمة ولكن انظر إلى الجبل فإن أطاق ذلك فسوف
تراني فلما تجلى له الحق تعالى من غير واسطة الحس جعله دكا والله تعالى أعلم وقال أيضا في
هذا المعنى لقد أنا في عجيب لمن رأى أنا المحب والحبيب ليس ثم
ثاني يا قاصدا عين الخبر غطاه أينك الخمر منك والحبب والسر عندك

ارجع

ارجع لذاتك واعتبر ما ثم غيرك فقوله يا قاصدا عين الخبر أي عين خبر
التحقيق وقوله غطاه أينك أي مقدار وجودك أي توهمك أي لو غبت عن وجودك لوقفت على عين
التحقيق وقوله الخمر منك أي شرب خمرة المحبة منك وهذا إنما قال منه على جارت كبوسه
وقوله والحبب أي والخبر مرعيه التحقيق منك أيضا وسر الربوبية عندك لأنك كنز مطلسم فإذا
أردت أن تعرفه فارجع لذاتك واعتبر تجد الوجود كله واحدا وأنت ذلك الواحد قال الشاعر
هذا الوجود وإن تعدد ظاهرا وحياتكم ما فيه إلا أنتم (وقال أيضا رضي الله عنه)
لقد جئنا بشيء بلا مقال وقد ظهر عني في المثال
ترى وجود غيري من المحال وكل من دوني خيالي في
متحد المعنى في كل حي أنا هو المحبوب وأنا الحبيب
والحب لي مني فيا له عجيب وحيث أنا طالبهم نسيب غريب
في نظر ذاتي رأى شيئا وحلا ذاتي طوالا طبي
صفاته لا تختفي لمن تطفي وذاته معلومة تلك الصور
فافهم عن الإحساس تري بحبي في الحس والمعنى خفيت كسي
لأنه حبي شيء علي وقد اتفقت على هذا المعنى وهو سر الوحدة
مقالات العارفين ومواجيد المحبين وأشعارهم كل على قدر ذوقه وشربه جزاهم الله
عنا وعن المحبين خيرا ولا يفهم هذه العبارات إلا أهل الأذواق والإشارات وحسب
من لم يبلغ لها فهمه ولم يحط بها علمه أن يسلم ويكل فهمها إلى أربابها وليعتقد كمال
التنزيه وبطلان التشبيه لأن هذه المعاني أذواق لا تنال إلا بصحبة أهل الأذواق ثم
استدل على بطلان وجود الحجاب في حقه تعالى بعشرة أمور منتجا من كل واحد لظهوره مع
خفائه لشدة ظهوره عند العارفين وشدة خفائه عند الغافلين الجاهلين فأشار
إلى الأول بقوله كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء والظاهر هو الباطن
ما يبصر في عالم الغيب هو الذي ظهر في عالم الشهادة فرياض الجبروت منه حفت بأنوار الملكوت
انظر جمالي شاهد في كل إنسان الماء يجري نافذ في أس الأغصان
تجده ماء واحد والزهر ألوان يا عجبا كيف يعرف بالمعارف من به عرفت

المعارف * عجبت لمن يبغي عليك شهادة * وانت الذي اشهدته كل شاهد *
ثم ذكر الثاني فقال كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء فلا اجزاء فتجلى
بكل شيء فلا وجود لشيء مع وجوده فكيف يحجبه شيء والبعض لا شيء قال صاحب العينية
* تجليت في الاشياء حين خلقتها * فها هي ميطت عنك فيها البراقع *
ثم ذكر الثالث فقال كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء بقدرته وحكمته
القدرة باطنة والحكمة ظاهرة فالوجود كله بين قدرة وحكمة وبين جمع وفرق وتقدم
قول بعضهم ما رايت شيئا الا رايت الله فيه اي بقدرته وحكمته فلولا ظهور انوار الصفات
ما عرفت الذات ولولا الحس ما فهمت المعنى ولولا الكثيف ما عرف اللطيف وللششتري رحمه الله
* محبوبي قد عم الوجود * وقد ظهر في بيض وسود * وفي نصارى مع يهود *
* وفي الحروف مع النقط * افهمني قط افهمني فقط * ثم قال عرفته طول الزمان *
* ظهر في كل اوان * وفي المياه وفي الالوان * وفي الطلوع وفي الهبوط *
* افهمني قط افهمني فقط * ثم ذكر الرابع فقال كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو
الظاهر لكل شيء فلا اجزاء المتجلي لكل شيء باسرار ذاته وانوار صفاته ولما تجلى لكل شيء عرفه
في الباطن كل شيء وسبح بحمده كل شيء فلم يحجبه شيء عن شيء قال تعالى وان من شيء الا يسبح
بحمده يقول بلسان حاله سبحان المتجلي لكل شيء الظاهر بكل شيء يفقهه العارفون ويجهله
الغافلون ثم ذكر الخامس فقال كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء
فكل ما ظهر فمنه واليه فكان في ازله ظاهرا بنفسه ثم تجلى لنفسه بنفسه فهو الغني
بذاته عن ان يظهر بغيره او يحتاج الى من يعرفه بغيره فالكون كله مجموع والغير عندنا
ممنوع ثم ذكر السادس فقال كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو اظهر من كل شيء اذ لا وجود
للاشياء مع وجوده ولا ظهور لها مع ظهوره وعلى تقدير ظهورها فلا وجود لها من ذاتها
فلولا ظهوره في الاشياء ما وقع عليها ابصار * من لا وجود لذاته من ذاته *
* فوجوده لولاه عين محال * فالعبد في حالة الحجاب تكون نفسه وجودها عنده ضروريا
ووجود الحق عنده نظريا فاذا عرف الحق وغني عن نفسه وتحقق بزوالها صار عنده وجود الحق
ضروريا ووجود نفسه نظريا بل محالا ضروري قال ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا لننظر

الى

الى الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا عن الدليل والبرهان وانا لا نرى احدا من الخلق فهل في الوجود
احد سوى الملك الحق وان كان ولا بد فكالهباء في الهواء ان فتشته لم تجده شيئا هـ زاد في لطائف
المنن ومن اعجب العجب ان تكون الكائنات موصلة الى الله فليت شعري هل لها وجود معه حتى
توصل اليه او هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له وان كانت الكائنات
موصلة له فليس ذلك لها من حيث ذاتها لكن هو الذي ولاها رتبة التوصيل فوصلت
فما وصل اليه غير الالهية ولكن الحكيم هو واضع الاسباب وهي لمن وقف معها ولم ينفذ الى
قدرته عين الحجاب هـ فظهور الحق اجلى من كل ما ظهر اذ هو السبب في ظهور كل ما ظهر
وما اختفى الا من شدة ما ظهر ومن شدة الظهور الخفاء والى هذا المعنى اشار الشاعر بقوله
* يا من تعاظم حتى رق معناه * ولا تردى رداء الكبر الا هو *
اي يا من تعاظم في ظهوره حتى خفي معناه ثم ذكر السابع فقال كيف يتصور ان يحجبه
شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء فتحقق وحدانيته ازلا وابدا كان الله ولا شيء معه
وهو الان على ما عليه كان اه كان مع الله تعالى الله عما يشير كون اي الله تمسك بكل ما ظهر
للعيان فانما هو مظاهر الرحمن قال صاحب العينية رضي الله عنه * تجلى حبيبي
بمرآة جماله * ففي كل مرئي للحبيب طلائع * فلما تجلى حسنه متنوعا *
* تسمى باسماء فهي مطالع * فالحق تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي افعاله
فلا شيء قبله ولا شيء بعده ولا شيء معه ثم ذكر الثامن فقال كيف يتصور ان يحجبه شيء
وهو اقرب اليك من كل شيء قال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد وقال تعالى ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال تعالى وكان الله على
كل شيء رقيبا وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وقربه تعالى قرب علم واحاطة وشهود
لا قرب مسافة اذ لا مسافة بينك وبينه وتقدم في الحديث وان الله ما حل في شيء ولا غاب عن
شيء وقال سيدنا علي كرم الله وجهه الحق تعالى ليس من شيء ولا في شيء ولا فوق شيء ولا
تحت شيء اذ لو كان من شيء لكان مخلوقا ولو كان فوق شيء لكان محمولا ولو كان في شيء لكان
محصورا ولو كان تحت شيء لكان مقهورا اهـ وقيل له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين كان ربنا او هل له مكان فتغير وجهه وسكت ساعة ثم قال قولكم اين الله سؤال عن

مكان وكان الله ولا مكان ثم خلق الزمان والمكان وهو الآن كما كان دون مكان ولا زمان قال
أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه قيل لي يا علي بي قل وعلي فدل وأنا الكل وهذا كما
في حديث البخاري يقول الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار وقال
أيضا صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر وتفسير ما في الحديث فيه والله
أعلم ثم ذكر الناسخ فقال كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه لما ظهر وجود كل شيء قال
تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا وقال تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر فكل ما ظهر في عالم
الشهادة فهو فائض من بحر الجبروت فلا وجود للأشياء إلا منه ولا قيام لها إلا به ولا نسبة
لها معه إذ هي عدم محض على توهم وجودها فهي حادثة فانية ولا نسبة للعدم مع
الوجود ولا للحادث مع القديم ولذلك تعجب الشيخ من اجتماعها فقال يا عجبا كيف يظهر
الوجود في العدم أو كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم قلت وهذا هو العاشق
فالوجود والعدم ضدان لا يجتمعان والحادث والقديم متنافيان لا يلتقيان وقد تقرر أن
الحق واجب الوجود وكل ما سواه عدم على التحقيق فإذا ظهر الوجود انتفى ضده وهو العدم
فكيف يتصور أن يحجبه وهو عدم فالحق لا يحجبه الباطل قال تعالى فذلكم الله ربكم الحق فماذا
بعد الحق إلا الضلال فلا وجود للأشياء مع وجوده فلا ينبغي القول بالحلول إذ الحلول يقتضي
وجود السوى حتى تحل فيه معنى الربوبية والفرض أن السوى عدم محض فلا يتصور الحلول وإلى
هذا أشار في العينية بقوله وتزهد في حكم الحلول فإنه سوى وإلى توحيده الأمر راجع
والقديم والحادث لا يلتقيان فإذا قرن الحادث بالقديم تلاشى الحادث وبقي القديم قال
رجل بين يدي الجنيد رضي الله عنه الحمد لله ولم يقل رب العالمين فقال له الجنيد كملها
يا أخي فقال الرجل وأي قدر للعالمين حتى يذكروا معه فقال الجنيد قله يا أخي فإن الحادث
إذا قرن بالقديم تلاشى الحادث وبقي القديم فقد تقرر أن الأشياء كلها في حيز العدم
إذ لا يثبت الحادث مع من له وصف القدم فلا ينبغي القول بالاتحاد إذ معنى الاتحاد هو
اقتران القديم مع الحادث فيتحدان حتى يكونا شيئا واحدا وهو محال إذ هو مبني أيضا
على وجود السوى ولا سوى وقد يطلقون الاتحاد على الوحدة كقول ابن الفارض وهامت
بها روحي بحيث تمازجا اتحادا ولا جرم تخلله جرم فأطلق الاتحاد على اتصال الروح

(هامش: وهو عالم الغيب ... عالم الملكوت)

بأصلها

بأصلها بعد صفائها ولذلك قال بعده ولا جرم تخلله جرم فصل إن الحق سبحانه واحد في ملكه
قديم أزلي باق أبدي منزه عن الحلول والاتحاد مقدس عن الشركاء والأضداد كان ولا أين ولا مكان
وهو الآن على ما عليه كان ومما ينسب لسيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه رأيت ربي
بعين قلبي فقلت لا شك أنت أنت أنت الذي حزت كل أين بحيث
لا أين ثم أنت فليس للأين منك أين فيعلم الأين أين أنت وليس للوهم
فيك وهم فيعلم الوهم كيف أنت وفي فنائي فنا فنائي وفي فنائي
وجدت أنت وسئل أبو الحسن النوري رضي الله عنه أين الله من مخلوقاته فقال
كان الله ولا أين والمخلوقات في عدم فكان حيث هو وهو الآن حيث كان إذ لا أين ولا مكان
فقال له السائل وهو علي بن بكور الفاشي في قصة محنة الصوفية فما هذه الأماكن والمخلوقات
الظاهرة فقال عز ظاهر وملك قاهر ومخلوقة ظاهرة به وصادرة عنه لا هو متصل بها ولا منفصل
عنها فرغ من الأشياء ولم تفرغ منه لأنها تحتاج إليه وهو لا يحتاج إليها فقال له صدقت فأخبرني
ماذا أراد الله بخلقها فقال ظهور عزته وملكه وسلطانه فقال صدقت فأخبرني ما مراده من خلقه
فقال ما هم عليه فقال أو يريد من العبد الكفر فقال أيكفرون به وهو كاره ثم قال له أخبرني ماذا أراد
الله باختلاف الشيع وتفريق الملل قال أراد إبلاغ قدرته وبيان حكمته وإيجاب لطفه وظهور
عدله وإحسانه إلى المراد منه وفيه إشارة إلى أن تجليات الحق على ثلاثة أقسام فقسم
أظهر فيهم لطفه فهو كرمه وإحسانه وهم أهل الطاعة والإحسان وقسم أظهر فيهم لطفه
فهو عفوه وحلمه وهم أهل العصيان من أهل الإيمان وقسم أظهر فيهم لطفه فيهم
نقمته وغضبه وهم أهل الكفر والطغيان فهذا ما تجليه تعالى في الجملة والله تعالى أعلم
تكملة حاصل ما اشتملت عليه هذه الأبواب من أول الكتاب ثلاثة أمور علم الشريعة
والطريقة والحقيقة أو تقول علم الإسلام والإيمان والإحسان وهي البداية والوسط
والنهاية ومن علامة النجح في النهاية الرجوع إلى الله في البداية فأمرك بالرجوع إليه
والاعتماد عليه دون الاعتماد على العمل مع وجود العمل ثم ذلك على الأدب
في حال التجريد أو الأسباب ثم نهاك في حالة التدبير عن شغل باطنك بكد التدبير
فإنه سببه التكدير ثم نهضك إلى الاجتهاد في الأعمال المطلوبة منك مع التقصير

فيما هو مضمون لك فليكن سببا في تقصيرك ومن جملة ما هو مضمون ما تطلبه بدعائك
فلا تستعجل ما تأخر عنك وقته ولا تيأس من رحمته وإذا وعدك بشيء فلا تشكك في وعده
ولا تتهمه فيما يبرزه لك من تنوع إلهامه وقهره وهذه أعمال أهل البداية فاختلفت أجناسها
باختلاف أحوالهم فقوله من علامة الاعتماد على العمل إلى قوله الأعمال صور قائمة كله من
عمل الشريعة الذي هو مقام الإسلام وقوله الأعمال صور قائمة إلى قوله الكون كله ظلمة هو من
عمل الطريقة الذي هو مقام الإيمان ومداره على تخليص الباطن وتهذيبه فأمره بالإخلاص
والصدق وهو من الإخلاص والخمول لأنه محله ومظهره والعزلة لتتمكن من الفكرة وتصفية
مرآة القلب من صور الأكوان لتتهيأ لإشراق شموس العرفان ثم فتح لك الباب ورفع
عنك الحجاب وقال لك ها أنت وربك وقوله الكون كله ظلمة إلى آخر الباب فقد قطع لك توهم
الحجاب من جميع الوجوه فجزاه الله أحسن جزائه ومتعه برضوانه مع أنبيائه وأحبائه
وحشرنا في سلكهم مع كافة الأحباء آمين ولما أدخلك الحضرة دلك على آدابها فقال
في أول الباب الثالث منبها عنها من بعض التلامذة بقوله وقال رضي الله عنه وجملة أبوابه
خمسة وعشرون بابا وثلاث رسائل وجواب ثم مناجاة فلما فرغ من الباب الأول انتقل
إلى الباب الثالث فقال وقال رضي الله عنه ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يظهر في الوقت
غير ما أظهره الله فيه الجهل هو ضد العلم وقيل هو عدم العلم بالمقصود وهو على قسمين
بسيط ومركب فالبسيط أن يجهل ويعلم أنه جاهل والمركب أن يجهل جهله وأقبح الجهل
الجهل بالله وآدابه بعد طلب معرفته قلت من آداب العارف الحقيقي أن يرى الأشياء
في محلها ويصير معها على سيرها فكلما أبرزته القدرة للعيان فهو في غاية الكمال والإتقان
وفي ذلك يقول صاحب العينية رضي الله عنه ... وكل قبيح إن نسبت لحسنه ... أتتك معاني
الحسن فيه تسارع ... يكمل نقصان القبيح جماله ... فلا ثم نقصان ولا ثم باشع
وقال أبو الحسن النوري رضي الله عنه مراد الله من خلقه ما هم عليه فإذا أقام الله عبدا في مقام
من المقامات فالواجب على العارف أن يقره فيه بقلبه كائنا ما كان فإن كان لا تقبله الشريعة
رغبه في الخروج عنه بالسياسة وينتظر ما يفعل الله قال بعضهم من عامل الخلق بالشريعة
طال خصامه معهم ومن عاملهم بالحقيقة عذرهم والواجب أن يعاملهم في الظاهر

بالشريعة

بالشريعة وفي الباطن بالحقيقة فيعذرهم ومن أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره
الله تعالى في نفسه أو في غيره فقد جمع الجهل كله ولم يترك منه شيئا حيث عارض القدر ونازع
القادر وقد قال تعالى إن ربك فعال لما يريد ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء ربك لآمن من في الأرض
كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وفي بعض الأخبار يقول الله تبارك وتعالى
من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليخرج من تحت سمائي وليتخذ ربا سوائي وقال عبد
الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما لأن أحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت
ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان هـ وقال أبو عثمان
رضي الله عنه منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره فسخطته وقال
شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه في كتابه من عرف أهل حقائق الظاهر ولم ينكر عليهم
شيئا من أحوالهم يخشى عليه أن يتبعهم ولا ينتفع بخيرهم قطعا ومن عرف أهل حقائق الباطن
ولم ينكر عليهم شيئا من أحوالهم يخشى عليه أن يتبعهم على كل حال ولا ينتفع بخيرهم قطعا
والعارف بالله يجمع بين خير الفريقين فيصحب معهما جميعا وكل فرقة يتلون على لونها
كشيخ شيوخنا رضي الله عنهم سيدنا أحمد اليمني نفعنا الله به كان رضي الله عنه ممن
لا ينكر حالا من أحوال الخلق أهل الظاهر يتلمذ لهم في ظواهرهم ويدفعهم إليها ويفرح لهم
فيها وأهل الباطن يتلمذ لهم في بواطنهم ويدفعهم إليها ويفرح لهم فيها فحصل له خير
الفريقين بما رزقه الله من المعرفة والحكمة قيل إن الولي الكامل يتطور بجميع الأطوار
ليقضي جميع الأوطار قلت ومن تأمل الأحاديث النبوية وجدها على هذا المنوال
لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان شيخ العارفين وقدوة المربين فكان يقر الناس على ما أقامهم
الله فيه حكمتهم ويرغبهم فيها فلذلك نجد الأحاديث متعارضة ولا تعارض في الحقيقة
فإذا نظرت في أحاديث الذكر قلت لا أفضل منه وإذا نظرت في أحاديث الجهاد قلت
لا أفضل منه وإذا نظرت في أحاديث فضل العلم قلت لا أفضل منه وإذا نظرت في أحاديث
الزهد والتجريد من أسباب الدنيا قلت لا أفضل منه وإذا نظرت في أحاديث الكسب والخدمة
على العيال كذلك فكل خصلة رغب النبي صلى الله عليه وسلم فيها حتى تقول لا أفضل منها
تشبيبا لخاطر أهلها ليكونوا فيها على بينة من ربهم ولم يأمرهم عليه السلام بالانتقال

عنها اذ مراد الله منهم هو تلك الحكمة فاتاهم عليه السلام عليها ورغبهم فيها حتى يظن من
سمع احاديثها انه لا افضل منها وهو كذلك اذ لا افضل منها في حق اهلها **والحاصل**
ان العارف لا يتمنى شيئا ولا يفضل شيئا **وقد** قال بعض العارفين ليس في الامكان ابدع مما كان
وتاويله ان ما سبق في علم الله يكون لا يمكن غيره فلا ابدع منه وتمام الكلام عليه ان شاء الله
والله تعالى اعلم **ثم ذكر** الادب الثاني من اداب الحضرة القدسية وهي ترك الرعونات البشرية
فقال **احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس** الاحالة على الشيء هو تسليطه
واغراؤه عليه والمراد هنا توقف الامر عليه بحيث لا يتوجه له حتى يتيسر وجوده والفراغ من الشيء
خلوه منه وفراغ القلب خلوه مما يشغله وفراغ الجوارح خلوها من الاشغال والرعونة
نوع من الحمق **قلت** من اداب العارف ان يكون كامل العقل ثاقب الذهن ومن علامة
العقل انتهاز الفرصة في العمل ومبادرة العمر من غير تسويف ولا امل اذ ما فات منه
لا عوض له وما حصل لا قيمة له وفي **الحديث** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا
وان من علامة العقل التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور
والتاهب ليوم النشور وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني والكيس هو العاقل ودان نفسه
حاسبها **وفي صحف** ابراهيم عليه السلام وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون له
ساعات ساعة يناجي فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها
في صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل ان لا
يكون ظاعنا الا لثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون
بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما
يعنيه **واحالتك** الاعمال وتاخيرها الى وقت اخر تكون فيه فارغ القلب او الغالب من
من علامة الرعونة والحمق وهو غرور ومن اين لك ان تصل الى ذلك الوقت والموت هاجم
عليك من حيث لا تشعر وعلى تقدير وصولك اليه لا تامن من شغل اخر يعرض لك وفراغ
الاشغال من حيث هو نادر لقوله عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ اي كثير من الناس فقدوهما وغبنوا فيهما اذ كثير منهم لا تجده الا مشغولا

بدنيا

بدنيا او مجنونا بهوى او مريضا مبتلى ومفهومه الكثير ان القليل من الناس رزقهم الله الصحة والفراغ
فان عمروها بطاعة مولاهم فقد شكروا وربحوا ربحا عظيما وان ضيعوها فقد خسروا خسرانا
مبينا وكفروا هاتين النعمتين فجدير ان تسلب عنهم وهو ايضا من علامة الخذلان وسياتي من
كلام الشيخ الخذلان كل الخذلان ان تتفرغ من الشواغل ثم لا تقبل عليه فالواجب على الانسان
ان يقطع علائقه وعوائقه ويخالف هواه ويبادر الى خدمة مولاه ولا ينتظر وقتا اخر
اذ الفقير ابن وقته فلا تجده مشغولا الا بفكرة او نظرة او ذكر او مذاكرة او خدمة شيخ
يوصله الى مولاه **وقد** قلت لبعض الاخوان الفقير الصادق ليس له فكرة ولا همة الا
في الحضرة او ما يوصله للحضرة والله تعالى اعلم **ثم ذكر** الادب الثالث وهو الوقوف حيث
اقامه الله فقال **لا تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو اراد**
لاستعملك من غير اخراج **قلت** من اداب العارف الاكتفاء بعلم الله والاستغناء
به عما سواه فاذا اقامه الحق تعالى في حالة من الاحوال فلا يستخفها ويطلب الخروج منها
الى حالة اخرى فلو اراد الحق تعالى ان يخرجه من تلك الحالة ويستعمله فيما سواها لاستعمله
من غير ان يطلب منه ان يخرج بل يمكث على ما اقامه فيه الحق تعالى حتى يكون هو الذي يتولى
اخراجه كما تولى ادخاله وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق فالمدخل
الصدق هو ان تدخل فيه بالله والمخرج الصدق هو ان تخرج منه بالله وهذا هو
الفهم عن الله وهو من علامة تحقق المعرفة بالله فالعارف بالله اذا كان اعزبا
لا يتمنى التزوج واذا كان متزوجا لا يتمنى الفراق واذا كان صحيحا لا يتمنى المرض واذا كان
مريضا لا يتمنى الصحة واذا كان عزيزا لا يتمنى الذل واذا كان ذليلا لا يتمنى العز واذا كان
كان مقبوضا لا يتمنى البسط واذا كان مبسوطا لا يتمنى القبض واذا كان قويا لا يتمنى
الضعف واذا كان ضعيفا لا يتمنى القوة واذا كان مقيما لا يتمنى السفر واذا كان مسافرا
لا يتمنى الاقامة وهكذا سائر الاحوال بحكم ما يفعل الله به ولا يتمنى ما يفعل بنفسه لتحقق
زواله بل يكون كالميت بين يدي الغاسل او كالقلم بين يدي الاصابع كما قال صاحب
العينية: ارانى كالالة وهو محركي * انا قلم والاقتدار اصابع * **قال تعالى**
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة وقال تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله

واوحى الله تعالى الى داود فقال يا داود تريد واريد ولا يكون الا ما اريد فان سلمت
ما اريد اعطيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما اريد
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي هريرة جف القلم بما انت لاق وفي حديث اخر
جفت الاقلام وطويت الصحف وقال شيخ شيوخنا سيدي احمد البناني رضي الله عنه حين
ساله السائل عن حقيقة الولاية فقال له حقيقة الولاية هو اذا كان صاحبها جالسا في الظل
لا تشتهي نفسه الجلوس في الشمس واذا كان جالسا في الشمس لا تشتهي نفسه الجلوس
في الظل هو وهذا كله مع الاختيار دون الامر الضرور وتقدم قول شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله
عنه من اوصاف الولي الكامل الا يكون مختارا في الاعلى الحال الذي يقيمه مولاه فيه في الوقت يعني
مالم مراد الاماني من عنصر القدرة لا تشتهي نفسه غيره قلت فلا تجلي في
العارف شيء من هذه الامور اعني الانتقال من حال الى حال فليتأن ويصبر حتى يفهم
انه من الله باشارة ظاهرة او باطنة او هاتف حسي او معنوي ويلتفت الى الهواتف
فان الله تعالى يخاطبه بما يفعل وهذا امر مجرب صحيح عند العارفين حتى انهم لا يتحركون
الا باذن من الله ورسوله اذ لا وجود عند اهل الجمع جعلنا الله منهم امين وهذا كله اذا
كان الحال الذي هو فيه موافقا للشريعة والا فيطلب الخروج منه بما يمكن تنبيه
الادب الرابع وهو جمع الهمة عن الاكوان ودوام الترقي في مقامات العرفان فقال
ما ارادت همة سالك ان تقف عند ما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة الذي
تطلب امامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر
همة السالك هي القوة الباعثة له على السير ووقوفها مع الشيء هو اعتقادها ان
ما وصلت اليه هو الغاية او فيه كفاية وهواتف الحقيقة هو لسان حال الكشف عن عين
الحقيقي وتبرج الشيء ظهوره في حالة الزينة لقصد الامالة وظواهر المكونات هو ما كساها
من الحسن والحكمة وتزيينها هو في عوائدها وانقيادها لحكمه وحقائقها نورها
الباطن وهو تجلي المعنى فيها قلت السالك هو الذي يشهد الاثر كان يشهده
بنفسه فهو سالك فقط وهي حالة السير وان كان يشهده بالله فهو سالك مجذوب
والمقامات التي يقطعها ثلاث فناء في الافعال وفناء في الصفات وفناء في الذات او تقول

فناء

فناء في الاسم وفناء في الذات وفناء الفناء وهو مقام البقاء الذي فيه الى ما لا نهاية له فاذا كشف
للسالك عن سر توحيد الافعال وذاق حلاوته واراد همته ان تقف مع ذلك المقام نادته
ذلك هواتف حقيقة الفناء في الصفات الذي تطلب امامك واذا ترقى الى مقام الفناء في الصفات
وكشف لها عن سر توحيد الصفات واستشرف على الفناء في الذات واراد همته ان تقف مع
ذلك المقام نادته هواتف حقيقة الفناء في الذات الذي تطلب امامك واذا ترقى الى الفناء
في الذات وكشف عن سر توحيد الذات واراد همته ان تقف مع ذلك المقام نادته هواتف
حقيقة فناء الفناء او حقيقة البقاء الذي تطلب امامك واذا وصل الى البقاء نادته هواتف
العلوم الغيبية وقل رب زدني علما وقد قال عليه السلام لا احصي ثناء عليك انت كما
اثنيت على نفسك او تقول اذا كشف للمريد عن الفناء في الاسم وذاق حلاوة العمل الذي
واراد همته ان تقف معها نادته حقائق الفناء في الذات الذي تطلب امامك فاذا ترقى الى
مقام الفناء في الذات وذاق حلاوته ولم يتفكر وقنع بذلك واراد همته ان تقف مع
ذلك نادته هواتف حقيقة التمكين الذي تطلب امامك واذا تمكن ولم يطلب زيادة الترقي
نادته هواتف الترقي الذي تطلب امامك وهكذا كل مقام ينادي على ما قبله يا اهل يثرب
لا مقام لكم واذا تبرجت اي ظهرت زينتها وحلاها للسالك او للعارف ظواهر
المكونات في عوائدها وانقيادها له وتصرفه فيها بهمته كالمشي على الماء والطيران
في الهواء وطي الارض وجلب الطعام وغير ذلك من الكرامات الحسية واراد همة السالك
ان تقف مع ظواهرها وتشتغل بها وتحسها نادته هواتف المعاني الباطنية انما
نحن فتنة لك تختبرك هل تقنع بها دون معرفة مالكها ومجريها ومنشيها المتجلي فيها
او تعرض عنها وتنفذ الى نور معانيها وشهود مالكها ومجريها فلا تقنع وتجد المتجلي
بها فتنة فتكون من الجاهلين وقد ضرب الصالحون في البغية مثلا لهذه المقامات
والسير فيها فقال مثل ذلك كملك امر خدمه بالمشي مثلا وارسل اليهم رسولا بكتاب من عنده
فيه ادعوا علينا اكتاب الملك وشوقوا اليه غاية التشويق في كرمه ومحاسنه فمن الناس
من اعرض عن طاعته والانقياد اليه وهم الكفار وهم الناس من قبل في امره ولم يقدر على
النهوض الى حضرة الملك وهم عوام المسلمين ضعفاء المحبة واليقين ومن الناس من

تشوفوا للملك ونهض الى حضرته فقال له الرسل نحن نسيرك ونعرفك الطريق فتقدموا
امامهم يسيرون بهم نحو الملك فنادى راو منازل فيها كل منزل اعظم من الذي قبله
هكذا الى حضرته فلما نزلوا اول المنازل وراوا حسنه وبهجته ارادوا ان يقيموا فيه فيقول
لهم الرسل الذي جاء واسمع عند الملك الذي تطلب امامكم فينهضونهم من تلك المنزل فاذا
نزلوا الثاني وجدوه اعظم من الاول فيريدون ان يقيموا فيه فيحملهم الرسل الى ما بعده
هكذا فيقطع بهم المنازل منزلا منزلا حتى يوقفهم على الملك فيقولون لهم ها انتم وربكم
فيستريحون من تعب السفر وينعمون بالمجالسة والنظر والمراد بالرسل هنا الانبياء الذين
بعثهم الله وخلفاؤهم ممن كان على قدمهم ممن جمع بين الحقيقة والشريعة وهاذه المنازل
هي المقامات التي يقطعها المريد انتهى بالمعنى مع الاختصار لطول العهد به وقد اشار
الششتري الى التنبيه على عدم الوقوف مع هذه المقامات والكرامات فقال

فلا تلتفت في السير غيرا وكلما ... سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه ... حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي ... عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب ... فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

واعلم ان هاذه الاداب التي ذكرها الشيخ في هذا الباب قد تكون خاصة بالعارف وقد يشاركه
فيها غيره فلذلك يعبر بعبارة واسعة لتكون عامة لان المريد قد يترقى الى مقام وقد يقيمه
عليه بقية مما قبله فيكملها فيه والله تعالى اعلم ثم ذكر الادب الخامس وهو ترك الطلب
من حيث هو فقال فيما يلائم زيادة لهو الادب على ترك الطلب فقال طلبك منه اتهام له
وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه
قلت طلبك منه يكون بالتضرع والابتهال وطلبك له يكون بالبحث والاستدلال وطلبك
لغيره يكون بالتعرض والاقبال وطلبك من غيره يكون بالتملق والسؤال وحاصلها اربعة
طلب الحق منه طلب الباطل ومنه وكلها مدخولة عند المحققين اما طلبك منه فلوجود
تهمتك له لانك انما طلبته مخافة ان يهملك او يغفل عنك فانما ينبه من يجوز منه الاغفال وانما
يذكر من يمكن منه الاهمال وما الله بغافل عما تعملون اليس الله بكاف عبده وقال صلى الله عليه وسلم

من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين فالسكون تحت مجاري الاقدار افضل
عند العارفين من التضرع والابتهال وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول
الفقير الصادق لو تبقى له حاجة يطلبها وان كان ولا بد من الطلب فيطلب المعرفة قلت
واذا ورد منهم الدعاء فانما هو عبودية وحكمة لا طلبا للقسمة اذ ما قسم لك واصل اليك ولو سالت
ان ينفعه ما اجاب به المسألة خلاف بين الصوفية هل السكوت اولى او الدعاء والتحقيق ان
ينظر ما يتجلى فيه وينشرح له الصدر فهو المراد منه واما طلبك له فهو دليل على غيبتك
عنه بوجود نفسك فلو فنيت عن نفسك ووهمك لما وجدت غيره ... اراك تسأل
عن نجد وانت بها ... وعن تهامة هذا فعل متهم ... وقال ابن المرحل السبتي رضي الله عنه

ومن عجب اني احن اليهم ... واسأل شوقا عنهم وهم معي ... وتبكيهم عيني وهم
في سوادها ... ويشكو النوى قلبي وهم بين اضلعي ... وله رضي الله عنه

قالوا التمس الذي تهوى فقلت لهم ... يقوم من هو روحي كيف انساه
وكيف انساه والاشيا به حسنت ... من العجايب ينسى العبد مولاه
ما غاب عني ولا لحظت ابصره ... الا وقلت جهارا قل هو الله

واما لغيره اي المعرفة غيره فلقلة حيائك منه وعدم انسك به اما وجه قلة حيائك منه
فلانك تبادر الى الحضرة وانت تفر منه الى الغفلة ومثال ذلك كمن كان في حضرة الملك والملك
مقبل عليه ثم يجعل هو يريد الخروج منها ويلتفت الى غيره فهاذا يدل على قلة حيائه وعدم
اعتنائه بالملك فهو حقيق بان يطرد الى الباب او الى سياسة الدواب وقد قالوا انكر من تعرف
ولا تتعرف لمن لا تعرف واما وجه عدم انسك به فلانك لو انست به لاستوحشت من خلقه
فلا يتصور منك طلب معرفتهم وانت تفر منهم فاذا انست به اوحشك من خلقه وبالعكس
والاستيناس بالناس من علامة الافلاس اقبالك على الحق ادبارك عن الخلق واقبالك على
الخلق ادبارك عن الحق وقد عد امام اصول الطريق الاعراض عن الخلق في الاقبال والادبار واما
طلبك من غيره فلوجود بعدك عنه اذ لو تحققت بقربه منك وهو كيف يريد ما احتجت الى سؤال
غيره وهو يسمع وسياتي في المناجات ام كيف يطلب من غيرك وانت ما قطعت عادة الامتنان
وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تبارك وتعالى اذا نزلت بعبدي حاجة فرفعها الى اعلم ذلك

من بيته لو كادته السموات السبع والارضون السبع لجعلت له من امره فرجا ومخرجا واذا انزلت بعبد
حاجة ورفعها الى غيري لخسفت الارض من تحته واسقطت السماء من فوقه وقطعت الاسباب فيما
بيني وبينه او كما قال العهدة به فتحصل ان الادب هو الاكتفاء بعلم الله والتخلق
بمعرفة الله والاستغناء به عما سواه والله تعالى اعلم ثم ذكر الادب السادس وهو التسليم
والرضى بما يجري به القدر والقضاء فقال ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يمضيه **قلت**
النفس عبارة عن دقيقة من الزمان قدر ما يخرج النفس ويرجع وهو اوسع من الطرفة والطرفة
اوسع من اللحظة وهي رمي البصر ورده والقدر هو العلم السابق للاشياء قبل ان تظهر وهو
علم اوقاتها واماكنها ومقاديرها واعدادها وما يعرض لها من الكيفيات وما ينزل بها
من الآفات فاذا علمت ايها الانسان ان انفاسك قد عمها القدر وما ينزل بك من الآفات
ولا يصدر منك ولا يجري الا ما سبق به علمه وجرى به قلمه لزمك ان ترضى بكل ما يجري به القضاء
فانفاسك معدودة وخطواتك ولحظاتك محصورة فاذا انتهى آخر انفاسك رحلت الى
آخرتك واذا كانت الانفاس معدودة فما بالك بالخطوات والخطرات وغير ذلك من
الثمرات ولله در القائل ... خطى مشيناها كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطى مشاها
... ومن قسمت منيته بارض ... فليس يموت بارض سواها ... وحقيقة الرضى
هو تلقي المهالك بوجه ضاحك وحقيقة التسليم استواء النقمة والنعيم فيجب
ما يختاره ايهما يقيم وهذا هو مقام اهل الكمال الذين تحققوا بالزوال نفعنا الله
بذكرهم وحشرنا في زمرتهم آمين ثم ذكر الادب السابع وهو دوام المراقبة ودوام
المشاهدة فقال لا تترقب فراغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك
فيه الترقب هو الانتظار والاغيار جمع غير بكسر الغين وهو ما يغير القلب عن حاله والغالب
استعماله فيما يغير من حالة الكمال الى حالة النقص وعند الصوفية كل ما يشغل عن الحضرة
ويغير القلب عنها فهو غير والمراقبة هي العسة على القلب لئلا يخرج من حضرة الحق والمراد
بها في كلام الشيخ مطلق العسة فيصدق بمراقبة القلب كما تقدم ويصدق بمراقبة الروح وهي
عستها على دوام الشهود وبمراقبة السر وهي عسته على دوام الترقي والادب **قلت**
اذا اقامك الحق تعالى في حالة يغلب فيها وجود الاغيار لغلبة الحس فيها كما اذا اقامك

في شغل دنيوي في الظاهر لا محيد لك عنه فجاهد قلبك في العسة عليه في الحضور لئلا تتسرق الغفلة
او جاهد روحك في العسة عليها في دوام الشهود لئلا يتسرق الحس او جاهد سرك في استمداد
المواهب والعلوم لئلا يحصل له فتور ولا تترقب ان تنتقل في فراغ شغل يدك من تلك الاغيار فتوجه
حضور قلبك الى تمام شغل يدك فيفوتك وجود المراقبة في ذلك الحال الذي اقامك الحق فيها فيكون
في حقك سوء ادب وفيه ايضا تضييع ذلك الوقت وخلوه من معاملة الحق وحقوق الاوقات
لا يمكن قضاؤها ولقد بلغني ان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه كان اذا رأى اصحابه في شغل
وخاف عليهم ان يسرقهم الحس نادى عليهم باعلى صوته انت انت تنبيها لهم وايقاظا من
شهود الحس وقد ذكر الشعراني في العهود عن بعض اشياخه انه كان لا يغيب عن الله ولو في حالة
الجماع وهذا شأن اهل الاغتنام العارفين وهذا هو جمع الجمع والله اعلم **تنبيه** ليس
هذا تكرارا مع ما تقدم في قوله احالتك الاعمال على وجود الفراغ الخ لان ذلك في عمل الجوارح
وهذا في عمل القلوب يدلك على ذلك تعبيره هنا بالمراقبة وتعبيره ثم بالاعمال والافادة خير من الاعادة
وبالله التوفيق واذا حصلت لك المراقبة او المشاهدة في حال الاغيار فلا تستغرب ما تراه
من الاكدار لئلا يحصل لك الانكار والى ذلك اشار بقوله لا تستغرب وقوع الاكدار ما دمت في هذه
الدار فانها ما ابرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها الاستغراب تصيير الشيء غريبا حتى
يتعجب منه والاكدار كل ما يكدر على النفس ويوهنها ومستحق وصفها ما تستحق ان توصف به
وواجب نعتها ما يجب ان تنعت به قال بعضهم الوصف يكون بالامور اللازمة والنعت يكون
بالعوارض الطارئة فالامور اللازمة كالبياض والسواد والطول والقصر والعوارض كالمرض والصحة
والعوج والحسن وغير ذلك والمراد هنا بالاوصاف ما يتكرر وقوعه كالموت والامراض وما يقع كثيرا
وبالنعوت ما يقل وقوعه في العادة كالفتن والهرج والزلازل لانهم يقولون الاوصاف لوازم
والنعوت عوارض وقيل شيء واحد وهو الاصح **قلت** من آداب العارف الا يستغرب
شيئا من تجليات الحق ولا يتعجب من شيء منها كائنة ما كانت جلالية او جمالية فان نزلت به
نوازل قهرية او وقعت في هذه الدار اكدار او اغيار جلالية فلا يستغرب وقوع ذلك لان تجليات
هذه الدار جلها جلالية لانها دار اهوال ومنزل محنة وانتقال وفي الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال في بعض خطبه ايها الناس ان هذه الدار دار التواء لا دار استواء

ومنزل ترح اذ حزن لا منزل فرح فمن عرفها لم يفرح لرخائها ولم يحزن لشقائها الا وان الله خلق
الدنيا دار بلوى والاخرة دار عقبى فجعل بلوى الدنيا لثواب الاخرة سببا وثواب الاخرة من بلوى
الدنيا عوضا فياخذ ليعطي ويبتلي ليجزي وانها لسريعة الثوى وشيكة الانقلاب فاحذروا حلاوة
رضاعها لمرارة فطامها واحذروا لذيذ عاجلها لكريه آجلها ولا تسعوا في عمران دار قد قضى
الله خرابها ولا تواصلوها وقد اراد الله منكم اجتنابها فتكونوا لسخطه متعرضين ولعقوبته
مستحقين وقال الجنيد رضي الله عنه ليس استبشع ما يرد علي من العالم لاني قد اصلت اصلا وهو
ان الدار دار هم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر ومن حقه ان يتلقاني بكل ما اكره فان تلقاني
بما احبه فهو فضل والا فالاصل هو الاول وفي ذلك قيل … بغفلة واللب في لبه … شدائده
قبل ان تنزلا … فان نزلت بغتة لم ترعه … لما كان في نفسه مثلا … رأى الامر يفضي
الى آخره … فصير آخره اولا … وذو الجهل يامن ايامه … وينسى مصارع من قد خلا
… ولو فجاءه الحزم نفسه … لعلمه الصبر عند البلا … وقال ابو سليمان الداراني
لاحمد بن ابي الحواري يا احمد جوع قليل وعري قليل وذل قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك ايام
الدنيا ثم وتسلّى لا تستغرب ايها العارف ما يقع بك او بغيرك من الاكدار ما دمت مقيما
في هذه الدار لانها ما برزت الا من التجليات الجلالية الا ما هو مستحق ان تتصف به وواجب ان
تتصف به فلا تستغرب شيئا ولا تتعجب من شيء بل الواجب عليك ان تعرف الله في الجلال والجمال
والحلو والمر واما ان كنت لا تعرفه الا في الجمال فهذا هو مقام العوام والمعرفة في الجلال
هي السكر مع الادب والرضى والتسليم فينبغي للفقير ان يكون كعشب السمار اذا جاءت
حملة الرياح حناه رأسه واذا ذهبت رجع رأسه كما لا تستغرب وقوع الاكدار فيجب لا تفرحن ولا
تخف ولا تجزع كذلك لا تتعجب من وقوع الكسار وهو الجمال بحيث لا تفرح ولا تنظر فان الجلال
مقرون بالجمال والجمال مقرون بالجلال يتعاقبان تعاقب الليل والنهار والعارف يتلون مع
كل واحد منهما لا يستغرب شيئا ولا يتعجب من شيء اذ كل ما يبرز من عنصر القدرة كله واحد
وبهذا وقع الفرق بين الصادق والصديق لان الصديق لا يتعجب من شيء ولا يتردد في شيء
وعد به بخلاف الصادق فقد ظهر انه مهما رأى شيئا مستغربا تعجب منه واذا وعد بشيء فقد
يتردد في امثاله وقد وصف الله السيدة مريم بالصديقية ولم يصف السيدة سارة بها

بها

لانها لما بشرت بالولد على وجه خرق العادة استغربت وقالت ان هذا لشيء عجيب فلذلك قالت
لها الملائكة اتعجبين من امر الله بخلاف مريم فلم تتعجب وانما صدر منها سؤال استفهام فقط او
سالت عن وقت ذلك او كيفيته هل بالتزوج او بغيره والله تعالى اعلم تمت في الادب الخامس
وهو ان يكون توجهه بالله ولله ومن الله والى الله وهو مقام الصدق الذي هو لب الاخلاص واخلاص
خواص الخواص فقال ما توقف مطلب انت طالبه بربك ولا تيسر مطلب انت طالبه بنفسك
التوقف الحبس والتعذر والمطلب ما يطلب قضاؤه والتيسير التسهيل قلت اذا عرضت
لك حاجة من حوائج الدنيا والاخرة واردت ان تقضى لك من بعد فاطلبها بالله ولا تطلبها
بنفسك فانك ان طلبتها بالله تيسر امرها وسهل قضاؤها وان طلبتها بنفسك صعب
قضاؤها وتعسر امرها ولا يتوقف ويحبس امر طلبته بربك ولا يتيسر ويسهل امر طلبته
بنفسك قال تعالى حاكيا عن نبيه موسى عليه السلام وقال موسى لقومه استعينوا بالله
واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فكل من استعان بالله وصبر
في طلب حاجته كانت العاقبة له وكان من المتقين وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي
كافيه كل ما اهمه وقال صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة وهو سويد بن غفلة لا تطلب الامارة
فانك ان طلبتها وكلت اليها وان اتتك من غير مسئلة اعنت عليها وعلامة الطلب بالله هو
الزهد في ذلك الامر والاشتغال بالله عنه فاذا جاء وقته تكون باذن الله وعلامة الطلب
بالنفس هو الحرص والبطش اليه فاذا تعذر عليه انقبض وتغير عليه فهذا ميزان من كان طلبه
بالله وطلبه بنفسه فمن طلب حوائجه بالله قضيت معنى وان لم تقض حسا ومن طلب حوائجه
بنفسه خاب سعيه وضاع وقته وان قضيت تهمته وحاجته وهاهنا ضابط تعرف به اهل
العناية من اهل الخذلان واهل الولاية من اهل الخسران ذكره ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
فقال رضي الله عنه اذا اكرم الله عبدا في حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه
حظوظ نفسه وجعله يتقلب في عبوديته والحظوظ عنه مستورة مع جري ما قدر له ولا يلتفت
اليها كانه في معزل عنها واذا اهان الله عبدا في حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه
وستر عنه عبوديته فهو يتقلب في شهواته وعبودية الله عنه بمعزل وان كان يجري عليه
شيء منها في الظاهر قال وهذا باب من الولاية والاهانة واما الصديقية العظمى والولاية

الكبرى في الحظوظ والحظوظ كلها سواء عند ذوي البصيرة لأنه بالله فيما يأخذ ويترك انتهى نقله
الشيخ زروق في بعض شروحه والحاصل أن تصرفات العارف كلها بالله ونصر ولا تغييره كلها
بالنفس ولو كانت لله في العمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب المثوبة والعمل بالله صاحبه
داخل الحجاب في مشاهدة الأحباب والعمل لله يوجب الثواب من وراء الباب والعمل
بالله من أهل التحقيق والعمل لله من أهل التشريع والعمل لله من أهل قوله تعالى إياك نعبد
والعمل بالله من أهل قوله تعالى وإياك نستعين وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه
بين العمل بالله والعمل لله ما بين الدينار والدرهم وبالله التوفيق ومن كان عمله
بالله كان راجعا إليه في كل شيء ومعتمدا عليه في كل حال وإليه أشار بقوله من علامة النجح
في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات النجح في الشيء هو بلوغ القصد والمراد فيه ونجحت
مطالبه إذا قضيت وبلغ منها ما أحب ونهاية الشيء تمامه وبدايته أوله قلت
إذا توجهت همتك أيها المريد إلى طلب شيء أي شيء كان وأردت أن ينجح أمرك وتبلغ مرادك
فيه وتكون نهايته حسنة وعاقبته محمودة فارجع إلى الله في بدايته واطلبه وانسلخ من حولك
وقوتك وقل كما قال عليه السلام إن يكن من عند الله يمضه فلا تحزني عليه ولا تقنط بشأنه
فما شاء الله كان وما لم يشأ ربنا لم يكن فلو اجتمع الجن والإنس على أن ينفعوك بشيء لم
يقدره الله لك لم يقدروا على ذلك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقدره الله عليك لم
يقدروا على ذلك جفت الأقلام وطويت الصحف كما في الحديث فإذا طلبت شيئا وكنت
فيه معتمدا على الله ومفوضا أمرك إلى الله لتقضي ما سبق في علم الله كان ذلك علامة نجح
نهايتك وحصول مطلبك قضيت في الحس أو لم تقض لأن مرادك مع مراد الله لا مع مراد
نفسك فقد انقلبت حظوظك حقوقا لا تشتهي إلا ما قضى الله ولا تتمنى إلا ما يبرز من عند
الله فقد غبت عن حظوظك وشهواتك وإن طلبت شيئا بنفسك معتمدا على حولك
وقوتك حريصا على قضائها جاهدا في طلبها كان ذلك علامة على عدم قضائها وخيبة
الرجاء فيها وعدم نجح نهايتها وإن قضيت في الحس وكلت إليها فتعبت بسببها
ولم تفرغ عن شؤونها ومآربها وهذا الأمر مجرب صحيح عند العام والخاص وهذه الحكمة تتميم
لما قبلها أو شرح لها والله تعالى أعلم ثم كمل هذه المسألة بقاعدة كلية تصدق

في التقدم وغيره فقال من أشرقت بدايته أشرقت نهايته قلت إشراق البداية هو
الدخول فيها بالله وطلبها بالله والاعتماد فيها على الله مع السعي في أسبابها
والاعتناء بطلبها فيما جرت الحكمة وأدبا مع القدرة وبعضهم السعي في السبب
بقدر عظمة المطلب فبقدر المجاهدة تكون بعدها المشاهدة والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين إن رحمة الله قريب من المحسنين وقال شيخ شيوخنا
سيدي عبد الرحمن المجذوب لا تحسبوها رخيصة يا كل معشوق غالي
ما تقصد صابت الصيف إلا برد الليالي من رأيته في بدايته جادا
في طلب الحق معرضا عن الأنس بالخلق مستغرق القلب في ذكر مولاه ناسيا لحظوظه
وهواه علمنا أن نهايته مشرقة وعاقبته محمودة ومآربه مقضية ومن رأيته
مقصرا في طلب مولاه لم يخرج عن نفسه وهواه علمنا أنه كاذب في دعواه فنهايته
الحرمان وعاقبته الخذلان إلا أن يتداركه الكريم المنان هذا في طريق الوصول إلى
الحق وأما إشراق البداية في طلب حوائج الدنيا والمقامات أو المراتب أو الخصو
صية مثلا فهو بالزهد فيها والإعراض عنها والاشتغال بالله عنها قال بعضهم
لا تدرك المراتب إلا بالزهد فيها وقال الشيخ أبو الحسن كنت أنا وصاحب لي نتعبد الله
في مغارة ونقول في هذا الشهر يفتح الله علينا في هذه الجمعة يفتح الله علينا فوقف على باب
المغارة رجل عليه سيما الخير فقال السلام عليكم فرددنا عليه وقلنا له كيف أنت فنهض
علينا وقال كيف يكون حال من يقول في هذا الشهر يفتح الله في هذه الجمعة يفتح الله لا فتح
ولا فلاح هلا عبدنا الله كما أمرنا ثم غاب عنا ففهمنا من أين أتينا فرجعنا على أنفسنا
باللوم ففتح الله علينا اهـ بالمعنى وذكره في التنوير فمن طلب الخصوصية كان عبد الخصوصية
وفاته حظه من الله حتى يتوب ومن كان عبد الله تعالى حظه من العبودية أدركته الخصوصية
من غير التفات إليها ولا طلب والله تعالى أعلم ثم إن هذه الأمور التي تشرق بها البداية
وتكون علامة على إشراق النهاية هي أمور باطنية كالاعتماد على الله والرجوع إليه أو
كثرة الشوق والاشتياق إليه لكن لا بد من ظهور أثرها على الظاهر وإليه أشار بقوله
ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر استودع أي وضع والاستيداع

هو وضع الشيء في محل يخفيه وغيب السرائر هو باطنها والمراد بالسرائر هو القلوب والارواح
وشهادة الظواهر هو ظاهر الجوارح **قلت** ما استودع الله سبحانه في القلوب وجعله
فيها من خير او شر من نور او ظلمة من علم او جهل من رحمة او قسوة من بخل او شح او كرم وسخاء
وقبض وبسط ويقظة او غفلة ومعرفة او نكران او غير ذلك من الاخلاق المحمودة او المذمومة
لابد ان يظهر اثار ذلك على الجوارح من ادب وتهذيب وسكون وطمانينة ورزانة وتجلي
وعجز او طيش وقلق وغضب وغير ذلك من الاحوال القلبية والاعمال القالبية قال تعالى
تعرفهم بسيماهم وقال سيماهم في وجوههم وقال صلى الله عليه وسلم من اسر سريرة
كساه الله رداءها فافعال الجوارح تابعة لاحوال القلوب فمن اودع في سر غيبه معرفة
مولاه لم يطلب من سواه ومن اودع في سر غيبه الجهل بمولاه تعلق بما سواه وهكذا
احوال الظاهر تابعة لاحوال الباطن كما تقدم في قوله تنوعت اجناس الاعمال لتنوع
واردات الاحوال فالاواني تدل على السريرة والكلام صفة المتكلم وما فيك ظهر على فيك
وكل اناء بالذي فيه يرشح وما خامر القلوب فعلى الوجوه اثره يلوح والله تعالى اعلم **واعظم**
ما استودع في غيب السرائر معرفة الله وهو على قسمين معرفة البرهان ومعرفة العيان
اشار الى الفرق بينهما فقال شتان بين من يستدل به او يستدل عليه المستدل به عرف
الحق لاهله واثبت الامر من وجود اصله والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى
غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل اليه شتان بمعنى بعد
وافترق ولا تكون الا في افتراق المعاني دون الحسيات **قلت** اعلم ان الحق سبحانه لما
اراد ان يتجلى باسرار ذاته وانوار صفاته الخفي بقدرته قبضة من نوره الازلي فاقتضت
القدرة ظهور آثارها وشهود انوارها واقتضت الحكمة اسدال حجابها
واظهار استتارها فقط فجعلت القدرة نورها مظاهر الكون اسدلت عليها الحكمة
رداء الصون فصارت الاكوان كلها نور في حجاب مستور ثم ان الحق سبحانه قسم الخلق
على قسمين وفرقهم فرقتين فقسم اختصهم بمحبته وجعلهم من اهل ولايته
فتح لهم الباب وكشف عنهم الحجاب فاشهدهم اسرار ذاته ولم يحجبهم عنه
بآثار قدرته وقسم اقامهم لخدمته وجعلهم من اهل حكمته اسدل عليهم

بحجاب

حجاب الوهم وغيب عنهم نور العلم والفهم فوقفوا مع ظواهر القشور ولم يشهدوا بواطن
النور مع شدة الظهور فسبحان من اخفى سره بحكمته واظهر نوره بقدرته **فاما** اهل
المحبة وهم اهل الولاية والعرفان من اهل الشهود والعيان فهم يستدلون بالنور
على وجود الستور فلا يرون الا النور وبالحق على وجود الخلق فلا يجدون الا الحق
وبقدرته على حكمته فوجدوا قدرته عين حكمته وحكمته عين قدرته فغابوا بشهود
الحق عن رؤية الخلق اذ محال ان تشهده وتشهد معه سواه **واما** اهل الخدمة
من اهل الحكمة فهم يستدلون بظهور الستور على وجود النور وبالخلق على وجود الحق
غابوا عنه في حال الحضور وحجبوا عنه بشدة ظهوره **قال بعض العارفين** اثبت
الله تعالى للعامة المخلوق فاثبتوا به الخالق واثبت للخاصة نفسه فاثبتوا به المخلوق
فشتان اي فرق كبير بين من يستدل به على ظهور اثره وبين من يستدل بظهور اثره على
وجوده لان من يستدل به عرف الحق وهو الوجود الحقيقي لاهله اي لمن هو اهل له ويستحقه
وهو الله الواجب الوجود الملك المعبود واثبت الامر وهو القدم للوجود الحقيقي
من وجود اصله وهو الجبروت الاصلي القديم الازلي يعني ان من عرف الله حتى صار عنده
ضروريا عرف الوجود انما هو لله وانتفى عنه وجود ما سواه واثبت القدم والاولية ومنتهاه
او تقول عرف الحق وهو الوجود الاصلي لاهله وهو الله تعالى واثبت الامر وهو الوجود
الفرعي من وجود اصله اي الحقه باصله فاذا الحق الفرع بالاصل صار الجميع جبروتيا اصليا
ويحتمل ان يكون معناهما واحدا ويكون التقدير عرف الوجود الحقيقي لاهله واثبت
ذلك الامر من اصله كقولك عرفت هذا الحكم واثبته من اصله والله تعالى اعلم **واما** من
يستدل عليه فلبعده عنه في حال قربه منه ولغيبته عنه في حال حضوره معه بغفلته
او وهمه وغيبه عدم الفهم والا فمتى غاب حتى يستدل عليه اذ هو اقرب اليك من حبل
الوريد ومتى بعد حتى تكون الآثار الوهمية هي التي توصل اليه وهو معكم اينما كنتم اذ اثر
القدرة هو عينها فالصفة لا تفارق الموصوف اذ لا قيام لها الا به ولا ظهور لها الا منه وفيما
له في المناجات الالهية كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس
لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي

التي توصل إليه والله تعالى أعلم. ولما كان المستدلون بالله قد وسع الله عليهم دائرة العلوم
وفتحت لهم مخازن الفهوم، بخلاف المستدلين به فقد قتر الله عليهم أرزاق العلم لوجود
الوهم، أشار إلى ذلك بقوله: لينفق ذو سعة من سعته الواصلون إليه، ومن قدر عليه رزقه
السائرون إليه، السعة هي الغنى وقدر عليه ضيق عليه. قلت: أما الواصلون إليه فلأنهم
لما نفذت أرواحهم من ضيق الأكوان، إلى فضاء الشهود والعيان، أو تقول لما عرجت أرواحهم
من عالم الأشباح، إلى عالم الأرواح، أو من عالم الملك، إلى عالم الملكوت، اتسعت عليهم
دائرة أرزاق العلوم، وفتحت لهم مخازن الفهوم، فلا تفرغوا من سعة غناهم جواهر
العلم المكنون، ومن مخازن كنوزهم يواقيت السر المصون، فلا تسمع لهم ميدان المجال،
وركبوا جياد البلاغة وفصاحة المقال، فما أسرع الغنائم واجهته منهم العناية، وما أعظم
فتح من تحققه منهم الرعاية، إن لله رجالا من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها
أبدا، وهم أهل السر والحال. وأما السائرون إلى الله فلأنهم باقون في ضيق الأكوان وفي عالم
الأشباح مسجونين في سجن الوهم لم يفتح لهم شيء من مخازن الفهوم، مشغولون بجهاد
نفوسهم، ومعاناة تصفية قلوبهم، مضيق عليهم في العلوم، ومقتر عليهم في سائر
الفهوم، فإن جدوا في السير وصلوا، وانتقلوا من ضيق الأكوان ورحلوا، وتنزهوا في رياض
العلوم وحلوا، فيطيبوا أبدا وملوا، واستغنوا بعد ما أن وصلوا، وإن رجعوا من الطريق بطلوا وفاتوا
فقد خابوا وخسروا. تنبيه: إن أردت أن يتسع عليك علم الأذواق، فاقطع عنك مادة
الأوراق، فما دمت متكلا على كنز غيرك لا تخرج على كنزك أبدا، فاقطع عنك العادة وافتقر إلى
الله، تفيض عليك المواهب من الله، إنما الصدقات للفقراء والمساكين، إن أردت بسط
المواهب عليك فصحح الفقر والفاقة لديك، وقد قال الشيخ أبو الحسن لتلميذه ابن ميمونة
حين تأخر عنه الفتح في صدره بوجده يطالع رسالة القشيري: اطرح كتابك واجمع أرض نفسك
يخرج لك ينبوع والأفادة فيه عنه، وبالله التوفيق. ثم ذكر سبب اتساع العلوم على الواصلين
دون السائرين، وهو أن الواصلين لم يقفوا مع شهود الأنوار بل نفذوا إلى نور الأنوار، بخلاف
السائرين فإنهم واقفون مع الأنوار مفتقرون إليها مملوكون في يدها، فقال: اهتدى
الراحلون إليه بأنوار التوجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة، فالأولون للأنوار وهؤلاء

الأنوار

الأنوار لهم لأنهم لله لا لشيء دونه، قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون. قلت: أنوار التوجه
هي أنوار الإسلام والإيمان، وأنوار المواجهة هي أنوار الإحسان، أو تقول أنوار التوجه أنوار
الطاعة الظاهرة والباطنة، وأنوار المواجهة هي أنوار الفكرة والنظرة، أو تقول أنوار التوجه
أنوار الشريعة والطريقة، وأنوار المواجهة أنوار الحقيقة، أو تقول أنوار التوجه أنوار المجاهدة
والمكابدة، وأنوار المواجهة هي أنوار المشاهدة والمكالمة. وبيان ذلك أن الحق سبحانه
إذا أراد أن يوصل عبده إليه توجه إليه أولا بنور حلاوة العمل الظاهر وهو مقام الإسلام فيهتدي
إلى العمل ويغنى فيه ويذوق حلاوته، ثم يتوجه إليه بنور حلاوة العمل الباطن وهو مقام الإيمان
من الإخلاص والصدق والطمأنينة والأنس بالله والوحشة مما سواه فيهتدي إليه ويغنى
فيه ويذوق حلاوته ويتمكن من المراقبة، وهذا النور أعظم من الأول وأكمل، ثم يتوجه إليه
بنور حلاوة المشاهدة وهو عمل الروح وهو أول نور المواجهة فتأخذه الدهشة والحيرة
والسكرة، فإذا أفاق من سكرته، وصحا من جذبته، وتمكن من الشهود، وعرف الملك المعبود،
ورجع إلى البقاء كان لله، وبالله، فاستغنى عن النور بمشاهدة نور النور، لأنه صار عين النور،
فصار مالكا للأنوار بعد أن كانت مالكة له لافتقاره لها، قبل وصوله إلى أصلها، فلما وصل
صار عبد الله حرا مما سواه، ظاهره عبودية، وباطنه حرية. والحاصل أن المريد
ما دام في السير فهو يهتدي بأنوار التوجه مفتقرا إليها لسيره بها، فإذا وصل إلى مقام المشاهدة
حصلت له أنوار المواجهة فلم يفتقر إلى شيء لأنه لله لا لشيء دونه، فالراحلون وهم السائرون
للأنوار لافتقارهم إليها وفرحهم بها، وهؤلاء الواصلون الأنوار لهم لاستغنائهم عنها
بالله فهو لله وبالله لا لشيء دونه. ثم تلى الشيخ هذه الآية على طريق أهل الإشارة، أي قل الله
بقلبك وروحك وغب عما سواه، ثم ذر الناس أي اتركهم في خوضهم يلعبون أي يخوضون في السوى
لاعبين في الهوى. وقد اعترض بعض المفسرين على الصوفية استشهادهم بهذه الآية
ولم يفهم مرادهم، فقد علم كل أناس مشربهم. وكان الشيخ ابن عباد يقول: لا تجعلوا أهل
الظاهر حجة على أهل الباطن، لأن أهل الباطن نظرهم دقيق، وغير أهله رقيق، لا يفهم
إشارتهم غيرهم، نفعنا الله بهم، وخرطنا في سلكهم، آمين. هذا آخر الباب
الثالث، وحاصله: آداب العارف وعلاماته، فالآداب ثمانية، والعلامات أربعة: الرجوع

اليه في كل شيء والاعتماد عليه في كل حال والغيبة فيه عن كل شيء والاستدلال به على كل شيء
وانقشاع ازرار العلوم وفتح مخازن الفهوم والوصول الى مواجهة الانوار والغيبة عنها
بشهود الواحد القهار ثم افتتح الباب الثالث في ذكر التخلية والتحلية فقال وقال رضي
الله عنه تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب
التشوف الى الشيء الاهتمام به والتطلع له قلت تشوفك ايها الانسان الى ما بطن
فيك من العيوب كالحسد والكبر وحب الجاه والرياسة وهم الرزق وخوف الخلق وطلب
الخصوصية وغير ذلك من العيوب والبحث عنها والسعي في التخلص منها افضل من تشوفك
الى ما حجب عنك من الغيوب كالاطلاع على اسرار العباد وما ياتي به القدر من الوقائع المستقبلة
وكالاطلاع على اسرار غوامض التوحيد قبل الاهلية له لان تشوفك الى ما بطن من العيوب
سبب في حياة قلبك وحياة القلب سبب في الحياة الدائمة والنعيم المقيم والاطلاع على
الغيوب انما هو فضول وقد يكون سببا في هلاك النفس كانتقاضها بالكبر ورؤية المزية على
الناس وسياتي للشيخ من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية كان اطلاعه فتنة
عليه وسببا يجر الوبال اليه واعلم ان العيوب ثلاثة عيوب النفس وعيوب القلب
وعيوب الروح فعيوب النفس تعلقها بالشهوات الجسمانية كطيب المآكل والمشارب
والملابس والمراكب والمساكن والمناكح وشبه ذلك وعيوب القلب تعلقه بالشهوات القلبية
كحب الجاه والرياسة والعز والكبر والحسد والحقد وحب المنزلة والخصوصية وشبه ذلك
مطابقة ارتشائه في اوصاف البشرية وعيوب الروح تعلقها بالحظوظ الباطنية كطلب
الكرامات والمقامات والقصور والحور وغير ذلك من الحروف فتشوف المريد الى شيء من ذلك
كله قادح في عبوديته مانع له من القيام بحقوق ربوبيته فاشتغاله بالبحث عن عيوبه
الجسمانية والقلبية والروحانية وسعيه في التطهير من جميع ذلك اولى من تشوفه الى
ما حجب عنه من علم الغيب كما تقدم وبالله التوفيق ولما ذكر التخلية ذكر ثمرتها
وهي التحلية بالمعرفة اذ لا تمتنع منها الا تشوف النفس والقلب والروح الى حظوظها
الوهمية فقال الحق ليس بمحجوب عنك انما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شيء لستره
ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصرا وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده

قلت

قلت الحق تعالى محال في حقه الحجاب فلا يحجبه شيء لانه ظاهر بكل شيء وقبل كل شيء وبعد
كل شيء فلا ظاهر معه ولا موجود في الحقيقة سواه فهو ليس بمحجوب عنك وانما المحجوب
انت عن النظر اليه لاشتغالك بالغير به وتعلق قلبك بالامور الحسية فلو تعلق قلبك
بطلب المولى واعرضت بالكلية عن السوى لنظرت الى نور الحق ساطعا في مظاهر
الاكوان وظهر ما كان محجوبا عنك بالوهم في معرض الشهود والعيان ولله در القائل
لقد تجلى ما كان مخفي * والكون كله طوينا طي * منه علي ازنا كبوسي
من بعد موتي ان أهي * فالناس كلهم يتماهدون ولا يهتدون وكلهم في التيه
ولا يشعرون وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول والله ما حجب الناس عن الله الا الوهم
والوهم امر عدمي لا حقيقة له وسياتي للشيخ ما حجبك عن الحق وجود موجود معه اذ
لا شيء معه وانما حجبك توهم موجود معه اذ لو حجبه تعالى شيء حسي لستره ذلك
الحجاب ولو كان له ساتر حسي لكان لوجوده حاصرا اذ محال ان يستتر من جميع الوجوه
ولا يحصره وكل حاصر لشيء فهو له قاهر كيف والله تعالى يقول وهو القاهر فوق عباده
اي الاشياء في قبضته وتحت تصريف قدرته وتخصيص ارادته ومشيئته والفوقية عبارة
عن رفعة الجلال والمكانة لا المكان كما يقال السلطان فوق الوزير والسيد فوق عبده
والمالك فوق المملوك وغير ذلك مما يثبت الكبرياء وينفي سمات الحدوث والله تعالى اعلم
ولما كان حجاب الروح عن المعرفة امر وهمي عدمي لا حقيقة له وهو من قبل اوصاف
البشرية فلو محقت عرفت اشار الى ذلك بقوله اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف
مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا اوصاف البشرية هي
الاخلاق التي تناقض خلوص العبودية ومرجعها الى امرين الاول تعلق القلب
باخلاق البهائم وهي شهوة البطن والفرج وما يتبعها من حب الدنيا وشهواتها العاجلة
قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث الاية الثاني تخلقه باخلاق الشياطين كالكبر
والحسد والحقد والغضب والحدة وهي القلق والبطر وهي خفة العقل والاشر وهو التكبر
وحب الجاه والرياسة والمدح والقسوة والفظاظة والغلظة وتعظيم الاغنياء واحتقار

الفقر او لخوف الفقر وهو الزور والبخل والشح والرياء والعجب وغير ذلك مما لا يحصى حتى
قال بعضهم للنفس من النقائص ما لله من الكمالات وقد الف الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي كتابا
في عيوب النفس ودوائها ولخصه الشيخ زروق في نحو ثمانية ابيات ومن الفاه الله الى شيخ
التربية فلا يحتاج الى شيء سوى الاستماع والاتباع فاذا اخرج المريد من اخلاق البهائم تخلق
بالروحانيين كالزهد والورع والقناعة والعفة والغنا بالله والانس به واذا اخرج من اخلاق
الشياطين تخلق باخلاق المومنين او باخلاق الملائكة كالتواضع وسلامة الصدور
والحلم والسكينة والرزانة والطمانينة والسهولة والليونة والخمول والاكتفاء بعلم الله
والشفقة والرحمة وتعظيم الفقراء والمساكين واهل النسبة وجميع الامة والكرم والسخاء
والجود والاخلاص والصدق والمراقبة والمشاهدة والمعرفة فاذا تخلق العبد بهذه الاخلاق
وتحقق بها فلا بعد ان تخلص من اضداد هذه كان عبدا خالصا لمولاه حرا مما سواه فكان
لله ابدا حبيبا ومن حضرته قريبا فاذا قال له ربه يا عبدي قال له يا رب فكان صادقا في اجابته
لصدق عبوديته بخلاف ما اذا كان منهمكا في شهواته الظاهرة او الباطنة كان عبد النفس
وشهواته فاذا قال يا رب كان كاذبا اذ من احب شيئا فهو عبد له وهو لا يحب ان تكون عبدا لغيره
واذا تخلص من رق الشهوات والحظوظ كان ايضا قريبا من حضرة الحق بل كان فيها
انما اخرجنا عن الحضرة الاحب هذه الخيالات الوهمية فاذا تحررنا منها وتحققنا
بالعبودية وجدنا انفسنا في الحضرة واعلم ان هذه الاوصاف البشرية التي احتجبت
بها الحضرة انما جعلها الله منديلا للافعال المذمومة وجعل البشرية منديلا للاخلاق
الدنية وما ثم الا مظاهر الحق وتجليات الحق وما ثم سواه ولا حول ولا قوة الا بالله فقوات
هذه العيوب سبب بقائها في الانسان باعتبار الحكمة هي الغفلة عن البحث عنها وسبب
الغفلة عن البحث عنها هو الرضى عن النفس اذ لو اساء الظن بها لبحث عن مساويها واستخرجها
وتطهر منها فلذلك قال اصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس قلت اذ كل من
رضي عن نفسه استحسن احوالها وغطى مساويها لقول الشاعر وعين الرضى عن كل عيب كليلة
واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها قلت لان من اتهم نفسه واساء
الظن بها ولم يطمئن اليها يفتش عن عيوبها واستخرج مساويها لقول الشاعر

ولكن

ولا عين السخط تبدي المساويا ولا تبحث ايها المريد عن مساويك واتهم نفسك ولا
تستحسن شيئا من احوالها فانك اذا رضيت عنها واستحسنت احوالها الدغتك وانت
لا تشعر وحجبتك عن الحضرة وانت تنظر قال ابو حفص الحداد من لم يتهم نفسه على دوام
الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر ايامه كان مغرورا
ومن نظر الى نفسه باستحسان شيء منها فقد اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه
والكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يقول وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا
ما رحم ربي وفي معنى ذلك انشدوا توق نفسك لا تامن غوائلها فالنفس اخبث
من سبعين شيطانا وقال سري السقطي من عرف الله عاش ومن مال الى الدنيا
طاش والاحمق يروح ويغدو في لاش والعاقل عن عيوبه فتاش انتهى فلا تبحث يا اخي عن
عيوب غيرك ان اردت نجح نفسك فاذا بحثت عن عيوبها وفتشت عورتها تخلصت وتحررت
وتحققت ودخلت الحضرة واتسعت لك النظرة واشتعلت لك العبرة وكان شيخ شيخنا
رضي الله عنه يقول لعنة الله على من ظهرت له عورة نفسه فلم يغطها وكان ايضا كثيرا ما يوصي
بعدم المراقبة للناس وعدم المبالاة بهم اذ لا يتخلص من دقائق الرياء الا باسقاطهم من
عينه وسقوطهم هو من عينهم ومن اراد ان يتخلص فليصحب من تخلص ولذلك قال ولان تصحب
جاهلا لا يرضى عن نفسه خير من ان تصحب عالما يرضى عن نفسه قلت اذ صحبة من لا يرضى
عن نفسه خير محض لتحققه بالاخلاص فيسري ذلك في الصاحب حتى يتحلى بالاخلاص ويصير
من جملة الخواص وصحبة من يرضى عن نفسه شر محض ولو كان اعلم اهل الارض لان الطباع
تسرق الطباع اذ الجهل الذي يقرب للحضرة احسن من العلم الذي يبعد عن الحضرة ولذلك
قال بعض العارفين اشد حجابا عن الله العلماء ثم الزهاد ثم العباد لوقوفهم مع علمهم
وعبادتهم وزهدهم والجهل الذي يوصل الى الله علم على الحقيقة والعلم الذي يحجب عن الله جهل
على الحقيقة ولذلك قال فاي علم لعالم يرضى عن نفسه قلت لانه صار حجابا له عن ربه
واي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه قلت اذ بعدم الرضى عن نفسه بحث عنها وتخلص
من رقها فصار عبدا حقيقة لله فجنى ثمرة احبه سيده واصطفاه لحضرته واجتباه لمحبته
واطلعه على مكنون علمه فكان اعلم خلقه والله تعالى اعلم واذا تخلص العبد من حظوظه

وأوصاف بشريته في حضرة ربه لصفاء قلبه وإشراقه بنور ربه ثم امتحى وجوده في وجود محبوبه
وشهوده في شهود معبوده وإلى ذلك أشار بقوله شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة
يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك كان الله ولا شيء
معه وهو الآن على ما عليه كان قلت البصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر القالب فالبصيرة ترى
المعاني اللطيفة النورانية والبصر يرى المحسوسات الكثيفة الظلمانية الوهمية ثم البصيرة
باعتبار إدراك نور المعاني اللطيفة على أربعة أقسام قسم فسد ناظرها بالكلية فأنكرت
نور الحق من أصله فهي كالخفاش * قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم * وهذه
الكفار قال تعالى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقسم صح ناظرها
لكنها مسدودة لضعف ناظرها لمرض أصابه فهي تقر بالنور لكنها لا تقوى على مشاهدته
ولا تشهد قربه منها ولا بعده عنها وهي لعامة المسلمين وقسم صح ناظرها وقوي شيئا
ما حتى قرب أن يفتح عينه لكن لشدة الشعاع لم يطق أن يفتح عينه فأدرك شعاع النور قريبا منه
وهو لعامة المتوجهين ويسمى هذا المقام شعاع البصيرة وقسم قوي ناظرها ففتح عين
بصيرته فأدرك النور محيطا به حتى غاب عن نفسه بمشاهدة النور وهذا لخاصة المتوجهين ويسمى
هذا المقام عين البصيرة وقسم فتحت بصيرته واشتد نورها فاتصل نورها بنور أصلها فلم تر إلا
النور الأصلي وأنكرت أن يكون ثم شيء زائد على نور الأصل كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه
كان ويسمى هذا حق البصيرة ووجه تسمية شعاع البصيرة أن صاحبها لما كان يرى وجود
الأكوان انطبعت في مرآة بصيرته فحجبته عن شهود النور من أصله لكن لما رقت كثافتها وتنورت
ظلمتها رأى شعاع النور من ورائها قريبة منه فأدرك الشعاع ولم يدر النور وهذا هو
نور الإيمان وهو مقام علم اليقين ووجه تسمية عين البصيرة أن البصيرة لما صحت وقويت
انفتحت عينها فرأت النور محيطا ومتصلا بها فسميت عين البصيرة لانفتاحها وإدراكها
ما خفي على غيرها وهذا هو مقام عين اليقين ووجه تسمية حق البصيرة أن البصيرة لما أدركت
الحق من أصله وغابت عن نور الفروع بنور الأصول سميت حق البصيرة لما أدركته من الحق وغابت
عن شهود الخلق وهذا مقام حق اليقين فشعاع البصيرة هو نور الإيمان لأهل المراقبة وعين
البصيرة هو نور الإحسان لأهل المشاهدة وحق البصيرة هو نور الرسوخ والتمكين لأهل

المكاشفة

المكاشفة أو تقول شعاع البصيرة نور علم اليقين وعين البصيرة هو نور عين اليقين وحق البصيرة
هو نور حق اليقين فعلم اليقين لأهل الدليل والبرهان وعين اليقين لأهل الكشف والبيان وحق اليقين
لأهل الشهود والعيان ومثال ذلك من سمع بمكة مثلا ولم يرها فهذا عنده علم
اليقين فإذا أشرف عليها ورآها ولم يدخلها فهو عين اليقين فإذا دخلها وتمكن فيها
فهو حق اليقين وكذلك طالب الحق فإذا رأى من وراء الحجاب فأنوار الأفعال فهو علم اليقين
فإذا أشرف على الفناء في الذات ولم يتمكن من الفناء فهو عين اليقين فإذا رسخ وتمكن فهو
في حق اليقين أو تقول شعاع البصيرة لأهل الفناء في الأفعال وعين البصيرة لأهل الفناء في الذات
وحق البصيرة لأهل بقاء الفناء أو تقول شعاع البصيرة لأهل عالم الملك وعين البصيرة لأهل
عالم الملكوت وحق البصيرة لأهل عالم الجبروت فشعاع البصيرة يشهدك قرب الحق
منك أي يوجب لك شهود قرب ذاته الحق منك قال تعالى ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس
به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقال تعالى وهو معكم أينما كنتم وعين البصيرة يشهدك
عدمك أي زوالك بزوال وهمك لوجوده أي لوجود الحق إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه
فإذا زال عنك الوهم وغبت عن وجودك شهدت ربك وهو علامة فتح البصيرة وعلاج
العمرية كما قال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب * من رأى الكون بالكون * عمي
في عمى البصيرة * ومن رأى الكون بالمكون * هادي علاج العمرية *
فظاهره أن عامة المسلمين عميا بصيرتهم والتحقيق هو ما تقدم من التفصيل وأنها مسدودة
فقط مع صحة ناظرها بخلاف بصيرة الكفار فإنها عميا وحق البصيرة يشهدك وجود الحق
وحده لا وجودك لأنك مفقود من أصلك ولا عدمك إذ لا يعدم إلا ما ثبت له وجود ولم يكن مع
الله موجود كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان وهذه الزيادة وإن لم تكن في الحديث
لكن معناها صحيح إذ لا تغير عليه تعالى قال محيي الدين محمد بن علي بن العربي الحاتمي
رضي الله عنه من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن
شهدهم عين العدم فقد وصل قلت ومن شهدهم بعين الفرق فقد تمكن وأنشدوا
* من أبصر الخلق كالسراب * فقد ترقى عن الحجاب * إلى وجود تراه رتقا *
* من غير إبعاد ولا اقتراب * فلا خطاب به إليه * ولا مشير إلى الخطاب * والله

تعالى اعلم ثم إذا تفرد انفراد الحق بالوجود فلا تشهد همتك الى غيره إذ هو مفقود والى ذلك أشار
بقوله في أول الباب الرابع وقال رضي الله عنه لا تتعد نية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال
قلت لا تتعد أي لا تتجاوز ونية الهمة قصدها الذي تتوجه به والهمة القوة المنبعثة
في طلب المقاصد والآمال قصود القاصدين ومعنى لا تتخطاه لا تتجاوزه الى غيره قلت إذا تعلقت
همتك أيها المريد بشيء تريد تحصيله فوجهها الى الله ولا تتعلق بشيء سواه لأنه سبحانه كريم
على الدوام، ونعمه شاملة على مر الليالي والأيام، والكريم لا تتخطاه الآمال، وهو يحب أن يسأل فيجيب
السؤال، وقد قالوا في تفسير اسمه تعالى الكريم هو الذي إذا سئل أعطى ولا يبالي كم أعطى ولا لمن
أعطى وإذا رفعت حاجة الى غيره لا يرضى وإذا جفا عاتب وإذا عاتب ما استقصى وهذا من كمال كرمه
وفضله وإحسانه وإنعامه وفي ذلك يقول سيدي إبراهيم التازي في قصيدته .. .. كمال الله أكمل كل
حسن .. .. فعلقه الكمال ولا ممار .. .. وحب الله أشرف كل أمر .. .. فلا تنس التحلي
بالوقار .. .. وذكر الله مرهم كل جرح .. .. وأنفع من زلال للأوار .. .. ولا موجود الا
الله حقا .. .. فدع عنك التعلق بالأغيار .. .. وإذا علمت كرمه وجوده وكماله وإحسانه
فلا ترفع الى غيره ما هو مورده عليك كما قال لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك قلت
قد علمت أن ما سوى الحق خيالات وهمية لا حقيقة لوجودها فإذا أنزل الله بك حاجة كفاقة أو
شدة أو غير ذلك من العوارض فأنزلها بالله واجعلها تحت مشيئة الله وغب عنها بذكر الله
ولا تلتفت الى ما سواه تعلقا ولا تملقا وفي الحديث من لم يسأل الله يغضب عليه وقال أبو علي
الدقاق من علامة المعرفة أن لا تنزل حوائجك كلها الا الى الله قلت أو قلت مثل موسى عليه
السلام اشتاق الى الرؤية فقال رب أرني أنظر إليك واحتاج يوما الى رغيف فقال رب إني لما أنزلت إلي من
خير فقير ثم تعجب من رفع أحكام الحق الى غيره مع عجزه وضعفه فقال فكيف يرفع الى غيره
ما كان هو له واضعا قلت من قلة حياء الإنسان أن يرفع الى غيره ما أنزل عليه الحق
من أحكامه وقهره مع علمه بإحسانه تعالى وبره وعدم انفكاك لطفه عن قدره قال الشيخ أبو
الحسن الشاذلي رضي الله عنه أيست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا أيأس من نفع غيري لها
ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي وقال بعض العارفين من المكاشفين رضي الله عنه قيل
لي في نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تبدين فاقة فأضاعفها عليك مكافأة لسوء أدبك وخروجك

أي الظمآن
أي العطشان

الى

الحد عبوديتك أنا ابتليك بالفاقة لتفزع الي منها وتتضرع بها لدي وتتوكل فيها علي سبكتك
بالفاقة لتصير ذهبا خالصا فلا تزيفن بعد السبك وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسي بالغنا فإن
وصلتها بي وصلتك بالغنا وإن وصلتها بغيري قطعت عنك مواد معونتي وحسمت أسبابك
من أسبابي طردا لك عن بابي فمن وكلته الى ملك ومن وكلته اليه هلك ه‍ ثم بين وجه التعجب فقال
من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها من غيره رافعا قلت
من عجز عن إصلاح نفسه فكيف يقدر أن يصلح غيره ضعف الطالب والمطلوب قال بعضهم من
اعتمد على غير الله فهو في غرور لأن الغرور ما لا يدوم ولا يدوم شيء سواه وهو الدائم القديم
لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد الا على من يدوم لك منه العطا والفضل ه‍
ثم إن الاعتماد على الله ورفع الحوائج إليه والرجوع في كل النوازل إليه سببه حسن
الظن به كما أشار إليه بقوله إن لم تحسن ظنك به لأجل وصفه حسن ظنك به لوجود معاملته
معك فهل عودك إلا حسنا وهل أسدى إليك إلا مننا قلت الناس في حسن الظن
بالله تعالى على قسمين خواص وعوام أما الخواص فحسن ظنهم بالله تعالى ناشئ عن شهود
جماله ورؤية كماله فحسن ظنهم بالله لا ينقطع سواء واجههم بجماله أو بجلاله لأن اتصافه
تعالى بالرحمة والرأفة والكرم والجود لا ينقطع فإذا تجلى لهم بجلاله أو قهريته علموا ما في طي
ذلك من لطائف نعمته وشمول رحمته فغلب عليهم شهود الرحمة والجمال القديم فحسن ظنهم
على كل حال وأما العوام فحسن ظنهم بالله ناشئ عن شهود إحسانه وحسن معاملته
وامتنانه فإذا أنزلت بهم قهرية أو شدة نظروا الى سوالف إحسانه وحسن ما أسدى إليهم
من حسن لطفه وامتنانه فقاسوا ما بقي على ما مضى فتلقوا ما يرد عليهم بالقبول والرضى
وقد يضعف هذا الظن بضعف النظر والتفكر ويقوى بقوتها بخلاف الأول فإنه ناشئ عن
الوصف والوصف لا يتخلف والثاني ناشئ عن شهود الفعل وهو يتخلف فإن لم تقدر أيها
المريد أن تحسن ظنك بالله لشهود وصفه بالرأفة والرحمة التي لا تتخلف فحسن
ظنك به لوجود معاملته معك بلطفه ومنته فهل عودك الحق تعالى إلا برا وإحسانا
ولطفا جميلا وهل أسدى إليك أو أوصل إليك إلا مننا كبيرة ونعما غزيرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وقال الشيخ أبو

الحسن رضي الله عنه انا لا نحب الا الله فقال له رجل ابى ذلك جدك يا سيدي بقوله جبلت القلوب على
حب من احسن اليها فقال الشيخ ابو الحسن انا لما لم نر محسنا غير الله لم نحب سواه وقال ايضا
رضي الله عنه رايت ليلة قل اعوذ برب الناس فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك
يذكرك افعالك السيئة وينسيك افعالك الحسنة ويكثر عندك ذات الشمال ويقلل عندك
ذات اليمين ليعدل بك عن حسن الظن بالله وكرمه الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا الباب
فقد اخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد واهل الطاعة والسداد وقال ايضا رضي الله عنه
العارف من عرف شدائد الزمان في الالطاف الجارية من الله عليه وعرف اساءته في احسان
الله اليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون واذا كان الحق تعالى ما عودك الا الاحسان وما اسدى
اليك الا الامتنان فمن العجب ان تتركه وتطلب ما سواه والى ذلك اشار بقوله العجب كل
العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التي في الصدور قلت ما لا انفكاك منه هو الحق تعالى لاحاطته ووجوده
وما لا بقاء له هو الدنيا وما تدركه النفس فمن اعجب العجائب ان يفر العبد من مولاه
ويتوجه بالطلب لما سواه مع انه لا انفكاك له منه ولا محيد له عنه اذ لا وجود له الا منه
ولا قيام له الا به فكيف يهرب منه بترك طلب معرفته وبالتقرب اليه بامتثال امره واجتناب
نهيه ويطلب ما لا بقاء له من حظوظ الدنيا الفانية التي ان لم تزل عنها فالحياة زائلة عنك
بالممات فالطالب ما يفنى دون ما يبقى ولله در القائل ** هب الدنيا تساق اليك عفوا **
** اليس مصير ذاك الى زوال ** وما دنياك الا مثل ظل ** اظلك ثم آذن بارتحال **
او تقول العجب كل العجب ان يهرب العبد مما لا انفكاك له عن قدر الله وقضائه ويطلب ما لا
بقاء له من حظوظ تدبيره واختياره اذ كل ما دبره وابرمه فسخه القضاء وهدمه **
** متى يبلغ البنيان يوما تمامه ** اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم **
وهذا كله من عدم فتح البصيرة او عماها ولذلك قال فانها لا تعمى الابصار عن ادراك
الحس لانها ادركته وحجبت به ولكن تعمى القلوب عن ادراك المعنى فلا ترى الا الحس
ولا تحب الا اياه ولا تطلب شيئا سواه نسال الله العافية وهذا قال الشيخ ابو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه عمى البصيرة في ثلاث ارسال الجوارح في معاصي الله والطمع في خلق الله

والتصنع

والتصنع بطاعة الله ثم اذا طلبت الحق الذي لا انفكاك لك عنه ورحلت اليه فاطلب
معرفة ذاته لا زخارف جنته اذ هو كون من مكوناته ولذلك قال لا ترحل من كون الى كون فتكون
كحمار الرحى يسير والذي ارتحل اليه هو الذي ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون
وان الى ربك المنتهى قلت الرحيل من الكون الى الكون هو الرحيل من الهوى الى طلب
الهوى وذلك كمن زهد في الدنيا وانقطع الى الله ليطلب بذلك راحة بدنه واقبال الدنيا عليه
لقوله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ولقوله
ايضا من كانت الاخرة نيته جمع الله عليه امره وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة
وكمن زهد فيها ليطلب الخصوصية كاقبال الخلق والعز وتربية المهابة في قلوب الناس او
زهد فيها ليطلب الكرامات وخوارق العادات او زهد فيها ليطلب القصور والحور فهذا
كله رحيل من الكون الى الكون فمثله كحمار الطاحونة يسير الليل والنهار وهو في موضعه فالذي ارتحل
منه هو الذي ارتحل اليه فمن كانت همته الحظوظ النفسانية فحاله حال حمار السانية
في السير دائما وهو في موضعه قائم يظن انه قطع مسافة في طلب وما زاد الا نقص
مع التعب قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه قف ببابا واحد لا لتفتح لك الابواب تفتح
لك الابواب واخضع لسيد واحد لا لتخضع لك الرقاب تخضع لك الرقاب قال الله
تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه فينبغي لك ايها المريد ان ترفع همتك
الى الملك المجيد فترحل من رؤية الاكوان الى طلب شهود الملك الديان او ترحل من
الدليل والبرهان الى رتبة الشهود والعيان وهو غاية القصد وبلوغ المنتهى وان
الى ربك المنتهى ولا ترحل من كون الى كون بان تشتغل بحظوظ نفسك طلبا لحظ اخر
فتكون كحمار الرحى الذي سار منه هو الذي عاد اليه وتشبيههم بالحمار يدل على بلادته وقلة
فهمه اذ لو فهم عن الله لرحل عن حظوظ نفسه وهواه قاصدا الوصول الى حضرة مولاه
فلا ترحل ايها المريد من كون مخلوق الى كون مخلوق مثله ولكن ارحل من الكون الى المكون وان الى
ربك المنتهى والرحيل الى المكون يكون بثلاثة امور الاول قصر همتك عليه دون ما سواه
حتى يطلع على قلبك فلا يجد فيه محبا لسواه الثاني الرجوع اليه باقامة الحقوق والبراءة من
الحظوظ الثالث دوام اللجا اليه والاستعانة به والتوكل عليه والاستسلام لما يورده

عليك. قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اربعة من كن فيه احتاج الخلق اليه وهو غني عن كل شيء:
المحبة لله، والاستغناء بالله، والصدق واليقين الصدق في العبودية واليقين في احكام الربوبية. ومن
احسن من الله حكما لقوم يوقنون. قال الشيخ زروق رضي الله عنه ثم استدل على طلب رفع الهمة
الى الله مع الاعراض عما سواه بحديث الهجرة الذي في الصحيح فقال: وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة
يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه، فافهم قوله عليه السلام فهجرته الى ما هاجر اليه وتامل هذا
الامر ان كنت ذا فهم والسلام. قلت الهجرة هي الانتقال من وطن الى وطن آخر بحيث يهجر
الوطن الذي خرج منه ويسكن الوطن الذي انتقل اليه وهي هنا من ثلاثة امور من وطن المعصية
الى وطن الطاعة ومن وطن الغفلة الى وطن اليقظة ومن وطن عالم الاشباح الى وطن عالم الارواح
او تقول من وطن الملك الى وطن الملكوت او من وطن الحس الى وطن المعنى او من وطن علم
اليقين الى وطن عين اليقين او حق اليقين فمن هاجر من هذه المواطن قاصدا بهجرته الوصول
الى رضاء الله ورسوله او الوصول الى معرفة الله ورسوله فهجرته موصلة له الى الله ورسوله على
حسب قصده وهمته ومن كانت هجرته الى حظوظ نفسه وهواه فقد خاب قصده وسعيه
وغاية هجرته ما هاجر اليه وكانت هجرته زيادة في جر الوبال اليه. فافهم ايها السامع
قوله عليه السلام فهجرته الى ما هاجر اليه وتدبره واعرضه على قلبك ونفسك وانظر هل فيك بقية
من الالتفات الى ما هجرت منه او فيك حظ سوى ما هجرت اليه من رضوان الله ورسوله او معرفة
الله ورسوله فان الله غيور لا يحب لمن طلبه ان يطلب معه سواه ولن يوصل اليه من بقي فيه بقية من حظه
وهواه. قال الششتري: ان ترد وصلنا فموتك شرط ... لن ينال الوصال من فيه فضله
وقال ايضا: ليس يدرك وصالنا ... حر من فيه بقية. وسمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه
يقول اردتم ان تعرفوا هل رحلت انفسكم من هذا العالم الى عالم الملكوت او لم ترحل فاعرضوا
عليها الامور التي كانت تشتهيها وتميل اليها واحدا بعد واحد فان وجدتموها رفضتها
وخرجت محبتها من قلبها ولم تركن الى واحد منها فاستبشروا فقد رحلت ارواحكم الى عالم الملكوت
وان وجدتموها ركنت او مالت بالمحبة الى شيء من هذا العالم فجاهدوها واخرجوها عنه بالتعنيف
حتى ترحل الى ربها انتهى بالمعنى. وختم هذا الباب بالسلام لما اشتملت عليه من الجد والعناء

فجعلها

فجعلها تدل على صفاء القلب من شهود الخلق الى شهود الخالق فناسب ختمها بالسلام لما فيه من ذكر
السلامة. ولما كان الصفاء لا بد فيه من دليل والا ضل عن سواء السبيل افتتح الباب الخامس
بذكر الصحبة وشروط المصحوب وآدابها فقال رضي الله عنه: لا تصحب من لا ينهضك
حاله ولا يدلك على الله مقاله. قلت الذي ينهضك الى الله حاله هو الذي اذا رأيته ذكرت
الله فقد كنت في حالة الغفلة فلما رأيته نهض حالك الى اليقظة او كنت في حالة الرغبة فلما
رأيته نهض حالك الى الزهد او كنت في حالة الاشتغال بالمعصية فلما رأيته نهض حالك
الى التوبة او كنت في حالة الجهل بمولاك فنهضت الى معرفة مولاك وهكذا والذي
يدلك على الله مقاله هو الذي يتكلم بالله ويدل على الله ويغيب عما سواه اذا تكلم اخذ
بمجامع القلوب واذا سكت انهضك حاله الى علام الغيوب فحاله يصدق مقاله ومقاله
موافق لحاله فصحبة مثل هذا اكسير يقلب الاعيان وهو مفهوم قول الشيخ من لا ينهضك
حاله الخ بل اصحب من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله. والصحبة في طريق التصوف
امر كبير في السير الى الله تعالى حسبما جرت به عادة الله تعالى وحكمته حتى قال بعضهم من لا شيخ
له فالشيطان شيخه. وقال في الانسان كالشجرة النابتة في الخلا فان لم تقطع وتلقم كانت
ذكارة. وقال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه كل من لا شيخ له في هذا الشان لا يفرح به
وشروط الشيخ اربعة علم صحيح وذوق صريح وهمة عالية وحالة مرضية فالعلم الصحيح
هو ما يتعين فرضه ولا بد ان يكون عالما بالمقامات والمنازل التي يقطعها المريد وبغرور
النفس ومكايدها فاقد سلك ذلك على يد شيخ كامل او ذاق ذلك ذوقا لا تقليدا او هو المراد
بالذوق الصريح والهمة العالية هي المتعلقة بالله دون ما سواه والحالة المرضية هي
الاستقامة بقدر الاستطاعة ولا بد ان يكون جامعا بين حقيقة وشريعة بين جذب وسلوك
فجذبه يجذب القلوب وبسلوكه يخرجها من حالة الجذب الى البقا فالسالك فقط ظاهري
لا جذب له ولا يخفى والمجذوب فقط لا يبصر ولا يوصل وفساد صحبته اكثر من نفعها. وقال
في اصول الطريقة ومن فيه خمس لا تصح مشيخته الجهل بالدين واسقاط حرمة المسلمين ودخول
ما لا يعني واتباع الهوى في كل شيء وسوء الخلق من غير مبالات ام فصحبة مثل هذا
ضرر محض واليه اشار بقوله: ربما كنت مسيئا فاراك الاحسان منك صحبتك الى من هو

اسرا حالا منك ۞ قلت ربما هذا لا تنكر محبتك فلا عن اراك والاحسان معقول معدوم والتقديم
ربما تكون مصيبا في حالك مفتقرا في عطفك فاذا احببت من هو اسوأ حالا منك ارأى الا ابن تتى محبتك
الرحمن هو اسوأ منك الاحسان منك لعلك يصحه رفيقا من الاحسان ۞ ومن المحجوب من التقصير
والنقصان ۞ ويعتقد المزية عليه لان النفس مجبولة على رؤية افضالها ومشاهدة التقصير من
غيرها علما وعملا او حالا او خلافا فاذا احببت من هو احسن حالا منها فانها لا ترى من نفسها
الا التقصير ۞ وفي ذلك خير كثير ۞ قال الشيخ ابو حفص رضي الله عنه اوصاني حبيبي فقال لا تنقل
قدميك الا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس الا حيث تامن غالبا من معصية الله ولا تصحب الا من تستعين
به على امرك تزداد به يقينا وقليل ما هم ۞ وقال له ايضا لا تصحب من يورثك نقصا عليك فانه يضر ولا من
يورثك على نفسك فانه قل ما يدوم والصحب من اذا ذكرت الله فالله يغنيك به اذا شهد وينوب عنه اذا
فقد ذكره نور القلوب ومشاهدته مفاتيح الغيوب وليكن قصدك الله وحب الصحبة مع كل قدم
ولا تصحب املك ولا تصحب من هو بهذا الوصف ولا تعول عليه وارقبه باولي قدم وعامله بالمعروف
مدة الصحبة معك ۞ وحاصله لا تصحب من تتكلف له وهو جهدك ولا من يتكلف لك كذلك وخير
الامور اوسطها وهذا والله اعلم في صحبة الاخوة واما صحبة الشيوخ فيفعل ما امر به الشيخ
او اشار اليه او يفهم انه يجب ذلك فلا بد ان يبادر اليه بقدر الامكان ولو كان محالا عادة لاخذت
في التقصير لفعل ۞ قال شيخ شيوخنا سيدي العربي بن احمد بن عبد الله الفقير الصديق هو الذي
اذا قال له شيخه ادخل في عين الجبال لا يتردد ويقوم بلا حرج في امتثال ما امره ولو كان لا يناله
منه ذلك ۞ وقال ايضا صاحبي هو الذي نعتله بشعرة ۞ وقال سيدي علي رضي الله عنه في كتابه
اعلم انه لا ينفع في كتاب الله الى الله شيئا مثل جلوسه مع عارف بالله ان وجده وان لم يجده فعليه
بذكر الله ليلا ونهارا قائما وقاعدا مع العزلة من ابناء الدنيا بعدم الجلوس معهم وعدم الكلام
وعدم النظر فيهم لانهم سم قاتل ولا يبعد من الله شيئا مثل جلوسه مع فقير جاهل الفقير
الجاهل اقبح من العامي الغافل بالله فيعطي الجلوس مع العارف بالله افضل من العزلة والعزلة
افضل من الجلوس مع العوام الغافلين والجلوس مع العامي الغافل افضل من الجلوس مع الفقير
الجاهل الاشي في الوجود يسود قلب المريد مثل جلسة مع الفقير الجاهل كما ان العارف بالله
يجمع بين المريد ومولاه بنظرة او بكلمة كذلك الفقير الجاهل بالله ربما اتلف المريد عن

مولاه

مولاه بنظرة او بكلمة فاحذروهما وبين هو الله الحجة في حيث في بعض كلامه قال الجلسة مع غير الاخيار
فتنة ولو تكون صالحا ۞ وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه احذر صحبة ثلاثة من اصناف الناس
الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين ۞ وزاد الشيخ زروق علماء الظاهر
قال لان نفوسهم غالبة عليهم ۞ قلت الجلوس معهم اليوم اقبح من سبعين عميا غافلا
وفقيرا جاهلا لانهم لا يعرفون الا الظاهر الشريعة ويرون ان من خالفهم في هذا الظاهر خاطئ
او ضال فيجتهدون في رد من خالفهم يعتقدون انهم ينصحون وهم يغشون فليحذر المريد من
صحبتهم والقرب منهم ما استطاع فان توقف في مسألة ولم يجد من يسأل عنها من اهل الباطن
فليسأله على حذر ويكون معه كالجالس مع العقرب او الحية والله ما رايت احدا من الفقراء
قرب منهم وصحبهم فافلح ابدا في طريق الخصوص وبين هو الله ابا ذر الغفاري رضي الله عنه
حيث قال والله لا اسألهم دنيا ولا استفتيهم عن دين ۞ قال هذا في علماء الصحابة الاخيار
رضي الله عنهم فما بالك اليوم حين اشتغلوا بجمع الدنيا وتزيين الملابس وتكبير العمائم
وتحسين المآكل والمساكن والمراكب وراوا ذلك سنة نبوية فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وكان يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه يقول لعلماء وقته يا معشر العلماء دياركم
هامانية ۞ ومراكبكم قارونية ۞ واطعمتكم فرعونية ۞ وولائمكم جالوتية ۞ ومواسمكم
جاهلية ۞ ومذاهبكم شيطانية ۞ فاين الملة المحمدية ۞ ومما يتاكد التفطن
اليه في المطلوب الزهد في الدنيا من رفع الهمة عنها ولو قل عمله في الظاهر والى ذلك اشار بقوله
ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب ۞ قلت الزهد في الشيء هو خروج محبته
من القلب وبرودته منه وعند القوم بغض كل ما يشغل عن الله ۞ ويحبس عن حضرة الله ۞ ويكون
اولا في المال وعلامته ان يستوي عنده الذهب والتراب والفضة والحجر والغنى والفقر والمنع
والعطاء ويكون ثانيا في الجاه والمراتب وعلامته ان يستوي عنده العز والذل والظهور
والخمول والمدح والذم والرفعة والسقوط ويكون ثالثا في المقامات والكرامات
والخصوصيات وعلامته ان يستوي في حقه الرجاء والخوف والقوة والضعف والبسط
والقبض يغيب بهذا عن هذا ويعرف في هذا كما يعرف في هذا ثم يكون الزهد في الكون
بالمرة في شهود المكون وامره ۞ فاذا تحقق المريد بهذه المقامات في الزهد او جلها

كان عمله ذلك عظيما كبيرا في المعنى عند الله وإن كان قليلا في الحس عند الناس وهذا معنى قوله
صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وأي بدعة أعظم ولا أشنع من حب
الدنيا والانكباب عليها بالقلب والقالب الذي لم يكن في زمنه عليه السلام ولا في زمن الصحابة
حتى ظهرت البراعة فبنوا وشيدوا وزخرفوا واجهة هي البدعة الحقيقية فعمل هؤلاء في
قليل في المعنى وإن كان كثيرا في الحس إذ لا عبرة بحركة الأشباح وإنما العبرة بخضوع الأرواح
عبادة الزاهد بالله لله وعبادة الراغب بالنفس للنفس وعبادة الزاهد حية باقية
وعبادة الراغب ميتة فانية وعبادة الزاهد متصلة على الدوام وعبادة الراغب منفصلة بلا
نظام وعبادة الزاهد في مساجد الحضرة التي أذن الله أن ترفع وعبادة الراغب في مزابل
القذرات التي أذن الله أن توضع ولذلك قال بعضهم عبادة الغني كالمصلي على المزبلة
وما مثل عبادة الزاهد مع قلتها في الحس وكثرتها في المعنى وعبادة الراغب مع كثرتها
في الحس وقلتها في المعنى إلا كرجلين أهديا للملك أحدهما أهدى ياقوتة صافية صغيرة
قيمتها ستون قنطارا والآخر أهدى ستين صندوقا خاوية فارغة فلا شك أن الملك يقبل
الياقوتة ويكرم صاحبها ويرد الصناديق ويهين صاحبها ويغضب عليه لكونه استهزأ
بالملك حيث أهدى له خشبا خاوية شهرتها أعظم من منفعتها وسمعنا شيخنا رضي
الله عنه يقول الراغب في الدنيا غافل ولو كان يقول الله الله بلسانه على الدوام إذ لا عبرة
باللسان والزاهد في الدنيا ذاكر على الدوام ولو قل ذكره باللسان قلت وبهذا فسر
بعضهم قوله تعالى لا يذكرون الله إلا قليلا أي مع الغفلة والرغبة ولو كثر في الحس وقال سيدنا
علي كرم الله وجهه كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فإنه لن يقل عمل مع التقوى وكيف
يقل عمل يتقبل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ركعتان من زاهد عالم خير وأحب إلى الله
من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض السلف لم يفتكم
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بكثرة صلاة ولا صيام إلا أنهم كانوا أزهد في الدنيا انتهى
وفي بعض الأخبار أن سيدنا عيسى عليه السلام مر برجل نائم والناس يتعبدون فقال له عيسى
عليه السلام قم تعبد مع الناس فقال تعبدت يا روح الله فقال له وما عبادتك قال تركت
الدنيا لأهلها فقال نم نعمت العبادة هذه أو كما قال عليه السلام وقال رجل للشيخ أبي الحسن

الشاذلي

الشاذلي رضي الله عنه ما لي أرى الناس يعظمونك ولم أر لك كبير عمل فقال بسنة واحدة افترضها الله على
رسوله تمسكت بها فقال له وما هي قال الإعراض عنكم وعن دنياكم قال الشيخ زروق رضي الله
عنه وإنما كانت للزاهد هذه الفضيلة لثلاثة أوجه أحدها ما فيه من فراغ القلب عن الشواغل
والشواغب الثاني لأنه شاهد بوجود الصدق في المحبة إذ الدنيا محبوبة لا تترك إلا بما هو
أحب قال عليه السلام الصدقة برهان قيل على حب العبد ربه الثالث لأنه دليل المعرفة
بالله والثقة به لأن بذل الموجود من الثقة بالمعبود ومنع الموجود سوء الظن بالمعبود هـ
ولما كان حسن العمل أي ظاهره وإتقانه الذي يكون به كماله ونقصانه إنما هو نتائج
حسن الباطن وأحواله أشار إلى ذلك بقوله حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن
الأحوال من التحقق بمقامات الإنزال قلت الأعمال حركة الجسم بالمجاهدة والأحوال
حركة القلب بالمكابدة والمقامات سكون القلب بالطمأنينة مثال ذلك مقام الزهد مثلا فإنه يكون
أولا عمله مجاهدة بترك الدنيا وأسبابها ثم يكون مكابدة بالصبر على الفاقة حتى يصير حالا ثم يسكن
القلب ويذوق حلاوته فيصير مقاما وكذلك التوكل يكون مجاهدة بترك الأسباب ثم يكون مكابدة
بالصبر على مرارة تصرفات الأقدار ثم يصير حالا ثم يسكن القلب فيه ويذوقه فيصير مقاما وكذلك المعرفة
تكون مجاهدة بالعمل في الظاهر بخرق العوائد من نفسه ثم يكون مكابدة بالمعرفة والإقرار عند
التعرفات ثم يصير حالا فإذا أسكنت الروح في الشهود وتمكنت صارت مقاما فالأحوال مواهب والمقامات
مكاسب بمعنى أن الأحوال مواهب من الله جزاء لثواب الأعمال فإذا دام العمل واتصل الحال صار مقاما
فالأحوال تتحول تذهب وتجيء فإذا استقر القلب في ذلك المعنى صار مقاما وهو مكتسب من دوام
العمل واعلم أن المقام والحال لكل واحد علم وعمل فالمقام يتعلق به العلم أولا ثم يسعى
في عمله حتى يكون حالا ثم يصير مقاما وكذلك الحال يتعلق به العلم أولا ثم العمل ثم يصير حالا
والله تعالى أعلم وعلامة التحقق بالإنزال في المقام هو حسن الحال وعلامة حسن الحال هو
حسن العمل بإتقان الأعمال وحسنها هو ثمرة ونتيجة حسن الأحوال فحسن الأحوال
وإتقانها هو نتيجة التحقق بمقامات الإنزال أي التحقق بالإنزال في المقامات أو تقول
حسن الأحوال دليل على التحقق بالمقامات التي ينزل الله عبده فيها وحسن الأعمال دليل
على حسن الأحوال واعلم أن حركة القالب تدل على صلاح القلب أو فساده لقوله

صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله
الا وهي القلب فاذا تحقق القلب بالزهد مثلا وصار له حالا او مقاما ظهر ذلك على جوارحه من
التقة بالله والاعتماد عليه وقلة الحركة عند الاسباب الهجريّة لقوله عليه السلام ليس الزهد
بتحريم الحلال ولا باضاعة المال انما الزهد ان تكون بما في يد الله اوثق مما في يدك وقال
الصديق رضي الله عنه لابي الحسن الشاذلي في النوع علامة خروج حب الدنيا من القلب
بذلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد وعلامة التحقق بالانزال في مقام التوكل
السكون والطمانينة عند محركات الاسباب وعلامة التحقق بالانزال في مقام المعرفة
هو الادب ظاهرا وباطنا وحسن الخلق مع كل مخلوق ولذلك قال ابو حفص الحداد
رضي الله عنه حسن ادب الظاهر عنوان حسن ادب الباطن فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وراجع ما تقدم في شرح قوله تنوعت اجناس
الاعمال بتنوع واردات الاحوال ففيه زيادة شرح لهذا المحل والله تعالى اعلم وافضل
الاعمال التي يقطع بها المريد هذه المقامات وارفعها هو ذكر الله ولذلك ذكره بأثره
فقال لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد من غفلتك
في وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر
مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع غيبة عما
سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز قلت الذكر ركن قوي في طريق القوم وهو
افضل الاعمال قال الله تعالى اذكروني اذكركم وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا والذكر الكثير الا ينساه ابدا قال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة فرضها
الله تعالى جعل لها وقتا مخصوصا وعذر العباد في غير اوقاتها الا الذكر لم يجعل له وقتا
مخصوصا قال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم وقال رجل يا رسول الله كثرت علي شعائر الاسلام فاوصني بامر ادرك به
ما فاتني واوجز فقال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله وقال عليه السلام لو ان رجلا في حجره
دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر افضل وقال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم
بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق

وخير

وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله
قال ذكر الله وعن علي كرم الله وجهه قلت يا رسول الله اي الطريق اقرب الى الله واسهلها
على عباد الله وافضلها عند الله تعالى فقال يا علي عليك بمداومة ذكر الله فقال علي كل الناس
يذكرون الله فقال له صلى الله عليه وسلم يا علي لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الارض من
يقول الله فقال له علي كيف اذكره يا رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم اغمض عينيك
واسمع مني ثلاث مرات ثم قلها وانا اسمع فقال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله ثلاث
مرات مغمضا عينيه ثم قالها علي كذلك ثم لقنها علي للحسن البصري ثم الحسن لحبيب
العجمي ثم حبيب لداود الطائي ثم داود لمعروف الكرخي ثم معروف للسري ثم السري
للجنيد ثم انتقلت الى ارباب التربية فلا منة لاحد على الله الا ارباب الذكر والواجب على العبد
ان يستغرق فيه اوقاته ويبذل فيه جهده فان الذكر منشور الولاية ولا بد منه في البداية
والنهاية فمن اعطي الذكر فقد اعطي المنشور ومن ترك الذكر فقد عزل وانشدوا شعر والذكر
اعظم باب انت داخله لله فاجعل له الانفاس حراسا شعر فقد طاب فيه في الاسم
يفني في الذات وقد رما يفنى في المعنى في الاسم يكون منتهى الفناء في الذات فيلتزم المريد
الذكر على كل حال ولا يترك الذكر باللسان لعدم حضور قلبه فيه بل يذكر بلسانه ولو كان غافلا
بقلبه فان غفلتك عن وجود ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره لان غفلتك عن ذكره اعراض عنه
بالكلية وفي وجود ذكره اقبال بوجه ما وفي شغل اللسان بذكر الله تزيين جارحة بطاعة الله
وفي فقده تعرض لاشتغالها بالمعصية قيل لبعضهم ما لنا نذكر الله باللسان والقلب
غافل فقال له اشكر الله على ما وفق من ذكر اللسان ولو اشغله بالغيبة ما كنت تفعل فليلزم
الانسان ذكر اللسان حتى يفتح الله في ذكر الجنان فعسى ان ينقله الحق تعالى من ذكر
مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة اي انتباه لمعاني الذكر عند الاشتغال به ومن ذكر
مع يقظة الى ذكر مع وجود حضور المذكور وارتسامه في الخيال حتى يطمئن القلب بذكر الله
ويكون حاضرا بقلبه مع دوام ذكره وهذا هو ذكر الخواص واما ذكر العوام فجارحة على
ذكر الحضور ومن ذكر مع الغيبة عما سوى المذكور لما يغمر قلبك من النور
وربما يعظم قرب نور المذكور فيغرق في النور حتى يغيب عما سوى المذكور وما ذلك على الله

بعيد به فيمتنع بعد ترجع في اعلا الدرجات مرتان في اسفل الدركات وهاهنا يسكت اللسان
ويشتغل الذكر بالجنان فيصير ذكر اللسان غفلة في حق اهل هذا المقام كما قال الشاعر
ما ان ذكرتك الا هم يلعنني سري وقلبي وروحي عند ذكراك حتى كان رقيبا منك يهتف
بي اياك ويحك والتذكار اياك اما ترى الحق قد لاحت شواهده وواصل الكل من
معناه معناك وقال الواسطي مشيرا الى هذا المقام الذاكرون في ذكره اكثر غفلة من
الناسين لذكره لان ذكره سواه في يعني ان الذاكرين الله بالقلوب هم في حال ذكرهم لله بالسنتهم
اكثر غفلة من التاركين لذكره لان ذكره باللسان وتكلفه يقتضي وجود النفس وهو شرك والشرك
اقبح من الغفلة هذا معنى قوله لان ذكره سواه اه لان ذكر اللسان يقتضي استقلال الذاكر والعوض
ان الذكر محو في مقام العيان قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه حقيقة الذكر الانقطاع عن الذكر
الى المذكور وعن كل شيء سواه لقوله تعالى واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال القشيري
رضي الله عنه الذكر اندراج الذاكر في مذكوره واصطلاح الحس عند ظهوره وفي معنى ذلك انشدوا
مذ ذكرتك لا اني نسيتك لمحة وايسر ما في الذكر ذكر لساني وصرت بلا وجد اهيم من الهوى
وهام على القلب بالخفقان فلما اراني الوجد انك حاضري شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم وشاهدت موجودا بغير عيان وفي هذا المقام يتحقق
المريد بعبادة الفكرة او النظرة وفكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة ولذلك قال
الشيخ ابو العباس رضي الله عنه اوقاتنا كلها ليلة القدر اي عباداتنا كلها مضعفة مع
خفائها وتخفى الاشخاص فيها اذ لا يطلع عليها ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده وفي ذلك
قال بعضهم وقيل هو الحلاج قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يرى للناظرينا
والسنة باسرار تناجي تغيب عن الكرام الكاتبينا واجنحة تطير بغير ريش
الى ملكوت رب العالمينا وقد قيل لنا بيتين قلت واجنحة تهيم بغير وجد
الى جبروت ذي حور يقينا فيا ارباب ذي المعالي فبذل روحك فليل فينا
ولما كان الذكر هو سبب حياة القلب وتركه سبب موته وفي الحديث مثل الذي يذكر ربه والذي
لا يذكر ربه كمثل الحي والميت ذكر علامة حياته وموته في اول الباب السادس فقال رضي الله
عنه من علامة موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلت من
وجود

وجود الزلات قلت موت القلب سببه ثلاثة اشياء الزهد في الدنيا والغفلة عن ذكر الله
وارسال الجوارح في معاصي الله وسبب حياته ثلاثة اشياء الزهد في الدنيا والاشتغال بذكر الله
وصحبة اولياء الله وعلامة موته ثلاثة اشياء عدم الحزن على ما فات من الطاعات وترك الندم
على ما فعلت من الزلات وصحبتك للغافلين الاموات وذلك لان صدور الطاعة من العبد عنوان
السعادة وصدور المعصية علامة الشقاء فان كان القلب حيا بالمعرفة والايمان المه ما يوجب
شقاوته وابهجه ما يوجب سعادته او تقول صدور الطاعة من العبد علامة رضى مولاه وصدور
المعصية علامة غضبه فالقلب الحي يحس بما يرضيه عند مولاه فيفرح وما يسخطه عليه
فيحزن والقلب الميت لا يحس بشيء قد استوى عنده وجود الطاعة والمعصية لا يفرح بطاعة
وموافقة ولا يحزن على زلة ولا معصية كما هو شان الميت في الحس وفي الحديث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال من سرته حسناته وساءته سيئاته فهو مومن وقال عبد الله بن مسعود
المومن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال
به هكذا فطار اه لكن لا ينبغي للعبد ان يغلب النظر الى جانب الذنب فيقل رجاؤه فيسيء الظن
بسيده كما اشار اليه بقوله لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله قلت
الناس في الخوف والرجاء على ثلاثة اقسام اهل البداية ينبغي لهم تغليب جانب الخوف واهل الوسط
ينبغي لهم ان يعتدل خوفهم ورجاؤهم واهل النهاية يغلبون جانب الرجاء اما اهل البداية
فلانهم اذا غلبوا جانب الخوف جدوا في العمل وانقطعوا عن الزلل فبذلك تشرق نهايتهم
والذي جهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما اهل الوسط فلانهم قد انتقلت عبادتهم الى التصفية
من الحس فعبادتهم قلبية فلو غلبوا جانب الخوف لرجعوا الى عبادة الجوارح والمطلوب منهم
عبادة البواطن على رجاء الوصول وخوف القطيعة فيعتدل خوفهم ورجاؤهم واما الواصلون
فلا يرون لانفسهم فعلا ولا تركا فهم ينظرون الى تصريف الحق وما جرى به سابق القدر فيتلقونه
بالقبول والرضى فان كان طاعة شكروا وشهدوا منة الله وان كانت معصية اعتذروا وتادبوا ولم
يقفوا مع انفسهم اذ لا وجود لها عندهم وانما ينظرون الى ما يبرز من عنصر القدرة فنظرهم
الى حلمه وعفوه واحسانه وبره اكثر من نظرهم الى بطشه وقهره وحي جمال الله الشافعي حيث قال
فلما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ۞ بعفوك ربي كان عفوك اعظما ۞ فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ۞
تجود وتعفو منة وتكرما ۞ فليت شعري هل اصير لجنة ۞ اهنا واما للسعير فاندما ۞

قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو
الغفور الرحيم وتأمل قضية الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ثم سأل راهبا فقال له هل لي من توبة
فقال له لا توبة لك فكمل به المائة ثم اتى عالما فسأله فقال له من يحول بينك وبينها ولكن اذهب
الى قرية كذا فان فيها قوم يعبدون الله فكن فيهم حتى تموت فلما توسط الطريق ادركه الموت
فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله اليهم ان قيسوا القرية التي خرج اليها
والقرية التي خرج منها فالى ايهما كان اقرب فهو من اهلها فاوحى الله الى القرية التي يريد ان تقاربي
والى القرية التي خرج منها ان تباعدي فوجد اقرب الى القرية بشبر فاخذته ملائكة الرحمة والحديث
في الصحيحين تعلقنا بالمعنى وقال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه العامة اذا خوفوا خافوا
واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا قال في لطائف المنن ومعنى كلام
الشيخ هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر فاذا خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ لما وراء
العبارة بنور الفهم كما لاهل الله واهل الله اذا خوفوا رجوا علما منهم ان من وراء خوفهم وما خوفوا
به اوصاف الوجود الذي لا ينبغي ان ييأس من رحمته ولا ان يؤيس من منته فاعتمدوا على اوصاف كرمه
علما منهم ما خوفهم الا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه واذا رجوا خافوا من غيب مشيئته الذي
هو من وراء رجائهم وخافوا ان يكون ما ظهر من الرجا اختبارا للعقول لهم هل تقف مع الرجا او
تنفذ الى ما بطن من مشيئته فلذلك اثار الرجا خوفهم انتهى ودخل الجنيد رضي الله عنه على
شيخه السري فوجده مقبوضا فقال له ما لك ايها الشيخ مقبوضا فقال دخل علي شاب فقال لي ما حقيقة
التوبة فقلت له ان لا تنسى ذنبك فقال الشاب بل التوبة ان تنسى ذنبك ثم خرج فقال الجنيد فقلت
الصواب ما قاله الشاب لاني اذا كنت في حالة الجفا ثم نقلني الى شهود الصفا فذكر الجفا في حال الصفا
جفا قلت تكلم السري الى اهل البداية وتكلم الجنيد الى اهل النهاية والكل صواب والله تعالى
اعلم تنبيه ما موجب تصغير الذنب فقال فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه قلت
لان من عرف ربه غاب عن رؤية ذنبه لغيبته عن نفسه بشهود ربه فان صدر منه فعل بخلاف
الحكمة غلب عليه شهود النعمة قال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم واما قوله تعالى وان عذابي

هو

هو العذاب الاليم فانما هو لمن لم يتب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اذنبتم حتى تبلغ خطاياكم
عنان السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم ولو ان العباد لم يذنبوا لذهب الله بهم وجاء بقوم يذنبون
فيستغفرون فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم والله افرح بتوبة عبده من الظمآن الوارد ومن العقيم
الوالد ومن الضال الواجد لكن لا ينبغي ان يصغر توبته حتى يغفر يعلم الله وقد اوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام يا داود قل لعبادي الصديقين لا يغتروا فاني ان اقم عليهم عدلي وقسطي
اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي المذنبين لا يقنطوا فانه لا يتعاظم علي ذنب اغفره لهم وقال
الجنيد رضي الله عنه اذا بدت عين من الكرم الحقت المسيء بالمحسن وقال الشيخ ابو العباس رضي الله
عنه في حزبه الاهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية ففي ايهما اخاف وفي ايهما
ارجوا ان قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفا وان قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع
لي رجاء فليت شعري كيف ارى احسانك مع احسانك او كيف اجهل فضلك مع عصيانك ومعنى
كلام الشيخ رضي الله عنه ان العبد اذا كان في المعصية شهد قهرية الحق وعظمته وضعف نفسه وعجزه
فاكتسب من المعصية انكسارا وذلا لنفسه وتعظيما واجلالا لربه وهذه افضل الطاعات فقد
نادته معصيته التي هو فيها الى الطاعة التي يجتنبها منها واذا كان في الطاعة ربما شهد فيها
نفسه وقصد منفعته وحظه فاشرك في ربه واخل بادبه وهذه معصية فاذا كان في الطاعة
نادته بهذه المعصية التي يجتنبها منها فلا يدري من ايهما يخاف وايهما يرجوا وقوله ان
قلت بالمعصية الخ اي ان نظرت الى صورة المعصية قابلتني بفضلك فامحى اسمها وانطمس
رسمها وان نظرت الى صورة الطاعة قابلتني بعدلك فاضمحلت وامحقت وبقي محض الرجا
من الكريم الوهاب الذي يعطي بلا سبب ويعفو بحلمه عن المناقشة والعتاب والله تعالى اعلم
فصل ان العارف لا يقف مع معصية وان جلت ولا مع طاعة وان عظمت وهو معنى قوله لا صغيرة
اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله قلت الصغيرة هي الجريمة التي لا وعيد فيها من
القرآن ولا من الحديث والكبيرة هي التي توعد عليها بالعذاب او الحد في القرآن او في السنة
وقيل غير ذلك هذا الحكم بالنظر لظاهر الامر واما باعتبار ما عند الله من امر غيبه وبالنظر الى حلمه
وعدله ففيه يبين خلاف ما يخفى قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فمن سبقت له
العناية لا تضره الجناية فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وان كانت الاعمال علامات

وقد تختلف في بعض المقامات، فوجب استواء الرجاء والخوف في بعض المقامات، والتسليم للسير
في كل الأوقات، إذ قد تمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته، فإذا رأيت الحق سبحانه يعجل لك
وجالا لم تبق لك صغيرة وعادت صغائرك كبائر، وإذا رأيت الحق تعالى بفضله وكرمه وإحسانه
وجالا لم تبق لك كبيرة وعادت كبائرك صغائر، قال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه إذا أنالهم فضله
لم تبق لهم سيئة وإذا وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة، وقيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه
ما رجح أحدهما على الآخر بل المؤمن كالطائر يطير بجناحين أو كما قيل قاله الشيخ زروق رضي الله عنه قلت
وحديث الرجل الذي تعد له تسع وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم تخرج له بطاقة قدر الأنملة
فيها شهادة أن لا إله إلا الله فتطيش تلك السجلات يدل على عظيم حلمه ورحمته وشمول كرمه
ومنته ولما ذكر رضي الله عنه علامة موت القلب في ترك الأعمال التي توجب حياته فقال لا عمل أرجى
للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده، قلت هكذا هي نسخة الشيخ بلفظ
القلوب وهي أوفق بالسياق إذ الكلام كله في موت القلوب وحياتها يعني أنه لا عمل أرجى لحياة القلوب
من عمل يكون بالله ولله، غائبا فيه عما سواه، غير ملاحظ فيه حظوظه وهواه، متبريا فيه من
حوله وقوته، فإذا ظهرت عليه القدرة غاب عن شهوده، وصغر في عينه صور وجوده، لما تجلى
في قلبه من عظمة مولاه، وصغر عنده كل ما سواه، فمثل هذا العمل تحيا به القلوب وتحظى
بمشاهدة علام الغيوب، وهو روح اليقين، وهو حياة قلوب العارفين، فإذا أراد الله أن يتولى
عبده كلما نقصه للعمل وصغر في عينه فلا يزال فيه بعمل الجوارح حتى ينقله إلى عمل القلوب فتستريح
الجوارح من التعب، ولا يبقى إلا شهود العظمة مع الأدب، قال النهرجوري رحمه الله من
علامة من تولاه الله في أحواله أن يشهد التقصير في إخلاصه والغفلة في أذكاره والنقصان في صدقه
والفتور في مجاهدته وقلة المراعاة في فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا إلى الله
تعالى في قصده وسيره حتى يفنى عن كل شيء دونه انتهى وإذا حيي القلب بمعرفة الله كان محلا
لتجلي الواردات الإلهية وإلى ذلك أشار بقوله إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا
قلت الوارد نور إلهي يقذفه الله في قلب من أحب من عباده وهو على ثلاثة أقسام على حسب البداية
والوسط والنهاية أو تقول على حسب الطالبين والسائرين والواصلين القسم الأول وارد الانتباه
وهو نور يخرجك من ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة وهو لأهل البداية من الطالبين فإذا انتقض

من

من نومه وانتبه من غفلته، استوى على قدمه طالبا لربه، فيقبل عليه بقلبه وقالبه، ويجمع عليه
بكليته، القسم الثاني وارد الإقبال وهو نور يقذفه الله في قلب عبده فيحركه لذكر مولاه، ويغيبه
عما سواه، فلا يزال مشتغلا بذكره، غائبا عن غيره، حتى يمتلئ القلب بالنور، ويغيب عما سوى
المذكور، فيخرج من سجن الأغيار، ويتخلص من رق الآثار، القسم الثالث وارد الوصال وهو نور
يستولي على قلب العبد ثم يستولي على ظاهره وباطنه فيخرجه من سجن نفسه، ويغيبه عن شهود
حسه، وقد أشار إلى الأول وهو وارد الانتباه بقوله إنما أورد عليك الخ أي إنما أشرق عليك نور
اليقظة والانتباه وهو الوارد لتكون بسببه واردا عليه وسائرا إليه ولو لم يرد عليك هذا الوارد
لبقيت في وطن غفلتك، نائما في سكرتك، دائما في حسرتك، ثم أشار إلى القسم الثاني وهو وارد
الإقبال فقال أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار ويحررك من رق الآثار أي إنما أورد عليك
وارد الإقبال، ليؤنسك بذكر الكبير المتعالي، فإذا اشتغلت بذكره، وغبت عن غيره، تسلمك
أي أنقذك من يد لصوص الأغيار بعد أن شدوا وثاقك بحبل هواك، وسجنوك في سجن
حظوظك ومناك، ويحررك ويعتقك أيضا من رق الآثار، بعد أن ملكتك بما ظهرت لك من
زخرف الاغترار، فإذا انفصلت من يد الأغيار أفضيت إلى شهود الأنوار، وإذا تحررت من رق
الآثار ترقيت إلى شهود الأسرار، فالأنوار أنوار الصفات، والأسرار أسرار الذات، فالأنوار
لأهل الفناء في الصفات، والأسرار لأهل الفناء في الذات ثم أشار إلى القسم الثالث وهو وارد
الوصال فقال أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك أي إنما أورد
عليك وارد الوصال، بعد أن هب عليك نفحات الإقبال، ليخرجك من سجن رؤية وجودك، إلى
فضاء اتساع شهودك لربك، فرؤيتك وجودك مانعة لك من شهود ربك إذ محال أن
تشهده وتشهد معه سواه، وجودك ذنب لا يقاس به ذنب، وأنشد الجنيد رضي الله عنه

وجودي أن أغيب عن الوجود ... بما يبدو علي من الشهود

فالفناء عن النفس هو الفناء الصعب من الفناء عن الكون وهو هدم صفات النفس وهدمها
انهدم الكون ولم يبق له أثر وقد يهدم الكون ويبقى في النفس بقية فلذلك قدم الشيخ
ذكر الأحوال، على نفي وجود الإنسان، والله تعالى أعلم ثم وصف تلك الواردات فقال
الأنوار مطايا القلوب والأسرار قلت النور نكتة تقع في قلب العبد من معنى اسم

او مجة يبصر معناها في كلية حتى يميز الحق والباطل ابصارا لا يمكنه التخلف معه عن موجبه
قال الشيخ زروق **و**المطايا جمع مطية وهي الناقة المهيئة للركوب والقلوب جمع قلب وهي
الحقيقة القابلة للمفهومات والاسرار جمع سر وهو الحقيقة القابلة للتجليات والسر اخص في
واصفا من القلب والكل اسم للروح فان الروح ما دامت متظلمة بالمعاصي والذنوب والشهوات والعيوب
سميت نفسا فاذا انزجرت وانحرفت عن افعال النفس سميت عقلا فاذا التفتت تتقلب في الغفلة والحضور
سميت قلبا فاذا اطمأنت وسكنت واستراحت من تعب البشرية سميت روحا فاذا تصفت من
غبش الحس سميت سرا لكونها صارت سرا من اسرار الله حين رجعت الى اصلها وهو يسمى
الجبروت فاذا اراد الله تعالى ان يوصل عبده الى حضرة قدسه وحمله الى محل انسه امده
بواردات الانوار كالمطايا يحمل عليها في محفة العناية مروحا عليه بنسيم الهداية
محفوفا بنفحات الرعاية فيرتحل الروح من عوالم البشرية الى عوالم الروحانية حتى تصير سرا
من اسرار الله لا يعلمها الا الله قل الروح من امر ربي **فالانوار** المتقدمة التي هي الواردات
مطايا القلوب تركبها الى حضرة علام الغيوب وهي ايضا مطايا الاسرار تحملها الى جبروت
العزيز الجبار فالسلوك هداية والجذب عناية فوارد الانتباه والاقبال حمله سلوك ووارد
الوصال حمله جذب فالانوار التي هي مطايا القلوب تحملهم على جهة السلوك الا انهم محمولون
فيه بحلاوة نور الانتباه والاقبال فصار سلوكهم كانه جذب واما الانوار التي تحملهم على مطايا
الاسرار فانها تحملهم على جهة الجذب ممزوج بسلوك فيكونون بين جذب وسلوك وهذا
الحال اعظم والله تعالى اعلم ثم بين كيفية السير على هذه المطايا وما يعوقها عن السير فقال
النور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس فاذا اراد الله ان ينصر عبده امده بجنود الانوار وقطع
عنه مدد الظلم والاغيار **قلت** الظلمة نكتة تقع من الهوى في النفس عن عوارض الوهم
فتوجب العمى عن الحق لتمكن الباطل من الحقيقة فيأخذ العبد ويذر على غير بصيرة قاله زروق **قلت**
قد تقدم ان النفس والعقل والقلب والروح والسر اسماء لمسمى واحد وهو اللطيفة الربانية
النورانية المودعة في هذا القلب الجسماني الظلماني وانما اختلفت اسماؤها باختلاف احوالها
وتنقل اطوارها ومثال ذلك كماء المطر النازل في اصل الشجر ثم يصعد في فروعها فيطلع ورقا
ثم نورا وازهارا ثم عقدة ثم ثمرة ثم ينضج حتى يتصل فالماء واحد واختلفت اسماؤه باختلاف

اطواره هكذا قال الصاحي في بغيته **وقد** نظمت في ذلك قصيدة ذكرتها في غير هذا الكتاب فعلى
هذا يكون تقاتل القلب مع النفس بالمحاربة كناية عن صعوبة انتقال الروح من وطن الظلمة التي هي
النفس الى وطن النور الذي هو القلب وما بعده فالقلب يجاذبها ليرفعها الى اصلها وهي تتقاعد
وتسفل الى ارض البشرية وشهواتها فالقلب له انوار الواردات تقويه وتنصره حتى يترقى الى
الحضرة التي هي اصله وفيها كان وطنه فكانها جنود له من حيث انه يتقوى بها وينتصر على ظلمة
النفس وهذه الانوار هي الواردات المتقدمة والنفس لما ركنت الى الشهوات واستلذتها صارت
كانها جنود لها وهي ظلمة من حيث انها حجبتها عن الحق ومنعتها من شهود شموس
العرفان فاذا هاجت النفس بجنود ظلماتها وشهواتها الى معصية او شهوة رحل
اليها القلب بجنود انواره فيلتقي فيقع بينهما القتال فاذا اراد الله عناية عبده ونصره امد قلبه بجنود
الانوار وقطع عنه من جهة النفس مدد الاغيار فيستولي النور على الظلمة وتولي النفس
منهزمة واذا اراد الله خذلان عبده امد نفسه بالاغيار وقطع عن قلبه شوارق الانوار فيبقى
المنصور بالامر على وجهه والمخذول بالشيء على عكسه **قال** الشيخ زروق رضي الله عنه وامداد
الانوار ثلاثة اولها يقين لا يخالطه شك ولا ريب الثاني علم تصحبه بصيرة وبيان الثالث
الهام يجيء معه العيان وامداد الظلم وامداد الظلم ثلاثة اولها ضعف اليقين الثاني
غلبة الجهل على النفس الثالث الشفقة على النفس وذلك كله اصله الرضى عن النفس وعدم
ومظاهر الثلاثة المترتبة عليه وهي المعاصي والشهوات والغفلات واضدادها المتقدمة
في الباب الثالث فافهم انتهى **وانما كان** النور هو جند القلب لانه يكشف عن حقائق الاشياء
فيتميز الحق من الباطل فيحق الحق ويبطل الباطل فينتصر القلب باقباله على الحق على بينة
واضحة وتنهزم النفس بانهزام جند ظلماتها اذ لا بقاء للظلمة مع وضوح النور كما اشار
الى ذلك بقوله النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار **قلت** النور
من حيث هو من شانه ان يكشف الامور ويوضحها حتى يظهر حسنها من قبيحها ومن شان البصيرة
المفتوحة ان تحكم على الحسن بحسنه وعلى القبيح بقبحه والقلب يقبل على ما ثبت حسنه ويدبر
عن ما ثبت قبحه او تقول يقبل على ما فيه نفعه ويدبر عما فيه ضرره **و**مثال ذلك رجل دخل بيتا
مظلما فيه عقارب وحيات وفيه سبائك ذهب وفضة فلا يدري ما ياخذ ولا ما يذره ولا ما فيه

نفع ولا ضر، فإذا أدخل فيه مصباحا رأى ما ينفعه وما يضره، وما يأمنه وما يحذره، كذلك قلب
المومن العاصي لا يفرق بين مرارة المعصية وحلاوة الطاعة، فإذا استضاء بنور التقوى عرف ما يضره
وما ينفعه وفرق بين الحق والباطل، قال تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أي
نورا يفرق بين الحق والباطل، وقال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس، وقال
تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، وهذا النور الذي يكشف الأمور هو نور
الواردات المتقدمة التي هي مطايا القلوب إلى علام الغيوب، أولها نور وارد الانتباه، ومن شأنه
أن يكشف ظلمة الغفلة ويظهر نور اليقظة، فتحكم البصيرة بقبح الغفلة وحسن اليقظة، فيقبل
القلب حينئذ على ذكر ربه ويدبر عما يشغله عن ربه، وهذا هو نور الطالبين، الثاني نور وارد
الإقبال ومن شأنه أن يكشف ظلمة الأغيار، ويظهر بهجة المعارف والأسرار، فتحكم البصيرة
بقبح الأغيار، وحسن الأسرار، فيقبل القلب على بهجة الأسرار، ويدبر عن ظلمة الأغيار، وهذا
هو نور السائرين، الثالث نور وارد الوصال ومن شأنه أن يكشف ظلمة الكون، ورفع
الصون، ويظهر نور تجليات المكون، فيقبل القلب على مشاهدة مولاه، ويدبر عن الالتفات إلى
ما سواه، وهذا هو نور الواصلين، وهو نور المواجهة، ونور ما قبله نور التوجه، وإن شئت
قلت هو نور الإسلام والإيمان والإحسان، فنور الإسلام يكشف ظلمة الكفر والعصيان، ويظهر
نور الانقياد والإذعان، فتحكم البصيرة بقبح الكفر والعصيان، وحسن نور الإسلام والإذعان،
فيقبل القلب على طاعة ربه، ويرضى بما يجده من ربه، ونور الإيمان يكشف ظلمة الشرك الخفي
ويظهر بهجة الإخلاص والصدق والوفاء، فتحكم البصيرة بقبح الشرك وضرره، وحسن الإخلاص
وخيره، فيقبل القلب على توحيد ربه، ويعرض عن الشرك وشره، ونور الإحسان يكشف ظلمة
السوى، ويظهر نور وجود المولى، فتحكم البصيرة بقبح ظلمة الأثر وحسن نور المؤثر، فيقبل
القلب على معرفة مولاه، ويغيب بالكلية عما سواه، وإن شئت قلت هو نور الشريعة
والطريقة والحقيقة، فنور الشريعة يكشف ظلمة البطالة والتقصير، ويظهر نور المجاهدة
والتشمير، فتحكم البصيرة بقبح البطالة، وحسن المجاهدة، فيقبل القلب على مجاهدة الجوارح
في طاعة مولاه، ويدبر عن متابعة حظوظه وهواه، ونور الطريقة يكشف ظلمة المساوي والعيوب،
ويظهر بهجة الصفا وما يثمره من علم الغيوب، فتحكم البصيرة بقبح العيوب، وحسن الصفا

وعلم

وعلم الغيوب، فيقبل القلب على ما يوجب التصفية، ويدبر عما يمنعه من التحلية والتخلية، ونور
الحقيقة يكشف ظلمة الحجاب، ويظهر له محاسن الأحباب، أو تقول نور الحقيقة يكشف لك
ظلمة الأكوان، ويظهر نور الشهود والعيان، فيقبل القلب على مشاهدة الأحباب، في داخل
الحجاب، ويدبر عما يقطعه عن الاقتراب مع الأحباب، جمعنا الله معهم على الدوام، في هذه الدار
وفي دار السلام، آمين، ولما كان أصل كل نور وسر وخير هو طاعة الله وأصل كل ظلمة وحجاب
وبعد هو معصية الله ومن علامة حياة القلب فرحه بالطاعة وحزنه على صدور المعصية نبهك
الشيخ على وجه الفرح بالطاعة التي هي سبب نور القلوب ومفاتيح الغيوب فقال لا تفرحك الطاعة
لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله إليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون، قلت قد تقدم في الحديث من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مومن
والناس في الفرح بالطاعة على ثلاثة أقسام، قسم يفرحون بها لما يرجون عليها من النعيم
ويدفعون بها من عذاب الأليم، فهم يرون صدورها من أنفسهم لأنفسهم، لم يتبرؤوا
فيها من حولهم وقوتهم، وهم من أهل قوله تعالى إياك نعبد، وقسم يفرحون بها من حيث
أنها عنوان الرضى والقبول، وسبب في القرب والوصول، فهي هدايا من الملك الكريم، ومطايا
تحملهم إلى حضرة النعيم، لا يرون لأنفسهم تركا ولا فعلا، ولا قوة ولا حولا، يرون أنهم
محمولون بالقدرة الأزلية، مصرفون عن المشيئة الأصلية، وهم من أهل قوله تعالى وإياك
نستعين، فأهل القسم الأول عبادتهم لله، وأهل القسم الثاني عبادتهم بالله، وبقدرة
الله، وبينهما فرق كبير، وقسم ثالث فرحهم بالله، دون شيء سواه، فانون عن
أنفسهم، باقون بربهم، فإن ظهرت منهم طاعة فالمنة لله، وإن ظهرت منهم معصية
اعتذروا لله، أدبا مع الله لا ينقص فرحهم إن ظهرت منهم زلة، ولا يزيد إن ظهرت منهم
طاعة أو يقظة، لأنهم بالله ولله، من أهل لا حول ولا قوة إلا بالله، وهم العارفون بالله،
فإن ظهرت منك أيها المريد طاعة أو إحسان فلا تفرح بها من حيث أنها برزت منك فتكون
مشركا بربك فإن الله تعالى غني عنك وعن طاعتك وغني أن يحتاج إلى من يطيعه سواه قال تعالى
ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين، وقال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه
عز وجل يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك

في ملك شيئاً الحديث. والفرح بها من حيث انها هدية من الله اليك تدل على انك من مظاهر كرمه وفضله
واحسانه فالفرح انما هو بفضل الله وبرحمته قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
وفضل الله هو هدايته وتوفيقه ورحمته هو اجتباؤه وتقريبه، وقيل فضل الله الاسلام ورحمته
القرآن وقيل فضل الله هداية الدين، ورحمته جنة النعيم، وقيل فضل الله توحيد الدليل والبرهان
ورحمته توحيد الشهود والعيان، وقيل غير ذلك والله تعالى اعلم ولما كان الفرح بالطاعة قد
يتوهم انه فرع رؤيتها والنظر اليها رفع ذلك بقوله قطع السائرين له والواصلين اليه عن
رؤية اعمالهم وشهود احوالهم اما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها واما
الواصلون فلانه غيبهم بشهوده عنها قلت قطع هو بمعنى غيب ولو عبر به لكان اظهر
واسهل لما في التعبير بالقطع من الشوشة وفي عبارته شيء من النقص فلو قال غيب السائرين
له عن رؤية اعمالهم واحوالهم والواصلين اليه عن رؤية وجودهم اما السائرون فلانهم لم يتحققوا
فيها بالصدق مع الله واما الواصلون فلانهم لم يشهدوا مع الله سواه يعني ان الحق تعالى
غيب السائرين له والواصلين اليه عن رؤية اعمالهم الظاهرة وشهود احوالهم الباطنية
اما السائرون فلانهم يتهمون انفسهم على الدوام فمهما صدر منهم احسان، او لاح لهم
بفطنة او وجدان، راوه في غاية الخلل والنقصان، فاستحيوا من الله ان يعتمدوا عليها،
او يفتقدوا اليها، فغابوا عن اعمالهم واحوالهم، واعتمدوا على فضل ربهم، قال المحشي وهو
لب الاخلاص وسره اذ لم يتحققوا بسر الاخلاص فيها فلم يروها ولم يركنوا اليها، سُئل
بعض العارفين ما علامة قبول العمل فقال نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية لدلالة
قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال زين العابدين كل شيء من
افعالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل انه لم يقبل لان المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت
عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول واما الواصلون فلانهم فانون عن انفسهم غائبون في شهود
معبودهم فحركاتهم وسكناتهم كلها بالله ومن الله والى الله اذ محال ان يشهدوه ويشهدوا
معه سواه، فان ظهرت عليهم طاعة او صدر منهم احسان، شهدوا في ذلك الواحد المنان،
حكي عن الواسطي رحمه الله انه لما دخل نيسابور سأل اصحاب ابي عثمان بماذا كان يامركم
شيخكم فقالوا كان يامرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية

المحضة

المحضة هلا امركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها هو قال القشيري اراد صيانتهم
عن الاعجاب ودلالتهم على الآداب فضمير قطع يعود الى الحق سبحانه والسائرين والواصلين
مفعول به واعلم ان السائرين في كلام الشيخ هم القسم الثاني الذين فرحهم بالطاعة من حيث
انها عنوان القبول ولا يلزم من الفرح بها رؤيتها اذ قد يفرح بها من حيث انها منة من الله
ويقطع رؤيته عنها من حيث اعتماده على الله، والواصلون هنا هم القسم الثالث الذين
هم فرحهم بالله دون شيء سواه، والله تعالى اعلم هذا آخر الباب السادس

ربع الكتاب

وبه انتهى ربع الكتاب وحاصلها علاج القلوب وعلامة موتها ومرضها وصحتها، واستمداد
انوارها، واتصالها وارتحالها، حتى تغيب عن شهود اعمالها واحوالها، وتفنى عن دائرة حسها
بانقطاع شهودها، وفي ذلك شرفها وعزها، وفي ضد ذلك وهو رؤية العمل
والركون اليه ذلها وهوانها ولذلك افتتح الباب السابع به فقال ما بسقت اغصان
ذل الا على بذر طمع قلت البسوق هو الطول قال تعالى والنخل باسقات اي طويلات
والبذر الزريعة والطمع تعلق القلب بما في ايدي الخلق وتشوف القلب الى غير الرب وهو اصل شجرة
الذل فما بسقت اغصان شجرة الذل الا على زريعة الطمع ولذلك قال الشيخ ابو العباس المرسي
والله ما رايت العز الا في رفع الهمة عن الخلق وانما كان الطمع هو اصل الذل لان صاحب الطمع
ترك ربا عزيزا وتعلق بعبد حقير فاحتقر مثله ترك ربا كريما وتعلق بعبد فقير فافتقر مثله
ترك رفع همته الى الغني الكريم واسقط همته الى الدني اللئيم ان الله يرزق العبد على
قدر همته وايضا كان عبد الله حرا مما سواه صار عبد المخلوق وعبد النفس وهواه
لانك مهما احببت شيئا وطمعت فيه كنت عبده ومهما ايست من شيء ورفعت همتك
عنه كنت حرا منه وفي ذلك يقول القائل ۞ ابن المطامع ان تهشمه ۞ ان لمعوا
لها فيما صلد ۞ العبد حر ما قنع ۞ والحر عبد ما طمع ۞
قال في التنوير وقد قال ابوك ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه لا احب الآفلين وكل ما سوى
الله آفل اما وجودا واما امكانا وقد قال سبحانه ملة ابيكم ابراهيم فواجب على المؤمن ان يتبع
ملة ابراهيم ومن ملة ابراهيم رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق تعرض له جبريل
عليه السلام فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى قال فسله قال حسبي من سؤالي

علم بحاله فانظر كيف رفع إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه همته عن الخلق، ووجهها إلى الملك
الحق، فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال من الله بل رأى الحق سبحانه أقرب إليه من جبريل
ومن سؤاله، فلذلك سلمه من نمرود ونكاله، وأنعم عليه بنواله وإفضاله، وخصه بوجود
إقباله، ومن ملة إبراهيم معاداة كل ما شغل عن الله، وصرف الهمة بالوداد إلى الله، لقوله
تعالى فإنهم عدو لي إلا رب العالمين، والغنا إن دلت الدلالة عليه فهو في الياس مما في أيدي
الناس، وقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه أيست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا أيئس
من نفع غيري لها، ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي، وهذا هو الكيمياء والإكسير
الذي من حصل له حصل له غنى لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وإنفاق لا نفاد له، وهو كيمياء أهل
الفهم عن الله تعالى. قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه صحبني إنسان وكان ثقيلا علي فبسطته
يوما فانبسط فقلت يا ولدي ما حاجتك ولم صحبتني، فقال يا سيدي قيل لي إنك تعلم الكيمياء
فصحبتك لأتعلم منك، فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكن أخالك
لا تقبل، فقال بل أقبل، فقلت له نظرت إلى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء
فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشيكوني بشوكة لم يردها الله بي فقطعت نظري
عنهم، ثم تعلقت بالأحباء فرأيتهم لا يستطيعون أن ينفعوني بشيء لم يرده الله بي
فقطعت يأسي منهم وتعلقت بالله تعالى، فقيل لي إنك لا تصل إلى حقيقة هذا الأمر حتى
تقطع يأسك منا كما قطعته من غيرنا أن نعطيك غير ما قسمناه لك في الأزل. وقال مرة
أخرى لما سئل عن الكيمياء فقال أخرج من قلبك واقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير
ما قسم لك، فقال له ما أطيق هذا، فقلت له ألم أقل لك إنك لم تقبل، فانصرف عني وليس بيدي
على فهم العبد كثرة علمه، ولا مداومته على ورده، إنما يدل على نوره وفهمه وغناه بربه،
وانحياشه إليه بقلبه، وتحرره من رق الطمع، وتحليه بحلية الورع، وبذلك تحسن الأعمال
وتزكو الأحوال، قال الله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا
وحسن الأعمال إنما هو الفهم عن الله، والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء بالله والاكتفاء به
والاعتماد عليه، ورفع الحوائج إليه، والدوام بين يديه، وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله
وتحققه وجود الورع من نفسك أكثر ما تحققه ما سواه، وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر

الطامع

الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره إلا الياس منهم ورفع الهمة عنهم. وقدم علي رضي
الله عنه وكرم وجهه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى وجد الحسن
البصري فقال يا فتى إني سائلك عن أمر فإن أجبتني عنه أبقيتك وإلا أقمتك كما أقمت أصحابك،
وكان قد رأى عليه سمتا وهديا، فقال الحسن سل عما شئت، فقال ما ملاك الدين قال الورع،
قال فما فساد الدين قال الطمع، قال اجلس فمثلك يتكلم على الناس. قال وسمعت شيخنا
أبا العباس المرسي رضي الله عنه يقول كنت في ابتداء أمري بالإسكندرية فجئت إلى بعض من يعرفني
واشتريت منه حاجة بنصف درهم فقلت في نفسي لعله لا يأخذه مني فهتف بي هاتف السلامة
في الدين ترك الطمع في المخلوقين. وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبدا، ألا ترى أن حروفه
كلها مجوفة الطاء والميم والعين. فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم
في شأن الرزق فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك، واسمع ما قال بعض
المشايخ أيها الرجل ما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه فكله ويحك بعز ولا
تأكله بذل انتهى. وقال أبو الحسن الوراق رحمه الله من اشتغل نفسه محبة شيء من الدنيا
فقد قتلها بسيف الطمع، ومن طمع في شيء ذل له وبذله هلك. وقال أبو بكر الوراق لو قيل
للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور، ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل، ولو قيل له
ما غايتك لقال الحرمان. وفي معنى هذا أنشدوا:

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ... واقنع بعز فإن العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... إن الغني من استغنى عن الناس

ولما كان سبب وجود الطمع هو الوهم واتبعه بذكره
فقال ما قادك شيء مثل الوهم. قلت يقال قاد الشيء يقوده جره إليه وقادت البهيمة
جررتها إليك، والوهم هو أول الخواطر وهو أضعف من الشك، والمراد هنا ما خالف اليقين
فيصدق بالظن والشك. يقول رضي الله عنه ما جرك شيء وقادك إلى الطمع في الخلق والتعلق
لهم والذلة لهم مثل الوهم، يعني أنك لما توهمت أن بيدهم نفعا أو ضرا أو عطاء
أو منعا طمعت فيهم وتذللت لهم واعتمدت عليهم وخفت منهم، ولو حصل لك اليقين
أن الأمر بيد الله وأنفسهم في قبضة الله عاجزين عن نفع أنفسهم فكيف يقدرون على نفع
غيرهم لقطعت يأسك منهم ولرفعت همتك عنهم ولتعلقت همتك برب الأرباب

ولتبدت الاحباب والاصحاب، او تقول ما فادني شيء في حضرة الشهود والعيان، الا توهمك
وجود الاكوان، ولو انهتك عنك حجاب الوهم لوقع العيان، على فقد الاعيان، ولو اشرق نور
الايقان لغطى وجود الاكوان، قال في التنوير وانما منع العباد من السلوك الى الله جواذب التعلق
بغير الله فكلما همت قلوبهم ان ترحل الى الله جذبها ذلك التعلق الى ما به تعلقت فكرت راجعة
اليه ومقبلة عليه فالحضرة محرمة على من هذا وصفه وممنوعة على من هذا نعته قال بعض العارفين
لا تطمع ان تدخل الحضرة الالهية وشيء من ورائك يجذبك وافهم هذا قوله سبحانه يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو الذي لا تعلق له بشيء دون الله تعالى وقوله
سبحانه ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة يفهم منه ايضا انه لا يصح مجيئك الى الله بالوصول
اليه الا اذا كنت فردا مما سواه وقوله سبحانه الم يجدك يتيما فآوى يفهم منه انه لا ايواء لك
اليه الا اذا صح يتمك مما سواه وقوله عليه السلام ان الله وتر يحب الوتر اي يحب القلب الذي
لا يشفع بثنوية الاثار ثم قال وقال بعضهم لو كلفت ان ارى غيره لم استطع فانه لا غير معه
حتى اشهده معه فتحصل ان الوهم حجب عن الله العوام والخواص واما خواص الخواص فلم
يحجبهم عن الله شيء، اما العوام فقادهم الى التعلق بالخلق ومنعهم من السير الى الملك الحق
فاشتغلوا بمراقبة الاحباب، وعداوة من عاداهم من الاصحاب، ففاتتهم محبة الحبيب، ومراقبة
الرقيب، واما الخواص فقادهم الوهم الى ثبوت الاثار، والوقوف مع الانوار، فقنعوا بذلك، ولم
يتشوفوا الى ما وراء ذلك، فالقناعة من الله حرمان، وليس الخبر كالعيان، وسمعت شيخنا
رضي الله عنه يقول والله ما حجب الناس عن الله الا الوهم والوهم امر عدمي لا حقيقة له، واما
خواص الخواص فلم يحجبهم عن الله شيء فقطعوا حجاب الوهم، وحصل لهم من الله العلم والفهم،
فلم يتعلقوا بشيء ولم يحجبهم عن الله شيء جعلنا الله منهم بمنه وكرمه، ولما كان الوهم ينشأ
عنه الطمع والطمع ينشأ عنه الذل والعبودية واليقين ينشأ عنه الورع والورع ينشأ عنه
العز والحرية نبه عليه بقوله انت حر مما انت منه آيس وعبد لما انت فيه طامع قلت
انما كان الانسان حرا مما ايس منه لانه لما ايس من ذلك الشيء رفع همته عنه وعلقها بالملك
الحق فلما علق همته بالملك الحق سخر الحق تعالى له سائر الخلق فكانت الاشياء كلها
عبيدا له ومسخرة لامره انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدت المكون كانت الاكوان

معك

معك فمن كان عبد الله كان حرا مما سواه وانما كان الانسان عبدا لما طمع فيه لان الطمع في الشيء
يقتضي المحبة له والخضوع والانقياد اليه فيكون عند امره ونهيه لانك حبك الشيء يعمي
ويصم وهذه حقيقة العبودية وفي هذا المعنى قيل ⁂ العبد حر ما قنع ⁂ والحر عبد ما طمع ⁂
وما اقبح الانسان الذي يريد سيده منه ان يكون مليكا وهو يريد ان يكون مملوكا ويريد سيده ان
يجعله حرا وهو يريد ان يكون عبدا لخلق ابى سيده الكون باسره يكون خادما له عند نهيه وامره
فجعل هو يخدم الكون بنفسه ويتعبد لاقل شيء واخسه، يقول المصنف في التنوير في مناجاة
الحق تعالى على السنة الهواتف انا اجللنا قدرك ايها العبد ان تشتغل بامر نفسك فلا تضع
قدرك يا من رفعناه، ولا تذلن لغيري يا من اعززناه، وكيف انت اجل عندنا من ان
تشتغل بغيرنا لحضرتنا خلقتك، والينا طلبتك، وبجواذب عنايتنا اليها جذبتك، فان اشتغلت
بنفسك حجبتك، وان اتبعت هواها طردتك، وان اخرجت عنها قربتك، وان توددت لي
باعراضك عما سواي احببتك، فتحصل ان محبة الاشياء والطمع فيها هو سبب الذل
والهوان والتعبد لسائر الاكوان وان الاياس من الاشياء ورفع الهمة عنها هو سبب العز
والحرية والتنبه على الاقران ولله در القائل حيث قال ⁂ رايت القناعة راس الغنى ⁂ فصرت
باذيالها ممتسك ⁂ فالبسني عزها حلة ⁂ يمر الزمان ولا تنهتك ⁂ فصرت
غنيا بلا درهم ⁂ اتيه على الناس تيه الملك ⁂ قلت وهذا هو الغنى الاكبر والاكسير
عند الاكياس ويسمى في اصطلاح الصوفية الورع اعني الورع الخاص وهو رفع الهمة عن السوى
قال في لطائف المنن واعلم رحمك الله ان ورع الخصوص لا يفهمه الا قليل فان من جملة ورعهم
تورعهم ان يسكنوا لغيره او يميلوا بالحب لغيره او تمتد اطماعهم بالطمع في غيره وفضله وخيره
ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والاسباب وخلع الانداد والارباب ومن ورعهم
ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى انوار التجليات ومن ورعهم
ورعهم عن ان تفتنهم الدنيا او توقفهم الاخرة تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الوقوف مع الاخرة
صفاء، قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت من بغداد اريد الموصل فانا اسير واذا بالدنيا قد
عرضت علي بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومشتهياتها فاعرضت
عنها فعرضت علي الجنة بحورها وقصورها وانهارها وثمارها فلم اشتغل بها فقيل لي يا عثمان

لو وقفت مع الاولى لحجبتك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبتك عنا فهاتان وقفتك من
الدارين بل ايتنا قال الشيخ عبد الرحمن المغربي وكان مقيما بشرقي الاسكندرية حججت سنة من السنين
فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا النداء على انك لحطام القليل عندنا فقلت في نفسي
اذا كنت لحطام القليل هاهنا فلا اعود الى الاسكندرية فخطر لي الذهاب الى اليمن فاتيت الى عدن
فانا يوما على ساحلها امشي واذا بالتجار قد اخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل قد فرش
سجادته على البحر ومشى على الماء فقلت في نفسي لو اصلح للدنيا ولا للاخرة فاذا على يقال من لا يصلح
للدنيا ولا للاخرة يصلح لنا وقال الشيخ ابو العباس الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه واجل ثوابه
فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة
والبصيرة الفائقة فهم في عموم اوقاتهم وسائر احوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يفكرون
ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون فهم بهم
العلم على حقيقة الامر فهم مجموعون في عين الجمع لا يفترقون فيما هو اعلى ولا فيما هو ادنى واما
اعلى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحيض لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن
لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنياه او مصروف بهوى وميراثه التعزز بالخلقه والاستكبار على مثله
والدالة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون
عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزد بعلمه وعمله افتقارا الى ربه واحتقارا لنفسه وتواضعا
فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين
بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم فانظر فهمك الله سبيل اوليائه
ومن عليك بمتابعة احبائه هذا الورع الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه هل كان فهمك يصل الى هذا النوع
من الورع الانزه قوله فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله
على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المتنطعين الذين
ينشؤوا عن سوء الظن وغلبة الوهم انتهى **قلت** هذا الورع الذي ذكره الشيخ هو ورع الخواص
او خواص الخواص وهو الذي يقابل الطمع كما تقدم في قول الحسن البصري صلاح الدين الورع وفساد
الدين الطمع لا ورع العوام الذي هو ترك المتشابه والحرام فانه لا يقابل الطمع كل المقابلة
وطمعه صحة اليقين وكمال التخلق بآداب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف الهم

عليه

عليه وكمال ثقة القلب به حتى لا يكون له ركون الى شيء من السوى فهذا هو الورع الذي يقابل الطمع
المفسد والذي يصلح كل عمل مقرب وحال مصعد قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الورع على وجهين
ورع في الظاهر وهو ان لا تتحرك الا لله وورع في الباطن وهو ان لا يدخل قلبك الا الله ذكر ان بعضهم
كان مرابطا على ان يرى احدا ممن هذه صفته فجعل يجتهد في طلبه ويحتال على التوصل اليه فكان
يأخذ الشيء بعد الشيء من ماله ويفرقه بين الفقراء والمساكين ويقول لمن يعطيه خذه لك
فكانوا يأخذون ولا يسمع من احد منهم جوابا مطابقا لما اراده الى ان تعرض انت يوم بغيته
وحصل على مقصوده ومبتغيه وذلك انه قال لاحد منهم خذ لك فقال في اخذه لا منك فان كان للعبد
استشراف الى الخلق او سبقية نظر اليهم قبل مجيء الرزق او بعده فمقتضى هذا الورع
والواجب في حق الادب ان لا ينيل نفسه شيئا مما يأتيه على هذه الحال عقوبة لنفسه فينظره
الى ابناء جنسه كقصة ايوب الجمال مع احمد بن حنبل رضي الله عنهما وهي معروفة وكما روي
عن الشيخ ابي مدين رضي الله عنه انه اتاه جمال بقمح فنازعته نفسه وقالت له يا ترى من اين هذا فقال
انا اعرف من اين هو يا عدوة الله وامر بعض اصحابه ان يدفعه لبعض الفقراء عقوبة لها لكونها
رات الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل ان اصل الحلال ما لم يخطر على بالي ولا سألت فيه احدا
من النساء والرجال **قال** الشيخ عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه الورع ان تتحرى ولا تنفك
الا وترى الله في الحركات والسكون فاذا رأيت الله في هبت الحركة والسكون وبقي مع الله فالحركة
ظرف لما فيها كما قال ما رأيت شيئا الا رأيت الله فيه فاذا رأيت الله فيه هبت **وقال ايضا** اجمع
العلماء ان الحلال المطلق ما اخذ من يد الله بسقوط الوسائط وهذا مقام التوكل ولهذا
قال بعضهم الحلال هو الذي لا ينسى الله فيه هذا على نقل ابن عباد رضي الله عنه **واذا اراد**
الله تعالى ان يحيي عبده ويرجعه الى هذا المقام قطع عنه زمام الوهم والجزع وحرره من
رق الطمع وقاده اليه بملاطفة الاحسان او بسلاسل الامتحان كما اشار الى ذلك بقوله
من لم يقبل على الله بملاطفة الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان **قلت** قد قسم
الله عباده ثلاثة اقسام اهل الشمال واهل اليمين والسابقون اما اهل الشمال فلا
كلام عليهم اذ لا اقبال لهم على الله اصلا واما اهل اليمين فلهم اقبال بوجه ما لا من
لا خصوصية لهم لانهم قنعوا بظاهر الشريعة ولم يلتفتوا الى سلوك طريقة ولا حقيقة

وقفوا مع الدليل والبرهان، ولم ينهضوا إلى مقام الشهود والعيان، ولا كلام معهما أيضا وأما
السابقون فقد أقبلوا على الله متوجهين إليه طالبين الوصول إلى معرفته وهم في ذلك على قسمين
قسم أقبل على الله بملاطفة إحسانه، وخفي ما يشكل من إنعامه وامتنانه، وهم أهل مقام الشكر وقسم
أقبل على الله بسلاسل الامتحان، وضروب البلايا والمحن، وهم أهل مقام الصبر فأهل المقام الأول
أقبلوا على الله طوعا وأهل المقام الثاني أقبلوا على الله كرها قال الله تعالى ولله يسجد من في السموات والأرض
طوعا وكرها قال أبو مدين رضي الله عنه سنة الله استدعاء العباد لطاعته بسعة الأرزاق
ودوام المعافات ليرجعوا إليه بنعمته فإن لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون
لأن مراده عز وجل رجوع العباد إليه طوعا أو كرها انتهى فقوم بسط الله عليهم النعم وصرف
عنهم البلايا والنقم ورزقهم الصحة وأمدهم بالأموال والعافية فأدوا حقها وقاموا بشكرها
وتشوفوا إلى معرفة المنعم بها فكانت مطية لهم على السير إليه ومعونة لهم على القدوم عليه
أخرجوها من قلوبهم وجعلوها في أيديهم وقليل ما هم قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وفي مثل
هؤلاء ورد الحديث نعمت الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر أو كما
قال عليه السلام قال بعض أصحابنا جعل عليه السلام الدنيا مطية للمؤمن حاملة له ولم يجعل
المؤمن مطية لها حتى يتكلف حملها وهذا يدل على أنها في يده يستعين بها على السير إلى ربه
لا أنها في قلبه، حتى يرتكب المشقة في طلبها والله تعالى أعلم وقوم أمدهم الله بالنعم،
وبسط لهم في المال والعافية وصرف عنهم النقم وشغلهم ذلك عن النهوض إليه ومنعهم
من السير إلى حضرته فسلب ذلك عنهم وضربهم بالبلايا والمحن، فأقبلوا على الله بسلاسل الامتحان
عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل وقد مدح الله الغني الشاكر والفقير الصابر
بمدح واحد فقال تعالى في حق سليمان عليه السلام ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب
وقال بعضهم لأن أعطى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر وكان الشيخ أبو العباس المرسي
يرجح الغني الشاكر على الفقير الصابر وهو مذهب ابن عطاء وهو مذهب أبي عبد الله الترمذي
الحكيم ويقول الشكر صفة أهل الجنة في الجنة والفقير ليس كذلك قاله في لطائف المنن والتحقيق
أن الفقير الصابر هو الغني الشاكر وبالعكس لأن الغنى إنما هو بالله فإذا استغنى القلب بالله
فصاحبه هو الغني الشاكر ولا عبرة بما في اليد فقد تكون اليد معمورة والقلب فقيرا وقد يكون

القلب

القلب غنيا بالله واليد فقيرة وقد تكون اليد معمورة والقلب مع الله غني به عما سواه قال بعض
المشايخ كان رجل بالمغرب من الزاهدين في الدنيا ومن أهل الجد والاجتهاد وكان عيشه مما
يصيده من البحر وكان الذي يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه فأراد بعض أصحاب هذا الشيخ
أن يسافر إلى بلاد من بلاد المغرب فقال له هذا الزاهد إذا دخلت على بلد كذا فاذهب إلى أخي
فلان فاقرأه مني السلام وتطلب الدعاء منه فإنه ولي من أولياء الله تعالى قال فسافرت حتى قدمت
تلك البلدة فسألت عن ذلك الرجل فدللت على دار لا تصلح إلا للملوك فتعجبت من ذلك
وطلبته فقيل لي هو عند السلطان فازداد تعجبي فبعد ساعة وإذا هو قد أتى في أفخر مركب
وملبس وكأنما هو ملك في موكبه قال فازداد تعجبي أكثر من الأولى فهممت بالرجوع وعدم الاجتماع
به ثم قلت لا يمكنني مخالفة الشيخ فاستأذنت فأذن لي فلما رأيت ما هنالك من العبيد والخدم
والشارة الحسنة فقلت له أخوك فلان يسلم عليك قال جئت من عنده فقلت نعم قال إذا رجعت
إليه فقل له إلى كم اشتغالك بالدنيا وإلى كم إقبالك عليها وإلى متى لا تنقطع رغبتك فيها
فقلت والله هذا أعجب من الأولى فلما رجعت إلى الشيخ قال لي اجتمعت بأخي فلان فقلت
نعم قال فما الذي قال لك قلت لا شيء قال لا بد أن تقوله فأعدت عليه ما قال فبكى طويلا
وقال صدق أخي فلان هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده وعلى ظاهره وأنا آخذها
من يدي وبي إليها بقايا التطلع هو من لطائف المنن للمؤلف رضي الله عنهم في أحوال الأولياء
لا تنضبط بفقر ولا غناء لأن الولاية أمر قلبي لا يعلمها إلا من خصهم بها وبالله التوفيق
ومن أقبل على الله بملاطفة إحسانه وجب عليه شكر ما أسدى إليه من لطائف كرمه وامتنانه
وإلا زالت عنه بسبب كفره وعصيانه وإلى ذلك أشار بقوله من لم يشكر النعم فقد تعرض
لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها قلت اتفقت مقالة الحكماء على
هذا المعنى وأن الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا أيضا من أعطي ولم يشكر
سلب منها ولم يشعر فمن شكر النعمة فقد قيدها بعقالها ومن كفرها فقد تعرض
لزوالها قال تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أي إن الله لا يغير ما بقوم
من النعم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الشكر وتغييرهم الشكر هو اشتغالهم بالمعاصي
والكفر ولذلك قال الجنيد رضي الله عنه الشكر ألا يعصى الله بنعمه وقيل الشكر فرح القلب

بالمنعم لاجل نعمته حتى يتعدى ذلك الى الجوارح فتنبسط بالاوامر وتنكف عن الزواجر وقال
في لطايف المنن الشكر على ثلاثة اقسام شكر اللسان وشكر الاركان وشكر الجنان فشكر اللسان
التحدث بنعم الله قال الله سبحانه واما بنعمة ربك فحدث وشكر الاركان بالعمل والطاعة لله قال
الله تعالى اعملوا آل داود شكرا وشكر الجنان بالاعتراف بان كل نعمة بك او باحد من العباد
هي من الله قال الله سبحانه وما بكم من نعمة فمن الله ومن القسم الاول قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم التحدث بالنعم شكر ومن الثالث انه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه
فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
وسئل ابو حازم رضي الله عنه ما شكر العينين فقال اذا رايت بهما خيرا اعلنته واذا رايت
بهما شرا سترته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا سمعت بهما
شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تاخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال
فما شكر البطن قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما قال فما شكر الرجلين قال ان رايت شيئا
غبطته استعملتهما وان رايت شيئا مقتته كففتهما انتهى واعلم ان الناس في الشكر
على ثلاث درجات عوام وخواص وخواص الخواص فشكر العوام على النعم فقط وشكر الخواص
على النعم والنقم وشكر خواص الخواص الغيبة في المنعم عن شهود النعم والنقم والنعم
التي يقع الشكر عليها ثلاثة اقسام دنيوية كالصحة والعافية والمال الحلال ودينية كالعلم
والعمل والتقوى والمعرفة واخروية كالثواب على العمل القليل بالعطاء الجزيل واجل النعم
الدينية التي يتاكد الشكر عليها نعمة الاسلام والايمان والمعرفة وشكرها هو اعتقادها
انها منة من الله تعالى بلا واسطة ولا حول ولا قوة قال تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه
في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ثم قال فضلا من الله ونعمة قال ابو طالب المكي
رضي الله عنه بعد كلام فلو قلب قلوبنا الى الشك والضلال كيف يقلب ابداننا في الاعمال اي شيء كنا
نصنع وعلى اي شيء نعول وباي شيء كنا نطمئن ونرجو فهذا من ايادي النعم ومعرفته هو
شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة وادعاء الايمان
انه عن كسب معقول او استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان واخاف على من توهم ذلك
ان يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الايمان كفرا انتهى قال غفل العبد عن شكر هذه النعم

قال فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين قال

ثم دامت صورتها عنده فلا يغتر فقد يكون ذلك استدراجا كما اشار الى ذلك بقوله خف من
وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه ان يكون ذلك استدراجا لك سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون الاستدراج هو كمون المحنة في عين المنة وهو ماخوذ من درج الصبي اذا اخذ في المشي
شيئا بعد شيء ومنه الدرج الذي يرتقى عليه الى العلو فكذلك المستدرج هو الذي تؤخذ منه النعمة
شيئا بعد شيء وهو لا يشعر قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي ناخذهم بالنعم
حتى نجرهم الى النقم وهم لا يشعرون قال الشيخ زروق رضي الله عنه خف ايها المريد من دوام
احسان الحق اليك بالصحة والفراغ وسعة الارزاق ودوام الامداد الحسية والمعنوية مع
دوام اساءتك معه بالغفلة والتقصير وعدم شكرك للطفه الكبير ان يكون ذلك استدراجا منه
تعالى قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه نمدهم بالنعم
وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابن عطاء الله رضي
الله عنه كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ثم
قال الحق تعالى واملي لهم اي نمدهم بالعوافي والنعم حتى ناخذهم بغتة وقال تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
اي فلما غفلوا عما ذكروا به من العقوبة والعذاب فتحنا عليهم ابواب النعم وبسطنا عليهم
الارزاق الحسية حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم وتمكنوا منها اخذناهم بالهلاك بغتة اي
فجأة فاذا هم مبلسون اي ايسون من كل خير وهكذا عادة الله في خلقه ان يرسل اليهم من يذكرهم
بالله ويدلهم على الله فاذا اعرضوا عنه وردوا عليه قوله بسط عليهم النعم الحسية حتى اذا
اطمانوا وفرحوا بها امنوا من مكر الله واخذهم بغتة ليكون ذلك اشد في العقوبة قال الشاعر
واعظم شيء حين يجيئه البغت وقال تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير
لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين فالواجب على الانسان اذا احس
بنعمة ظاهرة او باطنة حسية او معنوية ان يعرف منعمها ويبادر الى شكرها نطقا
واعتقادا وعملا فالنطق الحمد والشكر باللسان والاعتقاد شهود المنعم في النعمة واسنادها
اليه والغيبة عن الواسطة بالقلب مع شكرها باللسان من لم يشكر الناس لم يشكر الله اشكركم
للناس اشكركم لله فاذا قال له جزاك الله خيرا فقد ادى شكرها والشكر بالعمل صرفها في طاعة

الله كما تقدم فإن لم يقم بهذا الواجب خيف عليه السلب أو الاستدراج وهو أقبح **والحاصل أن الشكر**
هو الأدب مع المنعم ومن جاءت على يديه فإن أساء الأدب أُدّب وقد يؤدب في الباطن وهو لا يشعر
كما أشار إلى ذلك بقوله من جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب
لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد وقد
تقام مقام البعد وأنت لا تدري ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد **قلت** الأمور المؤكدة على المريد
الصادق أن يراعي الأدب مع الله في كل شيء ويلتزم التعظيم لكل شيء ويحفظ الحرمة في كل شيء فإن أخل
بشيء من هذه الأمور وأساء الأدب مع ربه فليبادر بالتوبة والاعتذار مع الذلة والانكسار فإن أخر التوبة
إلى وقت أخرى انقطعت عنه الإمداد واستوجب الطرد والبعاد وقد لا يشعر بذلك في الحين فيحتج
لنفسه ويقول لو كان هذا سوء أدب لانقطع عني المدد وهذا منه جهل قبيح يفضي إلى العطب
إن لم تتداركه العناية من رب الأرباب وإنما كان هذا جهلا من المريد لانتصاره لنفسه وفقد سوء
أدبه وعدم شعوره بنقصان قلبه إذ لو كان عالما بمخادع النفس لاتهمها وما انتصر لها ولو
كان عارفا بربه لشعر بنقصان قلبه فقد جمع بين جهالة وجهل فالجهالة هي سوء الأدب الذي
صدر منه والجهل هو نفي صفته عن نفسه وإنكاره أن يكون ما صدر منه سوء أدب **ومما احتج به** من
كونه لم يحس بالعقوبة ولو كان ذلك سوء أدب لأحس بقطع المدد ولأوجب الطرد والبعاد لا ينهض
فقد يقطع عنه المدد وهو لا يشعر **ومثال** ذلك الأشجار التي على الماء فإذا قطع عنها الماء
لا يظهر أثر العطش عليها إلا بعد حين فإذا طال الأمر يبس شيئا فشيئا كذلك قلب المريد
قد لا يحس بقطع المدد في القرب حتى يغرق في الوهم ويحترق بالحس فإن كانت له سابقة حسنى تاب
وأصلح ما أفسد فيرجع إليه المدد وإن لم تكن له سابقة رجع إلى وطنه وأقام في بعده نسأل الله
السلامة من سلب نعمته بعد عطائه ولو لم يكن من العقوبة إلا منع المزيد من اليقين والترقي لكان كافيا
لأن من لم يكن في الزيادة فهو في النقصان ومن كان يومه شرا من أمسه فهو في خسران وقوله في الاحتجاج
أيضا لو كان هذا سوء أدب لأوجب البعاد فقد يقام مقام البعد وهو يظن أنه في محل القرب لأن مراتب
القرب والعلو لا نهاية لها وما من مقام في القرب إلا وما بعده أعظم منه حتى يكون ذلك القرب بالنسبة
إلى ما بعده بعدا ولو لم يكن ذلك البعد إلا أن يتركك مع ما تريد لكان كافيا في الطرد والبعد إذ
ترك العبد مع هواه وشهواته من علامة الإهمال وإخراج العبد عن هواه وما يميل إليه نفسه

من

من علامة الاعتناء والإقبال فإذا اعتنى الله بعبد وأراد أن يوصله إلى حضرته شوش عليه كل ما تميل إليه
نفسه وأزعجه عنه طوعا أو كرها حتى يؤيسه من هذا العالم ولم يبق له ركون إلى شيء منه فحينئذ
يصطفيه لحضرته ويجتبيه لمحبته فليحذر المريد من نفسه أخباره ولا مع غير الله قراره **وأصل**
ذلك قضية سيدنا موسى عليه السلام لما علم الحق تعالى محبته لعصاه وركونه إليها قال له الحق
تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى أي
حوائج أخرى قال له ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى فطار عنها وقطع يأسه منها
قال له خذها ولا تخف لأنها لا تضرك حيث رجعت إليها بالله **ويقال** للفقير وما تلك بيمينك
أيها الفقير فيقول هي دنياي أعتمد عليها وأقضي منها مآربي فيقال له ألقها من يدك فإذا
هي حية تسعى كادت تلدغه وهو لا يشعر فإذا أيس منها واستأنس بالله والمحارب قيل
له خذها ولا تخف لأنك تأخذها بالله لا بنفسك والله تعالى أعلم **ومواطن** الأدب التي يخل بها
المريد فيعاقب عليها ثلاثة في أدب مع الله ورسوله وفي أدب مع الشيخ وفي أدب مع الإخوان
فأما الأدب مع الله باعتبار العوام فبامتثال أمره واجتناب نهيه ومع رسوله باتباع السنة
ومجانبة أهل البدعة فإذا قصروا في الأمر أو خالفوا في النهي عوقبوا عاجلا في الحس أو آجلا في المعنى
والحس وباعتبار الخواص مع الله بالإكثار من ذكره ومراقبة حضوره وإيثار محبته زاد الشيخ
زروق وحفظ الحدود والوفاء بالعهود والتعلق بالملك الودود والرضى بالموجود وبذل
الطاقة والمجهود هـ **ومع** رسوله صلى الله عليه وسلم بإيثار محبته والاهتداء بهديه
والتخلق بأخلاقه فإذا قصروا في ذكره أو جالت قلوبهم في غير حضرته أو مالت محبتهم إلى
شيء سواه أو قصروا في شيء مما تقدم أو طواعية عقدوها مع الله عوقبوا في الحس بالقحط
أو التعسير أو الإذاية باللسان أو في المعنى وهو أشد كقطع المدد وإيجاب الطرد والإقامة مقام
البعد **وباعتبار** خواص الخواص وهم الواصلون يكون مع الله بالتواضع معه في كل شيء
والتعظيم لكل شيء ودوام معرفته في تجليات الجلال أو الجمال أو مع اختلاف الآثار وتنقلات
الأطوار **ومع** رسوله صلى الله عليه وسلم بالتحقق بحسبه وتعظيم أمته وشهود حضوره
كما قال أبو العباس المرسي رضي الله عنه لي ثلاثون سنة ما غاب عني رسول الله صلى الله عليه
وسلم طرفة عين ولو غاب عني ما عددت نفسي من المسلمين فإذا قصر العارف فيما تقدم في حقه

أو في شيء من الآداب عوقب في الحصر أو في المعنى والغالب تبغضه في الحين فيستدرك ما فات إن الذين
اتقوا إذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وهذه جملة الآداب التي تكون مع
الله من العوام والخواص وخواص الخواص أو تقول من الطالبين والسائرين والواصلين والله تعالى أعلم
وأما الآداب التي تكون مع الشيخ فمن جمعها الى ثمانية أمور أربعة ظاهرة وأربعة باطنة
فأما الظاهرة فأولها امتثال أمره وإن ظهر له خلافه واجتناب نهيه وإن كان فيه حتفه فخطأ الشيخ
أحسن من صواب المريد وثانيها السكينة والوقار في الجلوس بين يديه فلا يجلس بين يديه
ولا يرفع صوته عليه ولا يتكلم حتى يستنطقه للكلام أو يسمع عنه في بعض الأحوال كالمبادرة (?)
فيخفض صوته برفق ولين ولا يكثر معه ولا يمد يديه ولا يتمادى معه أو في بيان منه قال شيخ شيوخنا
سيدي علي رضي الله عنه في كتابه ومن آداب المريد مع الشيخ أن لا يكثر معه ولا يتمادى معه ولا يضحك بين
يديه ولا يتمادى في رأيه ولا يجلس في موضع جلوسه ولا يتكلم في مجلس الشيخ ولو كلمة واحدة والكلام
فيه سوء الأدب أكثر من كل شيء وكل ما يشبه هذه الأوصاف يوجب عدم التعظيم والازدراء
بجانب الشيخ وذلك هو الخسران المبين والعياذ بالله من السلب بعد العطاء والطرد بعد
الاقبال قالوا اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا وقال القائل أدب العبد تذلل والعبد
لا يدع الأدب فإذا تكامل ذله نال المودة واقترب وثالثها المبادرة
الى خدمته بقدر الإمكان بنفسه أو بماله أو بقوله فخدمة الرجال سبب الوصول الى المولى
وقال سيدي عبد الله الهبطي رضي الله عنه في منظومة له في السلوك إن الخديم ظنه جميل
دل على فلاحه دليل أهل نفسه لخدمة الرجال لكي ينال من حبيبه الوصال
دل المحب فطالب القرب عزيز بن عقدة أهل الحب أتى بيوت القرب من أبوابها فجئتني له
إذا أبصرها طوبى له بشرى له استقبالها ونال خير قربة وسعادة ثم قال مقامك أعرف
أيها الخديم فإنه مقام عظيم أمسيت للمخدوم في جواره مشاركا إذا في أسراره
فلا تغتبط بسوى مقامك الرفيع فالخير كله لديك مجتمع ورابعها دوام حضور
مجلسه فإن لم يعتقد فيكثر من الوصول إليه إذ بقدر تكثير الوصول يقرب الوصول فعند الشيخ
حاجة السابقة أو الغابر ومن حاد أغفل عن السابقة أو الغابر من تخرم وانقطع الطالب الى غيره
وأيضا تكثير الوصول يدل على شدة المحبة وبقدر المحبة تكون القربة وفي هذا المعنى قال

شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه لا محب إلا بوصول ولا وصول إلا غائب لا شراب إلا مختوم
ولا مقام إلا عالي وقال شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه في كتابه أعلم أنه لا ينبغي
لطالب الوصول الى الله شيء مثل جلوسه مع عارف بالله إن وجده ثم قال الجلوس مع العارف
بالله أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام الغافلين والجلوس مع العالم
الغافل أفضل من الجلوس مع الفقير الجاهل فإن العارف بالله يجمع بين المريد ومولاه بنظرة
أو بكلمة كذلك الفقير الجاهل ربما يقطع المريد عن مولاه بنظرة أو بكلمة فافهموا وفي هذا
ويرحم سيدي المجذوب حيث يقول اجلس مع أهل الأخيار تزداد ولو تكون صافي يا
وأما الآداب الباطنية فأولها اعتقاد كماله وأنه أهل للشيخوخة والتربية لجمعه بين
الشريعة والحقيقة وبين الجذب والسلوك وأنه على قدم النبي صلى الله عليه وسلم وثانيها تعظيمه
وحفظ حرمته غائبا وحاضرا وتربية محبته في قلبه وهو دليل صدقه وبقدر التصديق يكون
التحقيق فمن لا صدق له لا سير له ولو بقي مع الشيخ ألف سنة وفي حق الله سيدي محمد الشرقي قال
من لا صدق ما عنده باش ينتفع من لا حق له ما جاب بيطار ابابا وثالثها
انتفى الى عقله ورياسته وعلمه وعمله إلا ما يرد عليه من قبل شيخه كما فعل شيخ طريقتنا
الشاذلي رضي الله عنه عند ملاقاته شيخه فهي سنة في طريقه فكل من أتى شيخه في هذه الطريقة
الشاذلية فلابد أن يغتسل من علمه وعمله قبل أن يصل الى شيخه لينال المشرب الصافي
من جرعة في الأواني ورابعها عدم الانتقال عنه الى غيره وهذا عندهم من أقبح كل
قبيح وأشنع كل شنيع وهو سبب تصويب شجرة الارادة فتنقطع شجرة الارادة لفساد
أصلها وهذا كله مع شيوخ التربية كما تقدم وأما شيوخ أهل الظاهر فلا بأس أن ينتقل
عنهم الى أهل الباطن إن وجدهم ولا يحتاج الى إذن والله تعالى أعلم وأما الآداب مع
الاخوان فأربعة أولها حفظ حرمتهم غائبا أو حاضرا فلا يغتاب أحدا ولا ينقص
أحدا فلا يقول أصحاب سيدي فلان كسالى وأصحاب سيدي فلان نقص أو فلان عارف وفلان ليس
بعارف أو فلان ضعيف وفلان قوي أو غير ذلك فهذه عين الغيبة وهي حرام بالإجماع لاسيما
في الأولياء فإن لحومهم مسمومة قاتلة كلحوم العلماء والصالحين فليحذر المريد جهده
من هذه الخصلة الذميمة وليبق من هذا الطبع فإن من الأمة من أوقع فهذا فلا يفلح

أبدا فالأولياء كالأنبياء فمن جرى بينهم حرم خيرهم وكفى نعمتهم وقد قال بعض الصوفية:
من كسره الفقراء لا يجبره الشيخ ومن كسره الشيخ فقد يجبره الفقراء وهو صحيح مجرب لأن إذايته
للواحد ليس كإذاية أولياء كثيرة ومن كسره الشيخ فقد يشفع فيه الإخوان فيجبر قلب الشيخ
بخلاف قلوب الفقراء إذا تغيرت فقليل أن تصفو على الجبر والله تعالى أعلم وثانيها نصيحتهم
بتعليم جاهلهم وإرشاد ضالهم وتقوية ضعيفهم ولو بالمشي إليه فإن فيهم أهل بدايات
ونهايات والقوي والضعيف فكل واحد يذكره بما يليق بمقامه فخاطبوا الناس بقدر ما يفهمون
كما في الحديث وثالثها التواضع لهم والاستشعار من نفسه معهم وخدمتهم بقدر
الإمكان فخديم القوم سيدهم فمن عرض له شغل لا ينفك عنه فالواجب إعانته ليتفرغ منه إلى ذكر
الله إن كان ضعيفا قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فكل ما يشغل قلب الفقير فقد وجب جهاده دونه
ورابعها شهود الصفاء فيهم واعتقاد كمالهم فلا ينقص أحدا ولو رأى منه ما يوجب النقص
في الظاهر فالمؤمن يلتمس المعاذير فيلتمس له سبعين عذرا فإن لم يزل عنه موجب نقصه فليشهده
في نفسه فالمؤمن مرآة أخيه ما كان في الناظر يظهر فيه فأهل الصفا لا يشهدون إلا الصفا وأهل
التخليط لا يشهدون إلا التخليط وأهل الكمال لا يشهدون إلا الكمال وأهل النقص لا يشهدون
إلا النقص وتقدم في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير
حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله
وسوء الظن بعباد الله وبالله التوفيق فهذه جملة الآداب التي يجب على الفقير مراعاتها
والتحقق عليها سواء كان طالبا أو سائرا أو واصلا وقد تقدم منها أول الباب الأول ثمانية في آداب
بعضها في العارف وبعضها في السائر فليراجعها فلم أجعلها ليحصل حفظها فإن الطريق
كله آداب حتى قال بعضهم اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا وقال أبو حفص الحداد رضي
الله عنه التصوف كله آداب لكل وقت آداب ولكل حال آداب ولكل مقام آداب فمن لزم الأدب
بلغ مبلغ الرجال ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب مردود من حيث يظن القبول
وقال بعضهم الزم الأدب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب في الظاهر وما أساء
أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا وقال في المباحث الأصلية ❁ فالأدب الظاهر للعيان ❁ ❁
دلالة الباطن في الإنسان ❁ وهو أيضا للفقير سند ❁ وللفقير زينة وسؤدد ❁ ❁

وقيل

❁ وقيل من لم يحترم سلطان الأدب ❁ فهو بعيد ما تدانى واقترب ❁ وقيل من فقد حسن الانقلاب ❁
❁ فلا تطمعن في الآداب ❁ فالقوم بالأدب حققوا مرادا ❁ منه استفاد القوم ما استفادوا
وقال أبو حفص السراج رحمه الله والناس في الأدب على ثلاث طبقات أهل الدنيا وأهل الدين
وأهل الخصوصية من أهل الدين فأما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في البلاغة وأخبار الملوك وأشعار
العرب وأما أهل الدين فأكثر آدابهم حفظ العلوم ورياضة النفوس وتأديب الجوارح وتهذيب
الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات واجتناب الشبهات والمسارعة إلى الخيرات وأما
أهل الخصوصية من أهل الدين فأكثر آدابهم حفظ القلوب ومراعاة الأسرار واستواء السر والعلانية
فالمريدون يتفاضلون في العلم والمتوسطون بالأدب والعارفون بالهمم انتهى ثم ما ذكره الشيخ
من لزوم الجهل للمريد مفيد بما ذكره من احتجاجه لنفسه ومدافعته عنها لأنه في هذه الحالة
صاحب جدل لتركيبه المقدمة والنتيجة وعليه يصدق قولهم ما أهم قوم الجدل إلا حرموا
العمل وأما لو اعترف بإساءته وانتصف من نفسه لم يكن في حقه جهلا ولا جهالة وقد قالوا
عدم الأدب إن كان يجر إلى الأدب فهو أدب والله تعالى أعلم ومن جملة الأدب أن لا يستحقر مقاما
أقام الحق تعالى فيه عبدا من عباده كما أشار إليه بقوله إذا رأيت عبدا أقامه الله
بوجود الأوراد وأدامه عليه مع طول الإمداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر عليه
سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد قلت ما ذكره الشيخ هنا من
مؤكدة الآداب وهو أن لا يستحقر شيئا من تجليات الحق على أي حال كانت فلا ينبغي أن ينازع
مقتديه ولا أن يضادهم ولا أن يعترض على حكمه فإذا رأيت عبدا أقامه الحق تعالى بوجود الأوراد
ككثرة صلاة وصيام وذكر وتلاوة واجتهاد وأدامه عليها مع طول الإمداد بكسر الهمزة
أي استمراره معه وهو تقويته في الباطن وصرف الشواغل والشواغب في الظاهر لأنه لم يبق
عليه في علم الأذواق وعمل القلوب فلا تستحقرن حاله وما منحه مولاه لأجل أنك لم تر عليه سيما
العارفين من السكينة والطمأنينة وراحة الجوارح والقلب بسبب هبوب نسيم الرضى والتسليم
على أرواحهم وقال الشيخ زروق سيما العارفين ثلاث أولها الإعراض عما سوى معروفهم
بكل حال وعلى كل وجه الثانية الإقبال عليه بترك الحظوظ وإقامة الحقوق الثالث الرضى
في مجاري أقداره ولا تستحقرن حاله أيضا لأجل أنك لم تر عليه بهجة المحبين وهو الفرح

عنده

بمحبوبهم والاكثار من ذكره، والقيام بشكره، والاغتباط بمحبته، والمسارعة الى محابه،
وطلب مرضاته، والخضوع لعظمته، والذلة لقهره وعزته، شعر: تذلل لمن تهوى فليس
الهوى سهل، اذا رضي المحبوب صح لك الوصل، تذلل له تحظى برؤيا جماله،
ففي وجه من تهوى الفرائض والنفل، وفيه تنشقت من دامت خدمته وانقطعت اوراده
فلولا وجود الوارد الالاهي في باطنه ما قدر على ادامة وراده فلولا الوارد ما كان ورد فالوارد
ما منه اليك والورد ما منك اليه فلولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولولا
فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا يحبهم ويحبونه ثم تاب عليهم ليتوبوا
فالعناية سابقة والهداية لاحقة والامر كله بيده وفي التحقيق، ما ثم الا سابقة التوفيق
ولا حول ولا قوة الا بالله قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اكرم المومنين وان كانوا عصاة
فاسقين وامر عليهم الحدود فهي هي رحمة بهم لا تتخذ الاهم وقال الشيخ زروق رضي الله عنه
فالمنتسب لجانب الحق يتعين احترامه مراعاة لنسبته ثم ان كان كاذبا فالامر بينه وبين من
انتسب اليه فانا امرنا باقامة حقه عليه بحيث ينبغي عليه كما نعظم كعبة الشيخ بنفسي ولده
سيده بذاته ويعود به ولا يحتقره ولا في الحسن الحرالي رحمه الله، ارحم بني جميع الخلق كلهم،
وانظر اليهم بعين اللطف والشفقة، ووقر كبيرهم وارحم صغيرهم، وراع في كل
خلق حق من خلقه، ثم ان الاقامة على دوام الاوراد وهي خدمة الجوارح من شان اهل
الخدمة وهم العباد والزهاد والانتقال منها الى عمل القلوب من شان اهل المحبة والمعرفة
وهم العارفون وكلهم عباد الله ومن اهل عنايته فلا يستحقرهم الا جاهل او مطرود حمله
من ذلك بقوله قوم اقامهم الله لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء
من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا قلت اهل الخدمة طالبون للاجور واهل
المحبة رفعت عنهم الستور، اهل الخدمة يلاحظون اجرهم من وراء الباب واهل المحبة
في مناجاة الاحباب، اهل الخدمة مسدول بينهم وبينه الحجاب، واهل المحبة
مرفوع بينهم وبينه الحجاب، اهل الخدمة من اهل الدليل والبرهان، واهل المحبة
اهل الشهود والعيان، اهل الخدمة لا تنفك عنهم الحظوظ، واهل المحبة
نصب عليهم الحظوظ، اهل الخدمة محبتهم مقسومة، واهل المحبة محبتهم

مجموعة

مجموعة، ولذلك دام ورد اهل الخدمة في خدمتهم، ونفذ المحبون الى شهود محبوبهم، فلو
تركوا الحظوظ وحصروا محبتهم في محبوب واحد لنفذوا الى محبوبهم، وشهدوه ببصر
ايقانهم واستراحوا من تعب خدمتهم، ولاكن حكمة الحكيم اقامتهم في خدمتهم فوجب
تعظيمهم في الجملة ولا يلزم منه عدم تفضيل اهل المعرفة والمحبة عليهم انظر كيف قال تعالى بعد ذلك
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فدل على تفضيل بعضهم
على بعض لاكن عبيد الملك كلهم معظمون في الجملة فلا يجب للملك ان يحتقر له عبدا من عبيده
وان كانوا متفاوتين في الرتبة والله تعالى اعلم قال ابو يزيد رضي الله عنه اطلع الله على قلوب اوليائه
فمنهم من لم يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة وقال ابو العباس
الدينوري رضي الله عنه ان لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته وله عباد لم
يستصلحهم لخدمته فاهلهم لمحبته وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الزاهد صيد الحق من
الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة، يعني ان الزاهد اصطاده الله من الدنيا فقبضه وادخله
الجنة والعارف اصطاده الحق من الجنة فادخله الحضرة اصطاده من جنة الحس وجعله في جنة
المعنى وهي جنة المعارف وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه في كتابه سبحان من
هيا اقواما لخدمته واقامهم فيها، وهيا اقواما لمحبته واقامهم فيها، اهل الخدمة تجلى
لهم الحق بصفة الجلال والهيبة فصاروا مستوحشين من الخلق قلوبهم شاخصة لما يرد
عليها من حضرة الحق قد نحلت اجسادهم واصفرت الوانهم وخمصت بطونهم وبالشوق
ذابت اكبادهم وقطعوا الدياجي بالبكاء والنحيب واستبدلوا الدنيا بالمجاهدة في الدين
ورغبوا في جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين واهل المحبة تجلى لهم الحق تعالى
بصفة الجمال والمحبة، وسكروا بخمرة لذيذ القربة، شغلهم المعبود عن ان يكونوا من العباد
ولا من الزهاد اشتغلوا بالظاهر والباطن وهو الله فحجبوا عن كل ظاهر وباطن زهدوا في التنعم
والانتعاش، واشتغلوا بمشاهدة الملك العلام، انتهى كلامه رضي الله عنه هذا اخر
الباب السابع وحاصله رفع الهمة وشكر النعمة، وشكر الادب في الخدمة، ونفوذ العبودية
بالانتقال من عمل الخدمة الى المحبة والمعرفة، واذا اراد الله تعالى ان يصطفي عبدا لمعرفته ونقله
من تعب خدمته، قوى عليه الواردات الالاهية، فجذبته الى الحضرة الربانية، وهي مواهب

لامناسب لا اتصال باعمال ولا بحيل وقال ان تلاقي الابغتة كما اشار الى ذلك بقوله في اول الباب الثامن وقال
وقال رضي الله عنه فلما تاتي الواردات الالاهية الابغتة صيانة لها ان يدعيها العباد بوجود
الاستعداد قال القشيري الوارد هو ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون للعبد فيه تعمل
والواردات اعم من الخواطر لان الخواطر تختص بنوع خطاب او ما تضمن معناه والواردات تكون وارد
سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط الى غير ذلك من المعاني وهو قريب من الحال وسيل الشيخ
عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به عن صفات الواردات الالاهية والطوارق الشيطانية فقال
الوارد الالاهي لا ياتي باستعداد ولا يذهب بسبب ولا ياتي على نمط واحد ولا في وقت واحد والطارق
الشيطاني بخلاف ذلك غالبا قلت والمراد به هنا نوع خاص وهو نفحات الاهية يهب نسيمها
على القلوب او الارواح او الاسرار فتغيب القلوب في حضرة علام الغيوب وتغيب الارواح والاسرار
في جبروت العزيز الجبار فتنبسط فرحا وسرورا وترقص شوقا وحبورا
اذا اهتزت الارواح شوقا الى اللقا ترقصت الاشباح يا جاهل المعنى
وقلما تكون الواردات الالاهية الابغتة لانها لا تنال باكتساب وانما هي منح من الكريم الوهاب
ولو كانت تنال بجد واجتهاد لاجتمعها العباد والزهاد بوجود التاهب والاستعداد فتصير
حينئذ مكاسب والاحوال والواردات انما هي مواهب يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ونحته الشيخ زروق العبادي بالتخفيف جمع عبد وهو اعم قال والحكمة في اتيانها بغتة
ثلاثة امور احدها لتعرف منة الله فيها الثاني ليقدر قدرها ويعظم الفرح بها الثالث الغيرة
عليها وتعزيزها لان ما كان من العزيز لا يكون الا عزيزا ثم ان هذه الواردات الالاهية والمواهب
الاختصاصية اسرار من الكريم الغفار لا يمنحها الا لاهل الصيانة والامانة لا لاهل الافشاء
والخيانة كما اشار الى ذلك بقوله من رايته مجيبا عن كل ما سيل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا
لكل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله قلت اما وجه جهله في كونه مجيبا عن كل ما سيل فلما
تقتضيه حاله من الاحاطة بالعلوم وقد قال تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاي جهل اعظم ممن
يعارض كلام الله ولطالبه ايضا من التكلف وقد قال تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا وما انا من المتكلفين
وقال عليه السلام انا واتقياء امتي برءاء من التكلف ولا يخلو صاحب التكلف من التصنع والتزيين
وهو من شان الجهل بالله اذ لو كان عالما به لاكتفى بعلمه ووقف عند قدره وفي بعض الاخبار عاش

من

من عرف قدره وسيل بعضهم عن العلم النافع فقال ان تعرف قدرك ولا تتعدى طورك وقال بعض
المحققين اذا اخطا العالم لا ادري اصيبت مقاتله وقال في الاحياء كان السلف الصالح يسئل
احدهم عن المسئلة الواحدة فيدفع السايل الى غيره ثم يدفعه ذلك الى اخر ثم كذلك حتى
يرجع الى الاول وكان بعضهم اذا سيل عن مسئلة يقول للسايل اذهب الى فلان فقلدها عنقه
وقد سيل مالك رحمه الله عن اثنين وثلاثين مسئلة فاجاب عن ثلاث وقال في الباقي لا ادري فقال
له السايل وما تقول للناس فقال قل لهم قال مالك لا ادري وايضا اجابة كل سايل جهل وضرر
اذ قد يكون السايل ممن لا يستحق جوابا وقد تكون المسئلة التي سال عنها لا تليق به لانه لا
يفهمها ولا يصيب معرفتها فتوقعه في الحيرة او الانكار وقد قال عليه السلام لا تؤتوا الحكمة
غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وفي ذلك يقول الشافعي ساكتم علمي
عن ذوي الجهل طاقتي ولا انثر الدر النفيس على البهم فان قدر الله الكريم بلطفه
ولاقيت اهلا للعلوم وللحكم بذلت علومي واستفدت علومهم والا فمخزون لدي
ومكتتم فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
وقال علي كرم الله وجهه حدثوا الناس بقدر ما يفهمون اتحبون ان يكذب الله ورسوله وقد
قيل للجنيد رضي الله عنه يسئلك الرجلان فتجيب هذا بخلاف ما تجيب به هذا فقال الجواب على قدر
السايل قال عليه السلام امرنا ان نخاطب الناس على قدر عقولهم وقال رجل لبعض
العلماء وقد سال عن علم فلم يجبه اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا الجم
يوم القيامة بلجام من النار فقال له العالم اترك اللجام واذهب فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمني
به واما وجه كونه معبرا عن كل ما شهده من الكرامات وما وصل اليه من المقامات وما ذاقه من
الانوار والاسرار فلان هذه الامور ذوقية واسرار باطنية ربانية لا يفهمها الا اربابها
فذكرها لمن لا يفهمها جناية وفيها جهل بقدرها وايضا هي امانة وسر من اسرار الملك وسر
الملك لا يحل افشاؤه ومن افشاه كان خاينا واستحق الطرد والعقوبة ولا يصلح ان يكون امينا بعد
ذلك فكتم الاسرار من شان الاخيار وهتك الاسرار من شان الاشرار وقد قالوا
قلوب الاحرار قبور الاسرار وقال الشافعي لا يكتم السر الا كل ذي ثقة فالسر عند
خيار الناس مكتوم وايضا فيها قلة عقلها ونفعها في الباطن معاينة هذه الاحوال

ولانوار ذات الالهية من محو الحس والمقدار المعنى او محو الشك وتقوية اليقين فاذا افشاها ضعف
اعمالها وقلت نتيجتها والخير كله في الكتمان في الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان لها او كما
قال عليه السلام ويتحقق في سلك الاحوال التي يجب كتمانها خوف عوائد النفوس ممن جرى على اخفاء نفسه
فلا يعتقد ذلك لغيره فان في ذلك دسيسة لها لانها تحب ان تذكر بالقوة والنجدة فيكون كلما قتلها
احياها في ساعة نوعه ايضا نقص الاخلاص وادخال الرياء وهو سبب الهلاك والعياذ بالله واما وجود
جهله في كونه ذاكرا للناس علوما من الحقائق والعلوم والمعارف فلانه جهل قدرها واستخف شانها فلو
كان شانها عنده رفيعة عزيزة ما افشاها لغيره اذ صاحب السر لا يبوح به والا سلبه من ساعته وانكشف
قول شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه ❀ احفر لسرك ودكه ❀ في الارض سبعين
قاما ❀ وخل الخلايق يشكوا ❀ الى يوم القيامة ❀ واذا كان الله تعالى يقول ولا توتوا
السفهاء اموالكم فكيف بالعلم الذي هو لولو مكنون قال عليه السلام ان من العلم كهيئة المكنون
لا يعرفه الا العلماء بالله فاذا اظهروه انكره اهل الغرة بالله وقال ابو هريرة رضي الله عنه حفظت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين من علم اما احدهما فبثثته في الناس واما الاخر فلو بثثته
لقطع مني هذا البلعوم ❀ ولله در زين العابدين سيدنا علي بن الحسين بن علي كرم الله وجههم حيث يقول
❀ يا رب جوهر علم لو ابوح به ❀ لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ❀ ❀ ولاستحل رجال مسلمون دمي ❀
❀ يرون اقبح ما ياتونه حسنا ❀ ❀ وقال الروذباري رحمه الله علمنا هذا اشارة فاذا صار
عبارة خفي وقال الامام الغزالي قد تضر الحقائق بافواه قوم كما تضر الجعل بالورد والمسك
قلت قد يرخص للعارف الماهر القاء الحقائق مع من لا يعرفها بعبارة رقيقة واشارة
لطيفة وغير رقيقة بحيث لا ياخذ السامع منها شيئا وقد كان الجنيد رضي الله عنه يلقي
الحقائق على روس الاشهاد فقيل له في ذلك فقال جانب العلم احمى من ان ياخذه غير اهله
او علمنا محفوظ من ان ياخذه غير اهله والله تعالى اعلم ثم ان الاجابة عن كل ما سيل والتعبير عن
كل ما شهد وذكر كل ما علم يوجب اقبال الخلق وتعظيمهم واكرامهم في هذه الدار لمن ظهرت
مزيته وجنت خدمته وفيه فوت درجات الصديقين في تلك الدار الباقية فامره بكتمها ويفتح
بعلم الله ويدخر الجزاء عليها ليوم لقاء الله وعلى ذلك نبه بقوله انما جعل الدار الاخرة محلا
لجزاء عباده المومنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد ان يعطيهم ولانه اجل اقدارهم عن

ومن شان العامة تعظيم صاحب الكرامة فيجتني ثمرة علمه وعمله في هذه الدار الدنية ويفوته

ان

ان يعطيهم ولانه اجل اقدارهم عن ان يجازيهم في دار لا بقاء لها قلت لا شك ان الله تعالى وسم
هذه الدار بدار الغرور وحكم عليها بالتحويل والتبور فهي دار دانية زايلة فانية فلذلك
سميت الدنيا اما لدنوها او لدناءتها فهي ضيقة الزمان والمكان ووسم الاخرة بدار القرار ومحل
ظهور الانوار وانكشاف الاسرار محل النظرة والحبور ودوام النعمة والسرور محل شهود
الاحباب ورفع الحجاب نعيمها دايم ووجودها على الدوام قايم فلذلك جعلها الحق
تعالى محلا لجزاء عباده المومنين ومقعد صدق للنبيين والصديقين ولم يرض سبحانه ان
يجازيهم في دار لا بقاء لها ضيقة الزمان والمكان ومحل الاكدار والاغيار والذل والهوان لانها
ضيقة لا تسع ما يريد ان يعطيهم اي لا يسع فيها ما يريد ان يكرمهم به تعالى زمانا ولا مكانا
لان ادنى اهل الجنة يعطى قدر الدنيا عشر مرات فكيف باعلاها قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولانه ايضا جل وعلا اجل اقدارهم واعظم اقدار
عباده المومنين والمقربين ان يجازيهم في دار لا بقاء لها فعمارتها خراب ووجودها سراب
وفي بعض الاخبار لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لاختار العاقل الذي يبقى
على الذي لا يبقى لا سيما والعكس فالاخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى فلا يختارها
الا من حكم الله عليه بالشقا والعنا والخزي بالخنا والزنا والبلاء الذي كانت الطين المصنوع
لبنا وهو الاجور وفي حديث في اخر الزمان السعيد من اختار باقية يدوم نعيمها على فانية
لا ينفد عذابها وقدم لما يقدم عليه مما هو الان في يده قبل ان يخلفه لمن يسعد بانفاقه وقد شقي
هو بجمعه واحتكاره ❀ وعن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول حلوا انفسكم بالطاعة والبسوها قناع المخافة واجعلوا اخرتكم لانفسكم
وسعيكم لمستقركم واعلموا انكم عن قليل راحلون والى الله سايرون ولا يغني عنكم هنالك الا صالح
عمل قدمتموه او احسن ثواب حزتموه انكم انما تقدمون على ما قدمتم وتجازون على ما اسلفتم
فلا تخدعنكم زخارف دنيا دنية عن مراتب جنات عالية فكان قد كشف القناع وارتفع
الارتياب ولقي كل امرء مستقره وعرف مثواه ومنقلبه ❀ ثم ان الجزاء في تلك الدار انما
يكون على العمل في هذه الدار بشرط كونه مقبولا وقبوله مغيب لا كن له علامات يعرف بها

هذا اشار اليها بقوله **من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول** **قلت**
ثمرة العمل هي لذة الطاعات، وحلاوة المناجات، وانس القلب بالمراقبة، وفرح الروح بالمشاهدة
والتمتع بالخلوة فقد علم كل اناس مشربهم، ودليل وجود هذه الثمرة النشاط في النهوض
اليها والاغتباط بها والمداومة عليها وزيادة المدد فيها وهي علامة حلول الهداية في القلب
قال تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وللبوصيري في همزيته فاذا حلت الهداية قلبا
نشطت للعبادة الاعضاء، فمن رايناه في زيادة الاعمال، والترقي في الاحوال، علمنا انه
وجد لعمله ثمرة، فهي بشارة على قبولها ومن رايناه انقطع عن عمله او نقص من احواله، خفنا
عليه عدم قبول اعماله ومن ثمرة العمل ايضا الاستيحاش من الخلق، والانس بالملك الحق،
ومن ثمرة العمل ايضا الاكتفاء بعلم الله، والاستغناء به عما سواه، زاد الشيخ زروق رضي الله عنه
الحيوة الطيبة، ونفوذ الكلمة، وانتفاء الحزن للفرح بالمنة، فدليل الاول قوله تعالى من عمل
صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حيوة طيبة قيل هي القناعة وقيل الرضى والتسليم والتفويض
انها المعيشة ودليل الثاني وهو نفوذ الكلمة قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض فنفوذ الكلمة هي الخلافة وقال ايضا وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا
واما الثالث وهو انتفاء الحزن فدليله في نفسه لان حلاوة العمل تنفي الحزن والغم لانها شبيهة بنعيم
الجنة قال تعالى في شان اهل الجنة وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والله تعالى اعلم وينبغي التحذير
من الوقوف مع حلاوة الطاعات وانها سموم قاتلة **ولما** ذكر ميزان مقادير الاعمال ذكر ميزان
مقادير الرجال او تقول لما ذكر ميزان العمل المقبول من المردود ذكر ميزان العامل المحبوب من
المطرود فقال **ان اردت ان تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك** **قلت** جعل الله
تعالى بحكمته خلقه على قسمين اشقياء وسعداء وجعل السعداء على قسمين اهل قرب واهل بعد
او تقول اهل يمين ومقربون وهم السابقون فان اردت ان تعرف نفسك هل انت من اهل الشقاء
او من اهل السعادة فانظر في قلبك فان كنت تصدق بوجود ربك وتوحده في ملكه وتنقاد لمن عرفك
به وهو رسوله عليه الصلاة والسلام فانت ممن سبق له الحسنى وان كنت تنكر او تتشكك في ربك او تشرك
به غيره في اعتقادك او لم تذعن لمن عرفك به فانت من اهل الشقاء **ثم** ان وجدت نفسك
من اهل السعادة واردت ان تعرف هل انت من اهل القرب او من اهل البعد فانظر فان كنت

ممن

ممن يستدل بالاثر عليه فانت من اهل البعد من اصحاب اليمين وان كنت ممن يستدل به على غيره فانت من
اهل القرب من المقربين **ثم** انك ان عرفت انك من اهل اليمين واردت ان تعرف قدرك هل انت عنده
من المكرمين او من المهانين فانظر فان كنت تمتثل امره، وتجتنب نهيه، وتسارع في مرضاته،
وتتحبب الى اوليائه واحبابه، فانت من المكرمين المعتنين وان كنت تتهاون في اوامره وتتساهل
في نواهيه، وتتكاسل عن طاعته، وتنتهك حرماته، وتعادي اولياءه، فانت والله عنده من
المهانين المحرومين المطرودين الا ان تتداركك عناية من رب العالمين وان تحققت انك من اهل القرب
وانك بلغت مقام الشهود تستدل به على غيره فلا ترى سواه فان كنت تقر بالواسطة،
وتثبت الحكمة، وتعطي كل ذي حق حقه، فانت من المقربين الكاملين وان كنت تنكر الحكمة،
وتغيب عن الواسطة فان كنت مجذوبا او مغلوبا فانت في هذا الحال ناقص وان كنت صاحيا فانت
ناقص الا ان ياخذ بيدك شيخ واصل او عارف كامل، **وهنا** ميزان اخر تعرف به نفسك
في القرب والبعد فان وجدت شيخا مربيا كشف الله لك عن انواره، واطلعك على خصايص اسراره
فانت قطعا من اهل القرب بالفعل او بالامكان لقول الشيخ رضي الله عنه سبحان من لم يجعل
الدليل على اوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه وان لم تجد
شيخا مربيا وغرك قول من قال انه انقطع وجوده فانت قطعا من اهل اليمين من عوام
المسلمين هذا الغالب والنادر لا حكم له والله تعالى اعلم في **الحديث** عنه صلى الله عليه وسلم
يقول الله تبارك وتعالى انا الله لا اله الا انا خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت
الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه **وفي حديث** اخر من اراد ان يعلم
ما له عند الله فلينظر ما لله عنده، **وفي** رواية من اراد ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف
منزلة الله تعالى من قلبه فان الله ينزل العبد حيث انزله العبد من نفسه قال الله تعالى فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية والله تعالى اعلم **ثم ذكر** ميزانا اخر
تعرف به العارفين والاغنياء الشاكرين فقال **متى رزقك الطاعة والغناء به عنها فاعلم انه
اسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة** **قلت** الطاعة في الظاهر هي رسوم الشريعة،
والغناء في الباطن هي شواهد الحقيقة، فاذا جمع لك بين الطاعة في جوارحك والغناء عنها
في باطنك فقد اسبغ عليك اي اكمل واطال عليك نعمه ظاهرة وباطنة وهذه صفة العارفين

المقربين الاغنياء بالله الفقراء مما سواه استغنوا بمعبودهم عن رؤية عباداتهم وبمعلومهم
عن علمهم وبمصلحهم عن صلاحهم فـقال الشيخ ابو الحسن بحرمة الكبير نسئلك الغنى مما سواك
والغنا بك حتى لا نشهد الا اياك فهؤلاء الاغنياء بالله الفقراء عما سواه عبادتهم بالله ولله
ومن الله فيلما بشكر النعمة واتمام الوظائف الحكمية وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم احب
العباد الى الله الاغنياء الاخفياء الاتقياء وكما قال عليه السلام وفي حديث اخر ليس الغنى
بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس هـ وهو الغنا بالله وهذه هي النعمة الحقيقية فالنعم
الظاهرة هي تزيين الجوارح بالشريعة والنعم الباطنة هي اشراق الاسرار بالحقيقة
وقيل النعم الظاهرة هي النعافية والعافية والنعم الباطنة هي الهداية والمعرفة وقيل النعم
الظاهرة راحة البدن من مخالفة امره والباطنة سلامته من منازعة حكمه وحقيقة النعمة
من حيث هي ما لا يوجب الما ولا يعقب ندما وقيل النعمة العظمى الخروج من رؤية النفس وقيل
النعمة ما وصلك بالحقائق وطهرك من العلائق وقطعك عن الخلائق وبالله التوفيق
هذا اخر الباب الثامن وحاصله تحقيق الاداب مع الواردات الالاهية لانها مواهب
اختصاصية فمراده مدد انوارها فعليه بكتمان اسرارها وليوفي جزاء ثوابها لتدار
بدوم بقاؤها فحينئذ يتحقق اخلاصه ويظهر اختصاصه فيذوق حلاوة الطاعة والايمان
ويعظم قدره عند الملك الديان فيغنيه به عما سواه ويسبغ عليه منته ومهما اغناك
به استغنيت به عن طلبه وان كان ولا بد من الطلب فاطلب منه ما هو طالبه منك كما اشار اليه
في اول الباب التاسع فقال وقال رضي الله عنه خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك قلت
والذي هو طالبه منا هي الاستقامة ظاهرا وباطنا ومرجعها الى تحقيق العبودية في الظاهر وكمال
المعرفة في الباطن او تقول الذي هو طالبه منا اصلاح الجوارح الظاهرة بالشريعة فيما برسم
الحكمة واصلاح القلوب والاسرار الباطنة بالحقيقة فيما هو شأن القدرة او تقول الذي
طلبه منا امتثال امره واجتناب نهيه والاكثار من ذكره والاستسلام لقهره فلا كمال
في حق العارف ان يستغني بعلم الله ويكتفي بسؤال الحال عن طلب المقال فان تجلى فيه وارد
الطلب فخير ما يطلبه من سيده ما هو طالبه منه وهو ما تقدم ذكره وفي بعض الاحاديث ان الله
لا يسئل الخلق عن ذاته وصفاته ولا عن قضائه وقدره ولا عن امره ونهيه قلت لان الامر

والنهي

والنهي في كسبه ومتعلقه ومعرفة الذات والصفات او الرضى والتسليم انما هو مواهب جزاء الاعمال ونتائج
الامتثال فاذا جعل امر الله نصب عينيك رزقه المعرفة به المعرفة العامة وهي معرفة الدليل فاذا اشتد
عطشه فيض له من ياخذ بيده حتى يعرف به المعرفة الخاصة وقال بعضهم اذا قرأت الحاجة
فانزلها بالله يعني من غير طلب ما لم يكن فيها حظ فتحجب عن الله انتهى وقال تعالى ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من
فضله وفضله هو الغنا به ومن دعاء الجنيد رضي الله عنه اللهم وكل سؤال سألتنا فعن امرك
لنا بالسؤال فاجعل سؤالي لك سؤال محابك ولا تجعلني ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ
منك بل تمسك للقيام بواجب حقك ثم اذا طلبت منه ما طلبه منك وهو الطاعة والاستقامة ولم
تساعدك الاقدار او منعت منها فبل ان تعمل فان لم تنهض اليها بقلبك وتاسفت عليها
بنفسك فذلك علامة الاغترار كما اشار الى ذلك بقوله الحزن على فقدان الطاعة مع عدم
النهوض اليها من علامة الاغترار قلت الحزن هو التحسر على شيء فاته لم تحصله وندمت
على تحصيله او التوجع على شيء منعت منه ولم تقدر على تحصيله فان كان حزنك على شيء منعت
منه ونهضت الى اسبابه الموصلة اليه فهو حزن الصادقين وفيه قال ابو علي الدقاق يقطع
صاحب الحزن في شهر ما لا يقطعه غيره في سنين وان لم تنهض الى اسبابه فهو حزن الكاذبين
وان كان على ما فات ونهضت الى استدراك ما يمكن استدراكه فهو حزن الصادقين وان لم تنهض
الى استدراكه فهو حزن الكاذبين وقد سمعت رابعة العدوية رضي الله عنها رجلا يقول
واحزناه فقالت قل واقلة حزناه فلو كان حزنك صادقا لم يتهيا لك ان تتنفس هـ وقال
ابو سليمان رضي الله عنه ليس البكاء بتعصير العيون انما البكاء ان تترك الامر الذي تبكي عليه
وقيل لا يغرنك بكاء الرجل فان اخوة يوسف جاءوا اباهم عشاء يبكون وقد فعلوا ما فعلوا هـ.
فالحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض الى استدراك ما فات منها والى تحصيل ما مضى
منها من علامة الاغترار اي الغرور وهو الركون الى ما لا حقيقة له فالاغترار قبول الغرار
والانقياد الى الغرور وحده عند فالحزن ينقسم على ثلاثة اقسام حزن الكاذبين والصادقين والصديقين
الطاهرين فحزن الكاذبين هو ما تقدم من عدم النهوض والاستدراك لما فات وحزن الصادقين
هو الحزن المصحوب بالجد والاجتهاد والتوسط في العمل والاقتصاد مع اغتنام ما بقي

من الاوقات، لا استدرك ما فات. وحزن الصديقين من العارفين هو الحزن على فوات الاوقات، او حصول
شيء من الغفلات، او وقوع التخيل او ركون الى الحظوظ او الشهوات، الا ان حزنهم لا يجوز لانهم لا يقفون
مع شيء، ولا يقفهم شيء، واما الواصلون فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال تعالى الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان الحزن انما يكون على فقد شيء، او فوات غرض وماذا فقد من وجد الله
وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وفي هذا المقام ينقطع البكاء اذ لا بكاء في الجنة
وقد راى الصديق رضي الله عنه قوما يبكون ويبكون فقال هكذا كنا ثم قست القلوب يعني بالقسوة
عن التفكير اذ بلوا وتستروا لان القلب في بدايته رطب يتاثر بالمواعظ وتحركه الاحوال فاذا استقى
معها وتصلب لم يتاثر بشيء، ويكون كالجبل الراسخ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
تنبيه قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من لم تطاوعه نفسه على النهوض
الى الطاعات واخلدت الى ارض الشهوات فقد وجب عليه الاولى ان يعلم منة الله عليه بالهداية
والاسلام ومحبة الايمان فيشكر الله عليها ليحصل بقاءها عنده اثناء دوام تقضي عموا بنعمة الله
في مقام الاجابة فالايام تطوى وتطوى وان اهمل هذا من الامر فبالشفقة لازمة له انتهى بالمعنى
وبالله التوفيق ثم اذا اعطاك ما طلبت من حال الاستقامة، ونهضت اليه بالاداء على ما جاءك من
الطاعة، كانت نهايتك الوصول الى الحبيب، ومناجاة القريب، هناك تكل الالسن عن العبارة،
وتنقطع الاشارة، كما ابان ذلك بقوله ما العارف من اذا اشار وجد الحق اقرب اليه من اشارته
بل العارف من لا اشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده قلت الاشارة اروح وادق
من العبارة والرمز ادق من الاشارة فالامور ثلاثة عبارات واشارات ورموز وكل واحدة ادق مما
قبلها فالعبارة توضح، والاشارة تلوح، والرمز يفرح، اي يفرح القلوب، باقبال المحبوب
وقالوا علمنا كله اشارة فاذا صار عبارة خفي، اي خفي سره فاذا صار عبارة بافصاح اللسان
لم يظهر سره على الجنان، فالاشارة الصوفية هي تغزلاتهم وتلويحاتهم بالمحبوب كذكر ليلى
وسلمى وذكر الخمرة والكيسان والتجلي وغير ذلك مما هو مذكور في اشعارهم وتغزلاتهم وكذكر
الاقمار والنجوم والشموس والبدور والطوالع واللوائح وكذكر البحار والاغراق وغير ذلك مما
هو مذكور في اصطلاحاتهم واما الرموز فهي ايماء واسرار بين المحبوب وحبيبه لا يفهمها غيرهما
ومنها في القرآن فواتح السور ومنها في الحديث كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر

اريد

اريد ان ادعوك لامر فقال وما هو يا رسول الله فقال هو ذاك فرمز لامر بينهما لا يعرفه غيرهما وقال
له ايضا يا ابا بكر اتعلم يوم يوم فبكى ابو بكر وقال نعم يا رسول الله سالتني عن يوم المقادير فهذه
رموز بين الصديق وحبيبه قال الشيخ زروق في شرح الحزب الكبير وقد حارت العقول في رموز الحكماء
فكيف بالعلماء فكيف بالانبياء فكيف بالمرسلين فكيف بما يلمع في حقائق رب العالمين هـ واما الاشارات
فيدركها اربابها من اهل الفهم والناس في ادراكها وعدمه على اقسام فمنهم من لا يفهم منها شيئا
ولا يعرف الا ظاهر العبارة وهم الجهال من عموم الناس ومنهم من يفهم المقصود ويجد الحق بعد
الاشارة اي بعد سماع الاشارة وهم اهل البداية من المريدين ومنهم من يفهم الاشارة ويجد
المشار اليه وهو الحق اقرب اليه من اشارته وهم اهل الفناء في الذات قبل التمكين ولهذا تجدهم
يتواجدون عند السماع ويتحركون وتصفو اوقاتهم وتخف ارواحهم اكثر مما يتواجدون عند
الذكر لان الاشارة فيه اكثر من العبارة بخلاف المتمكنين فقد رسخت اقدامهم واطمانت
قلوبهم وتحقق وصولهم فاستغنوا عن الاشارة والتشبيه ولذلك قيل للجنيد مالك كنت تتحرك
عند السماع وتتواجد واليوم لا نراك تتحرك بشيء، فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر
مر السحاب هـ وهذا هو العارف الذي لا اشارة له لفنائه في وجود الحق وانطوائه في شهوده او
نقول لتحقق وصوله، وتمكنه في شهوده، فصار المشير عين المشار اليه لفناء وجوده في وجود
محبوبه، وانطواء ذاته في ذات محبوبه، او نقول لزوال وهمه، وثبوت علمه، فتحققت الوحدة،
وامتحت الغيرية، رق الزجاج ورقت الخمر، فتشابها وتشاكل الامر، فكانما خمر ولا
قدح، وكانما قدح ولا خمر، فالاقداح اشباح، والخمور ارواح، او نقول لذهاب حسه،
وانطماس رسمه، فانقضت الاوقات، وسقطت العلات، وطاح مقامه في الرسوم كلها،
فلحقنا ارى الوقت قبلا ولا بعدا، فنيت به عني فبان به غيبي، فهذا ظهور الحق عند
الفنا فهذا احاط بنا التعظيم من كل جانب، وعادت صفات الحق مما يلي العبدا،
قال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه ان لله عبادا محق افعالهم بافعاله واوصافهم باوصافه
وذاتهم بذاته وحملهم من اسراره ما تعجز عنه الاولياء وقال القطب الشيخ ابن مشيش
رضي الله عنه ونفعنا به في كلامه وشراب المحبة مزج الاوصاف بالاوصاف والاخلاق بالاخلاق
والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال هـ والطلق

المزج على التبديل مناسبة للشراب وقال امام الطريقة ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه في وصف
العارف عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم باداء حقه ناظر اليه بقلبه احرقت قلبه انوار
هدايته وصفا شرابه من كاس وده فتجلى له الجبار عن استار غيبه فان تكلم فبالله وان سكت فمع
الله وان تحرك فباذن الله وان سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله ومن الله والى الله ﻫ فهذه
صفة العارف الحقيقي الراسخ المتمكن فقد كل لسانه عن التعبير واستغنى عن الاشارة والمشير
فاذا صدرت منه اشارة او تعبير فانما ذلك لفيضان وجد او هداية غيره وقد صدرت اشارة من
المتمكنين فتحمل على هذه القصة كقول الشيخ ابي العباس رضي الله عنه ۞ اعندك عن ليلى حديث
محرر ۞ فايراده يحيي الرميم وينشر ۞ فعهدي بها العهد القديم وانه ۞ على كل حال في هواها
مقصر ۞ وقد كان عنها الطيف قدما يزورني ۞ ولما يزر ما بالها تتعذر ۞ وهل خلفت حتى يطيف
خيالها ۞ ام اعتلت حتى لا يبيح التغور ۞ ومن وجهها بل طلعة الشمس تستضيء ۞ وفي الشمس
ابصار الورى تتحير ۞ وما احتجبت الا برفع حجابها ۞ ومن عجب ان الظهور تستر ۞ ۞ ۞
هكذا وجدت بخط الشيخ وكان كثيرا ما يتمثل بها قاله المصنف في لطائف المنن فقول الشيخ
ما العارف الخ اذ ليس العارف الكامل وهو الراسخ المتمكن واما السالك فيحتاج الى الاشارة ويجد
الحق اقرب اليه من الاشارة او معها وهي اعانة له وفوقه كل عبارة للمتوجهين وسيلة العبارة
فوق نهاية المستفيدين وليس لك الا ما انت له فاعل وقوله ما اذا اشار اليه او اشير له وقوله بل
العارف من لا اشارة له اذ لا يحتاج اليها في نفسه وقد يشير لاجل غيره كما تقدم وانما استغنى عن
الاشارة لان الاشارة والعبارة قوة الجائع وهو قد شبع واستغنى وتقول لان الاشارة تقتضي
البينونة والبعد وهو مجموع في قربه ولذلك قال الشيخ ابو بكر يعني رضي الله عنه ابعد هو من الله
اكثرهم اشارة اليه وقال ابن العريف في محاسنه الاشارة نداء على راس البعد وبوح بعين
العلة ﻫ اي تصريح بعين علته وهو بعده وقال الروذباري الاشارة الابانة عما يتضمنه
الوجد من المشار اليه وفي الحقيقة الاشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من الحقائق وقال
الشبلي رضي الله عنه كل اشارة اشار بها الخلق الى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق
بالحق وليس لهم الى ذلك طريق ﻫ وانما كانت مردودة عليهم لما تقتضيه من البعد والبينونة
بدليل قوله حتى يشيروا الى الحق بالحق وانما نفى الطريق الى ذلك لاستغناء الحق عن الاشارة

والمشير

65

والمشير الى الله تعالى اعلم ويحتمل ان يريد بالاشارة اشارة القلب او العبرة الى الوجود فان القلب اذا
اشار الى الكون باسره فني وتلاشى ووجد الحق اقرب اليه من اشارته لكونه كان فانيا قبل اشارته فهذا
حال السالكين واما الواصل فلا يحتاج الى الاشارة لكونه قد تحقق فناؤه وانطوى وجوده في وجود
محبوبه فلم يحتج الى الاشارة لتمكن حاله وتحقق مقامه والله تعالى اعلم وسئل ابو سعيد الاعرابي
عن الفناء فقال هو ان تبدو العظمة والاجلال على العبد فتنسيه الدنيا والاخرة والاحوال
والدرجات والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء وعن فنائه
عن الفناء لانه يغرق في التعظيم ﻫ ولما كان المطلوب من العبد القيام بوظائف العبودية
ومعرفة عظمة الربوبية تتشوف القلوب الى نيلها وطمعوا في ادراكها ورجوا بلوغ
امالهم فيها بين الشيخ علامة الرجاء الصادق من الكاذب فقال الرجاء ما قارنه عمل والا فهو
امنية قال بعض العلماء الرجاء تعلق القلب بمطموع يحصل في المستقبل مع الاخذ في العمل
المحصل له واثره منه طمع يصحبه عمل بسبب المطموع فيه لاجل تحصيله والامنية اشتهاء وتمني
لا يصحبه عمل فان كان مع الحزم والجد فهو تدبير وهو اتم فتحا قاله الشيخ زروق قلت فمن
رجا ان يدرك النعيم الحسي كالقصور والحور فعليه بالجد في الطاعات والمسارعة الى الخيرات
والا كان رجاؤه حمقا وغرورا وقد قال معروف الكرخي رضي الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب
من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق ﻫ
وقيل من زعم ان الرجاء مع الاصرار صحيح فكذلك فليزعم ان الربح مع العقم وقدح النار من
البحر صحيح ومن كان رجاؤه تحقيق العلوم وفتح مخازن الفهوم فعليه بالمدارسة والمطالعة
ومجالسة اهل العلم المحققين العاملين مع تحليته بالتقوى والورع قال تعالى واتقوا الله
ويعلمكم الله فان جعل هذا اركانا طالبا صادقا والا من رجا واطال الامال باطلا وبقي جاهلا وقد
قال بعض المحققين من اعطى كليته في العلم اخذ كليته ومن لم يعط كليته لم ياخذ بعضه ولا كليته
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم وانما الحلم بالتحلم من يطلب الخير يؤته
ومن يتق الشر يوقه ﻫ والتي تفيده التقوى انما هو فهم يوافق الاصول ويشرح الصدور
ويوسع المعقول ومن كان رجاؤه الوصول الى ذوائق المقامات وتحقيق المنازلات ومواجيد
المحبين واذواق العارفين فعليه بصحبة الفحول من الرجال اهل الفهم والحال بحضرة الله

تمواصل

وفي جمع نفسه والاخذ فيما كلفوه به من الاعمال، مع الذل والافتقار، والخضوع والانكسار، فان زعم
انه لم يجد همة في صدره في الطلب، فعسى الله كذلك في صدق الطلب، ويستغرق اوقاته في ذكر الله وليلتزم
الصمت والعزلة وليحسن ظنه بالمولى فعباد الله فان الله يفيض له من لطفه فيه، ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم قال في القواعد قاعدة طلب الشيء من وجهه وقصده من اقرب طرقه لتحصيله
وقد ثبت ارتفاع علوم الصوفية، منح الاهية، ومواهب اختصاصية، لا تنال بمعتاد الطلب
فلزم مراعاة وجه ذلك وهو ثلاث اولها العمل بما علم قدر الاستطاعة الثاني اللجأ الى الله
على قدر الهمة الثالث اطلاق النظر في المعاني حال الرجوع لاصل السنة ليحصل الفهم وينتفي
الخطأ ويتيسر الفتح وقد اشار الجنيد رحمه الله تعالى الى ذلك بقوله ما اخذنا التصوف عن
القيل والقال، والمراء والجدال، انما اخذناه عن الجوع والسهر وملازمة الاعمال او كما قال
وفي الخبر عنه عليه السلام من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم وقال ابو سليمان الداراني رضي الله
عنه اذا اعتقدت النفوس على ترك الاثام جالت في الملكوت ورجعت الى صاحبها بطرائف العلوم من
غير ان يؤدي اليها عالم علما ه فمن اراد ترك هذه الامور المتقدمة وشرع في اسبابها
وتحصيل مبادئها كان علامة على نجح مطلبه وكان رجاؤه صادقا ومن طمع فيها من غير ان ياخذ
بالجد في اسباب تحصيلها كان امنيته امنية غرور وحمقا وكان الحسن رضي الله عنه يقول يا عباد الله
اتقوا هذه الاماني فانها اودية النوكى يحلون فيها فوالله ما اتى الله عبدا بامنيته خيرا في الدنيا
والاخرة والنوكى بفتح النون جمع انوك وهو الاحمق ولما كان من رجا شيئا وطمع فيه الغالب يطلبه
بين الشيخ ما يطلبه العبد ويرجوه فقال مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية
والقيام بحقوق الربوبية قلت المطلب مصدر بمعنى المفعول او اسم مكان اي مطلوب
العارفين ومقصودهم او محل قصدهم ومحل نظرهم انما تحقق الصدق في العبودية، فحينئذ
لا تبقى فيهم بقية، اذ المكاتب عبد ما بقي عليه درهم فما دام العبد متعلقا بحظوظه فهو
محصور في هيكل ذاته، لا تنفك عنه الحظوظ اما دنيوية او اخروية، فلا تتحقق عبوديته لمعبوده
وفيه عبودية لحظوظه وهواه، فلا يكون صادقا في عبوديته، وهو مطلوب بحظ نفسه، فاذا
قال انا عبد الله، نازعته حظوظه وهواه، فلا تتحقق عبوديته لله حتى يتخلص من رق الاكوان
ويتحقق بمقام الاحرار من اهل العرفان، فحينئذ يكون عبدا لله، حرا مما سواه، قال الله

تعالى

تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان
مثلا، لا يستويان ابدا اذ العبد الخالص لسيد واحد يكون احظى واعز واقرب من العبد المشترك
كذلك العبد الخالص لله احظى بمحبة مولاه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس وخاب
وخسر عبد الدينار والدرهم والخميصة اذا اعطي رضي واذا لم يعط سخط تعس وانتكس واذا
شيك فلا انتقش اي اذا اصابته شوكة فلا قدر على اخراجها منه بالنقش عليها وهو دعاء على من
حظه هواه بالتنكيس وعدم الخروج مما يقع فيه وقال ابو سليمان الداراني اشتان بين من
همه الحور والقصور، وبين من همه الحضور، ورفع الستور ه ولاجل هذا كان مطلب العارفين
انما هو التحقق بالعبودية لمولاهم، بالتخلص من رق هواهم، والقيام بوظائف الربوبية بالادب
والتعظيم والاجلال لمولاهم، وهما متلازمان فمهما تحقق الصدق في العبودية، اتصل القيام
بوظائف الربوبية فان النفس اذا ماتت بترك حظوظها حييت الروح واذا حييت الروح عرفت
واذا عرفت ذعنت وخضعت لهيبة الجلال وهذا هو القيام بحقوق الربوبية وهو مراد العارفين
ومقصود السائرين ومحط نظر القاصدين والطالبين قيل لبعضهم ما مراد العارف
قال مراد معروفه ه اي لا يريد الا ما اراد سيده، ولا يقضي الا ما يقضيه عليه مولاه وقيل لبعضهم
ما تشتهي قال ما يقضي الله فيه فبهذا يتحقق للعارف فناؤه، ويتحقق فناؤه يتحقق بقاؤه، وانشدوا
لو قيل ما تتمنى والعبد يعطى مناه لقلت منية قلبي بقاؤه مع مولاه
والله تعالى اعلم فلذا كان مطلب العبد من مولاه ما هو طالبه منه من استقامة ظاهره بالنهوض الى
كمال الطاعات، والتحري على ما سلف من الغفلات، واستقامة باطنه بمعرفة معبوده، والفناء
في شهوده، فيكون ظاهره قائما بوظائف العبودية، وباطنه متحققا بحقوق الربوبية،
ثم امر باجابة المطلب، وحصول المنى والارب، ففرح قلبه، وانبسطت روحه، حيث تنسمت
نسيم الاقبال، وروح الوصال، فربما يقبضها البسط عن شهود مولاها فيخرجها منه الى
القبض ثم يردها عنها اليه كما اشار الشيخ الى ذلك بقوله بسطك كي لا يبقيك مع القبض
وقبضك كي لا يتركك مع البسط واخرجك عنهما كي لا تكون لشيء دونه قلت
البسط والفرح يعتري القلوب او الارواح اما بسبب شهود قرب الحبيب او شهود جماله او
بكشف الحجاب عن اوصاف كماله وتجلي ذاته او بغير سبب والقبض حزن وضيق يعتري القلب

اما بسبب فوت مرغوب او عدم حصول مطلوب او بغير سبب وهما يتعاقبان على السالك تعاقب الليل
والنهار فالعوام اذا غلب عليهم الخوف انقبضوا واذا غلب عليهم الرجاء انبسطوا والخواص اذا
اذا تجلى لهم بوصف الجمال انبسطوا واذا تجلى بوصف الجلال انقبضوا وخواص الخواص استوى عندهم
الجلال والجمال فلا تغيرهم واردات الاحوال لانهم بالله ولله لا لشيء سواه فلا لون فلكنهم
الاحوال وخواص الخواص مالكون للاحوال وقد تبين لك ايها السالك اخرجك من الاغيار
ودفعك الى حضرة الاسرار فاذا اخذك القبض وتمكن منك الخوف وسكنت تحت قهره وانست
بامره اخرجك الى البسط لئلا يحتوي قلبك ويذوب جسمك فاذا حبسك البسط وفرحت به
وانست بجماله قبضك لئلا يتركك مع البسط فتنسى الادب وتجر الى العطب اذ لا يقف مع
الاداب في البسط الا القليل هكذا يسيرك في شهود جلاله وجماله فاذا شهدت اثر وصف الجلال
انقبضت واذا شهدت اثر وصف الجمال انبسطت ثم يفتح لك الباب ويرفع بينك وبينه الحجاب
فتتنزه في جمال الذات وشهود الصفات فتغيب عن اثر الجلال والجمال في شهود الكبير المتعال
فلا جلاله يحجبك عن جماله ولا جماله يحجبك عن جلاله ولا ذاته تحجبك عن صفاته ولا صفاته
تحجبك عن ذاته فتشهد جماله في جلاله وجلاله في جماله وتشهد ذاته في صفاته وصفاته
في ذاته اخرجك عن شهود اثر الجلال والجمال لتكون عبد الله في كل حال اخرجك عن كل شيء لتكون
حرا من كل شيء وعبد الله في كل شيء وانشدوا
جاء على من وحد الله ربه ... وافرده
ان يجتني احدا رودا ... فيا صاحبي فعش الحرو فعش ... اموت بها وجدا واحيا بها وجدا
وفر الملوك الارض تجهد جهدها ... فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى ... قال
فان قيل رضي الله عنه القبض اولا ثم البسط ثانيا ثم لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط يقعان في الوجود
واما مع الفنا والبقا فلا هـ **واعلم** ان القبض والبسط لهما آداب فاذا اسات فيهما الادب طرحت الى
الباب او الى سياسة الدواب فمن اداب القبض الصبر تحت مجاري الاقدار
والرجوع الى الواحد القهار فان القبض شبيه بالليل والبسط شبيه بالنهار ومن شان الليل الرقاد
والهدوء والسكون والخنوع فاصبر ايها المريد واسكن تحت ظلمة ليل القبض حتى تشرق عليك شمس
نهار البسط اذ لابد لليل من تعاقب النهار ولابد للنهار من تعاقب الليل يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل هذا في اداب القبض الذي لا يعرف له سبب واما ان عرفت له سببا فارجع فيه الى مسبب

الاسباب

الاسباب ولذ بجناب الكريم الوهاب فهل عودك الا حسنا وهل اسدى اليك الا امتنانا فالذي واجهتك
منه الاقدار هو الذي عودك حسن الاختيار فالذي انزل الداء هو الذي يبدي الشفاء فلا هموم فليبسط
لو الغيبة الا الله استخرجت فلا تجد في القلوب من الاحزان فلا اجل له منفعة من الشهود والعيان **والحاصل**
ان سبب القبض انما هو الشكر لغيره والغفلة عن المولى واما اهل الصفا فلا يشهدون الا الصفا
ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول من اصابه هم او غم فليقل الله الله لا اشرك به شيئا فان الله
يذهب همه وغمه او كما قال عليه السلام والحديث صحيح فانظر كيف دل عليه السلام المقبوض الى الدواء
وهو شهود التوحيد والغيبة عن الشرك فدلنا صلى الله عليه وسلم على القول والمراد منه المعنى
فكانه قال اشهدوا الله وحده يتقلب قبضكم بسطا وتغمكم نعمة وكذلك في حديث اخر قال اما قال
احد اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضائك اسالك
بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم
الغيب عندك ان تجعل القران العظيم ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي الا اذهب الله
همه وغمه وابدل مكان همه فرجا وسرورا فدلهم اولا في الحديث الاول على شهود الربوبية وفي الحديث
الثاني على القيام بوظايف العبودية وهو الصبر والرضى اذ من شان العبد ان يصبر على احكام سيده
ويرضى ويسلم لما يجري به عليه من اوصاف قهره ومن اداب البسط كف الجوارح عن الطغيان وخصوصا
جارحة اللسان فان النفس اذا فرحت بطرت وخفت ونشطت فربما تنطق بكلمة لا تلقي لها بالا
تسقط في مهاوي القطيعة بسبب سوء ادبها ولذلك كان البسط مزلة اقدام فاذا احس المريد
بالبسط فليلجم نفسه بلجام الصمت وليتحل بحلية السكينة والوقار وليدخل خلوته وليلتزم بيته
فمثل العبد في حالة البسط والقوة كعبد رغد وغار فان تركه بفعل اهرق اداءه وبغى شلاحه
واركبه واضعه ثاره بغى اداءه تلاه كذلك العبد في حالة الغرة والبسط يجري نوره فوقا وقلبه مجموعا
فاذا تحرك وبطش وتتبع قوته في رجع لضعفه وما ذلك الا لسوء ادبه والله تعالى اعلم **ولاجل**
هذا كان العارفون يخافون من البسط اكثر من القبض كما نبه عليه بقوله **العارفون اذا بسطوا
اخوف منهم اذا قبضوا** **قلت** كل من فتح عليه في شهود المعاني فهو عارف فان تمكن من
شهود المعنى على الدوام فهو واصل متمكن والا فهو سائر وانما كان العارف اذا انبسط اخوف منه
اذا انقبض لان القبض من شانه ان يقبض النفس عن حظوظها ومن شانه ايضا السكون والسكون معه

ادب ومن شأن البسط ان يبسط النفس وينشطها فربما تبطش لما فيه حظها فتقدم بعد ثبوتها
بسبب قلة في ادبها ولذلك قال ولا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل قلت وهم اهل
الطمأنينة والتمكين لانهم كالجبال الرواسي لا يخرجهم قبض ولا بسط فهم مالكون للاحوال لا يخرجهم القبض
ولا البسط عن حالة الاعتدال بخلاف السائرين وان كانوا عارفين فانهم ربما تؤثر فيهم الواردات
فيرد عليهم وارد البسط فيخرجهم عن حد الادب وقد قيل قف على البساط واياك والانبساط
وقال رجل لابي محمد الجريري رضي الله عنه كنت على بساط الانس وفتح علي طريق البسط فزللت
زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل اليه دلني على الوصول الى ما كنت عليه فبكى ابو محمد وقال يا اخي
الكل في قهر هذه الخطة لكني انشدك ابياتا لبعضهم وانشأ يقول ٢ قف بالديار فهذه
آثارهم ٢ تبكي الاحبة حسرة وتشوقا ٢ كم قد وقفت بربعها مستخبرا ٢ عن اهلها او سائلا
او مشفقا ٢ فاجابني داعي الهوى في رسمها ٢ فارقت من تهوى فعز الملتقى ٢ ٢ ثم علل
عدم الوقوف على حدود الادب في البسط فقال البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح
والقبض لا حظ للنفس فيه قلت لان البسط جمالي والقبض جلالي ومن شأن الجمال ان يأتي
بكل جمالي وان هو الجمال ثم هو عين الجلال ان هو حبيبك ثم هو عدوك ان هو الربح ثم هو
الخسارة ومعنى ذلك ان الموضع الذي يلائم النفس ويليق بها ثم هو خسارة القلب وحجاب
الروح لان الموضع الذي تحيا به النفس يموت فيه القلب والموضع الذي تموت فيه النفس يحيا به
القلب والروح ولذلك قال ابن الفارض رضي الله عنه ٢ الموت فيه حياتي ٢ وفي حياتي قتلي ٢ ٢
وقال الششتري رضي الله عنه ٢ ان ترد وصلنا فموتك شرط ٢ لا ينال الوصال من فيه فضله ٢ ٢
وكتب يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله الى الجنيد رضي الله عنهما لا اذاقك الله طعم نفسك فانك
ان ذقتها لا تذوق بعدها خيرا ابدا وقال ابو علي الدقاق رضي الله عنه القبض حق الحق منك
والبسط حظك منه ولان تكون بحق ربك اولى من ان تكون بحظ نفسك هو هذا كله في حق السائرين
واما الواصلون المتمكنون فلا يؤثر فيهم جلال ولا جمال ولا يخرجهم قبض ولا بسط لما تقدم
لانهم بالله ولله ومن الله والى الله بالله نطقهم ولله عبوديتهم ومن الله ورودهم
والى الله صدورهم لانهم لله لا لشيء دونه قال الجنيد رضي الله عنه الخوف يقبضني والرجاء
يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني فاذا قبضني بالخوف افناني عني واذا بسطني بالرجاء ردني

علي

وسئل بعض المشايخ عن تلك الزلة فقال انبساطه مع الحق بغير ادب

فقف على مقالة الجنيد

علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني واذا فرقني بالحق اشهدني غيره فغطاني عنه فهو في كل ذلك محركي غير
مسكني وموحشي غير مؤنسي بحضوري لذوق طعم وجودي فليته افناني عني فمتعني او غيبني عني فروحني
قوله رضي الله عنه الخوف يقبضني لان العبد في حالة الخوف يشهد ما منه الى الله من الاساءة فينغلق له باب
الحزن وفي حالة الرجاء يشهد ما من الله اليه من الاحسان فينفتح له ابواب الرجاء والبسط وقوله
والحقيقة تجمعني اي تغيبني عن نفسي وتجمعني به فلا تشهد الا ما من الله الى الله فلا قبض ولا بسط
وقوله والحق يفرقني المراد بالحق الحقوق اللازمة للعبودية فلا ينهض اليها الا بشهود نوع من الفرق
وان كان نهوضه بالله وقوله اذا قبضني بالخوف افناني عني اي اذا تجلى لي باسمه الجليل ذاب جسمي
من هيبة التجلي واذا بسطني بالرجاء بان تجلى لي باسمه الجميل او الرحيم رد نفسي ووجودي علي واذا
جمعني اليه بشهود الحقيقة احضرني معه بزوال وهمي واذا فرقني بالحق الذي اوجبه علي للقيام
بوظائف حكمته اشهدني غيره حتى يتضح الادب مني معه وقد يقوى الشهود فلا يشهد
الادب الا منه اليه وقوله فغطاني عنه لان العبد في حالة النزول الى سماء الحقوق وارض الحظوظ
فهو يرجع لمقام المراقبة لكنه غير لازم وضيائه لصولة بارق لوائح ذلك بالله ومن الله والى الله فعلى
هذا فلا تغطية للعبد في حالة النزول للحظوظ وقوله فهو في ذلك محركي غير مسكني يعني ان
الحق تعالى حين يقبضه بالخوف او يبسطه بالرجاء او يجمعه بالحقيقة او يفرقه بالحق هو
محرك له ليسيره اليه ويوحشه اليه غير مسكن له في مقام واحد وموحشه عن عوالم نفسه
غير مؤنس له بها بسبب حضوره مع عوالم البشرية فيذوق طعم وجوده فاذا غيبه عنه
عرف قدر ما من به عليه ولذلك قال فليته افناني عني عن رؤيته ووجودي فمتعني بشهوده او
غيبني عن نفسي فروحني من الحقوق التي تفرقني عنه باسقاطها عني في حالة الغيبة وكأنه
مال الى طلب السلامة خوفا من الوقوع فيما يوجب الملامة وان كان الكمال هو الجمع بين
العبودية وشهود الربوبية والله تعالى اعلم ثم ذكر اسباب البسط والقبض وهما ال
العطاء والمنع فقال ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك قلت
الغالب على النفس الامارة او اللوامة ان تنبسط بالعطاء وتنقبض بالمنع لان في العطاء
منفعتها وشهوتها فلا جرم انها تنبسط بذلك وفي المنع قطع موادها وترك
حظوظها فلا شك انها تنقبض بذلك وذلك لجهلها بربها وعدم فهمها فلو فهمت

عن الله لعلمت ان المنع عين العطاء والعطاء عين المنع كما يأتي فافهم ايها الفقير عن مولاك
ولا تتهمه فيما به اولاك • فربما اعطاك ما تشتهيه النفوس فمنعك بذلك من حضرة القدوس •
وربما منعك ما تشتهيه نفسك فيتنور بذلك حضورك وانسك • ربما اعطاك متعة الدنيا
وزهرتها • فمنعك جمال الحضرة وبهجتها وربما منعك زينة الدنيا وبهجتها • فاعطاك
شهود الحضرة ونزهتها ربما اعطاك قوت الاشباح • فمنعك قوت الارواح وربما منعك
من قوت الاشباح • فمتعك بقوت الارواح ربما اعطاك اقبال الخلق • فمنعك من اقبال الحق •
وربما منعك من اقبال الخلق • فاعطاك الانس بلطف الحق ربما اعطاك العلوم • وفتح لك
مخازن الفهوم فحجبك بذلك عن شهود المعلوم • ومعرفة الحي القيوم • وربما منعك من كثرة
العلوم فاعطاك الانس بالحي القيوم • فاحطت بكل مجهول ومعلوم • وربما اعطاك عز الدنيا •
ومنعك عز الآخرة وربما منعك من عز الدنيا • واعطاك عز الآخرة ربما اعطاك التعزز
بالخلق • ومنعك من التعزز بالحق وربما منعك من التعزز بالخلق • واعطاك التعزز بالملك
الحق • ربما اعطاك خدمة الكون • فمنعك من شهود المكون وربما منعك من خدمة الكون
واعطاك شهود المكون ربما اعطاك التصرف في الملك • ومنعك دخول الملكوت • وربما
منعك من التصرف في الملك • ومتعك بشهود الملكوت ربما اعطاك انوار الملكوت • فمنعك
الترقي الى الجبروت • وربما حجب عنك انوار الملكوت • فاعطاك الدخول الى حضرة الجبروت •
ربما اعطاك القطبانية • ومنعك التمتع بشهود الوحدانية وربما منعك القطبانية •
ومتعك بشهود سر الوحدانية • الى غير ذلك مما لا يحصيه الا علام الغيوب قال ابن العربي
الحاتمي اذا منعت فذاك عطاؤه • واذا اعطيت فذاك منعه فاختر الترك على الاخذ وشاهده
قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم الآية فاذا فهمت هذا علمت ان المنع هو العطاء
كما نبه بقوله متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطاء قلت
اذا فهمت ايها العبد عن الله بعد تحققك في رحمته ورأفته وكرمه وجوده وقوة قدرته •
واحاطة علمه • علمت انك اذا سألته شيئا او هممت بشيء او احببت الى شيء فمنعك منه
فانما منعك ذلك رحمة بك • واحسانا اليك • اذ لم يمنعك من بخل ولا عجز ولا جهل ولا غفلة
وانما ذلك حسن نظر اليك • وانعاما تنعمه عليك • لكونه اتم نظرا واحمد عاقبة فعسى

ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون
فربما دبرنا امرا ظننا انه لنا فكان علينا وربما اتت الفوائد • من وجوه الشدائد • والشدائد من
وجوه الفوائد وربما كمنت المنن في المحن والمحن في المنن وربما انتفعنا على ايدي الاعداء ••
واوذينا على ايدي الاحباء • وربما اتت المضار • من حيث المسار • وقد تأتي المسار من حيث المضار •
ولابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في حزبه اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن انفسنا من حيث
نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم فمتى فتح لك ايها المريد
باب الفهم عنه في المنع وعلمت ما فيه من السر والخير وحسن النظر لك عاد المنع في حقك هو
عين العطاء ومثال ذلك كصبي رأى طعاما حسنا او حلوا او عسلا وفيه سم وابوه عالم
بما فيه فكلما يشتهيه الصبي لذلك الطعام رده ابوه فالصبي يبكي عليه لعدم علمه وابوه في راحة
بالفهم لوجود علمه ولو عقل الصبي ما فيه ما يشتهيه لعلم نصح ابيه وشدة رأفته به ومثال
آخر رجل صنع طعاما جيدا او عمل فيه بصاقا او مخاطا او قذرا واتى به لمن لا يعرفه فكل من
رءاه ولم يعرف ما فيه يشتهيه نفسه اليه فلو علم ما فيه ما اشتهت نفسه فاذا نهاه من
علم ما فيه اتهمه لعدم فهمه كذلك العبد يشتهي الدنيا او الرياسة او غير ذلك مما فيه ضرره
فيمنعه الحق تعالى منه رحمة به وشفقة عليه واعتناء به فاذا فهم عن الله • سلم الامر الى مولاه •
ولم يتهمه فيما ابرمه وقضاه • واذا لم يفهم عن الله تحسر وربما تسخط فاذا انكشف له سر ذلك
بعد علم ما كان في ذلك من الخير لا كون فانه درجة الصبر لقوله عليه السلام انما الصبر عند الصدمة
الاولى وانظر قضية الرجل الذي يسكن البادية وكان من العارفين فاتفق له ذات يوم ان مات حماره
وكلبه وديكه فاتى اليه اهله فقالوا له خير مات الحمار مات حمارنا فقال خير ثم قالوا له مات
الكلب فقال خير ثم قالوا له مات الديك فقال خير فغضب اهل الدار وقالوا اي خير في هذا متاعنا
ذاهب ونحن ننظر فاتفق ان بعض العرب ضربوا على ذلك الحي في تلك الليلة فاجتاحوا كل
ما فيه وكانوا يستدلون على الخيام بنهيق الحمار ونباح الكلاب وصراخ الديكة فبقيت خيمته
سالمة اذ لم يكن بها من يفضحها فانظر كيف كان حسن نظر الحق لاوليائه وحسن تدبيره لهم
وكيف فهم الرجل العارف ما في ذلك من السر من اول مرة فهذا هو الفهم عن الله رزقنا الله من
ذلك الحظ الاوفى امين قال الشيخ رضي الله عنه الصوفية العمال في حق الحق تعالى لا يعني

انه يتولى حفظهم وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم ولا يكلهم الى انفسهم والله تعالى اعلم
وسبب حجب العبد عن الله هو الوقوف مع ظواهر الاشياء دون النظر الى بواطنها كما ابان ذلك
بقوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة قلت الغرة بكسر الغين وقوع الغرور وانما
كانت الاكوان ظاهرها غرة لوجهين احدهما ما جعل الله سبحانه على ظاهرها من البهجة
وحسن المنظر وما تشتهيه النفوس من انواع المآكل والمشارب والملابس والمراكب وشهوة المناكح
والمساكن والبساتين والرياضات وكثرة الاموال والبنين وكثرة الاصحاب والعشائر او الاجناد
والعساكر او غير ذلك من بهجتها وزهرتها وزخرفها فانكب جل الناس على الاشتغال بجمعها
وتحصيلها واجروا عليها الليل والنهار والشهور والاعوام حتى هجم عليهم هادم اللذات فاعقبهم
الندم والحسرات ولم ينفع الندم وقد فات الفلاح فسافروا بلا زاد وقدموا على الملك بلا اهبة
ولا استعداد فاستوجبوا من الله الطرد والبعاد ولاجل هذا حذر الله سبحانه من غرورها وزخرفها
والوقوف مع ظاهرها قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية ثم قال قل أونبئكم
بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من
الله والله بصير بالعباد وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا لنختبرهم
ايهم ازهد فيها وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اولياء الله الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها واهتموا
بآجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا
ان سيتركهم فما عارضهم من نائلها عارض الا رفضوه ولا خادعهم من رفعتها خادع الا وضعوه
خلقت الدنيا في قلوبهم فما يجددونها وخربت بيوتهم فما يعمرونها وماتت في صدورهم
فما يحيونها بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ونظروا
الى اهلها صرعى قد حلت بهم المثلات فما يرون امانا دون ما يرجون ولا خوفا دون ما يحذرون ه
وقال سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه فيما كتبه الى سلمان الفارسي رضي الله عنه انما مثل الدنيا
كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك
همومها لما تيقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما

اطمان

اطمأن فيها الى سرور اشخصته منها الى مكروه ه وقد جعل الحق سبحانه هذه الاكوان وهي الدنيا وما
اشتملت عليه ظاهرها فتنة وباطنها عبرة فمن وقف مع ظاهرها كان مغرورا ومن نفذ الى باطنها كان
عند الله مبرورا فاهل الغفلة والبطالة وقفوا مع متعة عاجلها وبهجة ظاهرها فغرتهم بزخرفها
وخدعتهم بغرورها حتى اخذتهم بغتة واهل اليقظة والحزم نفذوا الى باطنها فعرفوا سرعة
ذهابها وقلة بقائها فاشتغلوا بجمع الزاد وتاهبوا ليوم المعاد اولئك الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون وكان السلف الصالح اذا اقبلت الدنيا قالوا ذنب عجلت عقوبته واذا اقبل الفقر
قالوا مرحبا بشعار الصالحين الوجه الثاني انما جعل الله سبحانه الاكوان ظاهرها غرة تغطية لسره
واظهار الحكمة وذلك ان الحق سبحانه لما تجلى في مظاهر خلقه غطى سره بظهور حكمته او تقول
الاكوان ظاهرها ظلمة وباطنها نور فمن وقف مع الظلمة كان محجوبا ومن نفذ الى شهود النور
كان عارفا محبوبا او تقول الاكوان ظاهرها حس وباطنها معنى فمن وقف مع الحس كان جاهلا
ومن نفذ الى المعنى كان عارفا او تقول الاكوان ظاهرها ملك وباطنها ملكوت فمن وقف مع الملك
كان من عوام اهل اليمين ومن نفذ الى شهود الملكوت كان من خواص المقربين وقد اشرت الى ذلك
في قصيدة التائية حيث قلت ⁂ اذا حجبت نفس بسجن الهوى الذي ⁂ تقيد به العقل ففي
فيفنى ⁂ واشغلها عن الصوان بحكمة ⁂ فلم تر الا الكون في كل وجهة ⁂ فذلك عين
الملك وهو ثبوته ⁂ وناظره محجوب في سحب ظلمة ⁂ وان نفذت روح المقدس سره ⁂
الى درك نور الحق فاض بقدرة ⁂ فذا ملكوت الله يسمو لوسعه ⁂ وعارفه يحظى
بفتح البصيرة ⁂ والله تعالى اعلم ثم بين الشيخ الواقف مع الظواهر والنافذ الى البواطن
فقال فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها قلت انما كانت
النفس تنظر الى ظاهر غرتها لما فيه من متعة شهوتها وحظوظها فلا تخرج عن ذلك الا بشوق
مقلق او خوف مزعج او عناية ربانية اما بواسطة شيخ كامل او اكسير يقلب الاعيان او بغير
واسطة والله ذو الفضل العظيم وانما كان القلب ينظر الى باطن عبرتها لما فيه من نور العرفان
الذي يفرق بين الحق والباطل ويميز بين النافع والضار وهو ثمرة التقوى والتصفية او تقول لما
فيه من عين البصيرة التي لا ترى الا المعاني بخلاف عين البصر لا ترى الا الحس فقصر اهل
النفوس وقفوا مع ظواهر الاشياء واغتروا بعاجلها ولم ينفذوا الى آجلها فحجبوا عن العمل

وغرهم الاماني وطول الامل • وفي مثلهم ورد الخبر عن سيدنا عيسى عليه السلام انه كان يقول ويلكم علماء
السوء مثلكم كمثل قناة حسن ظاهرها جص وباطنها نتن هو الحش هو بيت الخلاء واهل القلوب
واهل القلوب لم يقفوا مع صور الاشياء بل نفذوا الى بواطنها • واهتموا باجلها • ولم يغتروا
بعاجلها • فاشتغلوا بالجد والاجتهاد • واخذوا في الاهبة والاستعداد • وهم العباد والزهاد •
واهل الارواح والاسرار لم يقفوا مع الاكوان لا ظاهرها العاجل • ولا باطنها الآجل بل نفذوا
الى نور المكون • فاشتغلوا بتطهير القلوب • والتاهب لحضرة علام الغيوب • حتى صحوا للحضرة •
وتنزهوا في رياض العترة والنظرة • اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون اولئك المقربون في جنات
النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وهولاء من تعلو بهم همم
الاعزاء عند الله تعززوا بطاعة العزيز فعزوا بالعزيز كما اشار الى ذلك بقوله ان اردت ان يكون لك
عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى قلت العز الذي لا يفنى هو العز بالله والعز بطاعة الله او
بالقرب ممن تحقق عزه بالله فالعز بالله يكون بتعظيمه واجلاله وهيبته ومحبته ومعرفته وحسن الادب
معه في كل شيء وعلى كل حال ويكون بالرضى باحكامه والخضوع تحت قهر جلاله وكبريائه وبالحياء
والخوف منه ويكون بالذل والانكسار له كما قال الشاعر تذلل لمن تهوى لتكسب عزة فكم عزة
قد نالها المرء بالذل اذا كان من تهوى عزيزا ولم تكن ذليلا له فاقرا السلام على الوصل وسمعت
شيخنا رضي الله عنه يقول قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه والله ما رايت العز الا في الذل وقال
شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه وانا اقول والله ما رايت الذل الا في العز يعني ان الشيخ فسر
الذل بالعز اذ لا يتحقق في الانسان الا بالعز فهو في الذل لان النفس تموت بالعز ولا يبقى لها عز في
اصلا والله اعلم واما العز بطاعة الله فهو بالعبادة بامتثال امره واجتناب نهيه والاكثار من
ذكره وبذل المجهود في تحصيل بره واما العز بالقرب ممن تحقق عزه بالله فيكون بصحبتهم ومحبتهم
وتعظيمهم وخدمتهم وحسن الادب معهم وهذا في التحقيق يرجع الى التعزز بالله لكونه وسيلة
اليه فاذا تحقق عزه بالله استغنى بعز الله عن عز غيره فمن حصل له العز وتحقق به فقد تعزز بعز
لا يفنى ابدا فيتعجب عليه وعلى اولاده واولاد اولاده الى يوم القيامة فالمعتز من كان يريد العزة فلله
العزة جميعا وقال تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون والمراد
بالذين آمنوا هم الاولياء اهل الايمان الكامل وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن

المنافقين

المنافقين لا يعلمون وقال سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه من اراد الغنى بغير مال والكثرة بغير عشيرة
فلينتقل من ذل المعصية الى عز الطاعة فمن تحقق عزه بالله لم يقدر احد ان يذله وانظر قضية الرجل
الذي امر هارون الرشيد بالمعروف فحنق عليه فقال اربطوه مع بغلة سيئة الخلق لتقتله فلم تقض
فيه شيئا ثم قال اسجنوه وطينوا عليه البيت ففعلوا فرءي في بستان فاتي به فقال من اخرجك من
السجن فقال الذي ادخلني البستان فقال من ادخلك البستان فقال الذي اخرجني من السجن فعلم هارون
انه لم يقدر على ذله فامر هارون ان يركب على دابة وينادى عليه الا ان هارون اراد ان يذل عبدا اعزه الله
فلم يقدر هو واما التعزز بالعز الذي يفنى فهو التعزز بالمخلوق كتعزز ملوك الجور ومن انتسب
اليهم بكثرة الاتباع والاجناد وبالسطو والقهر وكالتعزز بالاموال والجاه في غير محله والرياسة
وغير ذلك مما ينقطع ويبيد فمن تعزز بهذا مات عزه وانتقل ذله فان التعزز بالمخلوق فقط
يعقبه الذل عاجلا او آجلا وانظر قضية الرجل الذي تحكم في الخراج فطار بعد ذلك يتكفف الناس وقال
اني تحيزت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني في موضع يترفع فيه الناس في التعبير والتنبيه
ويقال من تعزز بمخلوق وانظر الى الهلاك الذي حلت عليه ... فيه لتستعينه في اليم نصبا ونظر
عارف على رجل يبكي فقال له ما يبكيك فقال له مات استاذي فقال له ولم جعلت استاذك من
يموت فنبهه على رفع همته وانفاذ بصيرته وقد مات شيخه قبل ان يرشد والله تعالى اعلم فان
اردت ايها المريد ان يكون لك عز لا يفنى فلا تستعز الا بالله وبطاعة الله وبالقرب من اولياء الله ولا
تستعز بمخلوق يفنى فان من تعزز بمن يموت مات عزه فقال تعالى ايبتغون عندهم العزة فان العزة
لله جميعا وقال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه والله ما رايت العز الا في رفع الهمة
عن الخلق تنبيه وارشاد اعلم ان سبب العز الذي يعطيه الله لاوليائه هو حبه لهم فالعز
نتيجة الحب في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل
ان الله يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السموات ان الله يحب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض فيحبه اهل الارض وفي رواية فيلقى له القبول في الماء
فيشرب الناس فيحبوه جميعا او كما قال عليه السلام وسبب حب الله للعبد هو زهده في الدنيا
ففي حديث الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد
فيما في ايدي الناس يحبك الناس ثم اعلم ان العز الذي يعطيه الله لاوليائه لا يكون في بدايتهم

ولا بد اولا من همة تقتضيهم التخلي عن الوصول الى الحق بل من لطف الله بهم وغارته عليهم ان يبعد عنهم
الخلق او يسلطهم عليهم حتى يتخلصوا من رق الاشياء ويتحققوا بالوصول والتمكين فبمشيئته ان شاء اظهر
عزهم لينتفع بهم عباده ويهدي بهم من شاء من خلقه وان شاء اخفاهم واستاثر بهم حتى يقدموا
عليه فيتشرف بهم ويكافيهم مكافاتهم في دار لا فناء لها وسياتي الكلام على هذا في محله ان شاء الله ثم ذكر
الشيخ سبب الطي الذي لا يفنى وهو الزهد في الدنيا كما ذكرنا فقال **الطي الحقيقي ان تطوي مسافة
الدنيا عنك حتى ترى الاخرة اقرب اليك منك** **قلت** الطي هو اللف والضم بحيث يصير الطويل
قصيرا والكبير صغيرا فقال طويت الثوب اي ضممته وينقسم عند الصوفية الى اربعة اقسام طي الزمان
وطي المكان وطي الدنيا وطي النفوس **فاما** طي الزمان فهو ان يقيم في موضع ويطول به موضعه اخي فيمضي
من عليه سنون في موضع وفي موضع اخي ساعة او يوم كالرجل الذي خرج يغتسل في الفرات يوم الجمعة
قرب الزوال فلما خرج من غسله لم يجد ثيابه فسلك بها حتى دخل مصر فتزوج فيها وولد له اولاد وبقي
سبع سنين ثم ذهب يغتسل يوم الجمعة بنيل مصر فلما خرج فاذا ثيابه الاولى فسلكها فلما
فاذا هو ببغداد قبل صلاة الجمعة من ذلك اليوم الذي خرج فيه والحكاية مطولة لبعض اهل شرح التائية
واما طي المكان فمثاله ان يكون بمكة مثلا فاذا هو بغيرها من البلدان وهذا مشهور للاولياء
الله **قال** الشيخ ابو العباس رضي الله عنه والله ما صار الاولياء من قاف الى قاف حتى يلقوا رجلا
مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم **واما** طي الدنيا فهو ان تطوي عنك مسافتها بالزهد فيها
والغيبة عنها وحصول اليقين التام في قلبك حتى يكون الآن عندك واقعا او كالواقع وسيأتي للشيخ
لو اشرق نور اليقين في قلبك لرايت الاخرة اقرب من ان ترحل اليها ولرايت الدنيا وكسفة الفناء
ظاهرة عليها وسياتي تتمة الكلام على هذه الحكمة ان شاء الله **واما** طي النفوس فهو
بالغيبة في الله عنها وذلك لتحقق الزوال ونفاد الوصال وقد ذكره الشيخ بقوله فيما ياتي ليس
الشان ان تنطوي لك الارض فاذا انت بمكة او غيرها من البلدان انما الشان ان تنطوي عنك اوصاف
نفسك فاذا انت عند ربك ه وهذا هو الطي الحقيقي المعتبر عند المحققين لا طي الزمان او المكان
اذ قد يكون استدراجا ومكرا او تخييلا وسحرا فالطي الحقيقي هو ان تنطوي عنك مسافة الدنيا كلها
حتى تكون الموت اقرب اليك من نفسك التي بين جنبيك كما قال الصديق رضي الله عنه كل امرئ مصبح
في اهله والموت ادنى من شراك نعله وحتى ترحل عنها بالكلية فلا تبقى فيك منها بقية هنالك

ترحل

ترحل الى عالم الملكوت وينكشف لك اسرار الجبروت **وقد** قيل في قوله عليه السلام الدنيا خطوة مومن
يعني انه يتخطاها بالزهد فيها **وقال** بعضهم لا تتعجبوا ممن يدخل يده في جيبه فيخرج ما يريد
ولكن تعجبوا ممن يضع يده في جيبه ولم يجد شيئا فلم يتغير **وقيل** لابي محمد المرتعش ان فلانا
يمشي على الماء قال عندي من مكنه الله من مخالفة هواه فهو اعظم من المشي على الماء وفي الهوى
ومخالفة الهوى انما تكون بالزهد في كل شيء والغيبة عن كل شيء **وكان** شيخ شيخنا رضي الله عنه
يقول لا تفرحوا بالفقير اذا رايتموه يصلي كثيرا او يذكر كثيرا او يصوم كثيرا او يعتزل كثيرا حتى تروه
زهد في الدنيا ورحل عنها ولم يبق له التفات اليها فحينئذ يفرح به ولو قلت صلاته وصيامه
وذكره وورعه لانه **قلت** ومثل هذا ما تقدم في قوله ما قل عمل برز من قلب زاهد وكذلك قال في التنوير
لا ينظر في عمل العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده وانما ينظر الى نوره ووجهه غنائه بربه
وانحياشه اليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو
الاحوال ه قلت ما قاله شيخ شيخنا صحيح لا كن لا يفهمه الا اهل الفن من اهل الذوق انه لا تجتمع
مجاهدة ومشاهدة وانما تكون المجاهدة اولا فاذا حصلت المشاهدة في الباطن ركدت الجوارح
في الظاهر وما بقي الا فكرة او نظرة والادب مع الحضرة وربما يعترض على الشيخ من لم يعرف
مقصوده من جهلة علم الطريق وبالله التوفيق وانما يتحقق طي مسافة الدنيا بتحقيق
الزهد فيها ولا يتحقق الزهد فيها الا بجمع الهمة عن الخلق والتعلق بالملك الحق والاياس
مما في ايدي الناس كما اشار الى ذلك بقوله **العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان** **قلت**
انما كان العطاء من الخلق حرمان لثلاثة اوجه **احدها** ما في ذلك من حظها ووجهها والتوصل
الى شهواتها وحظوظها وفي ذلك موت القلب وقسوته **الوجه الثاني** ما في ذلك من نقص
الدرجات والغض من كمال المراتب والمقامات ولذلك ترك الاكابر التمتع بالشهوات لقوله
تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقد ينتهي ضر المريد للسؤال لاجل موت نفسه وحياة
روحه فاذا كثر عليه العطاء من الخلق حييت النفس وانتعشت فلا تموت ابدا بخلاف ما اذا
واجهها المنع فانها تموت بغير قتال اذ لا حظ لها فيه فالجهاد الذي لا غنيمة فيه اعظم من
الجهاد الذي فيه الغنيمة **فقد ورد** في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا خرجت طائفة للغزو فجاهدوا وغنموا فقد تعجلوا ثلثي اجرهم واذا لم يغنموا رجعوا

باجرهو كاملا او كما قال صلى الله عليه وسلم الوجه الثالث ما في ذلك من الركون اليهم وميل القلب
بالمحبة لهم اذ النفس مجبولة على حب من احسن اليها فتسترق لهم وتكون اسيرة في ايديهم وفي وصية
سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه لا تجعل بينك وبين الله منعما وعد نعمة غيره عليك مغرما
واتشد رضي الله عنه ⁂ لعمرك من اوليته منك نعمة ⁂ ومد لها كفا فانت اميره ⁂ ومن كنت
محتاجا اليه فانه ⁂ اميرك تحقيقا وانت اسيره ⁂ ومن كنت عنه ذا غنى وهو مالك ⁂ ازمة اهل
الدهر انت نظيره ⁂ بعشرو افتتح ان الغنا عن الغنى ⁂ غناء وهذا مقتضى ما الشيخ ⁂
وقال في اخر ⁂ فلا البس النعما وغيري ملبس ⁂ ولا املك الدنيا وغيرك واهب ⁂ وقال شيخ
شيوخنا ومادة طريقنا بعد نبينا مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه لابي الحسن
رضي الله عنه يا ابا الحسن اهرب من خير الناس اكثر من ان تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك
في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولان تصاب في بدنك خير من ان تصاب في قلبك ولعدو تصل به الى
ربك خير من حبيب يقطعك عن ربك انتهى وقال بعضهم عن النزاهة اجمل من سرور العلاية
ولاجل هذا المعنى قال عليه السلام اذا اسدى اليكم احد معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فانشروا
عليكم وتقطعوا رقبته لكم والله تعالى اعلم وانما كان المنع من الله احسان لوجهين احدهما
ما تقدم من ان الله سبحانه ما منعك بخلا ولا عجزا وانما هو حسن نظر لك اذ يعلم ما طلبته لا يليق بحالك
في الوقت واخره لوقت هو اولى لك واحسن او ادخره لك ذلك ليوم فقرك الثاني ما في ذلك من دوام
الوقوف ببابه والالتجاء بجنابه وفي ذلك غاية شرفك ورفع لقدرك وفي الحديث اذا دعا العبد
الصالح يقول الله تعالى للملائكة اخروا حاجته فاني احب ان اسمع صوته واذا دعا الفاجر قال للملائكة
اقضوا حاجته فاني اكره صوته او كما قال عليه السلام لطول العهد به تنبيه ما ذكره الشيخ من
كون العطاء من الخلق حرمانا انما هو باعتبار السائرين او باعتبار العباد والزهاد واما الواصلون
الى الله المتمكنون مع الله فقد تولاهم الحق وغيبهم عن شهود الخلق فهم ينفقون
بالله ياخذون من الله ويدفعون بالله ولا يرون في الوجود الا الله فذ عرفت الا الله لم
ارى سواه وكذا الغير عندنا ممنوع ⁂ مذ تجمعت ما خشيت افتراقا ⁂ فانا اليوم واصل
مجموع ⁂ فلا يرون العطاء الا من الله ولا يرون الخلق البتة الا ما يشهدون فيهم من واسطة
الحكمة كما قال القائل ⁂ اذا رايت الله في الكل فاعلا ⁂ رايت جميع الكائنات ملاحا ⁂

وبالله

وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله هذا اخر الباب التاسع وحاصلها علامة كمال العارف
وادابه في الطلب وفي البسط والقبض وفي المنع والعطاء ومن جملة العطاء ما يعطيه الحق سبحانه
عباده من الخيرات في مقابلة اعمالهم الصالحات كما اشار الى ذلك في اول الباب العاشر بقوله
جل ربنا ان يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة قلت النقد ما كان معجلا والنسيئة ما
كان مؤخرا ومن شان الكريم اذا اشترى شيئا ان يعجل نقده ويزيد احسانه ورفده وقد
اشترى الحق تعالى منا انفسنا واموالنا فعوضنا بها الجنة فمن باع نفسه وماله نقدا هنا
وسلمها اليه عوضه الله جنة المعارف عاجلا وزاده جنة الزخارف اجلا مع ما يتحفه به
فيهما من انواع النعيم ودوام الشهود والنظر الى وجهه الكريم فجل ربنا ان ينتظر وتوقع ان
يعامله العبد نقدا معجلا فيجازيه نسيئة مؤخرا الابد ان يعجل له ما يليق به في هذه الدار
ويدخر له ما يليق به في تلك الدار والذي يعجل له سبحانه في هذه الدار امور منها ما يدفع عنه
من المضار ويجلب له من المنافع والمسار لقوله تعالى وهو يتولى الصالحين وقال تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقد يتعدى ذلك الى عقبه كما تقدم ومنها ما يشرق عليه من الانوار ويكشف لقلبه من الاسرار
وهي انوار التوجه وانوار المواجهة قال تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
وهو نور يفرق بين الحق والباطل وقال تعالى اتقوا الله ويعلمكم الله وقال تعالى الله ولي الذين امنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور يخرجهم من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة المعصية الى
نور الطاعة ومن ظلمة الغفلة الى نور اليقظة ومن ظلمة الحس الى نور المعنى او من ظلمة
الكون الى نور المكون ومنها التوفيق والهداية لها قبل عملها حتى جعلك اهلا للوقوف
بين يديه وهو الذي ابانه بقوله كفى من جزائه اياك على الطاعة ان رضيك لها اهلا
قلت لان الملك لا يدعو لخدمته الا من يريد ان يكرمه ولا يدخل لحضرته الا من يريد ان يعظمه
ولا ينسب له الا اهل الفضل والتكرم فلولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
فالتوفيق لها اعظم منة واتم جزاء على وجودها لانها تحقق للعبد ثلاثة اولها
تصحيح النسبة لمولاه بوجه ما الثاني وجود الاقبال عليه بصورة ما الثالث اقامة
رسم العبودية في الجملة والله اعلم قال الشيخ زروق رضي الله عنه ومنها ما يرد على قلبه

حال عملهم من المؤانسة به والقرب له وهو الذي ذكره بقوله تعجيل العاملين جزاء ما هو واقع على
قلوبهم في طاعته **قلت** والذي يقع على قلوبهم في حالة العمل ثلاث محاضرة أو مراقبة أو
مشاهدة فالمحاضرة للطالبين والمراقبة للسائرين والمشاهدة للواصلين أو المحاضرة
للعموم والمراقبة للخصوص والمشاهدة لخصوص الخصوص والذي يقع خشوعا
قال بعضهم الخشوع اطراق السريرة على بساط النجوى باستكمال نعت الهيبة والذوبان تحت
سلطان الكشف والانمحاء عند غلبة التجلي ه ويختص الفقراء الثالث بقوة اليقين وقال الشيخ
زروق ما يجده في حال الطاعات ثلاث أولها وجود الانس بها فيهيم بروح إقباله ومنه ما يقع
من الرقة والخشوع الثاني وجود التملق بين يديه وله حلاوة ينسى بها كل شيء الثالث
حصول الفهم والفوائد العلمية والالهامات اللدنية التي بها تيقن كل شيء **قال** بعضهم
في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى جنة الآخرة ولا إلى شيء ولم يستوحش أبدا قيل وما هي قال
معرفة الله **وقال** بعض العلماء ليس في الدنيا ما يشبه نعيم الجنة إلا ما يجده أهل التملق
في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة **وقال** بعضهم بقول التملق للحبيب والمناجاة للقريب
في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة أظهره الله لأهل الله في الدنيا لا يعرفه إلا هم ولا يجده
سواهم روحا لقلوبهم انتهى ومنها ما يجده من الثمرات بعد عملها وهو الذي أشار إليه
بقوله وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته **قلت** هذه المؤانسة التي يجدها العامل
بعد العمل على ثلاثة أقسام مؤانسة ذكر وهي لأهل الفناء في الأفعال ومؤانسة قرب وهي لأهل
الفناء في الصفات وهم أهل الاستشراف ومؤانسة شهود وهي لأهل الفناء في الذات فالأولى
لأهل الإسلام والثانية لأهل الإيمان والثالث لأهل الإحسان فمؤانسة الأول توجب له الفرار
من الناس والوحشة منهم ومؤانسة الثاني توجب القرب لهم على حذر منهم ومؤانسة
الثالث توجب الصحبة لهم ومخالطتهم لأنه يأخذ منهم ولا يأخذون منه فالأول لا تليق به إلا
العزلة لضعفه والثاني تليق به الصحبة مع الحذر ليتعلم القوة فهو يشرب منهم ولا يشربون
منه لبعده منهم بقلبه والثالث لا تليق به إلا الصحبة لتحققه بالقوة فهو يأخذ النصيب من
كل شيء ولا يأخذ النصيب منه شيء يصفو إليه كدر كل شيء ولا يكدر صفوه شيء ومؤانسة الذكر
توصل لمؤانسة القرب ومؤانسة القرب توصل لمؤانسة الشهود فمن صحت عقبة أفضت به إلى

راحة ما بعدها **قال** بعض العارفين ليس شيء من الطاعات إلا ودونه عقبة كؤود يحتاج فيها
إلى الصبر فمن صبر على شدتها أفضى إلى الراحة والسهولة وإنما هي مجاهدة النفس ومخالفة الهوى
ثم والسهر كابدته في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم إثم تكون لذة الطاعة وتنعم المعرفة ثم ينبغي
لك أيها المريد ألا تقصد شيئا من هذه الأمور التي تجازيك الحق تعالى بها عاجلة أو مؤجلة
فإن ذلك نقص في إخلاصك وناقض لصدق عبوديتك كما أشار إليه بقوله من عبد الله لشيء يرجوه منه
أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه **قلت** الناس في عبادة الله باعتبار
إخلاصهم على ثلاثة أقسام فمنهم من يعبد الله خوفا من عقوبته معجلة أو مؤجلة أو طمعا في رحمته
وجنته عاجلا وآجلا وهم عوام المسلمين وفيهم قال عليه السلام لولا النار ما سجد لله ساجد
ومنهم من يعبد الله محبة في ذاته وشوقا إلى لقائه لا طمعا في جنته وجنته ولا خوفا من
ناره ونكاله وهم المحبون العاشقون من السائرين ومنهم من يعبد الله قياما بوظائف العبودية
وإذعانا لعظمة الربوبية أو تقول صدقا في العبودية وقياما بوظائف الربوبية وهم المحبون
العارفون فالقسم الأول عبادته لنفسه بنفسه والثاني عبادته بنفسه لله والثالث عبادته
بالله لله ومن الله إلى الله فمن عبد الله تعالى لشيء يرجوه منه في الدنيا أو في الآخرة أو ليدفع
عنه بطاعته ورود العقوبة في الدنيا أو في الآخرة فما قام بحق أوصاف الربوبية التي هي العظمة والكبرياء
والعزة والغنى وجميع أوصاف الكمال ونعوت الجلال والجمال إذ نعوت الربوبية من العظمة
والجلال تقتضي خضوع العبودية بالانكسار والإذلال أرأيت لو لم تكن جنة ولا نار ألم يكن
أهلا لأن يعبد الواحد القهار أرأيت من أنعم بنعمة الإيجاد والإمداد أليس أهلا لأن يشكره
جميع العباد فمن كان عبدا مملوكا لسيده لا يجد مدة في مقابلة نواله وجوده بل يخدم لأجل
عبوديته ورقه وسيده لا محالة يقوم بمؤونته ورزقه أليس ربك لوجوده وجنبك من جوده
أيخفى جوده ويمنعك إبراره لقد أساء الظن بالرب الكريم إن اعتقدت أنك أن لم
تعبده منعك من جوده العظيم لقد أجرى عليك منته ورزقه وأنت في ظلمة الأحشاء ثم
حين أظهرك لوجوده وبسط لك من جوده فجعلك تتمتع فيه كيف تشاء وتصنع فيه ما تشاء
ومما وجد مكتوبا بقلم القدرة في جبهة الكعبة ۞ تذكر جميلي فيك إذ كنت نطفة ۞ ۞
۞ ولا تنس تصويري لشخصك في الحشا ۞ وكن واثقا بي في أمورك كلها ۞ سأكفيك منها ما تخاف وما تخشى ۞

وصلح لي الامور واعلم بانت اصرف اهتمامي واجعل ما اشا بما ينبغي من
الله ايها الانسان ان تطلب اجرا على عبادة اجراها عليك الواحد المنان وانظر قوله تعالى الحمد
لله الذي هدينا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدينا الله وقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار
وقوله تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكن احدكم كالعبد السوء ان
خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعطه الاجرة لم يعمل وقال سيدنا عمر رضي الله عنه نعم العبد
صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وقال وهب بن منبه في زبور داود عليه السلام يقول الله تعالى ومن
اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع وفي اخبار داود ايضا
عليه السلام ان الله اوحى اليه ان اود الاوداء من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها ثم
ان رجعت همتك عن طلب الحظوظ صبت عليك الحظوظ وقد ورد في بعض الاخبار ان الله يحفظ الاولاد
واولاد الاولاد بطاعة الاجداد لقوله تعالى وكان ابوهما صالحا فقد حفظ الحق تعالى كنزهما بصلاح
ابيهما فقد صبت الحظوظ على الاولاد وهو حفظهم بتقوى الاباء الحظوظ وكان سعيد بن المسيب
رضي الله عنه يقول لولده اني لاطيل الصلاة من اجلك ومعناه اذا عبدته مخلصا لعله يحفظك
ثمان مدد الحق هو لطفه وبره جار على الطائعين في كل وقت وحين سواء اعطاهم في الحس
او منعهم وسواء بسطهم او قبضهم وهو ظاهر لمن يفهم عن الله كما اشار اليه بقوله متى
اعطاك اشهدك برّه ومتى منعك اشهدك قهره فهو في كل ذلك متعرف اليك ومقبل
بوجود لطفه عليك قلت من اسمائه تعالى اللطيف والرحيم فهو تعالى لطيف بعباده رحيم بخلقه
في كل وقت وعلى كل حال سواء اعطاهم او منعهم وسواء بسطهم او قبضهم فان اعطاهم او بسطهم
اشهدهم بره واحسانه وجوده وانه سبحانه بار بعباده لطيف بخلقه رحيم كريم جواد محسن
فتعظم محبتهم فيه ويشتد شوقهم واشتياقهم اليه ويكثر شكرهم فيزداد نعيمهم
وهذا ما لا مزيد عليه من البر والاحسان والجود والامتنان وان منعهم او قبضهم اشهدهم
قهره وكبرياءه فعلموا انه تعالى قهار كبير عظيم جليل فخافوا من سطوته وذابوا من خشيته
وخضعوا تحت قهره فدامت عبادتهم وقلت ذنوبهم ومحيت مساويهم واضمحلت
خطيئاتهم فوردوا يوم القيامة خائفين مطهرين فيجيبون مبشرين اذ لا يجمع الله على عبده
خوفين ولا امنين فمن خافه في الدنيا امنه يوم القيامة ومن امنه في الدنيا اخافه يوم القيامة

اللهم ... واصلاح ... وعباد الله المومنين

كما في الحديث فلا تشهد ربك ايها العبد في المنع ولا في العطاء فانه متى اعطاك اشهدك بره ورحمته
وكرمه فعرفت بذلك انه بر كريم رءوف رحيم فتتعلق بكرمه وجوده دون غيره فتنتهي من رق الطمع ويذهب
عنك الغم والجزع وتتخلق ايضا بوصف الكرم والرحمة والاحسان فان الله يحب ان يتخلق عبده بخلقه
وفي الحديث تخلقوا باخلاق الرحمن وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم القرءان والقرءان فيه اوصاف الرحمن فكانها قالت كان خلقه خلق الرحمن الا انها احتشمت
الحضرة وتادبت بتامع الربوبية ومتى منعك او قبضك اشهدك قهره وكبرياءه فعرفت انه
قهار جبار فيعظم خوفك وتشتد هيبتك وحياؤك منه فلا تجمع الا الله فيعظمك ويكرمك ويجعلك
ويغنيك منك كما استغنيت منه فان الله ينزل عبده على قدر منزلته منه وانما يطيع العبد ربه على
قدر معرفته به وخوفه منه فهو سبحانه في كل ذلك من اعطاء ومنع وقبض وبسط متعرف اليك
لتطالب منك ان تعرفه بصفاته واسمائه وما من اسم من اسمائه تعالى الا اقتضى ظهور ما يطلبه
فاسمه الكريم اقتضى الاعطاء والاحسان وهو ظاهر في خلقه واسمه المانع اقتضى ظهور
المنع فكم في عباده ايضا واسمه المنتقم اقتضى ظهوره في قوم حق لهم العقبة واسمه
القهار اقتضى ظهوره في قوم يقهرهم على ما يريد من منع او غيره وظهر قهره ايضا في عباده
بالموت فهو من مقتضى اسمه القهار وهكذا كل اسم يقتضي ظهوره في الوجود وكلها في بني ادم
فاذا تحققت هذا في حال العطاء والمنع علمت ايضا انه تعالى مقبل بوجود لطفه وابراره عليك
اذ هو متعرف اليك في كل شيء ومقبل عليك في كل وجه فالطلب انت ايضا معرفته في كل حال واعرف
منته عليك في الجمال والجلال واقبل عليه بكليتك واستسلم لقهره بروحك وبشريتك تكن
عبده حقا وهو ربك حقا وصدقا والله تعالى اعلم ويوخذ من هذه الحكمة ان الحداد
انما هو على فوت الروحانية التي هي المعرفة في الجلال والجمال لا على فوت البشرية لان نفعه
يحصل للعبد الكامل بالله التوفيق ثم هذه الحكمة الثانية وفهم من يفهم عن الله كما تقدم واليه
اشار بقوله انما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه قلت لان الفهم عن الله يقتضي
وجود المعرفة به ولا تكون المعرفة كاملة حتى يكون صاحبها يعرف في الجلال والجمال والمنع
والعطاء والقبض والبسط واما من كان لا يعرف الا في الجمال فهذه معرفة العوام الذين هم عبيد
انفسهم فان اعطوا رضوا وان لم يعطوا اذا هم يسخطون وايضا من ثمرة المعرفة التسليم

والرضا لما يجري به القضا ومن ثمرات المحبة والهوى الصبر عند الشدائد والبلوى
تدعي مذهب الهوى ثم تشكو أين دعواك في الهوى قل لي أينا لو وجدناك صابرا في هوانا
لأعطيناك كل ما تتمنى فلا يكون المحب صادقا في محبته ولا العارف صادقا في معرفته حتى يستوي
عنده المنع والعطاء والقبض والبسط والفقر والغنا والعز والذل والمدح والذم والفقد والوجد
والحزن والفرح فيعرف محبوبه في الجميع كما قال القائل حبيبي ومحبوبي على كل حالة ويرضى
ويسلم له في الجميع فإن لم يجد ذلك عنده سواء فلا يدعي مرتبة العشق والهوى فليعرف قدره
ولا يتعدى طوره ولا يترامى على مراتب الرجال من ادعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان ولابن
الفارض رضي الله عنه فإن شئت أن تحيا سعيدا فمت به شهيدا وإلا فالغرام له أهل
وقال ابراهيم الخواص لا يصح الفقر للفقير حتى يكون فيه خصلتان احداهما الثقة بالله والأخرى الشكر
لله فيما زوى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا وقيل لبعضهم ما الزهد عندكم قال إذا وجدنا شكرنا
وإذا فقدنا صبرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ فقال وما الزهد عندكم أنتم قال إذا فقدنا
شكرنا وإذا وجدنا آثرنا فهذا هو الفهم عن الله حيث شكر في الفقد وعد الفقد نعمة
والفاقة عيدا لما يجد فيها من المواهب والأسرار ولما يترتب بعدها من ورود الواردات والأنوار
ولو لم يكن إلا التفرغ من الشواغل والأغيار وبه تزكو الأحوال وتتضاعف الأعمال وبها يتأهل
صاحبها للقبول والإقبال ولا عبرة بصورة وجودها مع عدم قبولها كما نبه على ذلك
بقوله ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول قلت لا عبرة بالطاعة إذا لم يصحبها
قبوله كما لا عبرة بالسؤال حيث لم يحصل به مأموله إذ الطاعة إنما هي وسيلة لمحبة المطاع
وإقباله على المطيع بحيث يفتح في وجهه الباب ويرفع عن قلبه وجود الحجاب ويجلسه على بساط
الأحباب فإذا فتح لك باب العمل وبلغت في تحصيله غاية الأمل غير أنك لم تجد له ثمرة
ولم تذق له حلاوة من الأنس بالله والوحشة مما سواه ومن الغنى به والانحياش إليه
والاكتفاء بعلمه والقناعة بقسمته فلا تغتر بذلك لعله لم يرد بما فتح لك باب طاعته
وانهضك لخدمته ولم يفتح لك باب القبول ومنعك بها من الوصول حيث اعتمدت
عليها وركنت إليها وأنست بها واشغلتك حلاوتها عن الترقي إلى حلاوة شهود
المنعم بها ولذلك قال بعضهم احذروا حلاوة الطاعات فإنها سموم قاتلة لأنها تقبض

صاحبها

صاحبها في مقام الخدمة ويخرج من مقام المحبة وهو كبير يبرز من شغله بخدمته ويبرز من اصطفاه لمحبته
واجتباه لحضرته فما جاء الذنب على العبد أحسن من مثل هذه الطاعة التي تكون سببا للحجاب كما
نبه عليه بقوله وقضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول قلت وذلك أن العبد إذا كان
سائرا إلى مولاه قاصدا الوصول حضرة حبيبه ورضاه فقد يحصل له كلال أو يصيبه ملال أو يدركه
كسل فيسلط الحق عليه ذنبا أو تغلبه نفسه فيسقط فإذا أفاق من سقطته جد في سيره ونهض
من غفلته ونشط من كسله فلا يزال جادا في طلب مولاه غائبا عما سواه حتى يدخل حضرته
ويشاهد طلعته وهي الحضرة التي هي تجليات الحق وأسرار ذاته ومثال ذلك رجل
مسافر أصابه في الطريق نوم أو كسل فيسقط فيضربه حجر فإذا أفاق ذهب كسله وجد في سيره وفي الحديث
رب ذنب أدخل صاحبه الجنة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال لا يزال تائبا فارا منه خائفا من ربه
حتى يموت فيدخل الجنة أو كما قال عليه السلام وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون
فيستغفرون فيغفر لهم وقال صلى الله عليه وسلم في شأن الطاعة التي لم تقبل رب صائم ليس
له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر فمثل هذه الطاعة المعصية التي
يصحبها الانكسار أحسن منها بكثير كما أشار إلى ذلك بقوله معصية أورثت ذلا وافتقارا خير
من طاعة أورثت عزا واستكبارا قلت إنما كانت المعصية التي توجب الانكسار أفضل
من الطاعة التي توجب الاستكبار لأن المقصود من الطاعة هو الخضوع والخشوع والانقياد
والتذلل والانكسار أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي فإذا خلت الطاعة من هذه المعاني
واتصفت بأضدادها فالمعصية التي توجب هذه المعاني وتجلب هذه المحاسن أفضل منها
إذ لا عبرة بصورة الطاعة ولا بصورة المعصية وإنما العبرة بما ينتج عنهما إن الله لا ينظر إلى
صوركم ولا إلى أعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم فثمرة الطاعة هي الذل والانكسار وثمرة
المعصية هي القسوة والاستكبار فإذا انقلبت الثمرات انقلبت الحقائق فصارت الطاعة
معصية والمعصية طاعة ولذلك قال المحاسبي رضي الله عنه إنما مراد الله سبحانه من عباده
قلوبهم فإذا تكبر العالم أو العابد وتواضع الجاهل والعاصي وذل هيبة لله عز وجل وخوفا منه
فهو أطوع لله عز وجل من العالم والعابد بقلبه وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه

كل اساءة ادب يثمر ادبا بل يثمر اساءة ادب وكان رضي الله عنه يحب الرجاء لعباد الله الغالب عليهم
شهود وسع الرحمة وكان رضي الله يكره الناس على نحو تبشيرهم عنه الله حتى انه يدخل عليه مطيع
فلا يهتز له وربما دخل عليه عاص فاكرمه لان ذلك المطيع اتى وهو متكبر بعمله وناظر لعمله وذلك
العاصي دخل بكسرة معصيته وذلته ومخافته فانه المضمحل لطاعته **وقال ابو يزيد** رضي الله
عنه نوديت في سري خزائننا مملوءة بالخدمة فان اردتنا فعليك بالذلة والافتقار **وقال رسول الله**
صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اشد من ذلك العجب العجب **وقال عليه**
السلام لولا ان الذنب خير من العجب ما خلى الله بين مؤمن وبين ذنب ابدا **وقال الشيخ ابو مدين** رضي الله
عنه انكسار العاصي خير من صولة المطيع **وقال شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل** رضي الله عنه
معصية بالله خير من الف طاعة بالنفس هـ ومعنى كلام الشيخ ان العبد اذا اجرى عليه زلة لم
يقصدها بقلبه وانما جرته القدرة اليها رغما على انفه ثم ندم وانكسر فهي في حقه خير من الف طاعة
يشهد فيها نفسه ويبتهج بها على عباد الله ولله در صاحب العينية حيث يقول ٭ ٭ ٭
٭ واسلمت نفسي حيث اسلمني القضا ٭ وما لي مع حكم الحبيب تنازع ٭ ٭ فطورا اراني في المساجد
راكعا ٭ واني طورا في الكنائس راتع ٭ اراني كالآلات وهو محركي ٭٭ انا قلم والاقتدار
اصابع ٭ ولست بجبري ولكن مشاهد ٭ فعال مريد ما له من يدافع ٭ ٭ فوقتا به
يقضي على طاعة ٭ وحينا بطاعته نهتك الشرائع ٭ لذاك تراني كنت اترك امره ٭٭
واني الهي انتهاه واجتهد امعا ٭ ولي نكتة غراء سوف اقولها ٭ وحق لها اذا تشرعوا بها
المسامع ٭ هي الفرق ما بين الولي وفاسق ٭ تنبه لها فالامر فيه غوامض ٭ وما هو الا انه
قبيل وقوعه ٭ يخبر قلبه بالذي هو واقع ٭ فيجني الذي يقضيه في مراده ٭ وعينيه لم يقبل الفعال
تطالع ٭ وبينت ارى منها الارادة قبل ما ٭ ارى الفعل فيه والاسير مطاوع ٭ وفاتني الذي
ثمرانه نعيمي ومحبتي ٭ لذاك فانار هو شفها الاضالع ٭ اذا كنت في حكم الشريعة عاصيا ٭
٭ فاني في علم الحقيقة طائع ٭ ٭ ٭ ٭ فاشار الى الفرق بين معصية الولي ومعصية الفاسق
وذلك من ثلاثة اوجه الولي لا يقصدها ولا يفرح بها ولا يصر عليها والفاسق بعكسه في الجميع
وقيل للجنيد رضي الله عنه ايزني العارف فقال وكان امر الله قدرا مقدورا لان معصية الولي
هي هذا الظاهر ولذلك قال ابن عطاء الله ليس شيء لو قيل له اتغلو همة العارف بغير الله

لغافل

لغافل هـ ولما كانت النعم تقتضي من العبد شكرها وشكرها هو العمل بطاعة الله فيها
قال الجنيد الشكر الا يعصى الله بنعمه بين الشيخ اصول النعم وفروعها فقال نعمتان ما خرج
موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد **قلت**
اما نعمة الايجاد فهي الاظهار من عالم الغيب الى عالم الشهادة او من عالم الامر الى عالم الخلق
او من عالم الارواح الى عالم الاشباح او من عالم القدرة الى عالم الحكمة او من عالم التقدير الى
عالم التكوين **واما** نعمة الامداد فهي قيام تعلق بالاشياء بعد وجودها وامدادها
ابدا بما تقوم به بنيتها وهاتان النعمتان عامتان واختص الانسان بما اجتمع فيه من
الضدين وهو النور والظلمة واللطافة والكثافة فلو بقيت ايها الانسان على ما كنت عليه من
العدم في عالم القدم لم تتمتع بنعمتين نعمة الاشباح ونعمة الارواح ولو تجلى فيك بوجهة
واحدة لكنت ناقصا في شهود المعرفة لان مزية الآدمي في المعرفة اعظم اذ بقدر المجاهدة
يكون الترقي في المشاهدة لما فيه من الكثافة واللطافة فكلما الطف مركبا فيه ترقى في مشاهدة
ربه ولما فيه من النور والظلمة فكلما انمحت الظلمة قوي النور بخلاف غيره من الجن والملائكة
بغير المغيبين فالتعلق في حق الملائكة وما منا الا له مقام معلوم فما مثل الآدمي الا كياقوتة سوداء
وهو اعظم اليواقيت كلما صقلتها اشرقت وزاد نورها وجمالها ومثل الملائكة كالزجاج
اذا صقل من جهة ولا يزيد نوره على اصله فلو بقيت ايها الانسان على ما كنت عليه من العدم
او من اللطافة بعد فيضة القدم لم يعرف مزية على غيرك ومما يدلك على ان تجلي الآدمي اعظم
اختصاصه بالجنة والنظر فالتعلق وترى الملائكة حافين من حول العرش والكلام انما هو مع الخواص
فخواص الآدمي اعني الانبياء اعظم من خواص الملائكة وخواص الملائكة اعني المقربين اعظم من
خواص الآدمي اعني العارفين والعارفون اعظم من عوام الملائكة وعوام الملائكة اعظم من
عوام بني آدم والله تعالى اعلم فانعم الحق سبحانه عليك ايها الانسان اولا بنعمة الايجاد
والصيك الرابعة والوداد لتظهر مزيتك وتكمل نعمتك ثم انعم عليك سبحانه ثانيا بنعمة
الامداد حسية ومعنوية اما المدد الحسي فغذاء البشرية من اول النشأة الى منتهاها
واما المدد المعنوي فغذاء الروح من قوت اليقين والعلوم والمعارف والاسرار ثم ان هذا
المدد المعنوي من حيث ينقسم على ثلاثة اقسام منه ما لا يزيد ولا ينقص وهو مدد الملائكة
هو

قال تعالى فيهم وما منا إلا له مقام معلوم ومنه ما يزيد وينقص وهو مدد عوام بني آدم ومنه ما يزيد
ولا ينقص وهو مدد خواص خواصهم كالرسل والأنبياء وأكابر الأولياء ومن تعلق بهم ممن دخل تحت
حفائتهم ولزم عشهم من الفقراء والمريدين السائرين فمددهم في الزيادة على الدوام وهذا المدد
كان لنا بالروح قبل اتصالها بالبشرية فلذلك أقرت بالربوبية في عالم الذر **قال** في التنوير اعلم أن
الحق سبحانه تولاك بتدبيره على جميع أطوارك وقام لك في كل ذلك بوجود إبرارك فقام لك بحسن
التدبير يوم المقادير يوم ألست بربكم قالوا بلى ومن حسن تدبيره لك حينئذ أن عرفك به فعرفته وتجلى لك
فشهدته واستنطقك وألهمك الإقرار بربوبيته فوحدته ثم إنه جعلك نطفة مستودعة في
الأصلاب تولاك بتدبيره هنالك حافظا لك وحافظا لما أنت فيه موصلا لك المدد بواسطة ما أنت
فيه من الآباء إلى أبيك آدم ثم قذفك في رحم الأم فتولاك بحسن التدبير وجعل الرحم قابلة لك
أرضا يكون فيها نباتك ومستودعا تحط فيه حياتك ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما فكنت
عنهما لما بنيت عليه الحكمة الإلهية من أن الوجود كله مبني على سر الازدواج ثم جعلك بعد
النطفة علقة مهيئة لما يريد سبحانه أن ينقلها إليه ثم بعد العلقة مضغة ثم فتق سبحانه
في المضغة صورتك وأقام فيها بنيتك ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ثم غذاك بدم الحيض في رحم
الأم وأجرى عليك رزقه من قبل أن يخرجك إلى الوجود ثم أبقاك في رحم الأم حتى قويت أعضاؤك واشتدت
أركانك ليهيئك إلى البروز إلى ما قسم لك أو عليك وليبرزك إلى دار يتعرف فيها بفضله وعدله
إليك ثم لما أنزلك إلى الأرض علم سبحانه أنك لا تستطيع تناول خشونات المطاعم وليس لك
أسنان ولا أرحى تستعين بها على ما أنت طاعم فأجرى لك الثديين بالغذاء اللطيف ووكل بهما
مستحث الرحمة التي جعلها في قلب الأم فكلما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمة التي
جعلها لك في الأم مستحث لا يفتر ومستنهض لا يقصر ثم إنه شغل الأب والأم بتحصيل
مصالحك والرأفة عليك والنظر بالرحمة بعين المودة منهما إليك وما هي إلا رأفته ساقها
للعباد في مظاهر الآباء والأمهات تعرفا بالوداد وفي حقيقة الأمر ما كفلك إلا ربوبيته
وما حضنك إلا ألوهيته ثم ألزم الأب القيام بك إلى حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رأفة منه
بك ثم رفع قلم التكليف عنك إلى أن تكمل الأفهام وذلك عند الاحتلام ثم إلى أن صرت
كهلا لم ينقطع عنك نواله ولا فضله ثم إذا انتهيت إلى الشيخوخة ثم إذا قدمت عليه ثم

إذا حشرت إليه ثم إذا أقامك بين يديه ثم سلمك من عقابه ثم إذا أدخلك دار ثوابه ثم
إذا كشف عنك وجود حجابه وأجلسك مجالس أوليائه وأحبابه قال سبحانه إن المتقين في جنات
ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فأي إحسانه تشكر وأي أياديه تذكر واسمع قوله سبحانه
وما بكم من نعمة فمن الله تعلم أنك لم تخرج عن إحسانه ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه انتهى
كلامه في التنوير وهو شرح لهذه الحكمة لاشتمالها على النعمتين إيجادا وإمدادا ومن نعمة الإمداد
المعنوي نعمة الإسلام والإيمان والإحسان وحفظ ذلك وأدامه علينا في كل وقت وحين ويزيد الترقي
في المعرفة واليقين إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين **ثم** المقصود بالنظر إلى هاتين
النعمتين هو الإنسان وإن كانتا عامتين في جميع الأكوان إذ هو المطلوب بشكرهما
والتحدث بذكرهما ولذلك خصه بالخطاب فقال **أنعم عليك أولا بالإيجاد وثانيا بتوالي
الإمداد** **قلت** توالي الإمداد هو تتابعه واتصاله سواء كان حسيا أو معنويا في كل
ساعة ولحظة إذ أنت مفتقر إلى إمداده قلبا وقالبا كما أبان ذلك بقوله **فاقتك لك ذاتية وورود
الأسباب مذكرة لك بما خفي عليك منها والفاقة الذاتية لا تدفعها العوارض** **قلت**
الفاقة الذاتية هي الأصلية الحقيقية والأسباب المحركة لها هي العوارض الجلالية وهي كلما تقهر
النفس وتزعجها عن حظوظها وتصرفاتها العادية وإنما كانت فاقتنا ذاتية لا تفارقنا ساعة
واحدة لأن نشأتنا مركبة من حس ومعنى ولا يقوم الحس إلا بالمعنى والمعنى هي أسرار
الربوبية القائمة بالأشياء فالأشباح مفتقرة في كل لحظة إلى نعمة الإمداد بعد نعمة الإيجاد
قال تعالى في نعمة الإيجاد يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد فهذا هو
الافتقار إلى نعمة الإيجاد ثم قال في نعمة الإمداد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وهذا هو
افتقارنا إلى نعمة الإمداد وقال تعالى في افتقار بقية العالم إن الله يمسك السماوات والأرض
أن تزولا فالكون كله قائم بأمر الربوبية مظهر من مظاهرها لا قيام له بدونها **قال الشيخ**
أبو محمد رضي الله عنه الحق مستتر والوجود مستمد والمادة من عين الجود فإذا انقطعت
المادة انهدم الوجود والمراد بالوجود ظهور الحس وعين الجود هو المعاني اللطيفة
القديمة يعني أن الحق تعالى مستتر بالأواني بنفسه وظهور تجلياته مستمدة من باطن صفاته
ومادة الأشياء كلها من عين الجود في نعمة الإيجاد والإمداد فإذا انقطعت المادة ا

مادة المعنى من الحس اضعف الحس واضمحلت الاكوان فلو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته فاقتك
اي افتقارك ايها الانسان لك ذاتية اي اصلية حقيقية لانها خفية وورود الاسباب المحركة لظهور
تلك الفاقة وهي الشدة والحيرة وكل ما يلجئك الى مولاك مذكرة لك ما خفي عنك منها فبعض ان
فاقتك لا تفارقك اذ كل لحظة تفتقر الى من يمدك بالوجود في الساعة الثانية الا انها خفية.
لا تذكرها فمتى تجري عليك اسباب ظهورها كالفقر والمرض وغيرهما فالفاقة الاصلية الذاتية
كامنة فيها العوارض وهي الصحة والعافية فما دام العبد في العافية ففاقته خفية لا يفطن لها الا
العارفون لانهم لا يزول اضطرارهم ولو قام عليه جبال او جرى ظهر افتقاره ، وتخفوا اضطراره ،
مع انه دائم في الفاقة حسا ومعنى ، والله تعالى اعلم ثم ان رجوع الشيء الى اصله مرغب
فيه وخروجه عن اصله لا خير فيه واصلك ايها الانسان هو الفاقة والاضطرار ، والذلة والانكسار ،
فكلما ردك الى اصلك فهو لك في غاية الحسن والاختيار كما ابان ذلك بقوله خير اوقاتك
وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه الى وجود ذلتك قلت انما كان
شهود الفاقة هو خير اوقاتك لوجهين احدهما ما في ذلك من تحقيق العبودية وتعظيم شان
الربوبية وفي ذلك شرف العبد وكماله اذ بقدر تحقيق العبودية في الظاهر يعظم شهود
الربوبية في الباطن او تقول بقدر العبودية في الظاهر تكون الحرية في الباطن او تقول بقدر
الذل في الظاهر يكون العز في الباطن او تقول بقدر وضع الظاهر يكون رفع الباطن من تواضع
دون قدره رفعه الله فوق قدره وانظر اشرف خلق الله وهم الانبياء فبماذا خاطبهم الله تعالى
فما خاطبهم الا بالعبودية قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا واذكر عبدنا ابراهيم واسحاق
ويعقوب واذكر عبدنا داود ذا الايد واذكر عبدنا ايوب وقد اختار نبينا صلى الله عليه وسلم
حين خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فدل على ان اشرف
حال الانسان هو العبودية فبقدر ما يتحقق فيها في الظاهر يعظم قدره في الباطن ومهما خرج
منها الظاهر بالحظوظ الحرية اذيته العزة وردته القهرية حتى يرجع الى اصله ويعرف ما لديه
وعليه الوجه الثاني ما في الفاقة من مزيد المدد وطلب الاستعداد اذ انما الصدقات للفقراء والمساكين
اي اردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك كما يأتي ان شاء الله وقد جعل الله النصر
والفتح مقرونا بالفاقة والذلة وتحقيق الضعف والقلة قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة

وقال

وقال تعالى وكنتم قليلا فكثركم وجعل الخذلان وعدم النصر والمعونة في اظهار الحرية والقوة قال تعالى ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وذلك
لما وقع من بعض الصحابة الذين كانوا حديثي عهد بالاسلام فادبهم الله باظهار الحرية لا كل عمت
الفتنة قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وهذا وجه ذكر الاية قبل ذكر
القضية والله تعالى اعلم فاذا خير اوقاتك ايها المريد وقت تشهد فيه وجود فاقتك لظهورها
والا فهي كامنة فيك كما تقدم وتظهر عند المتاخرين الحيرة وهي الشدة فهي خير لك من الف شهر
اذ عرفت فيها ربك والمعرفة فيها ان تمسك عن الشكوى والاضطراب ، وتقطع النظر عن التعلق
بالاسباب ، وترجع فيها الى مسبب الاسباب ، وتعلق همتك برب الارباب ، وتكتفي بعلم الله الكريم
الوهاب ، ولقد سمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه يقول العجب من الانسان يرى الخير او الفتح
واصلا اليه وقادما عليه ثم يقوم يبادر فيسد الباب في وجهه وهو ان يرى الفاقة قادمة عليه
فيبادر الى الاسباب التي تقطعها عنه قبل وصولها فقد كان الرزق واصلا اليه فقطع وجوده او
ما هذا معناه وخير اوقاتك ايضا وقت تشهد فيه وجود ذلتك لانه سيعقبك وينصرك اذ ان
الاشياء كامنة في اضدادها العز في الذل والغنى في الفقر والقوة في الضعف والعلم في الجهل [illegible]
الجهل الى غير ذلك قال تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين
وقال تعالى في حق الصحابة رضي الله عنهم حين كانوا في حالة الاستضعاف والاذاية تسلية لهم وعد
الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية
ومما جرت به العادة الالاهية ان الفرج على قدر الضيق فبقدر الفقر يكون الغنى وبقدر الذل
يكون العز وبقدر العسر يكون اليسر والحاصل بقدر الجلال يكون الجمال عاجلا او اجلا
قال تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين كما في الحديث حيث
قال عليه السلام لابن عباس رضي الله عنه واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان
مع العسر يسرا ثم اذا صح فقرك اليه ، وتحققت ذلتك بين يديه ، اتحفك بالنصر
وزج بك في حضرة قدسه كما اشار الى ذلك بقوله متى اوحشك من خلقه فاعلم انه يريد
ان يفتح لك باب الانس به قلت هذه سنة الله في خلقه اذا اراد ان يونس عبده
بذكره ، ويتحفه بمعرفته ، اوحشه من خلقه ، واشغله بخدمته ، والهمه ذكره ،

حتى إذا امتلأ قلبه بالأنوار، وتمكن من حلاوة الشهود والاستبصار، رده إليهم رحمة لهم، لأنه لا خوف
حينئذ لقوته بالأخذ منهم ولا يأخذون منه. ومثال ذلك في الحس كفتيلة شعلتها فما دامت
ضعيفة لابد أن تحجب من مقام الريح وتقصد بها المواضع الخفية، فإذا اشتد نورها ولو أشعلتها
في الحطب صعدت بها إلى ظهور الجبال فبقدر ما يصيبها الريح يعظم اشتعالها كذلك الفقير
ما دام في البداية لا يليق به إلا الوحشة من الخلق والفرار منهم، فإذا تمكن في الشهود فلا يليق به
حينئذ إلا الخلطة معهم لأنهم لا يضرونه. فمعنى أوحشك أيها الفقير من خلقه وعن ألفتهم في قلبك
فاعلم أنه تعالى أراد أن يؤنسك به، ويغنيك بمعرفته. وقد كان عليه السلام حين قرب أوان
النبوءة والرسالة حبب إليه الخلوة فكان يخلو بغار حراء وحكمة ذلك تصفية البواطن من الشواغل
والشواغب، لتتهيأ لقبول ما تحمله من الأسرار والمواهب، فإذا انتظف من الأكدار، ملئ
بالأنوار، فأشرقت فيه شموس العرفان، وتمكن من حضرة الشهود والعيان، وهذه سنة الله
في أوليائه وأصفيائه يفرون أولا من الناس، حتى يحصل لهم منهم الإياس، ثم يردهم الحق إليهم
رحمة على أنفسهم لفتح الدلالة والإرشاد، فينتفع بهم العباد، وتحيا بوجودهم البلاد
وفي مثلهم قال الشاعر: تحيا بكم كل أرض تنزلون بها ** كأنكم في بقاع الأرض أمطار
وتشتهي العين فيكم منظرا حسنا ** كأنكم في عيون الناس أقمار ** نفعنا الله بهم وحققنا
بمعرفتهم آمين. ثم إذا فتح لك باب الأنس، وتشوقت إلى حضرة القدس، ثم أطلق لسانك
بطلبها، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك بابها، كما أشار إلى ذلك بقوله: متى أطلق لسانك بالطلب
فاعلم أنه يريد أن يعطيك. قلت: كان الحق تعالى جعل الطلب سببا من الأسباب فإذا أراد
أن يعطي للعبد ما سبق له فتح له فيه باب الطلب فإذا حصل منه الطلب حصل ذلك الذي قسم له
في الأزل لإظهار حكمته، وإخفاء لقدرته، وتغطية لسره، فالدعاء من جملة الأسباب
العادية كالحرث والدواء والتزوج في الولد وغير ذلك وكل ذلك سبقت به المشيئة ونفذ به القضاء
والقدر فما يفيد الدعاء إلا إظهار الفاقة وإبقاء رسم العبودية لا طلب الحصول ما لم يجر به حكم
الأزل، إرضاء للأسباب والعلل. فمعنى أطلق لسانك أيها الفقير بالطلب فاعلم أن الحق
تعالى أراد أن يعطيك فلا تطلب منه إلا ما هو طالبه منك كما تقدم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة وقال أيضا عليه السلام من أذن له في الدعاء منكم فقد فتحت له

أبواب

أبواب الرحمة وما سئل الله شيئا أحب إليه من العفو والعافية. وقال القناد رضي الله عنه لم يفتح
الله لسان المؤمن بالمعذرة إلا وقد فتح له باب المغفرة. وقال الخفاجي رحمه الله ربما لا يجيبه لأنه
يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له الدعاء وفي ذلك قيل: لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه **
من فيض جودك ما علمتني الطلبا ** ثم هذا كله قبل فتح باب المعرفة. وإذا فتح لك الباب
فلا تحتاج إلى طلب، لغنائك بحسب الأسباب، فيكون دعاؤك إنما هو إظهار للفاقة والاضطرار
اللازمين لك مع كل نفس وفي كل وقت وحالة كما أشار إليه بقوله: العارف لا يزول اضطراره ولا يكون
مع غير الله قراره. قلت: أما وجه كونه لا يزول اضطراره فلخفاء قيومية الحق به إذ لا يخص
لا يقوم إلا بالمعنى فحس العبودية لا يقوم إلا بمعنى الربوبية فبقدر تحقق العبد بقيومية
الربوبية يشتد اضطراره بظاهر العبودية. وأيضا العارف لا يزال في الترقي فهو متعطش
للزيادة على الدوام كما قال النقشبندي رحمه الله: ذو الصبابة لو يسقى على عدد ** الأنفاس
والكون كأسا ليس يرويه ** وقال أيضا: سقاة الحب كأسا بعد كأس ** فما نفد الشراب
ولا رويت ** وقال بعضهم: لو شربت الفجر في كل لحظة لا ترى ذلك إلا قليلا وتشهد
شفتيك يابسة وكذلك كناية عن عدم النهاية وأن المقصود غير منضبط فالعارف لا يزال مفتقرا
للزيادة على الدوام فلا يزول اضطراره على الدوام. وقد قال الله تعالى لسيد العارفين وقل رب
زدني علما فالاضطرار إلى زيادة العلم لا ينقطع ولو جمع علوم أهل السموات والأرض قال تعالى
مخاطبا للكل وما أوتيتم من العلم إلا قليلا. وأما وجه كونه لا يكون مع غير الله قراره فلأن قلب
العارف رحل إلى الله من الكون بأسره، فلم تبق له حاجة إلى غيره، فقراره إنما هو شهود الذات
الأقدس فإن نزل إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالإذن والتمكين والرسوخ في اليقين
فالعارف ليس له عن نفسه إخبار، ولا مع غير الله قرار. وأيضا سابق العناية لا تترك من يركن
إلى غير مولاه فمهما ركن قلبه إلى شيء شوشته عليه العناية، واكتنفته الرعاية، فهو محجوب
من الأغيار، محفوف من كل جهة بجند الأنوار، إذ كان الله حرس السماء من استراق السمع
فكيف لا يحرس قلوب أوليائه من الأغيار، وما تولاهم بمحبته، حتى حفظهم من شهود غيره.
فكيف بالركون، وكيف بالسكون، هيهات هيهات هذا لا يكون، من كان ظاهره محفوفا
بالأنوار وباطنه محشوا بالأسرار، فكيف يركن إلى شهود الأغيار، كما أبان ذلك بقوله

انار الظواهر بانوار آثاره وانار السرائر بانوار صفاته **قلت** انوار الظواهر هي ما ظهر
على تجليات الاكوان من تاثير قدرته وابداع حكمته كتزيين السماء بالكواكب والقمر والشمس
وما فيهما من ابداع الصنع وتمام الاتقان وكتزيين الارض بالازهار والثمار والنبات وسائر الفواكه
وكتزيين الانسان بالبصر والسمع والكلام وسائر ما فيه من عجائب الصنعة قال تعالى لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها فهذه انوار الظواهر وانوار الاوصاف
هي العلوم والمعارف والاسرار والمراد بالاوصاف اوصاف الربوبية كالعظمة والعزة والجلال والجمال
والكبرياء والكمال وغير ذلك من اوصاف الذات العالية والذات لا تفارق الصفات فاذا اشرقت
السرائر بانوار معرفة الصفات فقد اشرقت بانوار معرفة الذات للتلازم الذي بين الصفات والذات
ثم الناس في شهود هذه الانوار الباطنية التي هي انوار الاوصاف على ثلاثة اقسام **قسم** يشهدونها
على البعد وهم اهل مقام الاسلام **وقسم** يشهدونها على القرب وهم اهل المراقبة من مقام الايمان
وقسم يشهدونها على الاتصال وهم اهل المعرفة من مقام الاحسان فاهل مقام الاسلام انوارهم
ضعيفة كانوار النجوم واهل مقام الايمان انوارهم متوسطة كنور القمر واهل مقام الاحسان انوارهم
ساطعة كانوار الشمس **فتحصل** ان انوار الباطن ثلاثة نجوم الاسلام وقمر التوحيد وشمس المعرفة
والى هذا المعنى اشار ابن الفارض بقوله ** لها البدر كاس وهي شمس يديرها ** هلال وكم
يبدو اذا مزجت نجم ** فالضمير لخمرة المحبة وهي ايضا شمس المعرفة فاذا مزجت للتقريب فهي
نجوم الاسلام واذا وقعت في الكاس طلع قمر التوحيد وهو الايمان واذا شربت اشرقت شمس
المعرفة والذي يديرها على الشاربين هلال الهداية هذا معنى كلامه في الجملة وتشبيه الانوار
المعنوية بالانوار الحسية انما هو تقريب والا فانوار القلوب كلها عظيمة حتى قال الشيخ ابو
الحسن لو كشف عن نور المومن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المومن المطيع
وقال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه لو كشف عن حقيقة الولي لعبد من دون الله
وقال في لطائف المنن لو كشف الحق عن مشرقات انوار قلوب اوليائه لانطوى نور الشمس والقمر
في مشرقات انوار قلوبهم واين نور الشمس والقمر من انوارهم الشمس والقمر يطرأ عليهما
الكسوف والغروب وانوار قلوب اوليائه لا كسوف لها ولا غروب كذا قال قائلهم ** هذه
الشمس قابلتنا بنور ** ولشمس اليقين ابهر نورا ** فبرانا بهذه النور لاكسى ** **

بهاتيك

بهاتيك قد راينا المنيرا ** **فانار** الحق سبحانه ظواهر الكائنات بانوار الظواهر وهي النجوم والقمر
والشمس في الحس وتزيين الخلق وابداعه وتخصيصه وتقييده على شكل معلوم في الانوار الحسية وتهذيبا
الجوارح وتطهيرها في الانوار المعنوية **واظهر** سبحانه القلوب والسرائر بانوار اوصافه وهي عظمة
الربوبية واوصافها فاذا اشرقت في سماء القلوب الصافية والاسرار الصافية غاب العبد عن شهود
الاغيار وغرق في بحر الانوار فيفنى عن الاشكال والرسوم ولا يبقى الا الحي القيوم **ثم ذكر** الفرق
بين انوار الظواهر وانوار السرائر فقال لاجل ذلك افلت انوار الظواهر ولم تافل انوار القلوب
والسرائر اي لاجل ذلك ان انوار الظواهر انما هي انوار الآثار ومن شان الآثار ان يتاتى فيها الطلوع
والغروب فافلت اي غربت انوار الظواهر اما بالغروب المعلوم او بالعدم المحتوم ولم تافل اي
تغب انوار القلوب وهي انوار الاسلام والايمان وانوار السرائر وهي انوار الاحسان فانوار الاسلام
والايمان هي انوار التوجه وانوار الاحسان هي انوار المواجهة فالنور عبارة عن اليقين الذي يحصل
في القلب فيثمر حلاوة العمل فاذا قوي اليقين قوي النور واشتدت الحلاوة حتى يتصل بحلاوة
الشهود فيغطي حلاوة العمل فلذلك يقل عمل الجوارح عند العارف اذ حلاوة الشهود تغني
عن كل شيء ليس الخبر كالعيان **وفي بعض** الاحاديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال
افضل قال العلم بالله فقالوا يا رسول الله سالناك عن العمل فقال العلم بالله ثم قال في الثالثة عمل قليل
كاف مع العلم بالله وحقيقة النور في الاصل كيفية تنبسط من النيرين على سطح الجسم فينكشف
ما عليه بواسطة البصر ثم شبه به العلم واليقين والمعرفة لما بينهما من الشبه في كشف حقيقة الاشياء
وتبيينها فالنور الحسي ينقطع بانقطاع اصله والنور المعنوي الذي هو نور القلوب لا ينقطع ابدا
فلذلك انشد الشيخ هذا البيت فقال ولذلك قيل ** ان شمس النهار تغرب بالليل ** وشمس القلوب
ليست تغيب ** وليس هو من عند المولف بل هو لغيره وسياتي في المناجات بتمامه ان شاء الله
قال الشيخ زروق رضي الله عنه فشمس القلوب لا تغيب ابدا بل هي ابهر لا تنقطع وباقية لا تنصرم
لبقاء مددها وهو معاني الاوصاف الربانية ودوام محلها وهي الارواح الروحانية فالمتعلق بها متعلق
بحقيقة لا تنصرم ومن هذا الوجه كان غنى القوم بالله لا بالاسباب وتعلقهم به لا بشيء دونه **هذا**
آخر الباب العاشر وحاصله ذكر كيفية الجزاء على الاعمال والزجر على طلبه وتحقيق معنى جعله
في عطائه ومنعه والاعتناء بامتثال المولى بقبوله لا بجده منه ودوام الاضطرار بين يديه والافتقار الى

نعمته والاستيحاش من خلقه بدوام أنسه، ثم أشرق أنواره على قلوب أوليائه وأسرار أصفيائه
جزاء لإقبالهم عليه وانحياشهم إليه فإذا اختبرهم بذلك وهيأهم لما هنالك تجلى عليهم فوصلهم
أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية كما نبه عليه في أول الحادية عشر
بقوله وقال رضي الله عنه ليخفف ألم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبتلي لك فالذي
واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار قلت إذا أصابتك أيها الإنسان
مصيبة أو نزلت بك بلية في بدن أو أهل أو مال فاذكر من أنزل ذلك عليك وما هو متصف به من الرحمة
والرأفة بك والمحبة والعطف عليك لعلك تفهم ما في طي ذلك من النعم وما يعقبه من سوابغ
الفضل والكرم ولو لم يكن إلا تطهيرك من الذنوب وتخليصك من العيوب وترقيتك من حضرة
علام الغيوب فهل تعودت منه إلا الإحسان وهل رأيت منه إلا غاية المبرة والامتنان فالذي
واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار فالذي واجهتك منه أحكام قهره هو
الذي عودك تمام إحسانه وبره فالذي واجهتك منه ظواهر النقم هو الذي أسبغ عليك بواطن
المنن فالذي واجهتك من حضرة قهاريته الرزايا هو الذي أتحفك بأنواع الكرامات والهدايا
ولله در صاحب العينية إذ يقول: تلذ لي الآلام إذ أنت مسقمي ... وإن تمتحني فهي عندي صنائع
تحكم بما تهواه في فإنني ... فقير لسلطان المحبة طائع ... قال الجنيد رضي الله عنه
كنت نائما عند السري فأيقظني وقال لي يا جنيد رأيت كأني وقفت بين يديه فقال لي يا سري خلقت
الخلق فكلهم ادعوا محبتي فخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العشر فخلقت
الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقي معي عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من
البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر فقلت للباقين معي لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم
ولا من النار هربتم فما تريدون قالوا إنك تعلم ما نريد فقلت إني مسلط عليكم من البلايا بعدد
أنفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسي أتصبرون قالوا إن كنت أنت المبتلي فافعل ما شئت هؤلاء
عبادي حقا وقال في التنوير وإنما يعينهم على حمل الأحكام فتح باب الأفهام وإن
شئت قلت وإنما يقويهم على حمل البلايا واردات العطايا وإن شئت قلت وإنما يقويهم
على حمل أقداره شهود حسن اختياره وإن شئت قلت وإنما يصبرهم على وجود حكمه
علمهم بوجود علمه وإن شئت قلت إنما صبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود

اجماله

إجماله وإن شئت قلت إنما صبرهم على القضاء علمهم بأن الصبر يورث الرضا وإن شئت قلت إنما
صبرهم على الأقدار كشف الحجاب والأستار وإن شئت قلت إنما صبرهم على أقداره علمهم بما
أودع فيها من لطفه وإبراره وإلى هذا الأخير أشار بقوله من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك
لقصور نظره قلت من أعظم إحسان الله وبره كون لطفه لا ينفك عن قدره فما نزل القدر
إلا سابقه اللطف وصحبه وبهذا حكم العقل والنقل أما العقل فما من مصيبة تنزل بالعبد إلا وفي قدرة
الله ما هو أعظم منها وقد وجد ذلك فإذا نزلت بك أيها الإنسان مصيبة فاذكر من هو أعظم منك
بلاء فكم من إنسان يتقطع بالأوجاع وكم من إنسان مبتلى بالجذام والبرص والجنون والعمى وكم
من إنسان مطروح في العداديب لا يجد من يأتي له الماء ابتلاه وكم من إنسان أعمى أو مقعد أو محموم
إلى ما لا يتناهى نسأل الله عافيته الدائمة في الدارين وأما من جهة النقل فقد ورد في ثواب الأمراض
والأوجاع أحاديث كثيرة وآيات في الأنبياء في مدح الصابرين منها قوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير
حساب وقوله تعالى وبشر الصابرين الآية إن الله مع الصابرين إلى غير ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم
ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها وحتى الهم يهمه إلا كفر به
سيئاته وورد في الحمى أحاديث كثيرة وأن حمى ساعة تكفر سنة إلى غير ذلك وقد ذكر الشيخ ابن عباد
رضي الله عنه جملة شافية فليطالعه من أراد تكثير الأجور ورفع الستور والرضى بالمقدور وما
ذكرناه كاف إن شاء الله وكان شيخ شيخنا رضي الله عنه يقول صلاح النية فصيح وبالعلم الفتوح فيصير
بالأمر واضح لمن هو لنفسه ناصح فلا يخاف عليك من الجهل بالحق وإنما يخاف عليك من
غلبة الهوى وجهالة الخلق كما أشار إلى ذلك بقوله لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك إنما يخاف
عليك من غلبة الهوى عليك قلت لا شك أن الله سبحانه بين لنا طريق الوصول على لسان
الرسول صلى الله عليه وسلم فبين لنا أعلام الشريعة ومنار الطريقة وأنوار الحقيقة فقرر لنا
شرائع الإسلام وقواعد الإيمان ومقام الإحسان فما ترك صلى الله عليه وسلم شيئا يقربنا إلى الله
إلا دلنا عليه ولا شيئا يبعدنا عنه إلا حذرنا منه لم يأل جهدا في إرشاد العباد وإظهار
طريق السداد فما رحل إلى الله تعالى حتى ترك الناس على الدين القويم والمنهاج المستقيم
على طريق بيضاء لا يضل عنها إلا من كان أعمى قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام
دينا وقال تعالى لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي وقال عليه السلام لقد تركتكم على الحنيفية

السحب وفي رواية على المحجة البيضاء نهارها كليلها، أو كما قال عليه السلام. وقال أحمد بن
خضرويه البلخي رضي الله عنه الطريق واضح، والدليل لائح، والداعي قد أسمع، فما التحير بعد
هذا إلا من العمى. وسمعت رابعة العدوية صالحا المري يقول من أدام قرع الباب يوشك
أن يفتح له فقالت له الباب مفتوح وأنت تفر منه كيف تصل إلى مقصد أخطأت الطريق إليه
في أول قدم انتهى كلامهما رضي الله عنهما. ولا يخاف عليك أيها المريد أن تلتبس الطرق الموصلة
إلى الله تعالى عليك لانتهائها غاية الوضوح، وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك فيصمك
ويعميك إن الهوى ما تولى يصم أو يصم، ولا يخاف عليك التباس الهدى إنما يخاف عليك
اتباع الهوى، ولا يخاف عليك التباس الحق إنما يخاف عليك جهلة الخلق وإن تطع أكثر
من في الأرض يضلوك عن سبيل الله، ولا يخاف عليك عدم وجود أهل التحقيق، وإنما يخاف عليك
قطاع الطريق. ولا يخاف عليك من خفاء أهل الحق إنما يخاف عليك من قلة الصدق، فلو صدقوا الله
لكان خيرا لهم والله ما حجبهم عنك إلا من عدم صدقك فلو صدقت تعلقك بالله وبأولياء الله
لرفع الله الحجاب بينك وبينهم ووجدتهم أقرب إليك من أن ترحل إليهم فسبحان من
سترهم في حال ظهورهم وأظهرهم في حال خفائهم كما نبه عليه الشيخ بقوله سبحان من ستر
سر الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية. قلت
الخصوصية هي نور الحق يشرقه الله في قلوب خواص عباده المقربين بعد تطهيرها من الأكدار
وتنزيههم من المساوي والأغيار، فيغيبون به عن شهود أنفسهم بشهود محبوبهم وسرها
هو ما احتوى عليه ذلك النور من الكمالات العلية، والنعوت القدسية، من الصفات الحسنية،
التي تليق بالمتخلق به كالكبرياء والعز والقوة والعظمة والإجلال وكالاتصاف بالقدرة التامة
والعلم المحيط وسائر أوصاف الكمال. ثم إن الحق سبحانه من عظيم حكمته وباهر قدرته أن ستر
تلك الأوصاف اللازمة لذلك النور بظهور أضدادها التي هي أوصاف العبودية فستر كبرياءه
وعظمته بظهور الذل والفقر والضعف على العبد وستر قدرته وإرادته بظهور العجز والقهرية
عليه وستر علمه المحيط بظهور الجهل والسهو إلى غير ذلك من أوصاف العبودية المقابلة
لأوصاف الربوبية فسبحان من جعل الأشياء كامنة في أضدادها فستر كمالات الربوبية بنقائص
العبودية ولولا ذلك لكان السر غير مصون والكنز غير مدفون وسيأتي قوله ستر أنوار السرائر

بسحائب الغمام إجلالا لها أن تبتذل بالإظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار ولذلك قال الشيخ أبو
العباس المرسي رضي الله عنه لو كشف عن نور الولي لعبد من دون الله. وثبت عن الشيخ أبي يزيد رضي الله عنه
أنه لما تجلى له هذا النور قال سبحاني ما أعظم شأني. وقال الحلاج رضي الله عنه: أنا أنت بلا شك
فسبحانك سبحاني، توحيدك توحيدي، وعصيانك عصياني. وقال أيضا رضي الله عنه:
سبحان من أظهر ناسوته، سر سنا لاهوته الثاقب، ثم بدا في خلقه ظاهرا، في صورة الآكل
والشارب، حتى لقد عاينه خلقه، كلحظة الحاجب بالحاجب. وبالإظهار هذا وأمثاله
قتل رضي الله عنه فمن لطف الله تعالى ورحمته أن ستر ذلك السر بظهور نقائص صونا لذلك السر أن
يظهر لغير أهله ومن أفشاه لغير أهله قتل كما فعل بالحلاج. وكما ستر سر الخصوصية بظهور
أضدادها ظهر بعظمة الربوبية في مظاهر العبودية. قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه العبودية
جوهرة أظهر بها الربوبية إذ الربوبية تقتضي مربوبا موصوفا بضد ما اتصف به ربه من
الكمالات الإلهية والنعوت القدسية فما ظهرت أوصاف الربوبية التي هي الغنى والعز والقدرة
وغير ذلك من الكمالات إلا في أضدادها من الفقر والذل والضعف وغير ذلك فالفقر الحقيقي شامل
لسائر الموجودات والغنى المطلق واجب لمن تجلى في الأرض والسموات يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى
الله والله هو الغني الحميد. فإذا تقرر هذا علمت أن الإضافة في سر الخصوصية ليست هي للبيان
بل هي للتخصيص فسر الخصوصية غير الخصوصية إذ الخصوصية هي النور الذي يقذفه الله في قلوب أوليائه
وسرها هو الكمالات التي تلازم ذلك النور كما تقدم. واعلم أن سر الخصوصية الذي جعله الله
في أوليائه وستره بظهور وصف بشريتهم قد يظهره عليهم على وجه خرق العادة فيفتح
بظهوره على وليه من قدرته وعلمه وسائر كمالاته ما تحار فيه العقول وتندهش فيه الأذهان لكن لا يدوم
ذلك لهم بل يكون على سبيل الكرامات وخرق العادات يشرق عليهم شموس أوصافه فيتصفون
بصفاته ثم يقبض ذلك عنهم فيردهم إلى حدودهم فنور الخصوصية وهو المعرفة ثابت لا يزول
ساكن لا يحول وسرها وهو كمالاته تعالى تارة يشرق على أفق بشريتهم فيتصفون بأوصاف
الربوبية وتارة يقبضه عنهم فيردهم إلى حدودهم وشهود عبوديتهم والمعرفة ثابتة
والواردات مختلفة والله أعلم. واعلم أيضا أن أوصاف البشرية التي ستر الله بها سر
الخصوصية إنما هي الأوصاف الذاتية اللازمة للبشر كالأكل والشرب والنوم والنكاح لا الأوصاف

المذمومة المناقضة للعبودية كالكبر والعجب والحسد والغضب وغير ذلك فإن تلك الأوصاف
ذهبت بظهور العناية وسوابق الهداية إذ لا تثبت الخصوصية إلا بعد محوها بخلاف الأوصاف
الذاتية فإنها تجامع الخصوصية كما سيأتي إن شاء الله فلا يضر بقاؤها وصوانها وبوجودها وقع
الستر والخفاء لأولياء الله غيرة عليهم أن يعرفهم من لا يعرف قدرهم **قال** في لطائف المنن فأولياء الله
أهل كهف الإيواء فقليل من يعرفهم **وسمعت** الشيخ أبا العباس رضي الله عنه يقول معرفة الولي
أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله ومتى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب
كما تشرب وإذا أراد الله أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته
تنبيه هذا النور الذي أشرقه الله في قلوب أوليائه كان كامنا في الروح في أصل بروزها فإن أصلها نورانية
عالمة بأسرار الغيب دراكة للأشياء على حقيقتها وإنما حجبها عن ذلك تجنيها في هذا البدن الكثيف
واشتغالها بحظوظه وشهواته فمتى أدبها وردها على يد شيخ كامل رجعت إلى أصلها قال في المباحث
ولم تزل كل نفوس الأحياء علامة دراكة للأشياء وإنما تعوقها الأبدان والأنفس النزوع والشيطان
فكل من أتم جهاده أطاع للقواعد في العادة فإذا كمل تطهير الروح من الأغيار
وأشرقت عليها شموس الأنوار وكوشفت بأسرار الذات وأنوار الصفات وغرقت في بحر التوحيد الذي
تكل منه العبارة ولا تحيط به الإشارة وهو التوحيد الخاص الذي أشار الهروي بقوله ما وحد الواحد
من واحد إذ كل من وحده جاحد توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد توحيده
إياه توحيده ونعت من ينعته لاحد ومعناه أن الحق سبحانه تولى توحيد نفسه بنفسه
فكل من ادعى أنه وحده بنفسه فهو جاحد لوحدانيته حيث أشرك معه نفسه وكل من ينعته بنفسه
فهو لاحد أي مائل عن الصواب والله تعالى أعلم **فإذا** طلبت ربك في تطهيرك من وصف البشرية لتنكشف
لك سر الخصوصية ثم تأخر مطلبك فإنما ذلك من سوء أدبك كما نبه عليه بقوله **لا تطلب ربك
بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك** **قلت** هذه قاعدة عامة وإن كانت مناسبتها
خاصة فإذا طلبت شيئا ثم تأخر ظهور ذلك المطلب فإنما ذلك لما فاتك من حسن الأدب ولو لم يكن
إلا فقد خصوص ذلك الطلب فلا تعاتب ربك أن يعجل مطلبك بسبب تأخره عنك ولكن طالب
نفسك بتأخر أدبك فلو أحسنت الأدب في الطلب لقضيت حاجتك معجلة وإن لم تقض حسا وحسن
الأدب هنا هو الاكتفاء بعلمه ورضاك بحكمه واعتمادك على ما اختاره لك دون ما اخترته لنفسك

لقلة علمك وقد ضمن لك الإجابة فيما يريد لا فيما تريد وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد ولله در القائل
كم رمت أمرا خرت لي في انصرافه فلا زلت بي مني أبر وأرحما عزمت على ألا أحس بخاطر على
القلب إلا كنت أنت المقدما وألا تراني عند ما قد نهيتني لأنك في قلبي كبير معظما **قال**
وهيب بن منبه رضي الله عنه قرأت في بعض الكتب يا ابن آدم أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك إني عالم
بخلقي أنا أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمري ولست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي **واعلم**
أن الأدب وأكمله امتثال أمره والاستسلام لقهره كما نبه عليه بقوله **متى جعلك في الظاهر ممتثلا لأمره
وفي الباطن مستسلما لقهره فقد أعظم المنة عليك** **قلت** إنما كان من أعظم المنة لأنه
شاهد المعرفة التي هي منتهى الهمم وأقصى غاية النعم فامتثال الأمر في الظاهر يدل على كمال
الشريعة وتحقيق العبودية والاستسلام للقهر في الباطن يدل على كمال الطريقة ونهاية الحقيقة
والجمع بينهما هو غاية الكمال إذ منتهى الكمالات الشرائع فمتى جعلك أيها الإنسان في الظاهر
ممتثلا لأمره ومجتنبا لنهيه وفي الباطن مستسلما لقهره فقد أعظم منته عليك حيث أراح
ظاهرك من عنت المخالفة وأراح باطنك من تعب المنازعة أو تقول حيث زين ظاهرك بالطاعة
وزين باطنك بالمعرفة فالواجب عليك أن تشكر هذه النعمة وتعرف قدرها حتى تعظم محبة الله في قلبك
وذلك أقصى مرادك ومقصدك والسعد والحظ العظيم ومتى أثبت لك هذا الأمر فقه خلصك من نفسك
وحررك من رق حظك فلا تبالي معها ما فاتك من تخصيص الكرامات الحسية لأنها أمور وهمية كما
أشار إلى ذلك بقوله **ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه** **قلت** المراد هنا بالتخصيص تخصيصه
بالكرامة الحسية والمراد بالتخليص تخليصه من رق الحظوظ ومن بقية الهوى فليس كل من ثبت تخصيصه
بالكرامات الحسية كمل تخليصه من حظوظه النفسية ليس كل من ثبت تخصيصه بالكرامات
كمل تخليصه من العوائد والشهوات بل قد يعطى الكرامة الحسية بعض من لم يتخلص من حظوظه
النفسية وحكمة ظهورها عليه ثلاثة أمور أحدها إنهاضه في العمل لحصول فترة أو فتور
الثاني اختبار له هل يقف معها فيحجب أو يرتفع عنها فيقرب الثالث زيادة في يقينه أو يقين
الغير فيه لينتفع به وهي مقصودة بالتفصيل على كل حال **قال** سهل بن عبد الله رضي الله عنه لرجل قال
له إني أتوضأ فيجري الماء يسقط من يدي قضبان ذهب وفضة فأجابه بقوله أما علمت أن الصبيان إذا بكوا
أعطوا خشخاشة يشتغلون بها **قال** بعض العلماء ما رأيت هذه الكرامات إلا على أيدي البله

من الصديقين قلت بالكرامة العظمى هي المعرفة والاستقامة ورفع الحجاب وفتح الباب فلا كرامة أعظم
من هذا وسيأتي الكلام على هذا المعنى بعد إن شاء الله ويحتمل أن يريد بالتخصيص تخصيص التقريب والاقتراب
والهداية فليس كل من ثبت تخصيصه بالهداية وشروق الأنوار كمل تخليصه من رؤية الأغيار فقد
يخص بالمجاهدة والمكابدة ولا يحظى بالمعرفة والمشاهدة فقوم أقامهم لخدمته وقوم اختصهم
لمحبته كما تقدم فالعباد والزهاد ثبت تخصيصهم وهم من عوام المقربين ولم يكمل تخليصهم من شهود
السوى حتى يكونوا من خواص العارفين وبالله التوفيق هذا آخر الباب الحادي عشر

وحاصلها تحقيق الأدب في التعرفات الجلالية بدوام معرفته وشهود نعمته في نقمته وجمال لطفه
وبره في حال قضائه وقدره حتى لا يغلبك الهوى فتلتبس عليك طريق الهدى أو تقف مع ظواهر الأشياء
التي هي محل الجلال فتحجب عن البواطن التي هي مستقر الجمال فالذات جلال والصفات جمال فمن وقف
مع ظواهر الجلال حجب عن شهود الجمال وحرم من معرفة الرجال وكان محجوبا عن ذي العظمة
والجلال فيصحح الأدب ويرجى حصول المطلب فإذا استحكمت العناية وهبت عليه ريح الهداية
شغل ظاهره بوظائف العبودية وباطنه بشهود الربوبية فكان في الظاهر ممتثلا لأمره وفي الباطن
مستسلما لقهره فتمت عليه نعمة مولاه وكمل تخليصه من حظوظه وهواه فحينئذ يعظم
ما عظم مولاه ولا يستحقر شيئا من أسباب محبته ورضاه كما أبان ذلك في أول الباب الثاني عشر
فقال وقال رضي الله عنه لا يستحقر الورد إلا جهول الوارد يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوي
بانطواء هذه الدار وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والواردات تطلبه
منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه قلت الورد في اللغة هو الشرب قال تعالى بئس
الورد المورود وفي الاصطلاح ما يرتبه العبد على نفسه أو الشيخ على تلميذه من الأذكار والعبادات والوارد
في اللغة هو الطارق والقادم يقال ورد علينا فلان أي قدم وفي الاصطلاح ما يتحف الحق تعالى قلوب أوليائه
من النفحات الإلهية فيكسبه قوة محركة وربما تدهشه أو تغيبه عن حسه ولا يكون إلا بغتة ولا يدوم
على صاحبه ثم إن الورد ينقسم على ثلاثة أقسام ورد العباد والزهاد من المجتهدين وورد أهل السلوك
من السائرين وورد أهل الوصول من العارفين فأما ورد المجتهدين فهو استغراق الأوقات في أنواع
العبادات وعبادتهم بين ذكر ودعاء وصلاة وصيام وقد ذكر في الإحياء والقوت أوراد النهار وأوراد
الليل وعين لكل وقت وردا معلوما وأما ورد السائرين فهو الخروج من الشواغل والشواغب وترك العلائق

والعوائق

والعوائق وتطهير القلوب من المساوي والعيوب وتحليتها بالفضائل بعد تخليتها من الرذائل
وعبادتهم فكرة واحدة وهو ما يعينه له الشيخ لأن يدوم عليه مع جمع القلب وحضوره مع الرب وأما ورد
الواصلين فهو استغراق الهوى في محبة المولى وعبادتهم فكرة أو نظرة مع العكوف في الحضرة
فكل من أقامه مولاه في ورد فليلتزمه ولا يتعد طوره ولا يستحقر غيره إذ العارف لا يستحقر شيئا بل
يصحب مع كل واحد في مقامه ويقر كل شيء في محله فلا يستحقر الورد ويطلب الوارد إلا جهول أو معاند
وكيف يستحقر الورد وبه يكون الورود على الملك المعبود الورد يوجد في ثوابه وثمراته الدار الآخرة
والوارد الذي تطلبه ينطوي بانطواء هذه الدار قال تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون
وجاء في الخبر أن الله يقول ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم وأيضا المراد من الواردات
نتائجها وثمراتها وهو ما يعقبها من اليقين والطمأنينة والرضى والتسليم وغير ذلك من المحاسن فإذا
أعطتك نتائجها وجنيت ثمراتها فقد أغنى الله عنها فلا يستحقر الورد ويطلب الوارد إلا من
كان عبد الوارد وأما من كان عبد الله فلا يلتفت إلى ما سواه بل يلتزم ما هو مكلف به من وظائف
العبودية فيؤدي ما يجب لعظمة الربوبية فهو الذي يدوم وبه يتوصل إلى رضى الحي القيوم وأولى
ما يعتنى به الإنسان ما لا ينقطع وجوده بانقطاع موته وهو ورده فينبغي وجوده ما دام في هذه
الدار فليس في تلك الدار عمل وإنما هي دار جزاء وحصول أمل فالدنيا دار عمل لا جزاء فيها والآخرة
دار جزاء لا عمل فيها فليغتنم الإنسان عمره قبل الفوات فما من زمان يخلو عنه إلا وهو فائت منه
وقد جاء في الحديث لا تأتي على العبد ساعة لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة
والذكر متنوع كل بحسب حاله وقال الحسن رضي الله عنه أدركنا أقواما كانوا على ساعاتهم
أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم وفي معنى ذلك قيل ∴ السباق السباق قولا وفعلا ∴
∴ حذر النفس حسرة المسبوق ∴ وفي بعض الأحاديث عنه عليه السلام من استوى يوماه فهو
مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ومن لم يكن في الزيادة فهو في النقصان ومن كان في النقصان
فالموت خير له وأولى ما يعتنى به العبد أيضا ما هو طالبه منه الحق تعالى وهو الورد دون ما يطلبه
هو منه وهو الوارد فالورد من وظائف العبودية وهو الذي طلبه منا الحق تعالى والوارد من وظائف
الحرية ولذلك تطلبه النفس ونحن عبيد الله وأين ما هو طالبه منا مما هو مطلبنا منه بينهما فرق
كبير قال الشيخ زروق رضي الله عنه بينهما في القدر ما بينهما في الوصف فقضاء الله أمره وشرطه

الله اوثق وانما الولاء لمن اعتق هـ فصل ان الاعتناء بالورد افضل واكمل من الاعتناء بالوارد لان الورد
من وظائف العبودية وهي لا تنقطع مادام العبد في هذه الدار كما ان حقوق الربوبية لا ينقطع كذلك
حقوق العبودية لا تنقطع قال النقشبندي رحمه الله ولهذا لم يترك العبادة سيد هذا المقام
صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له كيف تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا فاجاب صلى الله عليه وسلم ان شكر النعمة لا تقطع الخدمة وهو
موجب المزيد فالمنعم عليه يشكر لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وهذا سبيل طائفة الجنيد رضي الله عنه لم يترك ورده
في حال نزاعه فقيل له في ذلك فقال ومن اولى مني بذلك وهذه صحائفي تطوى فلم يترك الخدمة رضي الله عنه
في مثل هذه الحالة فكيف بسواها قيل له ان جماعة يزعمون انهم يصلون الى حالة يسقط عنهم
التكليف فقال وصلوا ولكن الى سقر وقال في كلام في اخر هذا كلام من يقول بالاباحة والسرقة والزنا
عندنا هون حالا ممن يقول بهذه المقالة ولقد صدق رضي الله عنه في قوله هذا لان الزاني والسارق
عاص بزناه وسرقته ولا يصل الى حد الكفر واما القائل بسقوط التكاليف المعتقد لذلك فقد انسلخ من الدين
كانسلاخ الشعرة من العجين فعض على هذا الامر بالنواجذ ولا تسمع كلام من اخذ الحقائق من
الكتب وصار يتكلم بالزندقة والاتحاد واسقاط الاعمال على حسب فهمه وهواه قال صلى الله عليه
وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله فعليك بمتابعته صلى الله عليه وسلم ومتابعة السلف الصالح في الاقوال والافعال والاحوال
تحظ بمقامهم وتحشر معهم فالمرء مع من احب انتهى كلام النقشبندي وهو حسن لان من اخذ الحقائق
من الكتب لا ذوق عنده وانما يتزين بعلم الحقيقة بالعلم فيتبع الرخص ويسقط في مهاوي الهوى
واما من كان من اهل الاذواق فسره مكتوم وامره مختوم عبادته ادب وسكينة وهو ابدا في
الشكر وكيف ينكر الواسطة ولولا الواسطة لذهب الموسوط قال ابو الحسن الدراج رضي الله عنه
ذكر الجنيد اهل المعرفة بالله وما يراعونه من الاوراد والعبادات بعدما اتحفهم الله به من
الكرامات فقال الجنيد رضي الله عنه العبادة على العارفين احسن من التيجان على رؤوس الملوك هـ
وقد رأى رجل الجنيد رضي الله عنه وفي يده سبحة فقال له انت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة
فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا فلا نتركه ابدا هـ والشريعة باب والحقيقة بيت الحضرة قال تعالى
واتوا البيوت من ابوابها فلا دخول للحقيقة الا من باب الشريعة ولله در سيدي عبد الله الهبطي الزجلي

رضي الله عنه حيث يقول في منظومته * وثالث الفصول في الشريعة * لانها الى الهدى ذريعة *
* فكل باب دونها مسدود * ومن ابتغى غيرها مردود * فذا اضطرار بناء وجل * فيضل
وجوده على الملا * طريقة العدنان للرحمان * محفوفة بالنور والرضوان * طوبى لمن اتى بها
لعين * والويل للذي بها لم يعتن * يا ايها المريد ان اردت * وصال من تحبه شغفت *
منك الكف باولي * على شريعة النبي الامي * فمل جميع ما له الشرع ارتضى * وكن لكل ما سواه
رافضا * ترى العوائد صافيا وشاقها * وعن سوى المولى الى المولى ارتقا * فبالشريعة الوصال الحقا
* كالفوز بالبقاء من بعد الفناء * ومن يضل الخير في سواها * فانه والله ما رآها * قلت
وقد رأيت كثيرا من الفقراء قصروا في الشريعة فحجبوا من الطريقة وسلبوا نور الحقيقة ورأيت
داخرين كل امد هم في صحبة القوم ولم يظهر عليهم بهجة المحبين ولا سيما العارفين وما ذلك الا
لعدم التحقق على مراسم الشريعة وكان شيخنا البزيدي رضي الله عنه يقول كل من تزي الشريعة
من غير جذب ولا عذر فهو سلكوي كبير قلت والله ما رأينا الخير الا فيها وما ربحنا الا منها
بالله يرزقنا الادب معها الى يوم البعث ولقد اعفاء امين ثم ذكر ثمرة الورد ونتيجته وهو المدد الالاهي
اذ بقدر الاستعداد تحصل الامداد ولا استعداد لها الا بدوام الاوراد وتنوع العوائد فقال
ورود الامداد بحسب الاستعداد قلت المراد بالامداد انوار التوجه للعارفين وانوار
المواجهة للواصلين وهي تتوالى على قلوب العباد بحسب التأهب والاستعداد فبقدر المجاهدة
تكون المشاهدة وبقدر التخلية تكون التحلية وفائدة هذه الامداد تطهير القلوب من الاغيار
وتقديس الاسرار من غبش الحس والاكدار او الوقوف مع الانوار فبانزال امطار المدد تنزل
على ارض النفوس الطيبة والقلوب المطهرة والارواح المنورة والاسرار المقدسة حتى تمتلئ
بانوار المعاني فتنشأ لها اسرار الذات وتتجلى لها انوار الصفات فتغيب بشهود
الذات عن اثر الصفات ثم ترد الى شهود الصفات بالذات والذات بالصفات لا يحجبها جمعها
عن فرقها ولا فرقها عن جمعها تعطي كل ذي حق حقه وتوفي كل ذي قسط قسطه قال شيخ
شيخنا رضي الله عنه في بعض رسائله فان غلبتوا في وقت فكونوا كالجبال تحسبها جامدة وهي تمر
مر السحاب فلنا اذا زهدتم في الدنيا بالكلية وقطعتم الاياس من الرجوع اليها بالكلية ثم اعتقدتم
في شيخكم انه كامل وانه على قدم الانبياء عليهم السلام من ورثة النبي صلى الله عليه وسلم فوالله

العظيم لينزل عليكم المدد الليل والنهار والشهر والعام وفي كل وقت وساعة ولحظة حتى تمتلئ قلوبكم
بمعرفة الله وتطمئن قلوبكم بذكر الله وتكونوا كالجبال الراسية هذا معنى كلامه باختصار رضي الله عنه وهو
كما قال لأن الزاهد في الدنيا تفرغ قلبه وتخلى من الأكدار وتهيأ للأنوار فإذا نزل المدد وجد القلب
متسعا فيصير أمنا فيها جمله من أنواره وحلاه بحلية أسراره بخلاف ما إذا كان القلب معمورا بأغيار الدنيا
لم يجد المدد موضعا ينزل فيه فيرجع من حيث جاء واعتقاد الشيوخ هو عين الصدق وبقدر الصدق ينبع
المدد ولا ينكر أن يقطع الوهم أو يذهب الحس إلا الصدق مع الزهد فبالزهد يتهيأ المدد وبالصدق
يفيض عليه المدد فكلما أضاء المدد غسل وساخ الوهم فإذا لم يبق للوهم أثر حصل الفوز في النجح
والله تعالى أعلم ثم فسر الأمداد وكيفية الاستعداد فقال **شروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار**
قلت شروق أنوار المعارف في سماء القلوب يكون على قدر صحوها من سحب الآثار وغيم الأغيار
كما قال الشاعر ان تلاشى الكون عن عين كشفي ** شاهد السر غيبه في بيان ** فاطرح الكون عن
عيانك وامح ** نقطة الغين إن أردت تراني ** فبقدر صفائها ومحوها يكون تمام إشراق نورها
فإذا انجلى عن سماء القلوب سحب الآثار وغيم الأغيار أشرق فيها نور الفناء فيغيب القلب والروح
عن الرسوم ولم يبق إلا الحي القيوم وإذا انجلت عن الأسرار غيوم الأنوار أشرق فيها نور البقاء فيفنى من
لم يكن ويبقى من لم يزل ولصاحب العينية رضي الله عنه ** فغبنا بها عن فناء أنية ** هوية ليلى
لا ثانية قاطع ** وكنت كأن لم يبق وهو أنه ** كما لم يزل فردا وللكل جامع ** فشمس أفق
الألوهية تشرق ** وبدر بأفق الربوبية طالع ** فلا غيبة حتى فنيت وهي لم تكن ** ولا كنت
بالوهم كنت الطالع ** ** ** **وحاصله** شروق هذه الأنوار ترك التدبير والاختيار والاشتغال
بغير الواحد القهار كما أشار إليه بقوله **الغافل إذا أصبح نظر فيما ذا يفعل والعاقل ينظر**
ماذا يفعل الله به **قلت** الغافل هو الجاهل بالله ولو كثر ذكره باللسان والعاقل هو العارف بالله
ولو قل ذكره باللسان إذ المعتبر هو ذكر الجنان فالغافل نفسه موجودة وفي أماله مفقودة إذا
أصبح نظر ماذا يفعل بنفسه فيدبر شؤونه ويشاور بعقله وحده فهو ناظر لفعله معتمد
على قوته وحوله فإذا جرى القضاء بما لا يرضاه وهدم له ما أمله غضب وسخط وحزن وقنط
ونازع ربه وأساء أدبه فلا جرم أنه يستحق من الله البعد ويستوجب قلبه الوحشة والطرد
إلا أن وصله الله إليه وأدام الوقوف بالباب حتى يرفع عنه الحجاب فجنبنا بالحق بالأحباب

وأما

وأما العاقل وهو العارف فقد تحقق قلبه عن نظرة ربه والتجمع إليه بكلية قلبه فأشرق في قلبه شموس
العرفان وطوى من نظره وجود الأكوان فليس له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار فهو بالله ومن
الله وإلى الله فقد غني عن نفسه وبقي بربه فلم ير لها نفعا ولا ضرا ولا قوة ولا حولا فإذا أصبح ينظر
ماذا يفعل الله به فيتلقى ما يرد عليه بالفرح والسرور والبهجة والحبور فما هجم عليه من حق اليقين
والغرائب العالية **قال** سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القدر
وقال أبو عثمان رضي الله عنه منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره فسخطته
فإذا أراد الفقير أن يكون نظره بالله فليغب عن حظوظه وهواه فإذا أراد أن يفعل أمرا فليتأن
ويصبر ويستمع إلى الهاتف فإن الله تعالى يسمعه ما يريد أن يتوجه إليه فعلا أو تركا وقد جربنا هذا
في سفرنا وإقامتنا فكنا لا نتصرف إلا بإذن خاص والحمد لله وصاحب الاعتناء كله هكذا مع التأني
فإن التأني من الله والعجلة من الشيطان وكثيرا ما كان الشيخ المجذوب الولي العارف سيدي أحمد أبو
سلهام ينشد هذا البيت ** تأن ولا تعجل لأمر تريده ** وكن راحما بالخلق تبلى براحم **
فعليك أيها المريد بالاعتناء بهذا الأمر وافهم عن الله في أمورك كلها وأنشد على نفسك
اتبع رياح القضا ودر حيث دارت ** وسلم لسلمى ومر حيث سارت ** واستعن على هذا الأمر
بأدعيته عليه السلام في هذا المقام كقوله اللهم إني أصبحت لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا
حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أن أتقي إلا ما وقيتني فوفقني اللهم لما ترضاه
مني من القول والعمل في عافية وستر إنك على كل شيء قدير **وكقوله** أيضا عليه السلام اللهم إني
أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهنا بعملي
فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسئ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا
أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا تسلط علي من لا يرحمني إلى غير ذلك من الأدعية التي تكسب الرضى والتسليم
والمقصود من دعائه عليه السلام فهم معانيها لا مجرد ألفاظها فالمراد المعاني لا الأواني والله تعالى
أعلم **ويجمع** هذه المعاني وصية شيخ شيخ طريقتنا ابن مشيش للشيخ أبي الحسن الشاذلي قال له ضع علي
وظائف وأورادا فغضب وقال له أرسول أنا أوجب الواجبات الفرائض معلومة والمعاصي
مشهورة فكن للفرائض حافظا وللمعاصي رافضا واحفظ قلبك من إرادة الدنيا وحب
النساء ومن الجاه وإيثار الشهوات واقنع بذلك كله بما قسم الله لك إذا خرج لك مخرج الرضى

وهو جماله تعالى ويكى لهم فيه شاكرا، واذا اخرج لك مخرج السخط وهو جلاله تعالى وكن عليه طالبا فوهب
الله فضلا تدور عليه الخيرات، واصل جامع لجميع الكرامات، ومحصول ذلك كله اربعة. صحة الورع
وحسن النية، واخلاص العمل، وصحبة العلم، ولا يتم ذلك الا بصحبة اخ صالح او شيخ ناصح ‌هـ وقال
الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه احرص ان تصحب وتتبع معرضا مستسلما لعله ينظر اليك فيرحمك ‌هـ وقال
بعضهم من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد الى الله ، من رأى الحق غاب عن
نفسه ومن رأى نفسه حجب عن الله ثم ان العاقل الذي ينظر ما يفعل الله هو العارف كما تقدم لانه هو الذي
يتحقق فيه ذلك ومن علامته انه لا يستوحش من شيء لمعرفته في كل شيء، وفهمه عن الله في كل شيء بخلاف غيره
من العباد والزهاد وهو الذي اشار اليه بقوله انما استوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن
الله في كل شيء، فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء قلت العباد هم الذين غلب
عليهم العمل فهم مستغرقون في العبادة الحسية يقومون الليل ويصومون النهار شغلتهم حلاوة
العبادة عن حلاوة شهود المعبود فحجبوا بعبادتهم عن معبودهم والزهاد هم الذين غلب عليهم
الترك فهم يفرون من الدنيا واهلها، اقواحلاوة الزهد فوقفوا معه فحجبوا عن الله فهم يستوحشون
من الاشياء لغيبتهم عن الله فيها ولو عرفوا الله في كل شيء ما استوحشوا من شيء، ولانسوا بكل شيء
وتلذذوا بجوامع كل شيء، والعارفون لنفوذ بصيرتهم شهدوا الخلق مظاهر من مظاهر الحق فحجبوا
اولا بالحق عن الخلق وبالمعنى عن الحس وبالقدرة عن الحكمة ثم ردوا الى شهود الحق في الخلق والقدرة
في الحكمة فخبروا عن جوا في كل شيء، انسوا بكل شيء، وتلذذوا بجوامع كل شيء، وعظموا كل شيء، وفي هذا
المقام قال المجذوب رضي الله عنه، الخلق نوار، وانا رعيت فيهم هو الحجب الاكبر والمدخل فيهم
وقال سيدي علي رضي الله عنه على قول الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في شأن الخلق انهم كالهباء
في الهواء ان فتشتهم لم تجدهم شيئا قال بل ان فتشتهم وجدتهم شيئا وذلك الشيء ليس كمثله
شيء، يعني وجدتهم مظاهر من مظاهر الحق انوار من انوار الملكوت، ولاجة من بحر الجبروت كما قال
صاحب العينية رضي الله عنه تجليت في الاشيا حين خلقتها فها هي ميطت عنك فيها البراقع
فقطعت الورى من ذات نفسك قطعة ولم يك موصولا ولا فصل قاطع وقال شيخ
شيوخنا المجذوب طلع النهار على قلبي حتى نظرت بعينيا انت دليلي يا ربي انت
اولى من بيا والحاصل ان العارفين بالله غابوا عن شهود الخلق بشهود الحق فهم

مع

مع الخلق بالاشباح، ومع الحق بالارواح، ماتوا وبعثوا وقامت قيامتهم وتبدلت في حقهم الارض غير
الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فهم يرون الانوار، والناس في ظلمة الاغيار، كشف لهم
في هذه الدار عن اسرار مكوناته، مسدولة عليها قهارية استاره، وسيكشف لهم في تلك الدار عن اسرار
ذاته، من غير حجاب الحكمة التي هي اثر صفاته، كما اشار الى ذلك بقوله امرك في هذه الدار ان تنظر
في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن حقيقة ذاته قلت انما امرك في هذه الدار ان تنظر
اليه بواسطة مكوناته لانك لا تقدر هنا ان تنظر الى حقيقة ذاته المقدسة في عظمة الجبروت الا في حلي
واسطة لضعف نشاتك وان كان ذلك جائزا عقلا ولذلك طلبه سيدنا موسى عليه السلام لا كن حكمة الحكيم
اقتضت تغطية اسرار الربوبية بانوار سبحات الالوهية، اذ لا بد للحسناء من نقاب، وللشمس من
سحاب، ولو كشفهم من غير رداء الكبرياء لوقع الادراك ولم يبق حينئذ فرق في التنزيه اسرار الذات، انما
هو بالنظر الى انوار الصفات، وهو لا ينقطع ابدا في الدارين فلا تتناهى الذات فمن غير مظهر اما
في المعنى لا تقبض الا بالحس هذا مذهب اهل التحقيق من اهل المعاني فان قلت كيف فرق الشيخ
بين الرؤيتين باعتبار الدارين والتحقيق ان الرؤية واحدة لان المتجلي متحد فالجواب انه لما كان
متجلي هذه الدار الحس غالب فيه على المعنى والحكمة ظاهرة والقدرة باطنة ومتجلي الدار الاخرة
بالعكس المعنى فيه غالب على الحس والقدرة ظاهرة انكشف ثم عن حقيقة الذات اكثر مما انكشف
هنا فبهذا المعنى وقع التفريق بين الرؤيتين ومثله قول الشيخ ابي الحسن رضي الله عنه في حزبه الكبير
عز الدنيا بالايمان والمعرفة وعز الاخرة باللقاء والمشاهدة ثم هذا باعتبار الخواص واما العوام
فلا يرون الا الحس في هذه الدار وفي تلك الدار واما الرؤية التي تحصل لهم يوم المزيد فيحتمل ان يكشف
لهم نورا من انوار قدسه ويحصل لهم المعرفة فيه وهو ظاهر الحديث او يغيبهم عن حسهم
في ذلك الوقت حتى يشهدوا معاني الذات ويتلذذوا برؤيتها ثم يردهم الى حسهم والحاصل
ان تجلي الذات على قسمين قسم يكون بوسائط كثيفة ظاهرها ظلمة وباطنها نور ظاهرها
حكمة وباطنها قدرة ظاهرها حس وباطنها معنى وهو تجلي هذه الدار وقسم يكون بوسا
لطيفة نورانية ظاهرها نور وباطنها نور ظاهرها قدرة وباطنها حكمة ظاهرها معنى
وباطنها حس وهو تجلي دار الاخرة فالعارفون يحصل لهم الشهود والمعرفة في هذه الدار
وفي تلك الدار لا يحجبهم عن الله قصور ولا حور بل يحصل لهم النظرة والسرور والنضرة والحبور ذلك انهم

لما هو فيه هنا لم يحجبهم هناك يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه بخلاف العامة فإنه
لما حجبهم هنا بشهود أنفسهم انحجبوا هناك عن رؤية معبودهم إلا وقت مخصوص على وجه مخصوص
ولذلك كتب ابن العربي الحاتمي إلى الإمام الرازي فقال له تعالى تعرف بالله اليوم قبل أن تموت فإذا تجلى
الله لعباده أنكرته ولم تعرفه وسئل الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه عن رجل يدعي أنه
يرى الله ببصره وهو في هذه الدنيا فسأله عن ذلك فقال نعم فانتهره ونهاه عن هذا القول ثم قيل له أمحق هو
أو مبطل فقال هو محق ملبس عليه وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرق من بصيرته إلى بصره
فنفذ في بصره بصيرته وبصيرته تتصل شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره رأى ما شهدته بصيرته وإنما
رأى بصره بصيرته فحسب هو والحاصل أنه انعكس بصره في بصيرته وفي بصيرته وخرق نورها ببصره
ومعنى ذلك أن الروح مادامت محجوبة بالبشرية كان النظر إنما هو للبصر الحسي فلا يرى إلا الحس فإذا
استولت الروحانية على البشرية انعكس نظر البصر إلى البصيرة فلا يرى البصر إلا المعاني التي كانت
تراها البصيرة وهو معنى قول شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه عينيا نظر في نظره واحتجبت
عن كل فان حققت ما وجدت غيره والمسيب الحال هنا والله تعالى أعلم وإنما أمرك
في هذه الدار أن تنظر إليه في مكوناته تسلية لك عن شهود ذاته والنظر إليه إذ لا صبر للمحب عن محبوبه
كما أبان ذلك بقوله لما علم الحق منك أنك لا تصبر عنه أشهدك ما برز منه قلت لما علم
الحق سبحانه هذه الروح التي هي لطيفة نورانية من أصلها وتغربت عن وطنها تعشقت إلى أصلها
وتعطشت إلى محبة سيدها فلما علم الحق سبحانه أنها لا تصبر عنه ولا تقدر أن تراه على ما هو عليه
من كمال جلاله ونوره في هذه الدار مادامت في هذا السجن الذي هو قفص البدن أشهدها الحق تعالى ما برز
منه من تجلياته في مظاهر مكوناته وآثار صفاته لأنه لابد للحسناء من نقاب وللشمس من سحاب
فبرزت أنوار الجبروت إلى رياض الملكوت فغطتها سحائب الحكمة وآثار القدرة فبقيت الروح
تتعشق إلى أصلها وراء سحاب الآثار فإذا انقشع السحاب ورفع الحجاب لقي كل حبيب حبيبه وعرف
كل إنسان مثواه ومستقره فتمتعت الروح بشهود المعاني خلف رقة الأواني وإليه أشار الشيخ
الغوث أبو مدين رضي الله عنه بقوله فلولا معانيكم تراها قلوبنا إذا نحن أيقاظ وفي النوم إن غبنا
لمتنا أسى من بعدكم وصبابة ولكن في المعنى معانيكم معنا أي فلولا معانيكم تراها
قلوبنا في مظاهر صفاتكم لمتنا عشقا أو فلولا معاني ربوبيتكم تراها قلوبنا في مظاهر مكوناتكم

أو

أو فلولا معاني الجبروت تراها قلوبنا في عالم الملكوت لمتنا أسى أي حزنا على فراقكم وشوقا إلى لقائكم
وقوله ولكن في المعنى معانيكم معنا أي ولكن معانيكم التي تشاهدها قلوبنا في المعنى معنى عظيم فآنسنا
نستأنس بمشاهدتها واستراحت أرواحنا بها فلم تمت عشقا وشوقا والله تعالى أعلم ومما تستأنس
به الروح عن صدمات المحبة اشتغالها بالخدمة كما أشار إلى ذلك بقوله لما علم منك وجود الملل
لون لك الطاعات قلت من كرمه تعالى وحسن اختياره لك أيها العبد أنه لما علم أنك لا تقدر أن تصبر
عنه أشهدك ما برز منه ولما علم الحق سبحانه أن من عباده من لا يقدر أن يشهده فيما برز منه أشغله
بخدمته ولما علم منه أنه ربما يمل من خدمة واحدة لون له طاعته لأن من شأن البشر أن تمل من تكرار الشيء
الواحد وفي ذلك يقول الشاعر لا يصلح النفوس إذا كانت مدبرة إلا التنقل من حال إلى حال
فلون لك طاعته فإذا مللت من الصلاة مثلا انتقلت إلى الذكر وإذا مللت من ذكره انتقلت إلى قراءة كتابه
وهكذا وأنواع الذكر كثيرة والتنقل من موجبات النشاط فالعبادة مع النشاط ولو قلت أعظم من
العبادة مع الكسل وإن كثرت ليس العبرة بكثرة الحس إنما العبرة بوجود المعنى وقال الشيخ
زروق رضي الله عنه فلونت له الطاعة لثلاثة أوجه أحدها رحمة به ليستريح من لون إلى لون الثاني
إقامة للحجة عليه إذ لا عذر له في الترك الثالث ليثبت له النصيب في العمل بوجود التخيير في الجملة
فتكمل الكرامة وتتصل الطاعة وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذا وافق الحق الهوى
فذلك الشهد بالزبد ومن سار إلى الله بطبعه كان الوصول أقرب إليه من طبعه ومن سار إليه بمخالفة
طبعه كان الوصول إليه بقدر بعده من طبعه ومعنى يبعد بعده عن طبعه والمقصود إنما هو موافقة
الحق لا مخالفة النفس وشواهد الصفة لا تخفى فافهم ومن دواعي الملل وجود الشره وهو
الحرص وموجبه هو الإطلاق في العمل فلذلك قيدت الطاعة بأعيان الأوقات كما أبان ذلك بقوله
وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الأوقات الشره خفة في النفس
توجب المسارعة للعمل والإسراع فيه وينتج آفات ثلاث أولها الترك عند الدوام لفتور
النفس وضيقها الثاني الملل وهو التثاقل إن لم يكن ترك الثالث الإخلال بالحقوق لوجود
العجلة والتحجير بالوقت فيه فوائد ثلاث أولها منع الشره إذ لو كانت مرسلة لوقعت النفس
فيها على وجه الشره الثاني نفي التسويف لولا الوقت لكانت تتعدى من زمن إلى زمن فيؤدي
إلى التفريط الثالث التفكير في العمل والتفكر فيه إذ لولا الوقت لأهمل العمل لم يجد فيه

عليه لغلبة الهوى ولم يجيبه استعمالا للحظوظ انتهى ثم بين وجه التخيير وهو الاتقان
والاقامة فقال ليكون همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة قلت السر في تخيير الصلاة
في بعض الاوقات لتشتاق النفس اليها وترتاح بها فيحصل فيها الخشوع والحضور وقرة العين
بخلاف ما اذا كانت دائمة فيها فلا تشتاق اليها بل ربما تقل فتوقعها على غير تمام والمقصود
منك حركة قلبك لا حركة جسمك ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فليس
الشان حركة الاشباح انما الشان خضوع الارواح وفي السر في تخيير الصلاة عنك في بعض الاوقات
ان يكون همك اقامة الصلاة وهو اتقانها والقيام بحقوقها الظاهرة والباطنة لا وجود الصلاة
من غير اقامة فهي ميتة خاوية فهي الى العقوبة اقرب قال الامام القشيري رضي الله عنه اقامة الصلاة
هو القيام باركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلي له فيحفظ عليه احكام الامر
بما يجري عليه منه وهو عن ملاحظتها محو فنفوسهم منه مستقبلة الى القبلة وقلوبهم مستغرقة
في حقائق الوصلة ه وقال المولف رضي الله عنه اقامة الصلاة حفظ حدودها مع حفظ السر
مع الله عز وجل لا يختلج بسرك سواه ه وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عماله ان اهم
اموركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها احفظ ومن ضيعها فهو
لما سواها اضيع ه من الشيخ زروق ثم ذكر وجه كون المطلوب هو الاقامة دون الوجود من حيث
هو فقال فما كل مصل مقيم قلت لان الاقامة في اللغة هو الاكمال والاتقان يقال اقام فلان داره
اذا اكملها وجعل فيها كل ما يحتاج اليه فاقامة الصلاة اتقانها كما تقدم وضد الاقامة هو
الاخلال والتفريط فليس كل مصل مقيم فكم من مصل ليس له من صلاته الا التعب وفي بعض الاحاديث
من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا وفي حديث اخر عنه صلى الله عليه
وسلم اذا صلى العبد فلم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها لفت كما يلف الثوب الخلق
ثم يضرب بها وجهه او كما قال عليه السلام فالمصلون كثير والمقيمون قليل فاهل الاشباح كثير
واهل القلوب قليل قال ابو بكر بن العربي المعافري رحمه الله ولقد رايت من يحافظ عليها
في الاوقات حسبها فما من يحافظ بالخشوع والاقبال فما استوفى منهم خمسة وقال
الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه كل موضع ذكر فيه المصلون في موضع المدح فانما جاء
لمن اقام الصلاة اما بلفظ الاقامة او بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه الذين يومنون بالغيب

ويقيمون

ويقيمون الصلاة رب اجعلني مقيم الصلاة واقام الصلاة اقيموا الصلاة والمقيمي الصلاة ولما ذكر
المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة ه
واعلم ان الخشوع في الصلاة على ثلاث مراتب المرتبة الاولى خشوع خوف وانكسار واذلال وهو
للعباد والزهاد المرتبة الثانية خشوع تعظيم وهيبة واجلال وهو للمريدين السالكين المرتبة
الثالثة خشوع فرح وسرور واقبال وهو للواصلين من العارفين ويسمى هذا المقام قرة العين حصلها
بلغنا ان شاء الله ثم اعلم ان الصلاة التي لا يصحبها خشوع ولا حضور هي باطلة عند الصوفية غير مقبولة
عند العلماء وقالوا ليس للعبد من صلاته الا ما حضر فيها قلبه فقد يكون له ربع صلاته او نصفها بقدر
ما حضر فيها وقد يعين على الخشوع الزهد في الدنيا وهذا هو الدواء الكبير اذ محال ان تكون عندك
بنت ابليس ولا يزورها ابوها فلا يتاتى الخلوص من الخواطر ما دامت في القلب وقليلها وكثيرها
فما بقي بقية منها فانه تاتيه الخواطر على حسبها فمحال ان تكون شجرة الدنيا في قلبك وتسلم من
الخواطر ومثال ذلك كشجرة عندك في بستان يجتمع عليها الطيور ويهولونك
باصواتهم فكلما شوشتهم رجعوا فلا ينقطعون عنك ابدا حتى تقطع تلك الشجرة فاذا قطعتها
استرحت من اصواتهم وكذلك الدنيا ما دامت في القلب وهو معمور بها لا يسلم القلب من خواطرها
حتى تخرج عنها وحينئذ يستريح من همها وغمها والله تعالى اعلم ومما يعين ايضا على الخشوع
الاكثار من ذكر الله في القلب والقالب وادمان الطهارة لان الظاهر له تعلق بالباطن اذا طهر هذا
طهر هذا وبالله التوفيق ثم ذكر نتائج الصلاة وثمراتها ومرجعها الى ست كل واحدة توصل
الى ما بعدها والى الرديف المنتهى فاشار الى الاول بقوله الصلاة مطهرة للقلوب قلت
انما كانت الصلاة مطهرة القلوب من المساوي والعيوب لما فيها من الخضوع والانكسار والذل
والافتقار والتذلل والاضطرار فاذا خضع القلب لهيبة الجلال طهر من سائر العلل لان طلب
العلو والرفعة هو اصل العلل وعنصرها ومن شان النفس وطبيعتها طلب العلو والاستكبار
والتعزز والافتخار لانها جاءت من عالم العز فلا ترضى الا بالعز والى هذا اشار شيخ شيوخنا المجذوب
بقوله من اين جيت يا هذي الروح من الهيبة الروحانية من مقامها بساط العز من امر العلا
ربانية فلما ركبت في هذا القالب الجسماني ردتها القهرية الى العبودية وجعلتها ادا
يا ليا للوصول الى حضرة الربوبية فلا مطمع لها في الرجوع الى اصلها الا بانكسارها وذلها

ولذلك قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أتيت الأبواب كلها فوجدت عليها الزحام فأتيت
باب الذل والانكسار فوجدته خاليا فدخلت منه وقلت هلموا إلى ربكم هكذا سمعته من أشياخنا
فإذا انكسرت وذلت ✱ رجعت لأصلها ووصلت ✱ وإذا تعززت واستكبرت ✱ حجبت وطردت ✱ وإذا طردت
بعدت ✱ وكلما بعدت عن الحضرة الربانية ✱ استحكمت فيها الشهوات الجسمانية ✱ والأخلاق
الشيطانية ✱ فانصبغت صبغة بكل خلق دني ✱ وبعدت من كل خلق سني ✱ فإذا أراد الله تعالى رحمتها
بالقرب من جنابه ✱ والوقوف ببابه ✱ ألهمها الصلاة وحببها إليه حتى إذا تطهرت من الذنوب ✱ ومحيت
منها المساوي والعيوب ✱ قربت من حضرة الحبيب ✱ ومناجاة القريب ✱ فقرعت الباب ✱ وطلبت رفع
الحجاب ✱ وهذا معنى قوله **واستفتاح لباب الغيوب** وهي النتيجة الثانية من نتائج الصلاة **قلت**
المراد بالغيوب أنوار الملكوت وأسرار الجبروت وإنما كانت الصلاة استفتاحا لباب الغيوب لما اشتملت
عليه من تصفية الظاهر والباطن **قال** محمد بن علي الترمذي الحكيم رضي الله عنه دعا الله الموحدين
إلى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيأ لهم فيها أنواع الضيافة لينال العبد من كل قول
وفعل شيئا من عطاياه فالأفعال كالأطعمة والأقوال كالأشربة وهي عرس الموحدين هيأها رب
العالمين لأهل رحمته في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس من الأغيار فإذا تطهر الظاهر
بالطهارة الحسية ✱ والباطن بالطهارة المعنوية ✱ استحق الدخول إلى الحضرة القدسية ✱ فأول
ما ينتفع به قربه إلى الباب ✱ وسماع خطاب الأحباب ✱ من وراء حجاب ✱ فيتمتع بمناجاة الأحباب ولذيذ
الخطاب ✱ وهو معنى قوله **الصلاة محل المناجاة** وهي النتيجة الثالثة **قلت** المناجاة
هي المسارة والمكالمة مع الأحباب فمناجاة العبد ربه بالتلاوة والأذكار ✱ ومناجاة الرب لعبده
بالتفهيم والفتح ورفع الأستار وفي الحديث الصحيح المصلي يناجي ربه **وقال أيضا عليه السلام**
يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين
قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى مجدني عبدي فإذا قال مالك يوم الدين
قال الله تعالى فوض إلي عبدي فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله تعالى هذه بيني وبين عبدي
فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم الآية قال الله هذه لعبدي ولعبدي ما سأل الحديث فلا يزال المصلي
يناجي ربه ✱ ويطلب قربه ✱ حتى تتمكن المحبة من القلب ✱ والإقبال من الرب ✱ فتقع المحبة من كلا
الجهتين ✱ ويتصل المحبوب مع حبيبه في محل الصفاء ✱ وهو معنى قوله **ومعدن المصافاة** وهي النتيجة

والحمد لله [illegible] صلى الله عليه وسلم

الرابعة

الرابعة **قلت** المعدن هو محل الذهب والفضة استعير هنا لصفاء القلوب والأرواح لتصفيتها
من لوث ملصال الأشباح ✱ فالمصافاة خلوص المناجاة من تكدر بشر الحس وكدر الهواجس فهي
أرق وأصفى من المناجاة كما قال ابن الفارض رضي الله عنه ✱ ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا ✱ سر
أرق من النسيم إذا سرى ✱ وهذه مصافاة العبد لربه ومصافاة الرب لعبده بالإقبال عليه حتى
لا يرى غيره وفي الخبر إن العبد إذا قام للصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت
الملائكة من لدن منكبيه إلى الهوى يصلون بصلاته ✱ فإذا أتقن التصفية ✱ وعظمت المحبة ✱ وكثر العطش
وظهر الدهش ✱ واستخفت الروح رفع الحجاب ✱ وفتح الباب ✱ فتدخل الروح حضرة الأحباب ✱ ويرتفع
بينها وبينهم الحجاب ✱ فتخرج من ضيق الأشباح ✱ إلى فضاء عالم الأرواح ✱ أو من ضيق الملك إلى سعة
عالم الملكوت وهو معنى قوله **فيها تتسع ميادين الأسرار** وهي النتيجة الخامسة **قلت**
الميادين جمع ميدان وهو مجال الخيل استعير هنا للفضاء في عالم الملكوت فإذا تنزهت الروح في عالم
الملكوت وجالت بفكرتها في سعة أنوارها أشرقت عليها أنوار سناء الجبروت وهو معنى قوله **وتشرق
فيها شوارق الأنوار** وهي النتيجة السادسة **قلت** أراد بالأسرار أسرار الذات وهو لأهل الفناء
وبالأنوار أنوار الصفات وهو لأهل البقاء والله أعلم وأراد الشيخ بهذه الصلاة التي تنقل من حال إلى حال
ومن مقام إلى مقام صلاة أهل الاعتناء وهم أهل السلوك على يد الشيوخ لا صلاة أهل الغفلة أو صلاة
أهل الحجاب هذه من العباد والزهاد فليس لهم هذا النعيم والله تعالى أعلم **قال** أبو طالب في قوت
المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرضين خوفا منه لأنه تأهب للدخول
على الملك فإذا كبر حجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه بسرادق لا ينظر إليه وواجهه الجبار بوجهه
فإذا قال الله أكبر اطلع الملك في قلبه فإذا ليس في قلبه أكبر من الله فيقول الملك صدقت الله في قلبك
كما تقول قال فيتشعشع في قلبه نور يلحق بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات
والأرض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وإن الغافل الجاهل إذا قام إلى الوضوء احتوشته
الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فإذا كبر اطلع الملك في قلبه فإذا كل شيء في قلبه
أكبر من الله عنده فيقول الملك كذبت ليس الله في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه دخان يلحق
بعنان السماء فيكون حجابا للقلب عن الملكوت قال فيزيد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين قلبه
ولا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس إليه وتزين له حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه **ثم ذكر**

حكمة حصرها في عدد معلوم وهو خمسة فقال على وجود الضعف فقلل اعدادها وهي خمسة
بعد ان كانت خمسين فمن لطفه سبحانه بك ايها الانسان قلل اعدادها مع سعة الزمان فجعل عليك
صلاة في اول نهارك تشكر الله فيها على ما ظهر لك من بهجة انواره وليكون نهوضك اليه في اول قيامك فجبر الله ما حصل من
غفلتك في طول منامك وجعل عليك صلاة في اول نهارك اعتمادا عليك لما ظهر في ذلك الوقت من وقود
نارك وجعل عليك صلاة في انصراف النهار ليكون شاهدا لك بوجود طاعتك عند الملك الغفار وذ
ولتشهد عليك ملائكة الرحمن بالصلاة عند الملك الديان واوجب عليك صلاة في اول زمان الليل
استفتاحا لذلك الزمان بوجود طاعتك كما استفتحت اول نهارك واستغفارا لما يتوقع من عجائب
الليل ثم لما اردت ان تنام عن سيدك وتغفل عن ربك وتتمتع بفراشك امرك ان تودعه بحضورك معه
وان يكون اخر عهدك به وجود طاعتك فهذا اكثر جذب منه لك لحضرته واستحياءا منك لشكر منته
عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل وحين قلل اعدادها لما علم احتياجك الى منة كثير
امدادها واليه اشار بقوله وعلم احتياجك الى فضله فكثر امدادها **قلت** المراد بالامداد
الجزاء الذي رتب عليها فجعل كل صلاة بعشر فهي خمس وهي خمسون خمس في الحس وخمسون في المعنى
اي الثواب واذا فعلت في الجماعة كانت كل واحدة بخمس وعشرين وكل درجة بعشر فيكون عدد صلاة
الجماعة مائتان وخمسون في كل صلاة والله ذو الفضل العظيم وتتفاوت الدرجات ايضا بكثرة الجماعة
وكمالها وبقدر الحضور والخشوع والخشية ورفع الستور فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء
بما كانوا يعملون وتتفاوت ايضا بقدر البقع كبيت الله الحرام والمسجد النبوي وبيت المقدس
وبقدر رتبة الامام من صالح مغفور عفى الله له والله تعالى اعلم ولا كن لا ينبغي لك ايها الفقير
ان تلتفت الى هذا الحظ فان فضل الله كثير ولترفع همتك الى العلي الكبير كما اشار الى ذلك بقوله متى
طلبت عوضا عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب وجدان السلامة **قلت**
متى صدر منك عمل من اعمال البر وطلبت الحق سبحانه ان يجازيك عليه طالبك الحق تعالى بوجود الصدق
فيه وهو سر الاخلاص ولبه الذي هو التبري من الحول والقوة واعتزال النفس عن رؤية العمل فلا بد
بعد تحقيق الحضور والسلامة من الوساوس والخواطر والهواجس حتى تكون طاعتك بالله ولله غائبا
فيها عما سواه قد ملا قلبك عظمة الله وغيبته في الله بالله فان تحققت هذه الامور صح لك
ان تطلب ما رتب الحق سبحانه على العمل من انواع الجزاء والاجور وان لم تحقق من نفسك هذه الامور

فاعلم

فاعلم ان عملك معلول فلا ينبغي من الله ان تطلب الجزاء على عمل معلول فيكفيك من الجزاء وحصول
المطلب السلامة من الهلاك والعطب فيكفيك من طلب حسن نواله السلامة من عقابه ونكاله فيكفي
المريب وهو المتهم وجدان السلامة من العقوبة فيما اتهم فيه فمن كان عند الملك متهما وهو محبوس
للعقوبة على ما اتهم فيه ثم قيل له ان الملك يعفو عنك ويعطيك كذا وكذا فيقول لهم يكفيني في العطا وجدان
السلامة من عقوبته **وانت** ايها الانسان مطالب بالاعمال والاخلاص فيها واتقانها واقامتها
فاتيت بطاعة مشوبة بالخواطر والوساوس وعلى تقدير سلامتها من ذلك فطلب الجزاء يقتضي رؤية
نفسك ووجود الفعل منك وهو شرك تستحق عليه العقوبة فيكفيك من عطائه وجود السلامة من
عقابه **قال** ابو العباس رضي الله عنه العبادة الى طلب العفو عنها اقرب منها الى طلب الاعواض هـ
وقال خير النساج رضي الله عنه ميراث اعمالك ما يليق باعمالك فاطلب ميراث فضله فانه اتم واحسن
قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ومعنى كلامه رضي الله عنه ان
جزاء اعمالك ما يليق بها فاعمالك الناقصة وجزاء الناقص ناقص فاطلب ثمرة فضله فانه كامل من كل وجه
فهو اتم واكمل والله تعالى اعلم **وكيف** تطلب الجزاء على عمل لست له فاعلا ولا علمت كون القبول
له حاصلا كما اشار اليه بقوله لا تطلب عوضا عن عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء لك على العمل
ان كان له قابلا **قلت** قد تقرر عند اهل الحق ان العبد مجبور في قالب مختار فليس له فعل ولا اختيار
وانما الفاعل هو الواحد القهار قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار وقال تعالى والله خلقكم وما تعملون
وقال تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين **وقال صلى الله عليه وسلم** كل شيء بقضاء
وقدر حتى العجز والكيس اي الفطانة وقال عليه الصلاة والسلام كل ميسر لما خلق له فاما من كان من
اهل السعادة فييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسييسر لعمل الشقاوة
ثم قرا فاما من اعطى واتقى الاية **فاذا** تقرر هذا فكيف يطلب العبد الاجر على عمل ليس هو فاعله
وعلى تقدير نسبته اليه فالجزاء متوقف على القبول فمن اين تدري هل يكون مقبولا او لا فاذا تفضل
عليك بالقبول على ما هو عليه من النقص والخلل فهذا يكفيك في جزائك على العمل فلولا جميل
ستره لم يصر عمل اهلا للقبول فلولا ان الله سبحانه تفضل على عباده بالعفو والحلم ما قبل عملا
فكما ان تصفية الاعمال كاد ان يكون من المحال قال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه
حق تعظيمه وقال تعالى كلا لما يقض ما امره اي لم يقض الانسان ما امره سيده على الوجه الذي امر

بدوام فضله تعالى أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا لم يقل الحق تعالى يتقبل منهم لأنه يقتضي أنه كامل
بل عداه بعن المفيدة للتجاوز كأنه قال أولئك الذين يتجاوز عنهم في أحسن ما عملوا فيتقبلها منهم
ولم يتجاوز عنهم فيها ما تقبلت منهم ولأن الكريم لا ينتقد بل يقبل كل ما يعطاه لعظيم كرمه وغناه
بالمجد دائما له حيث خلق فينا العمل وأعطانا عليه غاية المنى والأمل كما أشار إلى ذلك بقوله
إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب إليك **قلت** الحق تعالى فاعل بالمشيئة
والاختيار لا يسأل عما يفعل وهم يسألون إذ لا يسأل عما يفعل حقيقة وهم يسألون شرعية ثم إن
الحق سبحانه قسم عباده على ثلاثة أقسام **قسم** أعدهم للانتقام فظهر فيهم اسمه المنتقم
واسمه القهار أجرى عليهم صورة العصيان بحكمته ونسبها إليهم بعدله وقهره ولو شاء ربك
ما فعلوه ولو شاء الله ما أشركوا وقامت الحجة عليهم باعتبار النسبة وإظهار الحكمة وما ربك بظلام
للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون **وقسم** أعدهم الله للحلم ليظهر فيهم اسمه
الحليم واسمه الرحيم أجرى عليهم العصيان ووطاهم بالإيمان فاستغفروا العقوبة على العصيان
ثم إن الحق تعالى حلم عليهم وعفا عنهم وأدخلهم الجنان **وقسم** أعدهم الله للكرم ليظهر
فيهم اسمه الكريم واسمه الرحيم خلق فيهم الطاعة والإحسان وحلاهم بالإسلام والإيمان
ورفعهم بالتحلي بالإحسان فأدخلهم فسيح الجنان ومتعهم بالنظر إلى وجه الرحمن فإذا أراد الله
تعالى أن يظهر بهؤلاء أسماءه هيأك لأنواع الطاعات وخلق فيك القوة على فعل الخيرات ثم
نسب إليك ذلك الفعل فقال يا عبدي فعلت كذا وكذا من الخير فأنا أجازيك عليه ادخل الجنة برحمتي
وترقى إلى مقامك بعملك فمقامك حيث انتهى عملك قال تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك
وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وقال تعالى
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون **ثم** ينبغي لك أيها الإنسان أن تتأدب مع الملك الديان
فلا تنسب إليه النقص والعصيان وإنما غرتك نفسك والشيطان قال تعالى فلا تغرنكم الحياة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور أي الشيطان فما كان من الكمال فانسبه إلى الكبير المتعال وما كان من
النقصان فاجعله من قبيل النفس والشيطان **وقال سهل بن عبد الله** رضي الله عنه إذا عمل العبد
حسنة وقال أنت يا رب بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله ذلك له وقال يا عبدي
بل أنت أطعت وأنت تقربت وإذا نظر إلى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله عنه

وقال

وقال له يا عبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت وإذا عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت وأنت قضيت
وأنت حكمت غضب المولى جل قدرته عليه وقال يا عبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت
وإذا قال يا رب أنا ظلمت وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جل قدرته عليه وقال يا عبدي أنا قضيت
وأنا قدرت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت **ثم إن** هذه النسبة التي نسب الله لعبده بما خلق
فيه بها يستحق المدح والذم فإذا خلق فيه الطاعة ونسبها إليه استحق المدح بلسان
الشرع وإذا أجرى عليه المعصية وقضاها عليه استحق الذم بلسان الشرع أيضا كما أشار إليه بقوله
لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك **قلت**
إذا أراد الله إهانة عبده وإذلاله رده إلى نفسه وهواه فأجلب عليه جهله ووكله إليه فيوليه ما تولى
فإذا استولى عليه الهوى أعماه وأصمه وفي مهاوي الردى أسقطه كما قال الشاعر تركت يوما
نفسك وهواها سعى لها في رداها فالهوى مشتق من الهوان وموجب له كما قال البوصيري رحمه الله
لا تتبع النفس في هواها إن اتباع الهوى هوان **وإذا** أراد الله إعزاز عبده وعنايته
أظهر عليه جوده وكرمه فتولاه وحفظه ولم يتركه مع نفسه وهواه طرفة عين ولا أقل من ذلك
فلا نهاية لمذامك أيها الإنسان إن ردك إلى نفسك وحظها فيك وتركك مع هواك لأن ذلك
من علامة الإهمال وسقوطك من عين الكبير المتعال والعياذ بالله من كل خسر ووبال ولا تفرغ
مدائحك إن أظهر جوده عليك فتولاك بحفظه ورعاك بعنايته وغيبك عن نفسك وحال بينك
وبين تدبيرك وحدسك **ومن دعائه عليه السلام** اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب
والشهادة الرحمن الرحيم اللهم إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك أنت الله لا إله إلا أنت
وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك فلا تكلني إلى نفسي فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى
ضعف وعورة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك **والحاصل** أنك إن كنت بربك تكمل عزك
ولا يتناهى مدحك وإن كنت بنفسك تكامل ذلك ولا يتناهى ذمك كما قال الشاعر
إذا كنا به تهنا دلالا على كل الحجازي والعبيد وإن كنا بنا عدنا إلينا فحظنا لذل
اليهود **أو** تقول من أهمله الله وتركه مع نفسه وهواه لا نهاية لمذامه ومقابحه فإن للنفس
من النقائص ما لله من الكمالات ومن تولاه الله وأظهر جوده عليه ولم يتركه مع نفسه وأزعجه عن
حظه وحال بينه وبين هواه فلا نهاية لمدائحه إذ كمالات الله لا نهاية لها وما نعتنا إلا مظاهره

فبها لا نهاية لجلاله كذلك لا نهاية لجماله والله تعالى اعلم هذا اخر الباب الثالث عشر وحاصلها
تعظيم الاوراد والتأهب لورود الامداد وتصفية البواطن من الاكدار لتشرق عليها شموس الانوار
وهي شموس العرفان فيفنى العارف عن التدبير والاختيار فكل يوم يفنى فيما يفعل الواحد القهار
فيبقى حينئذ بكل شيء وبه مع كل شيء ويعطفه كل شيء ولا يستوحش من شيء لمعرفته
في كل شيء فيبقى في هذه الدار بالنظر الى الله في حجاب صفاته وهي مظاهر مكوناته وسيكشفه
في تلك الدار عن جمال ذاته من غير حجاب صفاته وذلك انه لما علم انه لا يحجبه عنه اشهده ما برز
منه ولما علم ان من عباده من لا يقدر ان يشهده في مكوناته اشغله بخدمته وعلم ايضا انه ان دام
على عمل واحد ربما حصل له الملل لون له الطاعة والعمل وعلم ما في عبده من الشره فحجرها عليه
في بعض الاوقات ليكون همه اقامة الصلاة لا وجود الصلاة ثم ذكر نعم انعامه وتلا تجهها ونهاك
عن طلب العوض عليها لكونك لست عاملا لها وانما هو فضل من الله عليك فلو وكلك القوة
ونسبها اليك فان ردك الى نفسك وتركك مع هواك لما تناهت مذامك وان اخذك عن
نفسك وتولاك بجوده وفضله لا تنفرغ مدائحك حيث صرت وليا من اوليائه وحبيبا من
احبابه جعلنا الله منهم بمنه وكرمه آمين هذا اخر النصف الاول والله المستعان
على التمام بجاه نبيه المصطفى بدر التمام صلى الله عليه وعلى آله الكرام وهذا اول النصف
الثاني فنقول وبالله نستعين فاذا اردت ان يظهر جوده عليك ويبسط مواهبه
لديك فتحقق بوصفك وتعلق بوصفه كما اشار لذلك بقوله وقال رضي الله عنه كن
باوصاف ربوبيته متعلقا وباوصاف عبوديتك متحققا قلت اوصاف الربوبية هي
العز والكبرياء والعظمة والغنى والقدرة والعلم وغير ذلك من اوصاف الكمالات التي لا نهاية لها
واوصاف العبودية هي الذل والفقر والعجز والضعف والجهل وغير ذلك مما يناسب العبودية من النقائص
وكيفية التعلق باوصاف الحق هو ان تلتجئ في امورك اليه وتعتمد في حوائجك عليه وتغيب عن كل
ما سواه ولا ترى في الوجود الا اياه فاذا نظرت الى عزه وكبريائه وعظمته تعززت به ولم تتعزز
بغيره وصغر في عينيك دونه كل شيء واذا نظرت الى وصفه تعالى بالغنى تعلقت بغناه واستغنيت
عما سواه ولم تفتقر الى شيء واستغنيت به عن كل شيء واذا نظرت الى وصفه تعالى بالقدرة
والقوة لم تلتجئ في حال عجزك وضعفك الا الى قدرته وقوته واستضعفت كل شيء واذا نظرت

الى

الى سعة علمه واحاطته اكتفيت بعلمه واستغنيت عن طلبه وقلت بلسان الحال علمه بحالي
يغني عن سؤالي وهكذا في جميع الاوصاف والاسماء فكلها تصلح للتعلق والتحقق والتخلق
وكيفية التخلق باوصافه تعالى ان تكون في باطنك عزيزا قويا به عظيما كبيرا عنده قويا في دينه وفي معرفته
عالما به وباحكامه وهكذا وحاصلها استعمال الحرية في الباطن والعبودية في الظاهر وكيفية التحقق
باسماء الله تعالى ان تكون تلك المعاني فيك راسخة متمكنة متحققا فيك وجودها فالتخلق مجاهدة
والتحقق مشاهدة اذ يكون وجودها غريزيا وكيفية التحقق باوصاف العبودية هو التحقق بالذل
في الظاهر حتى يصير الذل عندك حرفة وصنعة لا تأنف منه بل تشتغل به وتنبسط فيه وكذلك الفقر والضعف
والجهل وسائر اوصاف العبودية فتحقق بظاهرك بوجودها في ظاهرك حتى يكون ذلك شرفا عندك
وكان شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه يقول اهل الظاهر يتنافسون في العلم ايهم يكون اعلا
من الاخر واهل الباطن يتنافسون في الخمول ايهم يكون اخفى من الاخر بالمعنى وقال الشيخ زروق
رضي الله عنه اوصاف الربوبية اربعة تقابلها اربعة من اوصاف العبودية اولها الغنى ويقابله الفقر
الثاني العز ويقابله الذل الثالث القدرة ويقابلها العجز الرابع القوة ويقابلها الضعف
وكل هذه متلازمة اذ وجد واحدها وجد جميعها ووجود المقابل ملزوم بوجود مقابله فمن استغنى
بالله افتقر اليه ومن افتقر الى الله استغنى به ومن تعزز بالله ذل له ومن ذل له تعزز به ومن شاهد
قدرته رأى عجز نفسه ومن رأى عجز نفسه شاهد قدرة مولاه ومن نظر ضعف نفسه رأى قوة مولاه ومن رأى
قوته علم ضعف نفسه لاكن ان كان البساط النظر لاوصافك فانت الفقير الى الله وان كان البساط
النظر لاوصافه فانت الغني بالله وهما يتعاقبان على العارف فتارة يغلب عليه الغنى بالسيد
فتظهر عليه اثار العناية وتارة تظهر عليه اثار الفقر الى الله فيلتزم الرعاية فمن غلب
عليه الغنى بالله على جبينه الله الصحو العام طالع ومن غلب عليه الفقر الى الله شد الحجر على بطنه
من الجوع فافهم قلت والتحقيق ما قدمناه من ان التعلق باوصاف الربوبية يكون في الباطن
والتحقق باوصاف العبودية يكون في الظاهر فالحرية في الباطن على الدوام والعبودية في الظاهر
على الدوام فحرية الباطن هي شهود اوصاف الربوبية وهو معنى التعلق بها الا ان كان مجاهدة
فهو تعلق وان كان طبيعة وغريزة فهو تحقق او نقول ان كان حالا فهو تعلق وان كان مقاما
فهو تحقق وعبودية الظاهر هي شهود اوصاف العبودية قياما بالحكمة وستر القدرة

والحاصل ان عظمة الربوبية ظهرت في مظاهر العبودية فمن نظر للعظمة صرفا تحقق بعظمة
الربوبية ومن نظر لظاهر العظمة تحقق باوصاف العبودية والكامل ينظر لهما معا فيتحقق بعظمة
الربوبية في الباطن ويتحقق باوصاف العبودية في الظاهر فيعطي كل ذي حق حقه فالجمع في باطنه مشهود
والفرق في ظاهره موجود والله تعالى اعلم فان الظهر باوصاف الربوبية فيه تعدي لطوره وجهل قدره
فلابد ان تؤدبه القدرة والى ذلك اشار بقوله منعك ان تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين ابيبح لك
ان تدعي وصفه وهو رب العالمين قلت الحق تعالى غيور فلا يحب لعبده ان يفشي سر خصوصيته
ولا يرضى لعبده ان يشاركه في اوصاف ربوبيته فمن غيرته تعالى ان ستر سر الخصوصية بظهور وصف
البشرية ولولا ذلك لكان سر الربوبية مبتذلا ظاهرا وذلك مناقض لحكمته وكيف وهو يقول ان ربك
حكيم عليم ومن غيرته تعالى ان اختص باوصاف الربوبية ونهانا عن الظهر بها فلا يتحلى بها احد الا وقصمه
وذلك كاتصاف العبد بالعز والعظمة والكبر وطلب الرياسة والعلو وادعاء ذلك بالمقال فان فعل
شيئا من ذلك استحق من الله الطرد والنكال وفي الحديث القدسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تبارك وتعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني منهما واحدا قصمته وقال ايضا
صلى الله عليه وسلم لا احد اغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وفي البخاري في قصة
سيدنا موسى عليه السلام انه خطب على الناس خطبة ذرفت منها العيون فقام اليه رجل فقال له هل
تعلم احدا اعلم منك فقال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فقال له بلى عبدنا الخضر هو اعلم منك ف
فكان من شانهما ما قص الله في كتابه فانظر كيف ادبه بطلب غيره حتى تتلمذ له باموره وبينهما كان
بقوة وصولة مع عظيم قدره وجلالة منصبه وما ذلك الا لاظهاره شيئا من الحرية فكل من اظهر
الحرية رده الى العبودية بالقهرية وكل من اظهر العبودية حقق له في باطنه الحرية وملكه الكون
بالكلية فمن تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره ومن غيرته تعالى ايضا ان حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والفواحش كل ما فحش قبحه وعظم جرمه كالزنى والغصب والسرقة والتعدي
واكل اموال اليتامى وغير ذلك من حقوق العباد فاذا كان منعك ان تدعي ما ليس لك مما هو للمخلوقين
من العرض الفاني فكيف يبيح لك ان تدعي وصفه من العزة والكبرياء وهو رب العالمين فاذا ادعيت
ما ليس لك سلبك ما ملكك واذا تحققت بوصفك وسلمت له وصفه متعك بما لم يكن عندك واعطاك
ما لم يوت احدا من العالمين فكلما نزلت بنفسك ارضا ارضا سما قلبك سماء سماء وقد تقدم هذا

المعنى

المعنى في الفصول والله تعالى اعلم **تنبيه** اعلم رحمك الله ووفقك للتسليم لاوليائه ان الحرية اذا
تحققت في الباطن لابد من رشحات تظهر على الظاهر فكل اناء بالذي فيه يرشح وصاحب الغنى لابد ان يظهر
عليه السرور وصاحب الغنا لا يخلو من بهجة وحبور وكما قال الشاعر ومهما تكن عند امرئ من
خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم ولذلك تجد اهل الباطن رضي الله عنهم جلهم
اقوياء في الظاهر فربما تصدر منهم مقالات تستخفها العقول منهم فيظن الجاهل بحالهم ان ذلك
دعوى وظهور وليس كذلك وانما ذلك رشحات من قوة الباطن لا قدرة لهم على امساكها فمنها
ما تكون تحدثا بالنعم ومنها ما تكون نصحا للعباد ليعرفوا احوالهم فينتفعون بهم في طريق الارشاد
ومن هذا الامر ضل كثير من اهل الظاهر المتعمقين في العبادة او المتجمدين على ظاهر الشريعة
او من لم تكمل صحبته معهم في الطريقة وان كان كاملا ومن ذلك ما وقع للشيخ زروق رضي الله عنه مع
ابي المواهب التونسي رضي الله عنه حين ظهرت عليه اثار القوة الباطنية حتى قال فيه الشيخ زروق دعواه
اكبر من قدمه وليس كذلك فان الشيخ ابا المواهب عظيم الشان راسخ القدم في العرفان اخذ عن
ابي عثمان المغربي وكان يقول لبست خرقة التصوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم وله شرح حسن
على الحكم الا انه لم يكمل وله كلام رائق نظما ونثرا ومن نظمه رضي الله عنه من فاته منك وصل حظه
الندم ومن تكن همه تسمو به الهمم وناظر في سوى معناك حق له يقتص من جفنه
بالدمع وهو دم والسمع ان جال فيه من يحدثه سوى حديثك امسى وقره الصمم
في كل جارحة عين اراك بها مني وفي كل عضو بالثناء فم فان تكلمت لم انطق بغيركم
وكل قلبي مشغوف بحبكم اخذتم الروح مني بملاطفة فلست اعرف غيرا مذ عرفتكم
نسيت كل طريق كنت اعرفها الا طريقا تؤديني لربعكم فما المنازل لولا ان تحل بها
وما الديار وما الاطلال والخيم لولاك ما شاقني ربع ولا طلل ولا سعت بي الى نحو الحما قدم
واطال الشعراني في ترجمته في الطبقات مما يدل على كمال خصوصيته وتمام ولايته وما حمل الشيخ زروق
على مقالته تلك الا القوة التي صدرت من ابي المواهب مع كونه لم تكمل صحبته معه مع ما صدر منه من نقد
بجانب الشيخ ابن عباد والله تعالى اعلم وهذا الامر الذي ذكرناه من القوة التي للعارفين لا يجهله الا من لم
يعرف مقامهم وحسب من لم يبلغ مقامهم التسليم وسر هذه القوة التي ظهرت في العارفين
هو من جهة الوجود لكن الروح جاءت من عالم العز والقوة فلما ركبت في هذا البدن تحنت وقهرت

بإرادة الرجوع إلى أصلها وتطلبته بالعز الأصلي والقوة الأصلية فمنعت منه وأنت من قوة الغنى والافتقار خرقت
عوائد نفسها فانخرقت لها حقيقة الحجب فرجعت إلى أصلها فلما رجعت إلى أصلها انصبغت بالقوة التي
كانت لها فإن مرت انفعلت لك بواطنها وفعلت لأنك ربما رشح شيء من ذلك على الظاهر غلبة ولذلك ذكر
الشيخ خرق العوائد بإثر ذكر التحقق بالعبودية فقال **كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك**
العوائد **قلت** العوائد كلما تعودته النفس وألفته واستمرت معه حتى صعب خروجها منه سواء كان
ظلمانيا أو نورانيا كتتبع الفضائل وكثرة النوافل وهي على قسمين عوائد ظاهرة حسية وعوائد باطنية
معنوية **فمثال** العوائد الحسية كثرة الأكل والشرب والنوم واللباس وخلطة الناس والدخول
في الأسباب وكثرة الكلام والمخاصمة والعتاب والاشتغال في العبادة الحسية أو العلوم الرسمية ونحو ذلك
ومثال العوائد المعنوية حب الجاه والرياسة وطلب الخصوصية وحب الدنيا والمدح وكالحسد
والكبر والعجب والرياء والطمع في الخلق وخوف الفقر وهم الرزق والمداهنة والقسوة وغير ذلك مما
تقدم **ومن** خرق من نفسه عوائدها المعنوية خرقت له العوائد الباطنية كرفع حجب الغفلة
وتطهير القلوب وكشف الحجاب وفتح الباب وتحقيق العرفان والترقي إلى مقام الإحسان وهذا
هو المعتبر عند الأكياس وهو المطلوب من سادات الناس **وأما** خرق العوائد الحسية فقد تكون
لمن ليست له خصوصية كالسحرة وأرباب الشعوذة نعم من جمع بينهما فذلك كمال وصله
وكيف تطلب أيها المريد أن تخرق لك عوائد نفسك حتى تدخل حضرة قدسك وأنت لم تخرق
عوائد نفسك فما حجب النفس عن الشهود إلا تعودته من رؤية هذا الوجود فلو غابت عن رؤية
هذا الوجود لتحقق لها أمر الشهود ولا يمكن أن تغيب عنه إلا بخرق عوائد نفسها **وقد** تقدمت
حكاية الرجل الذي كان مع أبي يزيد ثلاثين سنة فلم يذق منه شيئا فقال له لو صليت ثلاثمائة سنة لم
تذق منه شيئا لأنك محجوب بنفسك ثم قال له اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع
هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة واملأها جوزا واجمع حولك صبيانا وقل بأعلى
صوتك من يصفعني صفعة أعطيه جوزة وادخل السوق وأنت على هذه الحالة حتى
ينظر إليك كل من عرفك ثم قال له فلا مطمع لأحد فيما يحب من العامة من أسرار الغيب حتى تموت نفسه
ويخرق عوائد العامة فحينئذ تخرق له العوائد وتظهر له العجائب **وتقدم** أيضا في باب الخمول
قصة الغزالي والششتري والمجذوب وغيرهم ممن خرقوا العوائد فخرقت لهم العوائد وظهرت

لهم

لهم العوائد وأما من بقي مع عوائد نفسه فلا يطمع أن يقتحم حضرة قدسه **قال الشيخ**
أبو المواهب رضي الله عنه من ادعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال فارفضه فإنه دجالي لا جمالي
أعظم على النفس من خرق عوائدها كتبديل العز بالذل والغنى بالفقر والجاه بالخمول ونحو ذلك
وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت
عليهم بالفقد حتى وجدوا فلا مطمع في نيل العز بالله حتى يتحقق بالذل له ولا في نيل الغنى به حتى
يتحقق بالفقر مما سواه **وقال** أبو حمزة البغدادي رضي الله عنه علامة الصوفي الصادق أن
يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة **فهذه** الأخبار كلها تدل على أن خرق
عوائد النفس شرط في تحقق نيل الخصوصية فمن ادعاها قبل أن يخرقها فهو كذاب كما تقدم
عن أبي المواهب **وكتب شيخ شيخنا** رضي الله عنه إلى بعض الإخوان أما بعد فإن أردتم أن تكون
أعمالكم زكية وأحوالكم مرضية فقللوا من العوائد فإنها تمنع الفوائد **وسمعته**
يقول من جملة العوائد تتبع الفضائل وكثرة النوافل فإنه يشتت القلب وإنما يلزم المريد
ذكرا واحدا أو عملا واحدا لكل واحد ما يليق به ولكلام هذا معناه **فخرق** العوائد أبدا إنما يصح بضدها
كتبديل كثرة الأكل بالجوع والنوم بالسهر وكتبديل كثرة اللباس بالتقلل منه أو ما خشن من
الثياب كالمرقعات ونحوها وكتبديل الخلطة بالعزلة والأسباب بالزهد والكلام بالصمت
وسوء الخلق بحسن الخلق وكتبديل حب الجاه والرياسة بالذل والخمول وسقوط المنزلة عند
الناس وحب الدنيا بالزهد فيها والفرار منها وكما تظافر بالتخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل
فإذا تحقق المريد بهذه الأمور خرقت له العوائد على ما يريد حتى يكون بسم الله عنده موافقة
لكن من الله فيكون أمره بأمر الله وما ذلك على الله بعزيز **ولا بد** في خرق العوائد الباطنية من
شيخ كامل جامع بين حقيقة وشريعة يحملك بهمته فإذا رمت بيدك في نفسك حملتك الهمة
ونصرتك القدرة فقتلتها بالمرة وأما إذا لم يكن شيخ فكلما قتلتها رجعت أكبر مما كانت
ولا تموت النفس الحية إلا مع الأموات كما قال شيخنا رضي الله عنه وهذا أمر مجرب وبالله التوفيق
وخرق العوائد الباطنية التي هي رفع الحجب وشهود المحبوب لا يكون بمجرد الطلب دون
السعي في السبب مع تحقق الأدب كما نبه على ذلك بقوله **ليس الشأن وجود الطلب إنما**
الشأن أن ترزق حسن الأدب **قلت** قد تقدم في أول الكتاب أن الطلب كله مدخول

عند المحققين اولي الالباب، لما يقتضيه من وجود النفس والوقوف مع الحس، اذ العارف المحقق
لم تبق له حاجة يطلبها لانه قد حصل له الغنى الاكبر، وفاز من مولاه بالحظ الاوفر، وهو معنى وجود
مولاه، والغيبة عما سواه، ماذا فقد من وجدك، فليس الشأن وجود صورة الطلب، وانما
الشأن ان تستغني به عن كل مطلب، وترزق معه حسن الادب، وهو الاكتفاء بعلم الله، والوقوف
مع مراد الله، قال الشيخ زروق رضي الله عنه والادب على ثلاثة اوجه، آداب في الظاهر وهو ذلك
باقامة الحقوق، وآداب في الباطن بالاعراض عن كل مخلوق، وآداب فيهما وذلك بالانحياش فيهما
للحق، والدوام فيه بدوام على بساط الصدق، وذلك هو جملة الامر وتفصيله، وفرعه وتأصيله
فالطلب عند العارفين ليس هو بلسان المقال، وانما هو بلسان الحال، وهو الاضطرار، وظهور
الذلة والافتقار، وقد نبه عليه بقوله ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا اسرع بالمواهب مثل
الذلة والافتقار **قلت** انما كان طلب العارفين بلسان الحال دون المقال، لما تحققوا به من
وجود معنى قربه، حتى شهدوا امتنانه في محنته، ونقمته في نعمته، فاذا تجلى لهم بالقوة والجلال تلقوه
بالضعف والاذلال، فحينئذ يتجلى لهم باسمه الجميل فيمنحهم كل جميل واذا تجلى لهم باسمه العزيز
او القهار، تلقوه بالذلة والافتقار، فتتوارد عليهم المواهب الغزار، فاذا اردت ايها الفقير ان
تطلب من مولاك شيئا جليلا او دفعا فعليك بالاضطرار، والاضطرار هو ان يكون كالغريق في البحر او الضال
في التيه القفر لا يرى لغياثه الا مولاه، ولا يرجو النجاة من هلكته احدا سواه، فما طلب لك من مولاك
شيء مثل اضطرارك اليه، والوقوف بين يديه، متحليا بحلية العبيد، هنالك تنال كل ما تريد كما قال
الشاعر ** في آداب العبيد تذلل ** والعبد لا يدع الادب ** فاذا تكامل ذله ** نال المودة واقترب **
وقال آخر ** ومارمت الدخول عليه حتى ** حللت محلة العبد الذليل ** واغضيت الجفون على قذاها **
** وصنت النفس عن قال وقيل ** واذا اردت ورود المواهب عليك وهي العلوم اللدنية والاسرار
الربانية، فلا شيء اسرع لك بها مثل الذلة والافتقار، فيريد الحليم الغفار، فيكون ذلك قابلا
وقابلا ينبغي لك حينئذ ان تستعد لكسب المواهب، ونيل المراتب، قال تعالى انما الصدقات
للفقراء والمساكين وقال تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه وقال ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة
وقال صلى الله عليه وسلم واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا **وقال**
سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما اظهر عبد فاقته الى الله تعالى في شيء الا قال الله تعالى للملائكة لولا

ان

انه لا يحتمل كلامي لاجبته لبيك لبيك ** فاذا طلبت الدخول مع الاحباب، فقف ذليلا حقيرا بالباب،
حتى يرفع بينك وبينهم الحجاب، من دون حيلة منك ولا اسباب، وانما هو فضل من الكريم الوهاب،
كما اشار الى ذلك بقوله لو كنت لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه ابدا ولكن
اذا اراد ان يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته فوصلك اليه بما منه اليك
لا بما منك اليه **قلت** الوصول الى الله هو العلم به وبالاحاطة بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من
لم يزل وهذا لا يكون الا بعد موت النفوس، وحط الرؤوس، وبذل الارواح، وبيع الاشباح،
لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اي جنة المعارف لاهل
الجهاد الاكبر وجنة الزخارف لاهل الجهاد الاصغر ولقوله عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا
ذكره القشيري في شرح الهائية حديثا وقال في لطائف المنن لا يدخل على الله الا من بابين
احدهما الموت الاكبر وهو الموت الحسي والثاني الموت الذي تعنيه هذه الطائفة يعني موت النفس
وقال الششتري رضي الله عنه ** ان ترد وصلنا فموتك شرط ** لا ينال الوصال من فيه فضله **
وقال ايضا ** ليس يدرك وصالي ** كل من فيه بقي ** وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه لا يصل
الولي الى الله تعالى ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته او اختيار من اختياراته وهذه
التصفية ليست هي من فعل العبد وكسبه وانما هي بسابق عناية ربه فلو كان العبد لا يصل الى الله
تعالى الا بعد فناء مساويه، ومحو دعاويه، من حيث هو هو لم يصل ابدا لان الحق تعالى من كرمه
وجوده اذا اراد ان يطوي عنه مسافة البعد اظهر له من انوار قدسه، ونعوت وصفه، ما يغيب به
العبد عن شهود نفسه، فحينئذ تفنى المساوي، وتمحق الدعاوي، فيحصل الوصول، ويبلغ
المامول، بما من الله الى العبد من سابق العناية والوداد، لا بما من العبد الى الله من الكد والاجتهاد
وان شئت قلت فناء المساوي هو التطهير من اوصاف البشرية وهي الاخلاق المذمومة من حيث
هي ومحو الدعاوي هو التبري من الحول والقوة بحيث لا يرى لنفسه فعلا ولا تركا ولا نقصا ولا كمالا
وانما هي غرض لسهام الاقدار، تجري عليها احكام الواحد القهار، فتحقيق هذين الامرين على
الكمال مع وجود النفس كاد ان يكون من المحال، لان الحق تعالى لكرمه وجوده اذا اراد منك صدق
الطلب واراد ان يوصلك اليه وصلك الى ولي من اوليائه، واطلعك على خصوصيته واصطفائه،
فلزمت الادب معه فلا زال يسير بك حتى قال لك ها انت وربك فحينئذ يستر الحق تعالى وصفك

الذي هو وصف العبودية بوصفه الذي هو وصف الحرية فتختنس اوصاف البشرية بظهور اوصاف
الروحانية وبغطي ايضا نعتك الذي هو الحدوث بنعته الذي هو القدم او غطي نعتك الذي هو العدم
بنعته الذي هو الوجود وقال الشيخ زروق سترك بغناه وذلك بعجزك بقدرته وضعفك
بقوته ويصرفك عن شهود ذلك منك واليك بشهود ما منه اليك قلت وهو لازم لما فسرته
به من وصف العبودية ونعت الحرية فوصلك حينئذ بما منه اليك من الاحسان والطف
والامتنان لا بما منك اليه من المجاهدة او الطاعة او الاذعان ومثال النفس كالفحمة كلما
غسلتها بالصابون زاد سوادها فاذا اشتعلت فيها النار ونفخ فيه الريح كستها النار ولم يبق
لسواد الفحمة اثر فكذلك اوصاف البشرية اذا كساها نور الروحانية تغطت ظلمة البشرية ولم يبق
لها اثر فتنقلب البشرية في صفة روحانية وفي ذلك يقول الششتري في بعض ازجاله ** ** ** **
** فحق ما يري ** زالت البشرية ** وتحولت غصن ** في صفا روحانية ** وآثار النفحة والبشرية
هي مخالفة الهوى وتحمل النفس ما يثقل عليها كالذل والفقر ونحوهما مع دوام ذكر الاسم المفرد
فكلما فني فيه اثبت بشريته وقويت روحانيته حتى تستولي على بشريته فحينئذ يكون الحكم لها
فتغيب في نور مذكورها وتفنى في شهود عظمة محبوبها فحينئذ يحصل الوصال وتخفق العينا
في حضرة العظمة والجلال ولقد قال الششتري اي الفارض الله عنه ** فانقطعت الخطاب ** وسمعت مني
** كلي عن كل غائب ** وانا عين مغني ** وارتفع الحجاب ** وشهدت انه ** ما بقا الا انا
** غبت عن اثري ** لم اجد مرحضر ** في الحقيقة غيري ** ** وبالله التوفيق هذا اخر
الباب الثالث عشر وحاصلها امرك بالتعلق بوصف الربوبية والتخلق بوصف العبودية
وعدم مشاركته له في وصف الحرية وما تقود شئ به من ذلك فاخفي لها تلك العوائد هنالك
حتى تتهذب وتتادب وتكتفي بعلم الحال عن وجود الطلب فيكون طلبها شاهد حالها
من الذلة والانكسار وظهور الفاقة والاضطرار فحينئذ تترادف عليها المواهب وتنال بذلك
غاية المطالب ومنتهى الرغائب وهو الوصول الى حضرة القدس ومحل الانس من غير
حيلة ولا اكتساب وانما هو منة من الكريم الوهاب من عليها بالوصول وتفضل عليها بالقبول
كما اشار الى ذلك في اول الباب الرابع عشر فقال وقال رضي الله عنه لولا جميل ستره لم
يكن عمل اهلا للقبول قلت لان العمل الذي يكون اهلا للقبول هو الذي تتوجه

فيه شروط القبول وهو الاخلاص وغاية الحضور والتبري فيه من الحول والقوة وهذا في غاية الندور
فلولا ان الله سبحانه تفضل علينا بجميل ستره فغطا مساوينا بجلابيب الطفه وبره ما كان عمل اهلا للقبول اصلا
ولاكن الذي من بوجود الاعمال فيمن بوجود القبول والاقبال قال بعضهم لهذا الاجل لما
نعيش الا في ستره ولو كشف الغطاء لكشف عن امر عظيم وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه مسكين
ابن ادم جسم معيب وقلب معيب يريد ان يخرج من معيبين عملا بلا عيب فعمل العبد لما كان فيه
العثابة لم يكن فيه اهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله تعالى وعظيم حلمه وبره فليعتقد المريد
على فضل الله تعالى وكرمه لا على اجتهاده وعمله وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
البلاء والهوى والشهوة معجونة بطينة ادم قيل وهو معنى قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة
امشاج اي اخلاط فاختلط به البلاء والهوى والشهوة فركب ابن ادم منها فلن ينفك الاشئ
ما دامت بنيته قائمة وبشريته موجودة فاذا انهدمت البشرية حسا او معنى لم يبق حكم للنطفة
الامشاجية وصار الحكم للروح النورانية والله تعالى اعلم فاذا تقرر ان عملنا مدخول وليس اهلا
للقبول لولا جميل ستر المامول علمنا ان افتقارنا الى حلمه وعفوه في حال الطاعة اعظم من
افتقارنا اليه في حال المعصية كما ابان ذلك بقوله انت الى حلمه اذا اطعته احوج منك اليه اذا
عصيته قلت وذلك لان الطاعة بساط العز والرفعة وللنفس فيها شهوة ومتعة
ولان الناس يلحظون صاحب الطاعة الظاهرة وينظرونه بعين التعظيم ويبادرون اليه بالخدمة
والتكريم وكلما عظم في عين الخلق سقط من عين الحق الا ان كان يفرح بذلك ويقنع به دون
الملك الحق بخلاف المعصية فانها بساط الذل والانكسار ومحل السقوط والاحتقار وكل
ما سقط من عين الخلق عظم في عين الحق فكان العبد في حال طاعته لربه احوج الى حلمه وعفوه
منه في حال معصيته لان الطاعة التي ينشا عنها العز والاستكبار اقبح من المعصية التي
تورث الذل والافتقار بل في الحقيقة ليست بطاعة لان الطاعة التي توجب البعد ليست بطاعة
والمعصية التي توجب القرب ليست بمعصية وفي الحديث يقول الله تبارك وتعالى انا عند المنكسرة
قلوبهم من اجلي ومن كان الله عنده اعظم من الف مطيع توجب له طاعته طردا وبعدا اوحى الله
تعالى الى بعض الانبياء عليهم السلام قل لعبادي الصديقين لا يغتروا فاني ان اقم عليهم عدلي
وقسطي اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي الخاطئين لا يياسوا من رحمتي فانه لا يكبر علي ذنب اغفره

وقال الشيخ ابو يزيد رضي الله عنه توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة الف توبة وكان عليه السلام
اذا صلى استغفر ثلاثا تعليما للامة في شهود التقصير والا فلا استغفار من طاعة ولا ذنب على المختار صلى
الله عليه وسلم ولما كانت المعصية بساط الذل والافتقار كما تقدم وهو اقرب لمقام العبودية والطاعة
بساط العز والرفعة فافترقت الرجال الله اكثر الناس يطلبون الستر في المعصية او منها خوفا
مما يخشوا عنها كما ابان ذلك بقوله الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة
يطلبون الستر من الله فيها خشية سقوطهم من مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون الستر
عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق قلت الستر هو الحجب والتغطية وهو
في الحس من الافات والبليات التي توجب هلاكه وفي المعنى من الفضيحة والمقت وسقوط المرتبة وهو
باعتبار المعصية على قسمين قسم يقع الستر فيها فلا يفتضح صاحبها وقسم يقع الستر
عنها فلا يقع العبد فيها ولو طلبها لما شمله من عين العناية فالعامة يطلبون الستر من الله
فيها مع وقوعها لئلا يسقطوا من عين الخلق فهم يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله وهو معهم
والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مومنين فحيث نظرهم انما هو شهود الخلق غائبين عن نظر
الملك الحق وذلك لضعف ايمانهم وقلة يقينهم وانطماس بصيرتهم وفي بعض الاخبار
يقول الله تبارك وتعالى يا عبادي ان كنتم تعتقدون اني لا اراكم فالخلل في ايمانكم وان كنتم تعتقدون اني اراكم
فلم جعلتموني اهون الناظرين اليكم واما الخاصة فهم يطلبون من الله الستر عنها والعصمة منها
خشية ان يسقطوا من عين الحق لان صدور المعصية من العبد سوء ادب ومن اساء الادب مع الاحباب
طرد الى الباب واذا وقعت منهم معصية بادروا الى الاعتذار وعلاهم الخجل والانكسار ثم جدوا
في سيرهم ولم يقفوا مع نفوسهم اذ لا وجود لها في نظرهم ولا التفات لهم الى الخلق اذ لم
يبق في نظرهم الا الملك الحق غابوا بشهود الحق عن رؤية الخلق وبشهود المعنى عن رؤية الحس
وبشهود الموسوط عن الواسطة واما خاصة الخاصة فلا يطلبون شيئا ولا يخافون من شيء لان
الاشياء عندهم شيئا واحدا واستغنوا بشهود واحد عن كل احد فهم ينظرون ما يبرز من عنصر
القدرة فيتلقونه بالقبول والرضى فان كان طاعة شهدوا فيه المنة وان كان معصية شهدوا فيها
القهرية وتادبوا مع الله فيها بالتوبة والانكسار فلا مطلب لهم في شيء حجة النبي المختار صلى الله
عليه وسلم وقد وردت احاديث في المقامات الثلاث تعليما للامة فقد دعا عليه السلام بالستر في

المساوي

المساوي ومنها وهو العصمة والحفظ وطلب مقام الرضى والتسليم لاحكام الله القهرية كل ذلك منشور
في كتب الاحاديث فلا نطيل به ثم اذا ستر الحق عليك مساويك وذنوبك ثم توجه الناس اليك بالتعظيم
والمجد والتكريم فاعرف منة الله عليك وانظر من الممدوح في الحقيقة هل انت او من ستر مساويك كما
ابان ذلك بقوله من اكرمك فانما اكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن اكرمك وشكرك
قلت اذا كان الحق تعالى تولى حفظك برعايته وستر مساويك بحسن عنايته فغطى وصفك
بوصفه ونعتك بنعته ثم توجه الناس اليك بالتعظيم والتبجيل والتكريم فاعرف منة الله
عليك وانفرد عن شهود نفسك فمن اكرمك فانما اكرم فيك جميل ستره فلولا فضل الله عليكم ورحمته
لاتبعتم الشيطان الا قليلا ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا فالحمد في الحقيقة
انما هو لمن سترك لا لمن اكرمك اذ لو اظهر للناس ذرة من مساويك لمقتوك وابغضوك فاشكر الله
على ما اسدى اليك من الكرم وما غطى عليك من المساوي التي توجب انواع الاذاية والنقم وقال الشيخ
زروق رضي الله عنه اذ لولا ستره عن المعاصي ما كنت مطيعا ولولا ستره فيها لكنت مهانا عند
الخلق ومخصوصا بالمقت بينهم فستر مولاه هو مولاه لو ظهر عبده من ستره لابغضه احب الناس اليه
ولاذاه اشفق الخلق عليه ولاهلكه ارأف الخلق به ولله در القائل يظنون بي خيرا وما بي من
خير ولكنني عبد ظلوم كما تدري سترت عيوبي كلها عن عيونهم والبستني ثوبا جميلا
من الستر فصاروا يحبوني وما انا بالذي يحب ولكن شبهوني بالغير فلا تفضحني في القيامة
بينهم وكن لي يا مولاي في موقف الحشر ولما بلغت الاذاية كل مبلغ من حبيب الله صلى الله
عليه وسلم ما زاد على ان قال لا غنى لي عن عافيتك او عافيتك اوسع لي الحديث انتهى ووسيلة التقصير
في شهود الخلق في حالة النعم وان الناس على ثلاثة اقسام قوم عوام لا يشهدون الا الخلق وقوم
خواص لا يشهدون الا الخالق وقوم خواص الخواص يشهدون الخالق في الخلق والموسوط
في الواسطة فيعطون كل ذي حق حقه كما يأتي مبينا ان شاء الله واذا تحققت ان الذي اكرمك
هو الذي ستر عيوبك وغطى مساويك بعد اطلاعه على خفاياها وعلمه بجناياتها فاتخذه
صاحبا وكن له موافقا ودع الناس جانبا كما نبه عليه بقوله ما صحبك الا من صحبك وهو
بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك قلت واذا علمت انه ليس لك صاحب الا مولاك فاعرف
حقيقة صحبته والزم الادب في ظاهرك وباطنك واستحي منه ان يراك حيث نهاك او يفقدك

حيث امرك وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيوا
والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وتتذكر القبر والبلا
ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء وفي الصاحب الذي يد ومن هو الذي يصحبك وهو عالم بعيبك
لان ذلك داع للسلامة من التكلف والريا والتصنع وليس ذلك الا مولاك العالم بخفيات المطلع
على سرك وعلانيتك ان عصيته سترك وان اعتذرت اليه قبل عذرك وقد قيل من الحكمة في قوله تعالى
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة مع ان الكل ملكه ثلاثة اشياء احدها
البشارة بعدم الرد بالعيب لان المشتري عالم به الثاني ليسلم العبد نفسه اليه فيتولى تدبيره اذ
لا يتم بيع الا بالتسليم ولا حيالة الا بعد اقباض الثالث اظهار الانتفاع بالفضل في ظهور النسبة
له سبحانه وذكر المصاحبة في جانب الحق وقعت في حديث انت الصاحب في السفر واقتفت به الطائفة في
ذلك الفعل الظاهر ان الشيخ يرى ذلك في محل اشارة الادب والاخبار اشار عليه من ابو حامد الغزالي
في بعض كتبه قال الشيخ زروق رضي الله عنه واعلم ان الامر الذي يرغب في الصحبة ويعقد المودة والمحبة
امران احدهما ما تقدم من كون الصاحب يغطي سيئتك بحلمه ويستر وصفك بوصفه والثاني
كونه يحبك ويطلبك لرحمته من غير غرض ولا منفعة له في محبتك والى الثاني اشار بقوله خير من
تصحب من يطلبك لا لشيء يعود منك اليك قلت ولا يوجد هذا الوصف العجيب الا للغني
الحميد الفعال لما يريد يحب من يشاء بلا علة ولا سبب ويمقت من يشاء بلا ضرر يلحقه منه ولا
نفع يقرب من يشاء بلا عمل ويبعد من يشاء بلا زلل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء الله لهدى الناس جميعا وكلامنا انما هو مع اهل التحقيق واما
باعتبار الحكمة واهل التشريع فلا يظلم ربك احدا ولا حرج على السبب هو دال على المسبب من وجه
غير الحمد لله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ولصاحب العينية رحمه الله اذا كنت في حكم
الشرع عاصيا فاني في حكم الحقيقة طائع فخير من تصحبه ايها الانسان مولاك الذي
يطلبك لحضرته ويجتبيك لمحبته من غير نفع يعود منك اليه وانما هو بر واحسان منه اليك
وكيف تتركه وتطلب الانس بغيره وضره اقرب من نفعه قال بعضهم جربت الناس فوجدتهم
عقارب فاذا طلبت الصحبة فاصحب العارفين الذين ينهضك حالهم ويدلك على الله مقالهم
ولله در صاحب العينية حيث يقول في عينيته فشمر ولذ بالاولياء فانهم لهم من كتاب
الحق

الحق تلك الرقائع هم الذخر للملهوف والكنز للرجا ومنهم ينال الصب ما هو طامع
بهم يهتدي للعين من ضل في العمى بهم يجذب العشاق والربع شاسع هم القصد
والمطلوب والسؤل والمنا واسمهم للصب في الحب شافع هم الناس فالزم ان عرفت جنابهم
ففيهم لضر العالمين منافع وقال في التحذير من صحبة غيرهم من الغافلين والعوام وقاطع لمن
واصلت ايام غفلته فما واصل العذال الا مقاطع وجانب جناب الاجنبي لو انه لقرب انتساب
في المنام مضاجع فللنفس من جلاسها كل نسبة ومن خلة للقلب تلك الطبائع والحاصل
ان صحبة من يوصل الى الله فما هي الا صحبة الله اذ ما ثم سواه والنظر الى العارف بالله فانما هو النظر الى
الله اذ لم تبق فيه بقية لغير الله فصار نور المحاضر نور الله وفيهم قال عليه السلام ان لله رجالا من نظر
اليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وهم موجودون لا ينقطعون ابد الدهر وظهور الشمس
لا يجحدون الفضل من اراد الله منه طردا وبعدا والعياذ بالله من السلب بعد العطاء ومن سوء القضاء
وشماتة الاعداء وعضال الداء وخيبة الرجاء وزوال النعمة وفجاءة النقمة امين قسم
فائدة محبة العارفين هو حصول اليقين كما اشار اليه بقوله لو اشرق نور اليقين لرايت
الاخرة اقرب اليك من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها
قلت اليقين هو العلم الذي لا يخالطه ريب ولا يصحبه اضطراب مشتق من يقن الماء
اذا استقر ولم يتحرك شبه به العلم اذا صحبته الطمانينة ولم يبق بالقلب فيه تحرك ولا اضطراب واشراق نوره
هو ظهور اثره على الجوارح فيظهر فيها الزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة ويظهر منها الانحياش
الى الله والاشتياق الى حضرة جماله والسكون والخضوع تحت قهر جلاله والمسارعة الى ابتغاء
مرضاته والمبادرة الى مظان محابه ولهج اللسان بذكره وشغل القلب بالفكرة في عظمته
وهيمان الروح في حضرة قربه وسكرها من شراب حبه واعتمارها بشهود قربه فهذه علامة اشراق
نور اليقين في القلب ومن علامته ايضا ان يصير الاجل عاجلا والبعيد حاضرا والغيب شهادة عيانا
كانوا عدون ذلك وما انتم بمعجزين ولنا في هذا المعنى فلا نرضى بغير الله حبا وكن ابدا
عشق واشتياق ترى الامر المغيب ذا عيان وتحظى بالوصال وبالتلاقي كنت ذا حال
قول القائل فما هو شروطا مع الحرص ولا عيش وساق القوم باق فما الدنيا
بباقية نعمى وما هي على الدنيا بباق فلو اشرق نور اليقين فيك لرايت الاخرة الاتية

حاضرة لديك اقرب اليك من ان ترحل اليها اذ هي الراحلة اليك والمدرجة لك ولما رأيت محاسن الدنيا
الوهمية العاجلة قد ظهرت كصفة الفناء عليها فصار ما كان ظاهرا باطنا وما كان باطنا صار ظاهرا
وما كان كثيفا صار لطيفا وما كان لطيفا صار كثيفا وما كان غيبا صار شهادة وما كان شهادة صار غيبا
وانما بعد ذلك عن الخلق ضعف ايمانهم وقلة نور ايقانهم ولو اشرق نور اليقين في قلوبهم لراوا
الدنيا مكسوفة انوارها بادية عوارها كما راها حارثة رضي الله عنه حين اخبر عن حقيقة ايمانه
فقد روي عن انس رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي اذ استقبله شاب من الانصار
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت مومنا بالله حقا فقال له انظر ما تقول
فان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا اجريت وهي بين
فاسهرت ليلي واظمات نهاري فكاني بعرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكاني
انظر الى اهل النار يتعاوون فيها فقال له ابصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه قال يا رسول الله
ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل يوم بدر شهيدا فجاءت امه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد علمت منزلة حارثة مني فان يكن في الجنة اصبر
وان لم يكن في الجنة ترى ما اصنع فقال اوهبلت اجنة هي انها جنان وان ابنك اصاب الفردوس الاعلى
فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ يا حارثة ه وكذا جاء معاذ بن جبل رضي الله عنه حين دخل على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له كيف اصبحت يا معاذ قال اصبحت مومنا فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول فقال يا رسول الله ما اصبحت
صباحا قط الا ظننت اني لا امسي وما امسيت قط الا ظننت اني لا اصبح ولا خطوت خطوة الا ظننت
اني لا اتبعها باخرى وكاني انظر الى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها معها نبيها واوثانها التي
كانت تعبد من دون الله وكاني انظر الى عقوبة اهل النار وثواب اهل الجنة فقال صلى الله عليه وسلم
فقال عرفت فالزم فهذان الرجلان الانصاريان اشرق نور الايقان في قلوبهما وشرح
الله بهما صدورهما فراوا ما كان فيه اجلا عاجلا وما كان غائبا واصلا وفي الحديث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك
من علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل
نزوله او كما قال عليه السلام وقال احمد بن عاصم الانطاكي رحمه الله اليقين نور يجعله العبد

في قلب

في قلب العبد حتى يشاهد به امور اخرته ويخرق به كل حجاب بينه وبينها حتى يطالع الاخرة كالمشاهد
لها ه قلت فاذا انكمل اشراق نور الايقان غطى وجود الاكوان ووقع العيان على فقد
الاعيان ولم يبق الا نور الملك الديان كما اشار الى ذلك بقوله ما حجبك عن الله وجود موجود معه
اذ لا شيء معه ولكن حجبك عنه توهم موجود معه قلت الحق تعالى ظاهر ونوره للبصائر باهر
وانما حجبه مقتضى اسمه الحكيم واسمه القاهر فما حجبك عن شهود الحق وجود شيء معه اذ كان مع
الله تعالى الله عما يشركون ولكن حجبك عن شهوده توهم وجود معه ولا شيء معه وما كان ولا شيء بقي
ولا شيء هو الاول والاخر والظاهر والباطن واحد في ذاته وفي صفاته وفي افعاله فالفعل لا يتعدد من غير صفة
والصفة لا تفارق الموصوف فالفعل متحد والفاعل واحد والصفة متحدة والمتصف بها واحد وللششتري
رضي الله عنه : صفاته لا تختفي : لمن نفى : وذاته معلومة : تلك الصور : فاخبر عن الاحبار من
نزل عني : وسبب توهم الغيرية عدم الفكرة وسبب عدم الفكرة حب العاجلة فهي الشاغلة
للقلوب عن السير الى حضرة علام الغيوب وحكمة حب الدنيا ظهور القهرية فمن فهم ربه تعالى
ان احتجب بلا حجاب وغطى نور شمسه بلا سحاب وايضا فوائد العبودية حجبت مظاهر انوار الربوبية
ووجود الحكمة سترت ظهور القدرة قال بعض العارفين الحق تعالى منزه عن الاين والجهة
والكيف والمادة والصورة ومع ذلك لا يخلو منه اين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر ولا
عرض لانه للطفه سار في كل شيء ولنورانيته ظاهر في كل شيء ولاطلاقه واحاطته متكيف بكل كيف غير متقيد
بذلك ومن لم يذق هذا ولم يشهده فهو اعمى البصيرة محروم عن مشاهدة الحق انتهى ومن كلام ابن وفا
رضي الله عنه : هو الحق المحيط بكل شيء : هو الرحمن ذو العرش المجيد : هو النور المبين
بغير شك : هو الرب المحب المجيب : هو المشهود في الاشهاد بيدوا : فيحجبه الشهود
عن الشهيد : هو العين العيان لكل غيب : هو المقصود من بيت القصيد : جميع العالمين
له ظلال : سجود في القرب وفي البعيد : وهذا القدر في التحقيق كاف : فكف النفس عن طلب
المزيد : وقال الشيخ القطب مولاي عبد السلام بن مشيش مخاطبا لوارثه الشيخ ابي الحسن الشاذلي
رضي الله عنهما في وصيته له وقد تقدم منه حدد بصر الايمان تجد الله تعالى في كل شيء وعند كل شيء ومع كل
شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شيء وتحت كل شيء وقريبا من كل شيء ومحيطا بكل شيء
بقرب هو وصفه وبحيطة هي نعته وعد عن الظرفية والحدود وعن الاماكن والجهات وعن الصحبة والقرب

في المسافات وعن الدور بالمخلوقات والمحق الكل بوصف الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو كان الله ولا
شيء معه وهو الآن على ما عليه كان هـ قال بعضهم ونبه بقوله وهو الآن ان ما جرى في كلامه من الظروف
ليست زمانية ولا مكانية لانهما من جملة الأكوان وانما هي أمور وهمية فاعتقد تعالى التنزيه وبطلان التشبيه
وتمسك بقوله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وسلم ذلك لأهله فانهم على بصيرة فيما رمزوا
إليه مما ذاقوه ووجدوه بل هو من محض الايمان وخالص العرفان وهو حقيقة التوحيد وصفو الايمان
وأما قوله وهو الآن على ما عليه كان وان لم يرد في الحديث الصحيح فهو في نفسه صحيح إذ لا وجود في الحقيقة للأشياء
معه تعالى وانما هي خيالية ووجود الظلال فلا تتصف احديته ولا تنقسم في ذاتيته وبالجملة من غلب
عليه شهود الأحدية وكوشف بسر الوحدانية واستغرق في الحقيقة العيانية انقطع عن الشعور
بنفسه وغاب عن السوى بالكلية وان رد الى الشعور به رده فاثباته لظاهره فيه وبه وحكما من احكامه
وقال في لطائف المنن واشبه شيء بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال
والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم واذا ثبتت ظلية
الآثار لم تنخرق احدية المؤثر لان الشيء انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك ايضا من شهد ظلية
الآثار لم تعقه عن الله فان ظلال الأشجار في الأنهار لا تعوق السفن عن التسيار ومن ها هنا تبين لك
ان الحجاب ليس امرا وجوديا بينك وبين الله تعالى ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي للزم ان يكون اقرب
إليك منه ولا شيء اقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب هـ ولما قرر امر الوحدة ونفي
وجود الغيرية استشعر سائلا يقول له وهذه المكونات الظاهرة فما تقول فيها مع ثبوت
الوحدة فأجاب بأنها قائمة به ولولا ظهور نوره فيها ما ظهرت كما اشار الى ذلك بقوله لولا ظهوره
في المكونات ما وقع عليها وجود إبصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته قلت
كان الله ولا شيء معه فكانت الخمرة الازلية القديمة لطيفة خفية نورانية روحانية وليس هناك
شكل ولا رسم متصفة بصفات المعاني والمعنوية متسمية بأسمائها القديمة منعوتة بنعوت
الجلال والجمال فاقتضت الخمرة ظهور حسنها وجمالها واقتضت الصفات ظهور آثارها والأسماء
ظهور مطالبها فكثفت الصفات من النور اللطيف قبضة نورانية لمقتضى اسمه الظاهر واسمه
القادر ومطلبها ايضا اسمه الباطن واسمه الحكيم فبطنها في حال ظهورها وغطاها في حال بروزها
فكانت ظاهرة باطنة ثم تفرعت تلك القبضة على تفاريع كثيرة بعدد الصفات وتنوعت على اجناس

كثيرة بتنوع الأسماء فالماء واحد والأواني ألوان وفي ذلك يقول صاحب العينية :: وكل الورى طرا مظاهر
طلعتي :: مرائي بها من حسن وجهي ملامع :: ظهرت بأوصاف البرية كلها :: اجل في ذوات
الكل نوري ساطع :: فجئ الجبروت ففاض الى عالم الملكوت ثم احتجب بالحكمة فصار ظاهره ظلمة وباطنه
نور ظاهره حكمة وباطنه قدرة ظاهره ملك وباطنه ملكوت والجميع جبروت فاذا تقرر هذا علمت
ان الأكوان لا وجود لها من ذاتها فلولا الظهور الحق بها ما ظهرت ولا وقع عليها ابصار الخلق كما قال القائل
:: من لا وجود لذاته من ذاته :: فوجوده لولاه عين محال :: وقال أخي :: فلم يبق الا الحق لم يبق كائن ::
فما ثم موصول وما ثم بائن :: بذا جاء برهان العيان فما ارى :: بعيني شيئا غيره اذ اعاين ::
وظهوره تعالى بواسطة تجليات الأكوان فيه لطف كبير اذ لا يمكن شهوده ومعرفته الا بواسطة هذه
التجليات ولو ظهر بالأوصاف التي كان عليها في الأزل بلا واسطة لتلاشت الكائنات واضمحلت وفي
الحديث حجابه النور لو كشف عنه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره هـ وهذا معنى قوله لو
ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته أي لو ظهرت نعوته الأصلية الأزلية لاضمحلت المكونات الحدثية
إذ الكائنات كلها تكثيف للأسرار اللطيفة التي هي نعوت الخمرة الأزلية التي اشار اليها ابن الفارض
في خمريته بقوله :: صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى :: ونور ولا نار وروح ولا جسم :: تقدم كل الكائنات
حديثها :: قديما ولا شكل هناك ولا رسم :: فلو ظهرت الأسرار اللطيفة لتلاشت الكائنات
الكثيفة اذ لا ظهور للكثيف اذا رجع للطيف وما مثل الكون الا كالثلجة ظاهرها جامد وباطنها
مائع فاذا ذابت الثلجة رجعت الى اصلها ماء ولم يبق للثلجة أثر وكذلك المكونات الحسية
اذا ظهرت اسرارها اللطيفة التي قامت بها ذابت وانهدّ الكثيفة وتلاشت ورجعت لأصلها
والى هذا المعنى اشار صاحب العينية بقوله :: وما الكون في التمثال الا كثلجة :: وانت لها الماء
الذي هو نابع :: فما الثلج في تحقيقنا غير مائه :: وغيران في حكم [?] الشرائع :: ولكن
بذوب الثلج يرفع حكمه :: ويوضع حكم الماء والأمر واقع :: فمن وقف مع ظاهر الثلجة انكر
الماء الذي في باطنها وكان جاهلا بحقيقتها ومن نفذ الى باطنها عرف اصلها وفرعها وكذلك
الأكوان ظاهرها غرة لمن وقف مع كثافتها وباطنها عبرة لمن نفذ الى اصلها وقد مثلوا
أيضا الكون بصورة جبريل حين كان يتصور على صورة دحية فمن رآه كثيفا قال دحية وانكر ان يكون
ملكا ومن عرف اصله لم ينكره ولم يقف مع ظاهره فاذا تلطف ورجع الى اصله ذهبت تلك الصورة

وانفعلت وكذلك الكون انما هو خيال في حق ذي موجود في الحس ووهم فاذا رجع الى اصله
يظهر اسراره التي قام بها انمحى ولم يبق له اثر وقد اشار الى هذا صاحب العينية ايضا بقوله ٭ ٭
٭ تجليت بالتحقيق في كل صورة ٭ ففي كل شيء من جمالك لائح ٭ فما الكون في التمثال الا كثلجة ٭
٭ بصورته فيه شكل مخادع ٭ ويسمون هذه الاسرار التي قامت بها الاكوان معاني فيقولون الاكوان
اوان حاملة للمعاني فلو ظهرت المعاني لانفعلت الاواني ومن وقف مع حس الاواني حجب عن اسرار المعاني
وفي ذلك يقول الششتري رضي الله عنه ٭ لا تنظر الى الاواني ٭ وخض بحر المعاني ٭ لعلك تراني ٭ وقال ابن
الفارض رضي الله عنه ٭ ولطف الاواني في الحقيقة تابع ٭ للطف المعاني والمعاني بها تسمو ٭ ٭ ٭
فالاواني كلها لطيفة في الحقيقة تابعة للطف المعاني لانها منها وانما تكثفت في حق اهل الحجاب
الذين وقفوا مع ظواهر الاشياء واشتغلوا بخدمة الحس قلبا وقالبا فغلب عليهم الحس وفوت ذلك
حسهم وغلظ الحجاب في حقهم فعباداتهم حسية وذلك لصحبتهم اهل الحس ولو صحبوا اهل المعاني لاشتغلوا
بخدمة المعاني وتلطف عندهم الاواني قال شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه سالت
الشيخ يعني سيدي العربي فقلت يا سيدي كنت اظن انه لا يشفي غليل الانسان الا الحس يعني العبادة
الحسية ولا ظننت قط ان يكون في المعاني ما يشفي الغليل ابدا والان وجدت نفسي بالعكس لا يشفي غليلها
الا المعاني فاجابني بان قال يا ولدي لما كانت همتك مشورة للحسيات امدك الله فيها فصرت لا تقطع
الا بالحسيات والان انعكس الامر لما رافقت اهل المعاني اثرت معرفتهم فيك فتشوفت همتك لبلاد
المعاني ولما انقلبت همتك عن بلاد الحس وتشوفت لبلاد المعاني امدك الله فيها فصرت تقطع في المعاني
كما كنت تقطع بالحسيات هـ مختصرا وكل من صحب اهل المعاني وانقلبت همته لبلاد المعاني
حتى صارت عبادته باطنية معنوية تلطفت في حقه الاواني ولم ير الا المعاني قلت ومما من الله
علي بصحبة اهل المعاني اذ انظر الى الكون يفنى بحيث من عرشه الى فرشه ذاب وتلاشى ولم يبق له اثر
تنبيه سئل سيدي احمد بن يوسف الملياني عن ذات الحق تعالى هل هي معنوية او حسية فقال هي
حسية لا تدرك قال سيدي عبد الله الهبطي وهذا مما يدل على تحقيق معرفته قلت
ذات الحق تعالى موجودة لطيفة لا تدركها الابصار ولا تكيفها العقول متصفة بصفات المعاني والمعنوية
ولو كانت صفة او معنى كما يزعم النصارى لم تتصف بصفة المعاني ولا المعنوية لان الصفة والمعنى
لا يقوم بنفسه ولا بد ان يقوم بغيره والصفة لا تتصف بصفة اخرى واما قول بعض المتاخرين ان المعنى

لا يفنى

لا يفنى الا بالحس وقولهم ايضا لا تنظر الى الاواني وخض بحر المعاني وقولهم الاكوان اوان حاملة للمعاني
فاعلم انه قد تقدم انهم يطلقون المعاني على اسرار الذات وهي الخمرة الازلية فمعاني لخفائها
ولطافتها فاشبهت المعاني من هذا الوجه فتحصل ان الحس لا قيام له الا بالمعنى وهي معاني اسرار الذات
فصار قيام الاشياء كلها بالله ولا وجود لها معه وهو الذي اشار اليه ابن الفارض بقوله ٭ ٭ ٭ ٭
٭ وقامت بها الاشياء ثم لحكمة ٭ بها احتجبت عن كل من لا له فهم ٭ ٭ اي قامت الاشياء كلها
بالذات العلية اي باسرارها اللطيفة الازلية وقولهم ايضا الذات غير الصفات والصفات غير الذات
فاعلم انه لما كان لا ظهور للذات الا من انوار الصفات ولا قيام للصفات الا بالذات والصفة لا تفارق الموصوف
صار كانه هذا غير هذا فنطقوا بتلك العبارة تقريبا للجمع وجريا على العرف وهو اصطلاح منهم
فسموا ما تكثف وظهر للحس صفاتا وما بطن من سر الربوبية ذاتا او معنى والصفة لا تفارق الموصوف
كما تقول في الثلجة ظاهرها ثلج وباطنها ماء فالثلج صفات والماء ذات الثلج حسا والماء معنى
للطافته وخفائه صار كانه معنى قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه قال في كل شيء اسم من اسمائه واسم كل شيء من اسمه فانما انت بين اسمائه
وصفاته وافعاله باطنا بقدرته ظاهرا بحكمته ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب
الصفات بالافعال وكشف العلم بالارادة واظهر الارادة بالحركات واخفى الصنع في الصنعة واظهر
الصنعة بالادوات فهو باطن في غيبه وظاهر بحكمته وقدرته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير انتهى
نقله شارح بداية السلوك هكذا عن ابن عباس رضي الله عنه فقوله حجب الذات بالصفات اي حجب اسرار
الذات بانوار الصفات وهي اثارها وقوله وحجب الصفات بالافعال لان الافعال ظروف للصفات لانها
اثر من اثارها ومظهرة لها وقوله وكشف العلم بالارادة اي اظهر ما سبق في علمه بارادته المخصصة
لوقت الظهور وقوله واظهر الارادة بالحركات اي اظهر ما سبق في ارادته بظهور الحركات الدالة على
ما اراد وقوله واخفى الصنع في الصنعة اي اخفى الصانع في صنعته وقوله واظهر الصنعة في الادوات
اي اظهر قدرته في الاجرام وسائر الذوات والله تعالى اعلم وقول شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه
في كتابه في تفسير الذات والصفات ان كل ما هو جلالي فهو ذات وكل ما هو جمالي فهو صفات فانما ذلك
على وجه التشبيه فان تجلي الصفات كله جمالي لانه محل نزهة ارواح العارفين وفيه يتنزه اهل الدليل الى
معرفة العليم وهو الذي شبهه الشيخ ابن مشيش بالرياض في قوله وفي رياض الملكوت الخ وايضا هو

الذي تعذر رؤيته وتحصل المعرفة به بخلاف تجلي الذات فانه جلالي محض اذ لو ظهر شيء من نوره الاصلي
بلا واسطة لاحترق الكون من اصله وفي الحديث حجابه النار وفي رواية النور لو كشف عنها لاحرقت
سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره فصار تجلي الصفات كله جماليا وتجلي الذات كله جلاليا فاطلق على
وجه التشبيه ان كل ما يشق على النفس فهو ذات لانه جلالي كتجلي الذات وكل ما يخف على النفس فهو
صفات لانه جمالي كتجلي الصفات والله تعالى اعلم وانما اطلت الكلام في هذه المسئلة لاني لم ار من تكلم
عليها ولا من يشفي فيه الغليل وقد كنت كثيرا ابحث عنها فلم نجد من يشفيني فيها وهذا ما ظهر
لي فيها وما انفتح فكرتي والله تعالى اعلم وبالله التوفيق ثم استدل على ظهوره في المكونات بقوله
تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن فاشار الى تفسير الظاهر والباطن بقوله اظهر كل شيء بانه
الباطن وطوى وجود كل شيء بانه الظاهر قلت مقتضاه ان اسمه تعالى الباطن يقتضي
ظهور الاشياء حسا ليكون بطونها بسبب ظهور حسها لان الحس رداء اسرار المعاني واسمه
الظاهر يقتضي بطون الاشياء اي هلاكها وانمحاقها ليكون ظاهرا ايما الحق منها هذا معنى
قوله اظهر كل شيء بانه الباطن اي بسبب انه الباطن ليتحقق بطونه بها وطوى وجود كل شيء
بسبب انه الظاهر ليتحقق انفراده بالظهور فيها والحاصل ان الحق في قوله تعالى هو الظاهر
يدل على انه لا ظاهر معه فانطوى وجود الاشياء وقوله هو الباطن يدل على انه لا باطن سواه فبطنت
الاشياء كلها بعد ظهورها فيدل كلامه سبحانه ان ما ظهر به هو الذي بطن فيه والذي بطن فيه
هو الذي ظهر فيه والامر بيد الحق فان قلت المتقابلان لا يجتمعان كالضدين وكيف جمعتهما
في ذات واحدة قلت لم يتواردا على محل واحد بل ذلك باعتبارين فاسمه الظاهر باعتبار الحس
في عالم الحكمة واسمه الباطن باعتبار المعنى في عالم القدرة فالحكمة ظاهرة والقدرة باطنة
او تقول ظاهر باعتبار مظاهر الربوبية فباطن باعتبار قوالب العبودية او تقول ظاهر باعتبار
التعريف باطن باعتبار التكييف فالذات واحدة والاعتبارات مختلفة وذلك كثير فتحصل
ان الحق سبحانه ظاهر في بطونه باطن في ظهوره ما ظهر به هو الذي بطن فيه وما بطن به هو الذي ظهر
فيه اي ما ظهر فيه بحكمته هو الذي بطن فيه بقدرته وما بطن فيه بقدرته هو الذي ظهر فيه بحكمته
وهو الذي قصد الشاعر بقوله لقد ظهرت فلا تخفى على احد الا على اكمه لا يبصر القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا وكيف يعرف من بالعزة استترا والله تعالى اعلم

تنبيه

تنبيه قد كنت سالت الشيخين اعني شيخنا وشيخه عن الخمرة الازلية قبل تجليها هل تسمى ظاهرة
باطنة او انما تسمى باطنة فقط لكمال خفائها حينئذ فاجابني بان ما كان هو الذي ظهر وليس الذي
ظهر غير ما كان في الازل كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان يعني ان الذات العالية كما
كانت متصفة بصفاتها او اسمائها في الازل بقيت كذلك فيما لا يزال فكما في الازل ظاهرا باطنا وبقي
بعد التجلي كذلك ظاهرا للنفس بلا خفاء عن خلقه ما تجلى به ظاهرا هو فيه ايضا باطن وقال الغاشاني
في شرح تائية ابن الفارض ما نصه بعد كلام والمظهر الحق تعالى بسر ذاته وصفاته في مظاهر افعاله وما كان
احتجابه عليه فلذلك لما حكاه عن المحبوبة بلسان الجمع بقوله فظاهر في فيها بدون ولم اكن
على بخاف قبل موطن برزة ولاني تجلي باسم الظاهر اي اذا كان متجليا باسم الباطن
اولا والعجب كل العجب انه تعالى ما ظهر بشيء من مظاهر افعاله الا وقد احتجب به كما قال
بدت باحتجاب واختفت بمظاهر على صبغ الاكوان في كل برزة انتهى كلامه رضي الله عنه
والتحقيق ان يقال ان الحق تعالى لم يزل متصفا باسمائه وصفاته في الازل وفيما لا يزال الا ان ظهور
آثارها وقع فيما لا يزال فكان متصفا باسم الظاهر والباطن في الازل وظهر بعد ذلك آثارهما فيما
لا يزال والله تعالى اعلم ثم بين كيفية النظر والاعتبار في المكونات لتعرف ظهوره تعالى فيها فقال اباح
لك ان تنظر في المكونات وما اباح لك ان تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا في السموات
فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام قلت انما
ابرز الله هذه المكونات واظهر هذه العوالم ليعرف بها ويظهر نوره فيها قال تعالى وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وقال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا
قال في لطائف المنن فما نصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق منك
ان تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها قال ولنا في هذا المعنى
ما اثبتت لك العوالم الا لتراها بعين من لا يراها فارق عنها رقي من ليس يرضى
حالة دون ان يرى مولاها فلا يباح لك ايها الانسان ان تنظر ما في السموات والارض
من النور اللطيف الذي قامت به الاشياء وما ابيح لك ان تقف مع ذوات المكونات تقف مع القشر
وتحجب عن اللب وقد تقدم قوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فوقفك مع ظاهرها كان
محجوبا ومن نفذ الى باطنها كان عارفا محبوبا ولاجل هذا المعنى قال الله تعالى قل انظروا ماذا

في السموات اسماءها هامن عظمته ومعاني اسرار ذاته وكمال قدرته وارادته وسائر صفاته فقد فتح
لك باب الاجمال جمع جمعها فتح لك باب الفهم لتدخل به من كان هو الفهم الى باطن اللب متى تعرف في كل
شيء وتفهم عنه في كل شيء ولو قال الحق تعالى انظروا السموات لم تكن على الاجرام وسد لك باب
الابصار وكيف يدلك على الاجرام وهي اغيار والاغيار مانعة من الدخول الى شهود الانوار **ومثال**
ذلك في التقريب لو قال لك قائل انظر هذه النخلة لدلك على ظاهر جرمها ولو قال لك انظر ما في هذه النخلة
لفتح لك باب الفهم الى ما في باطنها من الماء دون الوقوف مع ظاهر جرمها **واعلم** ان الحق سبحانه ندب
عباده الى معرفة ذاته وذمهم الى اشياء واشياء فمنهم من فهم ومنهم من وصل فدرجهم اولا الى توحيد
الافعال وانه لا فاعل سواه فقال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ان ربك فعال لما يريد والله خلقكم
وما تعملون ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد **وقال** في فعل غير الادمي ما من دابة الا هو
اخذ بناصيتها وفي اشار الطير ما يمسكهن الا الرحمن وقال تعالى وما من دابة في الارض ولا طير يطير
بجناحيه الا امم امثالكم اي فهي قبضتنا مقدرة اجالها مقسومة ارزاقها معدودة انفاسها
محفوظة اجسامها معلومة اماكنها ظاهرة اشباحها باطنة انوارها **وقال** في توحيد الصفات
وانه لا سميع ولا بصير ولا قدير ولا متكلم الا الله انه هو السميع البصير اي دون غيره فلا سمع ولا بصر
الا به سبحانه وقال تعالى انه هو الحكيم العليم وقال تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله الى غير ذلك من الايات
وقال تعالى في توحيد الذات وهو الله في السموات وفي الارض الله نور السموات والارض على تفسير اهل
الاشارة وهو اهل الباطن وقال تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال في محو الواسطة فلا اذاني انه فاتبع في انه انا صببنا الماء
صبا ثم شققنا الارض الى اخره شقا ويحتمل ان تكون منها او من توحيد الافعال وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى ولكن الله الف بينهم وقد يجمع الحق تعالى في اية واحدة توحيد الصفات وبرقي الى توحيد
الذات كقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ثم رقاهم
الى الشهود بقوله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل
شيء محيط وقال تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير ثم رقاهم من الغيب
الى الشهادة بقوله واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير **فتحصل** ان الاشياء كلها فانية بالله اثبتها البعض ثم محاها بوحدانيته كما اشار

الى

الى ذلك بقوله **الاكوان ثابتة باثباته ممحوة باحدية ذاته** **قلت** الاكوان هي ما ظهر في عالم الشهادة
او نقول ما دخل عالم التكوين وهي موجودة بوجود الحق قائمة به ثابتة باثباته ليعرف بها ممحوة
باحدية ذاته لا تعدد وجوده مراتبها بنفسها فقد جهل فيها وحجب بها عن شهود موجدها
ومن اثبتها بالله فقد عرف فيها وشهد فيها مولاها فالثبوت للاكوان امر عرضي والحق اللازم
هو وجود احدية الحق تعالى والاحدية مبالغة في الوحدة ولا تتحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث
لا يتكرر ربها شيء واكمل منها في مقتضى حقيقتها محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو وجدت
لم تكن احدية ولكان في ذلك متعدد ذو انثنينية كما قيل ٭ ارب وعبد ونفي ضد ٭ فلقتاه ليس
في اي عقد ٭ فقال ما عنه كم فقلنا ٭ وجود فقد وفقد وجد ٭ توحيد من ينزه حق ٭
٭ وليس حق سواه وحد ٭ ومعنى كلام الشاعر الانكار على من اثبت الغير بان جعل للعبودية
محلا مستقلا منفصلا عن اسرار معاني الربوبية قائما بنفسه ولا شك ان العبودية تضاد اوصاف
الربوبية على هذا الغير وانت تقول في توحيد الحق لا ضد له فقد نقضت كلامك ولذلك قال
ونفي ضد فالواو بمعنى مع وهو داخل في الانكار اي اتوجد رب وعبد مستقل مع نفي الضد للربوبية
والعبودية تضاد اوصاف الربوبية **و**الجواب ان الحق تعالى تجلى بمظاهر الجمع في قوالب الغير فلا
شيء معه ظهر بعظمة الربوبية في مظاهر قوالب العبودية وقوله في الجواب وجود فقد لـ
عندنا وجود فقد السوى وفقد وجود النفس وقوله توحيد من ينزه من اي توحيد من الحق
ينزه من الغير فلا غير ولذلك قال وليس من موجود سوى وجود وحد تكلم على لسان الفناء
والله تعالى اعلم وقال في اخر ٭ سري سري من جناب القدس انفاسا ٭ لا ادري اي الفنا عني
قد احيانا ٭ وردة للبقا حتى اخبر عن ٭ جمال حضرته لكل هيمان ٭ وحدت في ملكوت من عجائبه
٭ لم اعرف وجود ملاه ثان ٭ ٭ وانشد المولى المعظم في طريقه المترجم رجلا من اخوانه
اسمه حسن ٭ ٭ ٭ حسن بالرتع في الوجود باسره ٭ حصن فلا يشغلك عنه شاغل ٭
٭ ولئن جهلت لتعلم بانه ٭ لا ترى الا للحق هو ما حل ٭ ومتى شهدت سواه فاعلم
انه ٭ من وهمك الادنى وقلبك ذاهل ٭ حسب الاله شهودك لوجوده ٭ والله يعلم
ما يقول القائل ٭ ولقد اشرت الى الصريح من الهدى ٭ دلت عليه ان فهمت دلائل ٭ وحديث
كان وليس شيء دونه ٭ يقضي به الا الكامل اللبيب العاقل الاعي والانسية مبثوثة ٭

ليذيقنا ذوق رحمته فافهم هذا آخر الباب الرابع عشر وحاصلها تحريض العباد
إلى الله وتحبيبه إليهم بذكر ما اشتمل عليه الحق سبحانه من الكرم والإحسان وغاية اللطف والمبرة
والامتنان وذلك أنه سبحانه من علينا أولا بالطاعة والعمل وتفضل علينا ثانيا بالقبول مع ما اشتمل
عليه عملنا من النقص والخلل ثم إذا وقعت منا معصية أو زلل غطاها بستره ويشفع فيها لنا
تفضلا وإذا توجهنا إليه قبلنا وسترنا منها وعصمنا ليحفظ قدرنا ويظهر شكرنا فيتخذنا
أحبابا وندع غيره جانبا فحينئذ تشرق في قلوبنا أنوار اليقين ونرحل إلى الآخرة وافي هيبته
ثم تشرق علينا أنوار الإحسان فتنطوي لنا رؤية الأكوان فنشهد نور الملك الديان فحينئذ
ينشر محاسننا للعباد فيقبلون علينا بالثناء والمحبة والوداد كما أبان هذا بقوله في أول الباب
الخامس عشر **وقال رضي الله عنه** الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاما
لنفسك لما تعلمه منها **قلت** إذا مدحك الناس بشيء ليس هو موجود فيك فاعلم أن ذ
ذلك هواتف من الحق ينبهون بك ويحرشونك إلى الزيادة ويقولون لك اجتهد أمامك ولا تقنع بذلك
ولا تركن إلى ما هنالك بل ارجع إلى نفسك باللوم ولا يغرنك ثناء القوم فإنهم لا يعلمون منك إلا
الصوان الظاهر وأنت تعلم من نفسك العيب الباطن **قال** بعضهم من فرح بمدح الناس فقد أمكن
الشيطان أن يدخل بطنه **وكان** بعضهم يقول اللهم اجعلني خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا
بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون **وإنما قلنا** مدح الناس هواتف الحق إذ ليس في الوجود إلا
الحق ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فأهل الفهم عن الله يستمعون إلى الخطاب فإذا سمعوا
مدحهم بشيء تنكروا فإذا ذكر فيهم علموا أنه تنبيه لهم على مقام الشكر وإن لم يجدوه فيهم
علموا أنه تنبيه لهم على تحصيل ذلك المقام ولهذا إذا سمع أبو حنيفة قوما يمدحونه يقول
أبا حنيفة وكان لا يقوم الليل فجعل يقوم الليل كله **وقد** ذم الله أقواما أحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا
فقال ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب **وقال** المحاسبي
رضي الله عنه مثل الذي يفرح بمدح الباطل كمن يقال له إن العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة المسك
وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به انتهى ثم أرشدك لنفسك إذا توجه الخلق إليك بالمدح أنما
هو حياء من ربك حيث ستر عيوبك وأظهر محاسنك وهو الذي نبه عليه بقوله المؤمن إذا مدح
استحيا من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه **قلت** قد تقدم أن التحقيق

ما في الإساءة فيه التوبيخ ومن تمام نعمته عليك أن خلق فيك ونسب إليك فإذا أطلق الثناء
عليك بشيء لا نسبة لك فيه وإنما أنت محل الظهور فاستحي منه تعالى أن يثني عليك بشيء
تعلم أنه من فعل غيرك أو لم يخلق عليك شيء منه أصلا فإن مدحنا بشيء زائد على ما ظهر فيك
فاطلب منه القوة على المزيد فإن ربك فعال لما يريد ولا يغرك مدحك بما تفعل إن لم تقصد
التعرض للمدح **في الحديث** عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون من المؤمن قالوا الله ورسوله
أعلم قال الذي لا يموت حتى يملأ الله مسامعه مما يحب ولو أن رجلا عمل بطاعة الله في جوف بيت إلى
سبعين بيتا على كل بيت باب من حديد لألبسه الله رداء عمله حتى يتحدث الناس بذلك
ويزيدون قيل يا رسول الله كيف يزيدون قال إن المؤمن يحب ما زاد في عمله الحديث **وفي حديث**
آخر قيل يا رسول الله الرجل يعمل العمل خفية ثم يتحدث الناس به فيفرح فقال عليه السلام
له الأجر مرتين أجر العمل وأجر الفرح فإن مدح بما ليس فيه واغتر بذلك فهو جاهل بربه
كما أشار إليه بقوله أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس **قلت**
اليقين الذي عنده هو علمه بمساويه وخفايا عيوبه وما انطوت عليه سرائره من النقائص
والتقصير وظن ما عند الناس هو ما يرون على ظاهره من الكمالات وأنوار الطاعات التي تحجبها العلل
الباطنية والحظوظ النفسانية فيتوجهون إليه بالمدح والثناء فإذا قنع بذلك وفرح
بما هنالك فهو أجهل الناس وأحمق الناس إذ قنع بعلم الخلق ولم يخف من مقت الحق
والمطلوب من الفقير عكس هذا وهو أن ينقبض عند المدح وينبسط عند الذم حتى يستويا عنده
هذا إن كان المادح من أهل الدين والخير وأما إن كان جاهلا أو فاسقا فلا عبارة أعظم من أن تمدحهم
والبعد منه فقد روي عن بعض الحكماء أنه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه أتبكي وقد مدحك
فقال إنه لم يمدحني حتى وافق بعض خلقي خلقه فلذلك بكيت **وقال** يحيى بن معاذ الرازي رضي الله
عنه تزكية الأشرار هجنة لك وحبهم لك عيب عليك **وقيل** لبعض الحكماء إن العامة يثنون
عليك فالحق الوحشة في ذلك قال لعلهم رأوا مني شيئا أعجبهم ولكن في شيء يعجبهم ويسوءني
فينبغي للفقير أن يخفي محاسنه وأعماله التي يمدح عليها ويظهر ما يسقطه من أعينهم مما هو
مباح كما تقدم في الخمول **وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه** يقول ينبغي للفقير أن لا يكون
صيته أكبر من قدمه بل يكون قدمه أكبر من صيته وقدره أكبر من دعواه فيكون على الظاهر جمالي

الباطن، وكلما انظهر لك على ظاهرك من الجلال فذلك في باطنك فترة من الجمال، وكلما انظهر لك من
الجمال في ظاهرك ففي باطنك من الجلال، فترتيب الظواهر في البواطن، وتخريب الظواهر في
البواطن فبقدر ما تخرب في الظاهر يكون عمارة في الباطن، وبقدر ما تعمر في الظاهر يكون خرابا في الباطن
ولقد ذكر شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه يقول في شأن الجلالي ۝ ۝ ۝ ۝
۝ اتفقوا على الجبير ترى كه ۝ نعانده وانا المارد الكصاوي ۝ الثوب مرفوع غسلوه ۝ وخلوا القلب
خاوي ۝ ۝ فإذا ظهرت الجلالي، واختفيت الجمالي، ثم أطلق الثناء عليك الكبير المتعالي بما لست
له أهلا فأثن عليه بما هو أهله كما أشار إلى ذلك بقوله إذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فأثن عليه
بما هو أهله **قلت** إذا أطلق الحق الثناء عليك على ألسنة خلقه بما لا تعلمه من نفسك ولست
بأهله فأثن على الله بما هو أهله أي بما يستحقه من التعظيم ليكون ذلك شكر النعمة إطلاق الألسنة
بالثناء عليك، وأيضا فإنه هو الذي ستر عنهم مساويك وأظهر لهم محاسنك ولو أظهر لهم ذرة من
مساويك لمقتوك وأبغضوك فإن العبد محل النقائص، والحق تعالى محل الكمالات، فما أظهر عليك
من الكمالات فإنما هي ستر منه لأنه تعالى ولي الثناء الحقيقة إنما هو لله فإذا وقع عليك فرد الأمانة إلى
أهله وفي الحقيقة ما وقع إلا على أهله ولكن لما اختلف الفهم اختلف الحكم أثني على بعض السادات
وهو ساكت فقيل له في ذلك فقال وما علي من ذلك ولستُ أغلط في نفسي بل لست في البين والحق المثني
هو الله تعالى في هذه حالة أهل الجمع وكان بعض السادات يستعمل العري إذا سمع
الثناء عليه ألقى على رأسه التراب في خلوته فالناس في حالة المدح والذم على ثلاثة أقسام فقسم
يفرحون بالمدح ويكرهون الذم لأن نفوسهم غالبة عليهم ولا شك أنها تفرح بالعز والرفعة
وتنقبض بالذم والضعة، وهم العوام الغافلون وقسم يكرهون المدح ويحبون الذم لأنهم
في مجاهدة أنفسهم فكلما يذلها ويقتلها أقبلوا عليه وكلما يحييها ويقويها فروا منه وهم
العباد والزهاد والسائرون من المريدين وقسم يفرحون بالمدح لشهوده من مولاهم،
وينقبضون من الذم لشهوده من مولاهم لا هم وهم العارفون وقد أشار إلى القسم الثاني
والثالث بقوله الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون إذا مدحوا
انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق **قلت** أما العباد والزهاد فلأنهم محجوبون برؤية الخلق
عن شهود الحق فإذا مدحوا شهدوا ذلك من الخلق، وحجبوا عن الجمع بالفرق، فانقبضوا وخافوا

على

على نفوسهم أن تغتر بذلك، أو تقف هنالك، وهم عاملون على ما تموت به نفوسهم، وتحيا به
قلوبهم، ولا شك أن المدح لها فيه حظ وافر وربما تميل إلى ذلك فتعتقد المزية على الغير فيوجب
لها التكبر والرضى عن النفس وهما أصل كل معصية وغفلة، فلاحظ لها فيه وإنما فيه موتها وفي موتها
حياتها فلذلك إذا مدحوا انقبضوا وإذا ذموا انبسطوا وسكت عنه الشيخ وكأنه يؤخذ بالمفهوم
وأما العارفون الواصلون فلأنهم فانون عن أنفسهم، باقون بربهم، غائبون عن الخلق
بشهود الملك الحق، فإذا أثنوا عليهم رأوا ألسنة الخلق أقلام الحق، وشهدوا الجمع في
الفرق ففرحوا بمدح مولاهم، وانبسطوا عند من تولاهم، فيزدادون له حبا وشوقا ويفنون فيه
شغفا وعشقا وفي مثل هؤلاء ورد الحديث إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه ربوة، وإذا ذموا
انقبضوا لسكون الحق فهرية الحق والأدب مع جلاله وليس في هذا الانقباض دليل على كراهية الذم من
حيث نسبته للخلق لأنهم يرون الخلق مقهورين بقدرة الحق وعلامة ذلك أنهم يسمحون لمن جرى
ذلك عليه بل يعطفون عليه ويتوددون بالمحبة إليه كما قال القطاعي ۝ رب راو يعيا بجار الأجرى ۝
۝ لم أجد بدا من العطف عليه ۝ فعسى يطلع الله على ۝ فرج القوم فيه تنفى إليه ۝ وفي تعبير
أحوال الناس في المدح والذم على أربعة أقسام عوام جهال، وعباد زهاد، ومريدون سالكون،
وعارفون واصلون فأما العوام فنفوسهم غالبة عليهم، ودائرة الحس محيطة بهم،
فمطمح نظرهم الخلق، غافلون عن طلب الحق، إذا مدحوا وأقبل عليهم الخلق فرحوا وظنوا النيل
مرادهم، وتحصيل أغراضهم، والنفس الأمارة مجبولة على حب الإمارة، وإذا ذموا وأدبر عنهم
الخلق انقبضوا وحزنوا لفوات ما أملوا فهؤلاء قلوبهم خربة من النور **وأما** العباد والزهاد
فهم مجتهدون في العبادة فارون من الخلق، طالبون رضى الحق، مستوحشون من الناس، تحققوا
منهم الإياس، فإذا أقبلوا عليهم بالمدح والثناء انقبضوا وخافوا أن يشغلوهم عما هم فيه
وإذا ذموا وأدبر عنهم الخلق فرحوا وانبسطوا لفراغهم حينئذ للعبادة وإقبالهم على ما هم
عليه من المجاهدة **وأما** المريدون السالكون فهم عاملون على قتل نفوسهم وحياة قلوبهم
فإذا ذموا وأدبر الخلق عنهم فرحوا لما في ذلك من موت نفوسهم وحياة قلوبهم وإذا مدحوا
انقبضوا خوفا على قوة نفوسهم وضعف قلوبهم إذ في موت النفوس حياة القلوب وفي حياة
النفوس موت القلوب **وأما** العارفون فبعد طي وانيعو سهم، ووصلوا إلى شهود

معبودهم، فهم بهيبتنا نفسون بكل شيء لمعرفتهم في كل شيء، يأخذون النصيب من كل شيء، ويفهمون عن
الله في كل شيء، فإذا مدحوا انبسطوا بالله لشهود المدح من الله، والى الله، ولا شيء في الكون سواه،
وليس لغيرها حب اليه المدح من الله كما في الحديث، وإذا ذموا انقبضوا تأدبا مع جلال الله، أو شفقة
على عباد الله، من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، فصار بسطهم بالله، وقبضهم بالله، استغنوا
به عما سواه، وبهذا المعنى وهو الغناء عن النفوس صح مدحهم لأنفسهم تحدثا بالنعم الله
عليهم كالشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه والشاذلي والمرسي والشيخ زروق وأشباههم رضي
الله عنهم وذلك مشهور عنهم نظما ونثرا، ومن أجل ذلك أيضا أقروا من مدحهم وأظهروا
الانبساط عند مدحهم، وللمؤلف رضي الله عنه قصائد في مدح شيخه أبي العباس وكان يقول له أيدك
الله بروح القدس كما كان يقول عليه السلام لحسان بن ثابت رضي الله عنه حين يمدحه عليه السلام
ومدح الشيوخ من أعظم القربات وأقرب الوسائل الى الوصول إذ هم باب الله الأعظم ويد الله الآخذة
بيد الداخلين الى الحضرة، فمن مدحهم فقد مدح الله، ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ومن ذمهم
فقد ذم الله وكذلك مدح الرسول صلى الله عليه وسلم هو باب عظيم في الوصول الى حضرة الحق فإن
قلت قوله عليه السلام احثوا التراب في وجوه المداحين يقتضي العموم فيصدق بمدح العارفين
وغيرهم قلت هو محمول على المدح بالكذب على وجه الطمع كما يقع للملوك وأرباب الأموال
كما كان عندهم أو يحمل على من كان يقابل مع نفسه غائبا عليها كالعباد والزهاد فإذا مدحهم
احد فينبغي أن يزجره ويحثي في وجهه التراب قيل حقيقة وقيل كناية عن الخيبة والرد والنفي والزجر
وأما العارفون المحققون فقد غابوا عن المدح وغابوا عن شهود الواسطة في المادح والممدوح
نفعنا الله بذكرهم وخرطنا في سلكهم، آمين ثم من علامة الكمال تحقيق الاعتدال واستواء
الأحوال في ثمانية خصال المدح والذم والعز والذل والقبض والبسط والمنع والعطاء وقد تقدم
بعضها وأشار الى الأخيرتين بقوله مهما كنت إذا أعطيت بسطك العطاء وإذا منعت قبضك
المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك قلت الطفولية
والتطفل هو الدخول في قوم وليس منهم ولم يستأذنهم والطفيلي هو الداخل للوليمة من غير دعوة
وهو منسوب الى رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل الأعراس كان يأتي
الى الولائم من غير أن يدعى إليها فشبه المؤلف به من دخل مع القوم ولم يتحقق بما تحققوا به من

الاستواء

استواء الأحوال فإذا كنت أيها الفقير إذا أعطيت حظوظك ومناك، واتصلت بعوائدك وهواك
من الغنى والعز والجاه والبسط والصحة والعافية وغير ذلك من الحظوظ والشهوات انبسطت
وفرحت وإذا منعت من حظوظك وشهواتك وأبدلك الغنى بالفقر والعز بالذل والجاه بالخمول
والبسط بالقبض والصحة بالمرض والعافية بالبلية انقبضت وحزنت فاستدل بذلك على ثبوت تطفلك
على كلامهم، ولا نصيب لك من مقامهم، وإنما أنت طفيلي الأعراس، ما زلت في غلبة النعاس، واستدل
بذلك أيضا على عدم صدقك في عبوديتك إذ الصدق في العبودية يقتضي استواء النعمة والبلية كما قال
الشاعر: أحبائي أنتم أحسن الدهر أم أسا، فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخلي، قال أبو عثمان
الحيري رضي الله عنه لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في أربعة أشياء في المنع والعطاء والعز والذل فإذا
كان الفقير يتضعضع عند الجلال، وينهزم عند حملة الابتلاء فاعلم أنه ضعيف الحال منقطع
عن مقامات الرجال قال في التنوير وقد ابتلى الله بحكمته ووجود منته الفقراء الذين ليسوا
بصادقين بإظهار ما ادعوا من الرغبة، وأسروا من الشهوة، فأبانت لو انفسهم لأبناء الدنيا
مباسطين لهم ملاينين لهم موافقين لهم على ملة وذاتهم مدعون على أبوابهم فترى الواحد منهم
يتزين كما تتزين العروس معتنيين بإصلاح ظواهرهم، غافلون عن إصلاح سرائرهم، ولقد وسمهم
الحق بسمة كشف بها عوارهم، وأظهر أخبارهم، فبعد أن كانت نسبتهم الى الله مع أمرهم يقال
فيه عبد الكبير، يخرج من هذه النسبة لعدم صدقه فصار يقال له شيخ الأمير، أولئك الكاذبون على
الله، الصادون العباد عن صحبة أولياء الله لأن ما يشاهده العموم منهم يحملونه على كل منتسب
لله صادق وغير صادق فهم حجب أهل التحقيق، وسحب شموس أهل التوفيق، ضربوا طبولهم
ونشروا أعلامهم، ولبسوا دروعهم، فإذا وقعت الحملة ولوا على أعقابهم ناكصين ألسنتهم منطلقة
بالدعوى، وقلوبهم خاوية من التقوى، ألم يسمعوا قوله سبحانه ليسأل الصادقين عن صدقهم
أترى إذا سأل الصادقين عن صدقهم أيترك المدعين من غير سؤال ألم يسمعوا قول الله سبحانه وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون فهم في الظاهر زي الصادقين، وعملهم عمل المعرضين، كما قال القائل: أما الخيام
فإنها كخيامهم، وأرى نساء الحي غير نسائها، لا والذي حجت قريش بيته، مستقبلين الركن
من بطحائها، ما أبصرت عيني خيام قبيلة، إلا بكيت أحبتي بفنائها، هذا

في اخر الباب الخامس عشر وحاصلها اداب المريد في المدح والذم ومرجعها الى خمسة: الاول ان
النفس عند مدحها فلا يسر فيها الثاني استحياؤه من الله ان يمدح بوصف لا يشهده من نفسه الثالث
ان يرجع الى يقين ما عنده فيعول عليه ولا يغتر بظن ما عند الناس فيعتقد عليه الرابع ان يكثر من الحمد
والشكر لمولاه حيث ستر عيوبه واظهر توفيقه وهداه الخامس ان يكون معتدل الحال سليم القلب
فلا يحزن عند الذم ولا يفرح عند المدح قال بعض العارفين اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب
اليك من ان يقال لك بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وجاء رجل الى شيخ شيخنا مولاي
العربي رضي الله عنه فجعل يمدحه في وجهه فقال له يا هذا لا تتعب فقولك انا اعرف بنفسي فيما اكون
افضل الوجود او اقل الوجود فالوقت الذي تكون فيه ذاكر الله انا افضل الوجود والوقت الذي لا تذكر
الله فيه انا اقل الوجود او كلام هذا معناه لان هذا الادب الخامس يختلف باختلاف الاحوال
فالعباد يغلبون حب الذم على المدح والعارفون يغلبون حب المدح على الذم او يعتدلون كما
يعتدلون في حال المنع والعطاء والقبض والبسط والذل والعز والفقر والغناء وغير ذلك من اختلاف
الاثار وتنقلات الاطوار ومن جملة ذلك الخوف والرجاء فحيث اذا صدرت منهم طاعة لا يزيد
رجاؤهم واذا وقعت منهم زلة لا يعظم خوفهم ولا تنقص استقامتهم كما اشار الى ذلك في اول
الباب السادس عشر بقوله وقال رضي الله عنه اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يؤيسك
من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليك قلت ايها العاصي
المذنب او الواصل الى التحقيق كالراغب المغير فاذا في المعصية كان من الصبر عنها بطيئا فاذا
وقعت منه نكبة او سقطة او صدرت منه عثرة او هفوة استوى على جواده واستمر على اغارته
في طلب مراده فاذا سقطت فجعل يتضرع في سقطته كان ذلك دليلا على فترته وعدم تحصيل طلبته
فاذا وقع منك ايها الفقير ذنب فلا يكن سببا في قطعك عن الله او يؤيسك من الاستقامة مع الله
فيتمادى عليك وبال المعصية وتعظم في حقك المصيبة والبلية فقد يكون ذلك رحمة
بك وتنبيها لك من سنتك لتحصل حلاوة او منزلة فاذا سقطت نهضت واذا فترت جددت
وقد يكون ذلك اخر ذنب قدره الله عليك وتامل ما وقع لكثير من الاكابر كانوا لصوصا فصاروا
خصوصا كابراهيم بن ادهم والفضيل وابي يعزى وغيرهم مما لا يحصى فليكن لك بهم اسوة في حسن
الظن بالله تعالى قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية وقال

تعالى

تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقال تعالى ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم خطاء وخير الخطائين التوابون وقال عليه السلام ان الله يحب كل مفتن
تواب يعني كثير الذنب كثير التوبة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وهذه الايات
تقوي رجاء العباد وتوجب الاعتدال والسداد وقد تقدم اصل الرجاء والخوف ومنشأهما فقال
اذا اردت ان ينفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك واذا اردت ان ينفتح لك باب الحزن فاشهد
ما منك اليه قلت اذا اردت ايها الانسان ان يقوى رجاؤك في الكريم المنان فاشهد ما منه اليك
من الاحسان واللطف والبر والامتنان فهل عودك الا احسانا وهل اسدى اليك الا امتنانا فعليك
بسط منته ولك هيأ جنته انعم عليك في هذه الدار بغاية الانعام وما قنع لك بذلك حتى اعد
لك دار السلام باقية مستمرة على الدوام ثم اتحفك بالنظر الى وجهه الكريم تماما على احسانه
القديم واذا اردت ان ينفتح لك باب الحزن والخوف فاشهد ما منك اليه من الاساءة والتفريط
في العبادة او من موافقة الشهوة والاسترسال مع الغفلة فانك ان شهدت ذلك دام حزنك
وقوي خوفك وربما كان سببا في سوء ظنك بربك فتزل قدم بعد ثبوتها وفي الحديث لو لم تذنبوا
لذهب الله بكم وجاء بقوم اخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم فدل الحديث
على ان شهود الكرم افضل عند الله من شهود الانتقام وخصلتان ليس فوقهما شيء من الخير
حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء
الظن بعباد الله كما في الحديث وبقي مرتبة ثالثة وهي الغيبة عن الرجاء والحزن بشهود ملك الله
الى الله وهو مقام اهل الشهود فلذلك اعتدل امرهم في جميع الاحوال نفعنا الله بذكرهم امين
ثم ان ثمرة الرجاء ونتيجته البسط وثمرة الخوف ونتيجته القبض فلذلك ذكره بعدهما فقال
ربما افادك في ليل القبض ما لم تستفده في اشراق نهار البسط لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
قلت القبض والبسط حالتان يتعاقبان على الانسان كتعاقب الليل والنهار فالليل محل السكون
والقرار والنهار محل التحري والانتشار والقبض لا حظ فيه للنفس والبسط فيه للنفس حظها
منه وما لا حظ فيه للنفس اقرب للسلامة واعظم للافادة فالقبض كالليل والليل محل المناجاة والمصافاة
ومناجاة الاحباب ورفع الحجاب فربما افادك في ليل القبض من اختناس النفس وذهاب
الحس وموالات الانس ما لا تستفيده في نهار البسط من تحصيل العلوم وتحقيق الفنون

ومجالسة الاخيار، ومخالفة الاشرار، فالقبض له فوائد، والبسط له فوائد، والعبد لا يدري ايهما
انفع له فمعاقبته الوقوف مع ما يواجهه من جهة الحق فيتلقاه بالقبول والادب وقد تقدم في اداب
كل واحد منهما عند قوله بسطك كي لا يتركك مع القبض الخ فلا تطلب البسط او واجهك القبض ولا
تطلب القبض ان واجهك البسط وقد تقتضيه مراعاتهما لا تستبعده من الاخر فلا تدرون ايهما
انفع ولا ايهما اقرب ولذلك استدل بالاية التي في كتاب الله مواريث الاب من الابن فالبسط كالاب لانه ناشئ
من شهود ما منه اليك وهو فعل الحق الذي صدر منه كالمعروف والجود وهو الاصل والقبض كالابن لانه ناشئ
من شهود ما منك اليه وهو الفرع اذ الفعل كله من القدرة واما الحكمة فانما هي تغطية واذا كان العبد
جاهلا بمنفعتها فحظه بالانفع من الاباء والابناء تعين متابعة الحق بالاتباع مراده وانتهاج حالة
من غير تحول لا انتقال ولا تشوف الى غير ما هو فيه من تلك الحالة فبذلك يتنور قلبه وينطهر سره
ولبه فينكشف عنه الحجب والاستار ويتهيأ لحمل الانوار والاسرار كما ابان ذلك بقوله مطالع
الانوار القلوب والاسرار قلت المطالع جمع مطلع وهو محل طلوع الشمس وغيرها
والانوار هنا الواردات والكشوفات التي تكشف الحجب وتزيح رداء الصون عن مظاهر الكون وقد
تقدم ان النفس والعقل والقلب والروح والسر عند كثير من الصوفية شيء واحد وما هي الا الروح
تتطور بحسب التصفية والترقية فما دامت مشغولة بحظوظها وشهواتها فهي نفس ونورها
مكسوف فاذا انزجرت وعقلت بعقال الشرع الا انها تميل للمعاصي والذنوب فتارة تعصي وتتوب
وتارة تخرج وتتوب سميت عقلا ونورها قليل لانها محبوسة في سجن الاكوان معقولة بالدليل والبرهان
فاذا استكنت عن المعاصي الا انها تنقلب بين الغفلة واليقظة وبين الاهتمام بالطاعة والمعصية سميت
قلبا وهو اول مطالع الانوار فتشرق عليه انوار التوجه فلا تزال تترادف عليه الواردات وهي انوار
التوجه حتى يسكن الى الله ويطمئن بذكر الله فحينئذ يسمى روحا وهو اول مطالع انوار المواجهة
فبهذه الانوار ينكشف الحجاب وتنفتح الباب وتدخل حضرة الاحباب فاذا انقطعت من غبش
الحس وتطهرت من كدر الاغيار سميت سرا وهو اول مطالع انوار المشاهدة فاذا تمكنت من تلك
الانوار وهو الوقوف مع المقامات او الالتفات الى الكرامات سميت سر السر وهو اول مطالع انوار
المعاينة والمكالمة ثم لا حال ولا مقام بل ان ترقى لا مقام لهم فارجعوا واما الترقي في العلوم والمعارف فلا
نهاية له على الابد فالقلوب مطالع ومشارق انوار التوجه والاسرار مطالع ومشارق انوار المواجهة

والمشاهدة:

والمشاهدة والمعاينة والروح والسر قريب بعضها من بعض في المرتبة فلذلك سكت الشيخ في الارواح لاندراجها
في الاسرار والحاصل ان النفوس والعقول الظلمة غالبة عليهما لانهما كهما في الحس ومنا فيهما
في الظلم والحس فليستا مطلعا لشيء من النور لعدم توجههما الى الكريم الغفور واما القلب والروح
والسر فهي مطالع الانوار ان محل طلوعها واشراقها الا ان القلب مطلع لانوار التوجه والروح والسر مطلعان
لانوار المواجهة وقد تقدم تفسيرهما عند قوله اهتدى الراحلون الخ وقد سوى الشيخ بينهما ومراده ما ذكرناه
والله تعالى اعلم ثم بين ابتداء مطلع هذا النور وهو القلب ثم يشرق على الروح ثم على السر فقال نور
مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزائن الغيوب قلت النور المستودع في القلوب
هو نور اليقين ويكون اولا ضعيفا كنور النجوم وهو نور الاسلام ثم لا يزال يتقوى ويستمد من النور الوارد
من خزائن الغيوب حتى يكون كنور القمر وهو نور الايمان ثم لا يزال ينمو بالطاعة والذكر والصحبة حتى يكون
كنور الشمس وهو نور الاحسان وخزائن الغيوب هي انوار الصفات واسرار الذات فمنها تستمد انوار
الاسلام وانوار الايمان ثم تشرق انوار الاحسان فتغطي وجود الاكوان قال في التنوير ولو انهتك
حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولاشرق نور اليقين فغطى وجود الاكوان هـ واعلم
ان وجه اصطلاح الصوفية رضي الله عنهم في ترتيب الاسلام اولا ثم الايمان ثم الاحسان ان العبد ما دام مشغولا
بالعبادة الظاهرة الحسية سمي ذلك المقام مقام الاسلام فاذا انتقل العمل للقلب وهو اشتغاله
بتصفية القلب بالتخلية والتحلية وتحقيق الاخلاص سمي ذلك مقام الايمان فاذا انتقل العمل للروح والسر
وهو الفكرة والنظرة سمي مقام الاحسان بخلاف الفقهاء فانهم يقدمون الايمان على الاسلام ويقولون
لا يصح شيء دون الايمان ولا مشاحة في الاصطلاح قد علم كل اناس مشربهم قال بعض المحققين
اعلم ان عالم الملك وهو عالم الشهادة انواره ظاهرة وعالم الملكوت وهو عالم الغيب انواره باطنة
واشهر ما في عالم الملك ثلاثة انوار نور الشمس ونور القمر ونور النجوم ويقابلها من عالم الملكوت نور
المعرفة ونور الفهم ونور العلم فبطلوع نجوم العلم في ليل الجهل تبدو الاخرة والامور الغيبية وبطلوع
قمر الفهم في افق التوحيد يشاهد قرب الحق وبطلوع شمس المعرفة في افق التفريد يفنى اليقين
ويلوح وجه المشاهدة واول نور يقع في الصدر نور الاسلام فاذا انشرح القلب به انقدح فيه نور
الايمان فاذا انقوى فيه صار شهودا انتهى المراد منه قلنا وبهذا النور وسع القلب معرفة الحق
سبحانه وهو الذي اشار اليه في الحديث القدسي لم يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المومن

فانظر هذا القلب الذي وسع الرب سبحانه ما اعظمه واجله فتحجب يا اخي الى ارباب هذه القلوب التي وسعت
علام الغيوب حتى يوصلوك اليه او صلوا اليه من علام الغيوب وبالله التوفيق ثم ذكر ثمرة النور وهي
الكشف عن حقائق الاشيا فقال نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن اوصافه قلت
اصل النور من حيث هو الكشف فالنور الحسي يكشف عن المحسوسات والنور المعنوي يكشف عن المفهومات
او تقول نور الحس يكشف عن الاواني والنور المعنوي يكشف عن المعاني ولا عبرة برؤية الاواني وانما العبرة من
المعاني ثم ان النور المعنوي ينقسم على ثلاثة اقسام باعتبار القوة والضعف فنور الاسلام الذي هو كالنجوم
يكشف لك الحق تعالى به عن وجود آثاره فتستدل بها على صانعها ونور الايمان الذي هو كالقمر يكشف لك
به عن ثبوت اوصافه فلا ينفي شيئا او يصحح الاثار بقدرة الله وارادته وعلمه وحياته الى اخر صفاته ونور
الاحسان يكشف لك به عن حقيقة ذاته فلا ترى شيئا الا رايت الله قبله او فيه بواسطة تجلياته الله نور السموات
والارض فنهاية كشف النور الاول الفناء في الافعال ونهاية كشف النور الثاني الفناء في الصفات ونهاية
الثالث التفكير في الفناء في الذات واستغنى الشيخ عن النور الثالث بذكر النور الثاني لان الفناء في الصفات قريب
من الفناء في الذات لان الصفة لا تفارق الموصوف فمن كان يرى سمعه بالله وبصره بالله وحركته بالله يرى
وجوده بالله ولذلك استغنى بعضهم بالفناء في الذات عن الفناء في الصفات لتقاربهما فمهما تخفى
احدهما تخفى الاخرى والله تعالى اعلم ويحتمل ان يريد بقوله نور يكشف لك به عن آثاره النور الحسي
المدرك بالبصر الحسي ونور يكشف لك به عن اوصافه نور البصيرة المعنوي وعليه اقتصر الشيخ ابن عباد رضي الله
عنه لان نور البصر الحسي لا يستقل بادراك المؤثر في الاثر ما لم تمده الانوار الباطنية العقلية فالمدار انما هو
على الانوار الباطنية واما الحسية فمدركة لكل احد حتى البهائم فلا خصوصية لها وبالله التوفيق ثم
المطلوب من العبد هو الترقي من نور شهود الاثر الى نور الصفات ثم الى نور شهود الذات وقد تقف بعض
القلوب مع النور الاول فتحجب عن الثاني او مع الثاني فتحجب عن الثالث كما اشار الى ذلك بقوله ربما وقفت
القلوب مع الانوار كما حجبت النفوس بكثائف الاغيار قلت قد تقف بعض القلوب مع انوار
المقامات دون الوصول الى الغايات فتحجب عن الوصول كما حجبت النفوس بكثائف المحسوسات عن
ادراك لطائف المعاني والمفهومات وذلك اما لعدم شيخ التربية او لضعف الهمة عن الترقية فقد
ينكشف لبعض القلوب عن سر توحيد الافعال فتنغمس في العمل ورقته وحلاوته فتقف معه وهو انما
الحقيقة تناديها الذي تطلب امامك وقد ينكشف لها عن سر توحيد الصفات وتلوح لها انوار المقامات

تحقيق

تحقيق الزهد والورع وصحة التوكل والرضى والتسليم وحلاوة المحبة والاشتياق الى غير ذلك فتقنع بذلك
وتقف هنالك والمطلوب هو الكشف عن سر توحيد الذات وانوار الصفات وان الى ربك المنتهى فالنور عبارة
عن الحلاوة والقوة التي يجدها المريد في باطنه من مزيد ايمان وقوة ايقان فحلاوة الخدمة لاهل الفناء
في الافعال وحلاوة الذكر لحسن البصائر او الغلبة لاهل الفناء في الصفات مع الحجاب وحلاوة الفكرة والنظرة
لاهل الفناء في الذات وان شئت قلت ربما وقفت القلوب مع انوار الاحوال فتحجب عن مقامات الرجال او مع
انوار المقامات فتحجب عن معرفة الذات ولذلك قال الشيخ ابن مشيش لتلميذه يا ابا الحسن اشكوا الى
الله من برد الرضى والتسليم كما تشكوا انت من حر التدبير والاختيار خاف رضي الله عنه ان تحجبه حلاوة
الرضى والتسليم عن شهود الذات واعلم ان الوقوف مع الاحوال والمقامات انما هو من عدم الوصول
الى الشيخ واما من صحب الشيخ واتى الوصول اليه فلا بد ان يرحله الى المقصود الا ان همته ضعيفة لا تطيق
انوار الشهود فيبقيه على ما هو عليه حتى تنهض همته الى شهود المعبود وشبه الشيخ رضي الله عنه حجب
القلوب بالانوار بحجب النفوس بالاغيار لاشتراكهما في الحجب عن الله لان حجب النفوس بالاغيار اشد لانها
ظلمة والظلمة اشد حجابا من النور فالقلوب نورانية حجبت بالنور والنفوس ظلمانية حجبت بالظلمة
وكثائف الاغيار هي ما ظهر من بهجة الدنيا وزخرفها وغرورها وزهرتها وهي التي اشار اليها الحق تعالى
بقوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة الى اخر الاية ويدخل فيها ما يلائمها
من حب الجاه والرياسة وحب المدح والتعظيم وغير ذلك من شهواتها وعوائدها وهي التي حجبت جل
الناس وبها افتتن الى الحينية والاجناس نعوذ بالله العصمة بمنه وكرمه ويدخل في الاغيار العلوم العقلية
والنقلانية فالاشتغال بها والوقوف معها وتقلدها اشد الحجب عن معرفة الله اعني المعرفة الخاصة
ويدخل فيها ايضا الكرامات الحسية كالطيران في الهوى والمشي على الماء فالوقوف مع ذلك من اشد الحجب
ايضا ولذلك قال بعضهم اشد حجابا عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد فسبحان من حجب
العلماء بعلمهم عن معلومهم والعباد بعبادتهم عن معبودهم والصالحين بصلاحهم عن مصلحهم
والله من وراء ذلك كله وفي ذلك يقول الششتري رضي الله عنه تقيدت للاوهام لما تداخلت
عليك ونور العقل اورثك الجفا وهمت بانوار يهمت اصولها ومنبعها من ابيكار فيها
هنا وقد تحجب الانوار للعبد مثل ما تبعد من الظلام فيصموت ضغنا وحكمة
وجود هذه الانوار الحسية والاغيار الظلمانية تغطية وستر لانوار السرائر الباطنية كما ابان

ذلك بقوله ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر إجلالا لها أن تبتذل بوجود الإظهار وأن ينادى
عليها بلسان الاشتهار **قلت** أنوار السرائر هي العلوم اللدنية والمعارف الربانية ويجمعها علم
الربوبية الذي يجب كتمه عن غير أهله ومن باح به أبيح دمه وهو الذي قتل بسببه الحلاج وكثائف الظواهر هي
هي البشرية الظاهرة أو نقول أنوار السرائر هي الحرية الباطنية وكثائف الظواهر هي العبودية
الظاهرة أو نقول أنوار السرائر هي علم القدرة الباطنة وكثائف الظواهر هي علم الحكمة الظاهرة
فأنوار السرائر هي معاني لطيفة رقيقة سترها الله تعالى بالكثائف الظاهرة ولذلك وقع الإنكار على أهلها قديما
وحديثا حتى قال الكفار مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وقالوا ما هذا إلا بشر مثلكم ووقع
الإنكار على أولياء الله سنة ماضية وحكمة ذلك إجلالا وتعظيما لها أن تبتذل وتتشوه بوجود الإظهار وأن
ينادى عليها بلسان الاشتهار فلا يبقى لها سر ولا عز ولهذا طلب الأولياء الخمول واستعمال الخراب
والتلبيس قال الششتري رضي الله عنه ۞ إذا رأيت الوجود ۞ قد لاح في ذاتك ۞ هو سر ولازم
الجحود ۞ ذاتك صفاتك ۞ واضرب بنتريك العقود ۞ والق عصاتك ۞ والنقود سر الخفي
والنتريك ما يستتر به الإنسان من مواقع النبل والمراد بالعقود العلائق والشواغل أي اضرب بسيف عزمك
علائقك وعوائقك وإلقاء العصا كناية عن طرح كل ما يستند إليه أو يعتمد عليه من جاه أو أصحاب أو
أسباب أو حول أو قوة أو غير ذلك مما يقع الركون إليه ويحتمل أن يريد بأنوار السرائر معاني الصفات
العارية في الذوات وبكثائف الظواهر المحسوسات الظاهرة فلا ظهور للصفات إلا بالذوات الحسية
ولا قيام للذوات إلا بالصفات فستر الله سبحانه صفاته الأزلية اللطيفة بظهور الذوات البشرية الكثيفة
صونا للسر الربوبية أن يبتذل بالإظهار أو ينادى عليها بلسان الاشتهار والحاصل أن الأشياء كلها
قائمة بين ذات وصفات بين حس ومعنى بين قدرة وحكمة فستر الحق سبحانه معاني أسرار الذات اللطيفة
بظهور الذوات الكثيفة وستر المعنى اللطيف بالحس الكثيف وستر القدرة بالحكمة والكل لله
وإلى الله ولا موجود سواه وهذه الكثائف الظاهرة هي أردية وقمص للمعاني اللطيفة أو نقول هي
رداء الصون الذي نشر على الكون فإذا انفك الرداء أو قطع بقي المعنى سالما فانتقص جانب القهرية
إنما تجري على الأردية والسترة دون المعاني والنور فالحق منزه ومقدس أن يلحقه طارئ الحوادث العبيدة فلذلك
عن طلب المزيد والعجز عن الإدراك من وصف العبيد وقد مثلوا أيضا كون المعاني اللطيفة في الأشباح
الكثيفة بالحبوب البارزة مع الأغصان الصغيرة وهي كامنة مستترة فإذا أتى الملك اخضرت الأشجار

واهجر

واخرجت الثمار التي كانت كامنة فيها وإلى هذا المعنى أشار ابن البناء في مباحثه الأصلية حيث قال ۞
۞ وهو من التعبير كغصن ۞ كما يكون الحب في الغصون ۞ حتى إذا ارتعدت الرعود ۞ وانسكب
الماء ولان العود ۞ وجالت في أغصانها الرياح ۞ بعثه هناك نقب الفتاح ۞ هذا آخر الباب
السادس عشر وحاصله آداب السائرين في حال سيره بحيث لا يقف مع صفة ولا يركن إلى الطاعة
ولا يغلب عليه خوف ولا رجاء ولا قبض ولا بسط بل يبقى ما يبرز من الغيب فيتلقاه بالمعرفة والرحب
فإذا فعل ذلك أشرقت عليه الأنوار فتخرجه من رق الآثار حتى تفضي به إلى شهود الملك القهار ولا بد
للحسناء من نقاب وللشمس من سحاب وللياقوت من صوان فحجبت الأنوار بكثائف الأغيار
إجلالا لها أن تبتذل بوجود الإظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار فمن أجل ذلك أخفى
أولياءه في خلقه فلا يطلع عليهم إلا من أراد أن يجمعه بخاصتهم من سره كما أبان ذلك في أول الباب
السابع عشر بقوله **وقال** رضي الله عنه سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل
عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه **قلت** الدليل هو الموصل للمطلوب فإذا أراد الحق
تعالى أن يوصل عبدا إلى ولي عارف به دله عليه فعرفه فصار بذلك إلى معرفته ودله عليه فصحبهما دله على ولي به والطلعك
على سره فقد دله عليه فصحبه ووصله إلى حضرته ثم يعلم بجعل الحق سبحانه الدلالة على أوليائه
والوصول إليهم إلا من جهة الدلالة عليه ولم يوصل أحدا إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه فلأجل هذه
الملازمة وعدم الانفكاك تعجب الشيخ من ذلك **وقال** شيخنا رضي الله عنه في قول المؤلف رضي الله
عنه وصولك إليه وصولك إلى العلم به قال ووصولك إليه وصولك إلى عارف به يعني مهما وصلك إلى
عارف به واطلعك عليه فقد وصلك إليه ومهما حجبك عن العارف به فقد حجبك عنه فلا طريق
إلى معرفة الله إلا من باب معرفتهم ولا دليل على الله أعني على معرفة الخاصة العيانية إلا من حيث
الدليل عليهم **وكما** حجب الحق سبحانه ذاته المقدسة بعزته وقهريته كذلك حجب أولياءه بما
أظهر عليهم من أوصاف البشرية فلا يعرفهم إلا من سبقت له العناية الربانية إذ لا يعرف الخواص إلا
الخواص **قال** في لطائف المنن أهل الله من خاصة عباده هم عرائس الوجود والعرائس محجوبون عن
المجرمين فهم أهل الكهف لا يرون فقليل من يعرفهم **وقال** الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه
معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك
يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب ثم قال وإذا أراد أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك شهود

بشريته واشهده كوجود خصوصيته وايضا فان الولي لا يعرف بالصورة الظاهرة وانما يعرف بالمعاني
الباطنة لان الله لا يعبا بالصور رب اشعث اغبر ذي طمرين لو اقسم على الله لابره فقسمه فمن اراد معرفته
بالصورة فلا يعرفه لانه لا يرى الا بشرا ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فالعين لا ترى الا الاجسام الكثيفة
التي يطرا عليها ما يطرا على اهل الحجاب ولم يدر ما انطوت عليه الصورة من المعاني اللطيفة والاسرار
المنيفة. فمن اراد الله سعادته رزقه الاعتقاد والتصديق ولا ثم الهداية والتوفيق لا نيل فالتصديق
باسرار الولاية اول المعرفة ولهذا قال الشيخ ابو الحسن التصديق بطريقتنا هذه ولاية وقال بعضهم
لله رجال لا يعرفهم الا الخاصة ولله رجال يعرفهم الخاصة والعامة ولله رجال لا يعرفهم الا الخاصة
ولا العامة ولله رجال الظهور في البداية وستر في النهاية ولله رجال ستر في البداية والظهور
في النهاية ولله رجال لا يعرفهم سواه ولا يطلع على ما بينه وبينهم الا الحفظة الكرام الذين وكلوا بجمع
الصحائف ولله رجال اختصهم الله بمعرفته لا يطلع على حقيقة ما بينه وبينهم الا الحفظة فمن سواهم حتى يلقونه
فهم شهداء الملكوت الاعلى وهم المقربون وهم الذين يتولى الله قبض ارواحهم بيده وهم الذين طابت
اجسامهم من طيب ارواحهم فلا يعدوا عليها الثرى حتى يبعثون مشرقين بانوار البقاء المجعول فيهم
ببقاء الابد مع البقاء الاحد وهم المحجوبون تحت حجاب الانس المغموسون في بحار المحبة والقدس
فليس لهم مع غيره قرار ولا عن نفسهم اخبار تولى الله شانهم ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا
فان حزب الله هم الغالبون هـ قاله التجيبي وهذه الاسرار التي انطوت عليها اسرار الاولياء
واحتجبت عن العامة هي اسرار الملكوت الغيبية التي اشار اليها بقوله ربما اطلعك على غيب ملكوته
وحجب عنك الاستشراف على اسرار العباد قلت الملكوت هو الغيب والملك هذا باعتبار اللغة
واما باعتبار اصطلاح الصوفية فالعوالم ثلاثة ملك وملكوت وجبروت فالملك ما يدرك بالحس والوهم
والملكوت ما يدرك بالعلم والفهم والجبروت ما يدرك بالبصيرة والمعرفة وهذه العوالم محلها واحد
وهو الوجود الاصلي والفرعي وانما تختلف التسمية باختلاف النظرة وتختلف النظرة باختلاف الترقي
في المعرفة فالوجود عند المحققين العارفين واحد قسم لطيف غيبي لم يدخل عالم التكوين
وقسم كثيف دخل عالم التكوين فالاول يسمى عالم الغيب والثاني عالم الشهادة وما كان خفيا في عالم
الغيب لخفي في عالم الشهادة فمن نظر الى حس الاشياء الظاهر سماه ملكا ويسمى ايضا عالم الحكمة
وعالم الاشباح ومن نظر الى اسرار المعاني القائمة بالاواني وهي اسرار الذات القائمة بانوار الصفات

سماه

سماه ملكوتا ومن نظر الى الاسرار الازلية التي كانت متصلة الكنزية التي لم تدخل عالم التكوين التي هي اصل
كل شيء واخر كل شيء ومحيطة بكل شيء سماه جبروتا فاذا صفا البحر الى الاصل والكثيف الى اللطيف سمي
الجميع جبروتا وهذه المعاني لا يفهمها الا اهل الاذواق صحبة اهل الاذواق وحسب من لم يبلغ
لهذا المقام التسليم والا وقع في الانكار على اولياء الله فيما لم يحط به علما ولنرجع الى كلام الشيخ رضي
الله عنه فيقول ربما كشف الله عنك الحجاب ورقيت الى الدخول مع الاحباب فاخرجك من سجن
رؤية الاكوان الى شهود المكون ومن عالم الاشباح الى عالم الارواح فاطلعك على غيب ملكوته فرايت
الكون كله نورا فاظهر لك جبروت فحققته باصله وغيبك عن شهود الملك الذي هو عالم الحس وبشهود
الملكوت الذي هو عالم المجمع الذي قال فيه ابن البنا مهما تعديت عن الاجسام ابصرت نور
الحق ذا التماع وحجب عنك الاستشراف على اسرار العباد رحمة بك لانك قد تحجب بذلك
عن شهود الملكوت فان غرضه عند المحققين بمكاشفة اسرار العباد فقد يكون عقوبة من صاحبها
حالا وقد يكون ذلك لمن لا استقامة له اطلاعا على الهوى والعبرة ونحوهم والغالب ان اهل شهود
الملكوت يحجبون عن مكاشفة اسرار العباد لاشتغالهم بما هو اعظم واحظى عند الله وانما تكون
هذه المكاشفات عند العباد والزهاد واهل الرياضات والمجاهدات ولا ننكر ان تكون عند العارفين
وقد تجتمع لهم المكاشفة والكشف اي مكاشفة اسرار العباد وكشف الحجاب عن الفؤاد الا ان الغالب
هو استغراق الروح في شهود نور الملكوت دون الاستشراف الى اسرار العباد التي هي من عالم الملك
وقد كان الشيخ ابو يعزى رضي الله عنه يطلع على سرائر الناس ويعظهم وكتب اليه شيخه ابو
شعيب ايوب المعروف بالسارية من امور يحذره من ذلك وينهاه عن هتك استار المسلمين وكتب له
الشيخ ابو يعزى يجيبه ليس هذا من قدرة البشر ان يسمع احد معي منه اسرار العباد واخراج عيوبهم
من عالم الغيب الى عالم الشهادة وانما هو شيء يلقى الي ويقول لي قل واسمع الخطاب انت اية من
ايات الله والمراد منك ان يتوب الخلق على يديك فلا تاخذك غلبة وتستوي على ملكة لا افتر معها على
الكف على القول هـ وكان الشيخ ابو عبد الله التاودي يقول ما فضح الشيخ ابو يعزى في سنة عشر
سنة قطعته اثناء اربعين يوما ولم يقسم لنا من طريقتنا هذه غبارا والله تعالى اعلم وكلهم اولياء الله نفعنا
الله بذكرهم وليس قصدنا تنقيص احد منهم وانما مرادنا ان طريق المكاشفة ليس هي النهاية بل قال
بعضهم هي البداية وبالله التوفيق وقد تكون وبالاحرى المريد صاحبها ذلك بقوله من اطلع

على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا في الوبال اليه **قلت**
الاطلاع على اسرار العباد قبل التمكين في الشهود والتخلق باخلاق الملك المعبود فتنة عظيمة وبلية
ومصيبة وذلك لانه قبل التمكين في المعرفة قد يشتغل بذلك قلبه ويتشوش خاطره ولبه فيصغر عن
الشهود ويفتنه عن الرسوخ في معرفة الملك الودود وايضا ما دامت النفس حية ولم يقع الفناء عنها
قد تتعلق بذلك المزية على الناس فيدخله الكبر والعجب وهما اصل المعاصي فكان اطلاعه حينئذ على اسرار
العباد سببا في هذا الوبال اي العقوبة اليه وهو التكبر على الناس واعتقاد المزية عليهم وهو سبب
البعد عن الله بخلاف ما اذا تمكن في معرفة الحق وتخلق باخلاقه وتحقق بمعاني صفاته واسمائه فانه يكون
على خلق الحق فاذا اطلع على معاصي العباد ومساويهم رحمهم وسترهم وحلم عليهم **وقد** قال عليه
السلام الخلق عيال الله واحبهم الى الله ارحمهم بعياله **وقال صلى الله عليه وسلم** الراحمون يرحمهم
الرحمن ارحموا اهل الارض يرحمكم من في السماء **وفي** الاشارات عن الله سبحانه عبدي ان استخلفتك شفقت
لك من الرحمانية شفا فكنت ارحم من المرء بنفسه **روي** ان ابراهيم عليه السلام حدث نفسه انه
ارحم الخلق فرفعه الله حتى اشرف على اهل الارض فابصر ما هم فيه وما يعملون فقال يا رب دمر عليهم
فقال الله تعالى انا ارحم بعبادي منك يا ابراهيم فلعلهم يتوبون ويرجعون **وفي بعض التفاسير** انه كان
يعرج كل ليلة الى السماء وهو قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض فعرج به ذات ليلة
فاطلع على مذنب على فاحشة فقال اللهم اهلكه ياكل رزقك ويمشي على ارضك ويخالف امرك فاهلكه
الله تعالى فاطلع على اخر فقال اللهم اهلكه فنودي كف عن عبادي رويدا رويدا فلطال ما رايتهم عاصين
وفي رواية اخرى فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم ابرحمتك للخلق انا ارحم بعبادي منك اما يتوبون فاتوب
عليهم واما ان اخرج من صلبهم من يسبحني ويقدسني واما ان يعثوا في مشيئتي فاعفو واعاقب يا ابراهيم
كم في ذنبك بدعوتك يدعو في بان فتى فلانوح في الليلة الثانية كم في ذنبك يدعو فذبح بقرا فقيل له في الثالثة
فذبح غنما فقيل له في الرابعة كذلك فقرب من الاشياء الى الله ما يعز عنده فقيل له في الخامسة فقال يا رب
لم يبق شيء فقيل له انما تكفر ذنبك بذبح ولدك لانك دعوت على العصاة فهلكوا فلما شمر لذلك
واخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدي وثمرة فؤادي واحب الناس الي فسمع هاتفا يقول اما تذكر
الليلة التي سالت اهلاك عبادي سالتك ذبح ولدك واحد بواحد والبادي اظلم **ولما كان**
الاطلاع على اسرار العباد قد يدرك بكثرة الطاعات والاجتهاد فقد تقصد النفس بالطاعة هذا

الحظ

الدني وهو مرض خفي نبه عليه الشيخ بقوله حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها
في الطاعة باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه **قلت** حظ النفس في المعصية هي متعتها
البشرية الظاهرة كلذة الاكل والشرب والنكاح وسماع اللهو وغير ذلك مما هو مراد واي الحس
التي هي محرمة وحظها في الطاعة هي طلب الكرامات وخوارق العادة والاطلاع على المغيبات وحب الخصوصية
والمنزلة عند الناس ومداواة هذا المرض الخفي اصعب من مداواة الاول الجلي لان مداواة
المرض الحسي الخفي اصعب من مداواة الجلي فكذلك المرض المعنوي الباطني ما كان جليا متعلقا بالنفس
اخف مما كان خفيا متعلقا بالروح فالاول يمكن دواؤه بالعزلة والفرار من مواطن الاشرار وصحبة
الاخيار وبكثرة الطاعات والاذكار بخلاف الثاني فانه في الطاعة الاكيدة وقوة اذ بها صارت
تطلب حظها فلا يداويها من هذا الا خوف مزعج او شوق مقلق او ولي عارف محقق فيصحبه
بالمحبة والتصديق **قال** بعضهم من عسرت عليه نفسه فليسلمها الى شيخ التربية فان تعلق
وان تعاصت ثم يستنهض له اخرى وان عسرت عليكم انفسكم فيستنهض له نفسه نفسا اخرى حتى
يفعل او ان فكاهها فان لم يكن واحد من هذا مات وهو سقيم ولم يلق الله بقلب سليم **فالواجب**
على العبد اتهام نفسه ومراقبة قلبه فاذا استعجلت النفس شيئا من الطاعات والعبادة فاخرجها
الى غيرها ولو كانت مفضولة في ظاهر امرها وسيلة للشيخ اذا النفس عليك امران انظر اثقلهما
على النفس فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا **قال** ابو محمد المرتعش حججت كذا وكذا حجة
على التجريد فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا وذلك ان والدتي سالتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل
ذلك علي فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحج كانت لحظ وشوب اذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها
ما هو حق في الشرع **وقال الشيخ** احمد بن ارقم رضي الله عنه حدثتني نفسي بالخروج الى الغزو
فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامر بالخير لا يكون هذا ابدا الا لحظها
استوحشت تريد لقاء الناس فتستريح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم
فقلت لها لا انزلك العمران ولا انزل على معرفة فاجابت فاساءت الظن بها وقلت الله اصدق قولا
فقلت لها اقاتل العدو حاسرا فاكون اول قتيل فاجابت ثم عدد اشياء كلها
اجابت لها فقلت يا رب نبهني فانا لها متهم ولقولك مصدق فالهمت كانها تقول انك تقتلني
كل يوم مرات بمخالفتك اياي ومنع شهواتي ولا يشعر بي احد فان قتلت فقتلة واحدة

فيفوت منك ويتسامع الناس فيقولون استشهد احمد فيكون لي شرف وذكر في الناس قال فقعدت ولم
اخرج ذلك العام ﻫ وقال الجنيد رضي الله عنه طافت على نفسي ليلة حتى لم اطق الصبر فخرجت ذاهبا
على وجهي فانتهيت الى رجل مطروح في المقابر مغطى الراس فلما احس بي قال ابو القاسم قلت نعم قال متى
يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت هواها صار داؤها دواءها فقال النفس اسمعي فقد
اجبتك بهذا مرارا وانت تقولين حتى تسمعي ذلك من الجنيد قال الجنيد فانصرفت وما عرفته ﻫ ثم فسمى
الشيخ ذلك الداء الذي يكون خفيا في الطاعة ببعض جزئياته وهو اعظمها فقال ربما دخل الرياء عليك
حيث لا ينظر الخلق اليك قلت الرياء هو طلب المنزلة عند الناس وقصد ذلك بعمل صالح سواء كان
ذلك العمل ظاهرا للناس وهو الغالب او خفيا عنهم فقد تكون الرياء في العمل الخفي فيدخل الرياء عليك
حيث لا ينظر اليك وهذا اصعب من الاول لانه اخفى من دبيب النمل كما في الحديث وكان بعض العارفين
يقول اجتهدت في ازالة الرياء من قلبي بكل حيلة فما ازلته من جهة حتى نبت من اخرى من حيث لا احتسبه
وقال بعضهم من اعظم الرياء من يرى العطاء والمنع والضر والنفع من الخلق وقال بعضهم
اقسام الرياء ثلاثة كلها علة في الدين الاول وهو اعظمها ان يقصد بعمله الخلق ولولاهم لم يعمل
الثاني ان يعمل لله ولهم وهذا شرك ولو لم يعلمه الناس الثالث ان يعمل لله ويرجو على عمله الثواب
ودفع العقاب وهذا النوع جيد من وجه معلول من وجه عند العارفين رياء وعند عامة المسلمين اخلاص
وقد قيل في قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه هو السالم من الرياء ظاهرا وباطنا بحيث لا يرى عامله حظا
في دنياه ولا اخراه وللمرائي علامات لا تخفى منها نشاطه في الجلوة وكسله في الخلوة او اتقان
العمل حيث يراه الناس وتساهله حيث لا يراه الا الله ومنها التماسه بقلبه توقير الناس له وتعظيمه
ومسارعتهم الى قضاء حوائجه واذا قصر احد في حقه الذي يستحقه عند نفسه استبعد ذلك
واستنكره ووجد تفرقة بين اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة غيره مع انه حتى ربما يطلق بعض
جهلاء العقول ذلك على المستهزئين به ويتوعدون من قصر في حقهم بمعاجلة الله له بالعقوبة وان الله
تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم وياخذ بثارهم فان وجد الفقير هذه الامارات في نفسه فليعلم انه مراء
بعمله وان اعجب به عابدا الناس وقد روي عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه ان الله تعالى يقول للفقراء
يوم القيامة الم تكونوا ترخص عليكم الاسعار الم تكونوا تبتدئون بالسلام الم تقضى لكم الحوائج
وفي الحديث الاخر لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب

ابن منبه رضي الله عنه ان رجلا من العباد قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف
ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي
احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص
عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا من الناس فقال
السائح ما هذا قيل له الملك قد اطلع فقال للغلام ايتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فاقبل
يحشو شدقه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال له كيف انت قال كالناس وفي حديث
اخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي
ذام ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا انفسهم من الاشرار كما روي عن الفضيل
رضي الله عنه انه قال من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الى هذا وسمع مالك بن دينار امراة تقول له
يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة الى غير هذا مما روي عنهم في هذا المعنى ولا يسلم
من الرياء الجلي والخفي الا العارفون الموحدون لان الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيبهم عن نظرهم
رؤية الخلق بما اشرق على قلوبهم من انوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم
يخافوا منهم وجود مضرة فاعمال هؤلاء خالصة وان عملوها بين اظهر الناس ومن لم يكن بهذا المشاهد
الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو مراء بعمله وان عبد الله في قنة جبل [illegible]
اعلاه قاله الشيخ ابن عباد رضي الله عنه باختصار ومنها اي من علامة الرياء الخفية ايضا استشرافك ان
وتطلعك ان يعلم الناس بخصوصيتك كما اشار اليه بقوله استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك دليل
على عدم صدقك في عبوديتك قلت اذا خصك الحق تعالى ايها الفقير بخصوصية من خصوصية خواصه
كزهد او ورع او توكل او رضى وتسليم او محبة او تفريد القلب او معرفة او اظهار على يديك كرامة حسية او
معنوية او استخرجت من فكرتك حكما او مواهب كسبية او لدنية ثم استشرفت اي تطلعت وتمنيت ان يعلم
الخلق بخصوصيتك بان يطلعوا على تلك الخصوصية التي خصك الله بها فذلك دليل على وجود الرياء
الخفية في باطنك ودليل على عدم صدقك في عبوديتك بل انت كاذب فيها اذ لو كنت صادقا في عبوديتك
لاكتفيت بعلم الله وقنعت بمراقبته اياك واستغنيت به عن رؤية غيره فالواجب على الفقير اذا خصه
الله بخصوصية كتمها وجحودها وسترها الا عن شيخه فان اظهرها فهو على خطر فقد يكون محمودا وقد
يكون قبيحا وفي الكتمان السلامة موثوقة تقدم قول الشيخ من رايته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد

وذاكراكما علم واستند لذلك على وجود جهله وفي هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه
ادخل سرك ودك ۞ واحفر له في الارض سبعين قامة ۞ وخل الناس يشك ۞ الى يوم القيامة ۞
وكان بعض اخواننا اذا سيل عما ادركتم وما فتح به هذه الطريق يقول البرد والجوع وكان شيخ شيخنا
مولاي العربي رضي الله عنه يعجبه ذلك ويستحسنه لدلالته على صدق الاخلاص وما زالت اشياخنا واشياخ
اشياخهم يستعملون الخمول في ظواهرهم وتقللاتهم في بواطنهم ولاجل هذا فضل عمل السر على عمل
العلانية بسبعين ضعفا كما في الحديث وقال سيدنا عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن
لحيته ويمسح شفتيه فاذا خرج الى الناس لم يعرفوا انه صائم واذا اعطى احدكم فليعط بيمينه ويخفها عن شماله
واذا صلى احدكم فليسدل عليه ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال الشيخ ابو عبد
الله القرشي رضي الله عنه كل من لم يقنع في افعاله واقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لا محالة وقال
بعضهم ما اخلص عبد قط الا احب ان يكون في جب لا يعرف ولهذا كان اسقاط المنزلة شيء يحبه هذه
الطريق فان تحقق العبد في المعرفة ومشاهدة الوحدانية جاز له الاخبار باعماله والاظهار لمحاسن احواله
بناء منه على نفي الغير واداء لواجب حق الشكر كان بعض السلف يصبح فيقول صليت كذا وكذا وركعت
وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له اما تخشى من الرياء فيقول ويحكم وهل رأيتم من يرائي بفعل غيره والحاصل
من فني عن نفسه وتحقق بشهود ربه فلا كلام عليه وقد قالوا من احب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن احب
الظهور فهو عبد الظهور ومن لم يرجح ما اراد الله فهو عبد الله حقا ثم علمك الشيخ
الدواء في ترك الاستشراف الى الخلق ومن الاكتفاء بنظر الحق فقال غيب نظر الخلق اليك بنظر الله
اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك قلت الخلق في التحقيق عدم والوجود انما هو لله الواحد
الاحد فوجود السوى كالهباء في الهواء وظلال الاشخاص ان فتشته لم تجده شيئا وغيب عنك
ايها الفقير نظر الخلق اليك اكتفاء بنظر الحق اليك اذ لا نظر لسواه وغب عن اقبالهم عليك بالتعظيم
والتكريم بشهود اقبال الملك الكريم وغب عن الوهم بثبوت العلم فاقبالك على الخلق ادبار
عن الحق وادبارك عن الخلق اقبالك على الحق ولا يجتمعان وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم في وصيته
لابن عباس احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فسأل الله واذا استعنت فاستعن
بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله عليك ولو اجتمعوا
على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف ثم وقال الشيخ

ابو

ابو الحسن ايست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا ايأس من نفع غيري لها ورجوت الله لغيري فكيف لا ارجوه لنفسي
وقال في لطائف المنن واعلم ان مبنى الولي على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده قال الله سبحانه
ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه اليس الله بكاف عبده وقال الم يعلم بان الله يرى وقال اولم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد فسبيل امرهم في بدايتهم الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء
الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم حتى اذا تمكن
اليقين وايدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء ردوا الى وجود البقاء وهناك ان شاء
الحق اظهرهم هادين لعباده اليه وان شاء سترهم واقتطعهم عن كل شيء اليه الا اخر كلامه وقال سهل
بن عبد الله لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحدى خصلتين حتى يسقط الناس من عينيه فلا يرى
في الدار الا هو وخالقه وان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه وتسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه
ولله در القائل ۞ فليتك تحلو والحياة مريرة ۞ وليتك ترضى والانام غضاب ۞ وليت الذي
بيني وبينك عامر ۞ وبيني وبين العالمين خراب ۞ وليت شربي من ودادك صافيا ۞ وشربي من
ماء العين سراب ۞ اذا صح منك الود فالكل هين ۞ وكل الذي فوق التراب تراب ۞ ۞ واعلم
ان رضى الخلق غاية لا تدرك وانظر قضية لقمان انه دخل ذات يوم السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه
فقال الناس حين راوه شيخ لم يشفق على صبي فاركبه خلفه فقالوا اثنان على حمار هكذا زاد ثالثا فنزل
لقمان وبقي الولد فقالوا الشيخ ماش والصبي راكب فنزل يمشي مع والده وساقا جميعا الحمار فقالوا حمار
فارغ وهذان يسوقانه وكان غرض لقمان هذا ان يري ابنه شان الناس مع مراعاة نظرهم وانه لا يسلم
منهم على اي حالة يكون فرضى الناس غاية لا تدرك فيتبين لك ان رضى الخلق محال او متعذر واجهل
الناس من طلب ما لا يدرك وقال بعضهم مالك وللناس كنت في بطن امك وحدك وخرجت الى الدنيا وحدك
وتموت وحدك وتدخل قبرك وحدك وتسال وحدك وتبعث من قبرك وحدك وتحاسب وحدك فان دخلت الجنة
دخلت وحدك وان دخلت النار دخلت وحدك في جميع هذه المواطن لا ينفعك احد فمالك وللناس وقيل ان الولي
الصادق لا قدر له عند الخلق ولا قدر للخلق عنده وكلما عظم قدره عند الله خفي امره عن الناس ثم
انه لا تتحقق الغيبة عن نظر الخلق بنظر الحق الا بمعرفة الحق عند كل شيء وشهوده في كل شيء كما بين
ذلك بقوله من عرف الحق شهده في كل شيء ومن فني به غاب عن كل شيء ومن احبه لم يوثر عليه
شيئا قلت معرفة الحق هي شهوده بربوبيته في مظاهر عبوديته او نقول هي الغيبة

عن الغيرية بشهود الاحدية، او تقول هي النزوع من شهود عالم الاشباح، الى شهود عالم الارواح، فيكون
جسمك مع الاشباح، وروحك مع الارواح ✿ فالمبتدي المباحث ✿ ✿ واستشعروا شيئا سوى الاله ان ✿
✿ يدعونه بالعالم الروحاني ✿ ثم امام العالم المعقول ✿ معارف تلغي بالمنقول ✿ والفناء هو ان
تبدو لك العظمة فتنسيك كل شيء، وتغيبك عن كل شيء، او تقول هو شهود حق بلا خلق كما ان
البقاء هو شهود خلق بحق والمحبة اخذ الحق قلب من احب من عباده، فلا يبقى له عن نفسه اخبار
ولا لغيره من محبوبه قرار، وقيل غير ذلك ثم عرف الحق شهده في كل شيء، ولم ير معه شيئا لنفوذ بصيرته
من شهود عالم الاشباح، الى شهود عالم الارواح، او من شهود فيء عالم الملك، الى شهود فضاء عالم
الملكوت، ومن فني به وانجذب الى حضرته غاب بشهوده عن كل شيء، ولم يثبت مع الله شيئا والفرق بين
الفاني والعارف ان العارف يثبت الاشياء بالله والفاني لا يثبت شيئا سوى الله، العارف في مقام الفرق
والحكمة والفاني لا يرى الا القدرة، العارف يرى الحق في الخلق كقول بعضهم ما رايت شيئا الا رايت الله
فيه، والفاني لا يرى الا الحق يقول ما رايت شيئا الا رايت الله قبله، العارف في مقام البقاء والفاني في
في مقام الفناء، الفاني سائر، والعارف متمكن واصل، ومن احبه الله لم يوثر عليه شيئا من حظوظه
وهوى نفسه، ولو كان فيه حتفه انتهى، كما قال القائل ✿ فالتوقد سالت عن حال عاشقها ✿ بالله صفه
ولا تنقص ولا تزد ✿ فقلت لها لو كان يهوى الموت من ظما ✿ وقلت له لا تات الماء لم يرد ✿ والكلام
في المحبة طويل ذكر الشيخ في لطائف المنن منه جملة صالحة وكلام الشيخ رضي الله عنه من باب التدلي فالمعرفة
اعلى المقامات وقبلها الفناء وقبل الفناء المحبة اذ اولها واول ما يفتح الله في قلب عبده الذي يريد ان
يصطفيه لحضرته ويجتبيه محبته فلا يزال يلهج بذكره، ويتعب جوارحه في خدمته، ويتعطش الى
معرفته فلا يزال يتقرب اليه بالنوافل حتى يحبه الحق فاذا احبه افناه عن نفسه وغيبه عن حسه فكان
سمعه وبصره ويده وجملته ثم رده اليه وابقاه به فعرفه في كل شيء ورءاه قائما بكل شيء ظاهرا في كل
شيء والله تعالى اعلم وهذا الذي ذكره الشيخ علامات تدل على تحقيق تلك المقامات فمن وجدها في نفسه
كانت دعواه لتلك المقامات او بعضها صحيحة ومن لم يجدها في نفسه كانت دعواه كاذبة وفضيحة
فليعرف قدره، ولا يتعد طوره، وبالله التوفيق ولما كانت المعرفة تقتضي ظهور الحق في كل
شيء حتى تراه ظاهرا في كل شيء فيبقى وجه احتجابه وخفائه فقال انما احتجب الحق عنك شدة قربه
منك انما احتجب لشدة ظهوره وانما خفي عن الابصار لعظيم نوره قلت في ذكر حكمة خفائه

تعلى

تعالى مع شدة ظهوره ثلاث حكم الحكمة الاولى شدة القرب ولا شك ان شدة القرب توجب الخفاء كسواد
العين من الانسان فان الانسان لا يدري سواد عينه لشدة قربه منه والله تعالى اقرب اليك من كل شيء، قال تعالى
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فشدة قربه منك موجبا لخفائه
قال في لطائف المنن فعظيم القرب هو الذي غيب عنك شهود القرب قال الشيخ ابو الحسن حقيقة القرب ان
تغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها تزايد ريحها
فلما دخل البيت الذي هو فيه انقطعت رائحته عنه وانشد بعض العارفين ✿ كم ذا انفوه بالشعبين
والعلم ✿ والامر اوضح من نار على علم ✿ اراك تسأل عن نجد وانت بها ✿ وعن تهامة هذا فعل متهم ✿
الحكمة الثانية في خفائه تعالى شدة ظهوره ولا شك ان شدة الظهور موجب للخفاء كما قال
صاحب الهمزية ومن شدة الظهور الخفاء وقد مثلوا ايضا بقرص الشمس حين تعظم شعاعه وتنتشر
اشراقه فان الابصار الضعيفة لا تقوى على مشاهدته مع شدة ظهوره فصار شدة الظهور موجب
للخفاء كما قال الشاعر ✿ وما احتجبت الا برفع حجابها ✿ ومن عجب ان الظهور تستر ✿
فاحتجب عن الابصار الضعيفة بلا حجاب الحكمة الثالثة شدة نوره ولا شك ان شدة النور موجب لعدم
الادراك فان البصر لا يقاوم النور الباهر وفي حديث مسلم في قصة الاسراء قلنا يا رسول الله هل رايت
ربك قال نور انى اراه بلفظ الاستفهام اي غلبني النور كيف اراه وفي رواية رايت نورا فيحمل على انه اول
مرة رءا النور ثم لم يطق مشاهدته بالبصر مع تحقق شهوده بالبصيرة وانظر ايضا البرق الخاطف فان
البصر لا يطيق رؤيته وانشدوا ✿ فالنور يخفي ما ترى من صورة ✿ وبه وجود الكائنات بلا امترا ✿
سبحانه يخفى لفرط ظهوره ✿ حسا ويدركه البصير من الورا ✿ فاذا نظرت بغير عقلك لم تجد ✿
شيئا سواه على الذوات مصورا ✿ واذا طلبت حقيقة من غيره ✿ فبذيل جهلك لا تزال معثرا ✿
وهذا النور الذي نتكلم فيه ليس هو حسي وانما هو ما يبدو من معاني الصفات والاسماء التي تخرج من
ظلمة الجهل الى معرفة اسرارها وصفاتها قال الشيخ زروق قلت هو النور الاصلي الذي فاض من بحر
الجبروت الا انه نعتني بالحكمة والعين الغريبة قيل ابو القاسم النصرابادي عن قولهم، ويطغى
في الهوى عن المولى، فيلزمني له ذل العبيد، فقال عن المواثق التي لانه لو انكشف الحجاب لتقطعت
الالباب هذا اخر الباب السابع عشر وما عليها ثلاثة امور الاول تلازم الدلالة على اولياء الله
لدلالة على الله بحيث لا ينفك احدهما عن الاخر في الغالب الثاني تقليل اسرار الولاية وهي

الاطلاع على اسرار غيب الملكوت دون التشوف الى الاطلاع على اسرار العباد لان ذلك قد يكون فتنة في حقه وسببا
لعقوبته اذا لم يتمسك فيه مع فتنة مع ما فيه من حظ النفس وربما انقصه بطاعته فيكون ريا في حقها وهو
من الامراض الباطنية التي يصعب علاجها الا تشوف الى اطلاع الناس على خصوصيته ودواؤه الغيبة
عنهم والاختفاء بنظر الله عن نظر غيره. **الامر الثالث** علامة وجود هذه الاسرار في العارف وهو شهود
الحق في كل شيء وفناؤه عن كل شيء وايثار محبته على كل شيء. فان **قلت** كيف يشهد وهو غيب **قلت**
بل هو ظاهر في كل شيء وانما حجبه شدة قربه وشدة ظهوره وعظيم نوره **واذا** علمت انه قريب وانه اقرب
اليك من روحك وقلبك اكتفيت بنظره واستغنيت بعلمه عن طلبه فان كان ولا بد من الدعاء فليكن عبودية
ومناجاة وتملقا لا تسببا للعطا كما ابان ذلك في اول الباب الثامن عشر بقوله **لا يكن طلبك تسببا الى
العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية** **قلت**
قد تقدم في اول الكتاب ان الطلب كله معلول عند ذوي الالباب فان كان ولا بد من الطلب فليكن لاظهار العبودية
وقياما بحقوق الربوبية فلا يكن طلبك من الحق سببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه لان الفهم عن الله
يقتضي الاكتفاء بعلمه والاستغناء بمعرفته فلا يحتاج الى شيء ولا يتوقف على شيء فماذا يفقد من وجدك
فلا يكون محط نظره الا ما يبرز من عنصر القدرة ولا يشتهي الا ما يقضيه عليه مولاه **قيل** لبعضهم ماذا
تشتهي قال ما يقضي الله **قال** الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه لا يكن حظك من الدعاء الفرح بقضاء حاجتك
دون مناجاة محبوبك فتكون من المحجوبين **وقال** بعضهم فائدة الدعاء اظهار الفاقة بين يديه والا
فالرب يفعل ما يشاء **قيل** ان سيدنا موسى عليه السلام قال يا رب اطعمني فانا جائع فاوحى الله اليه
قد علمت ذلك قال يا رب اطعمني قال له حتى اريد **وهذا** مقام اهل النهايات واما اهل البدايات
فيرخص لهم في طلب الحاجات وفي كثرة الدعاء والتضرعات فالدعاء في حقهم واجب او مندوب وفيهم
ورد الترغيب في الدعاء والالحاح فيه قال الله تعالى ادعوني استجب لكم وقال امن يجيب المضطر اذا دعاه
وورد في بعض الاخبار ان الله تعالى قال لسيدنا موسى عليه السلام سلني حتى ملح عجينك تيسر بعد
للضعفاء لان الانبياء عليهم السلام بعثوا معلمين للضعفاء والاقوياء **وينبغي** ان يتادب في الدعاء
فلا يدعو بممنوع ولا ممتنع فلا يدعو بممنوع شرعا ولا بممتنع عقلا ويكون بتلطف وانكسار وخضوع
وفاقة واضطرار لا بانبساط وادلال فان ذلك مقام الرجال اهل المكانة والكمال **ومن ذلك** قول الشيخ
ابي الحسن رضي الله عنه في حزب البحر وليس من الكرم ان لا تحسن الا لمن احسن اليك وذكره في قوت القلوب ان

نرلخ

بني اسرائيل قحط سبع سنين فخرج سيدنا موسى عليه السلام بسبعين الفا من بني اسرائيل يستسقي لهم
فاوحى الله اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون
مكري ارجع اليهم فان عبدا من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسالهم عنه موسى فلم يعرفه
احد فبينما موسى عليه السلام يمشي في طريق فاذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من السجود
وفي عنقه شملة على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه وقال ما اسمك قال برخ فقال له
منذ حين وانا اطلبك اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في خطابه لربه في دعائه ومناجاته ما هذا من فعالك وما
هو من حلمك وما بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد
غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خطاء الخاطئين خلقت الرحمة وامرت بالعطية فتكون لنا
تامر من الغافلين او تريد انك ممتنع او تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة فما برح حتى اخضلت بنو
اسرائيل بالقطر وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فخرج برخ فاستقبله موسى عليه السلام
فقال له ما هذا الخطاب الذي خاطبت به الحق فاوحى الله اليه دعه فان في كل يوم يضحكني فانظر هذه الحكاية
كيف وقعت على بساط المباسطة التي لا يفهمها الا اهل المكانة والتمكين وحجب من لم يبلغ مقامات
الرجال الادب والهيبة مع رب العالمين **ثم بين** وجه ما ذكره من كون الدعاء انما يكون عبودية لا سببا
في العطاء فقال **كيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق جل حكم الازلي ان يضاف الى العلل**
قلت العطاء السابق هو ما تعلق به علمه القديم قبل ان تظهر تجليات الاكوان ولا شك ان الله سبحانه
قدر في الازل ما كان وما يكون الى ابد الابد فقد قسم الارزاق الحسية والمعنوية وقدر الآجال قال تعالى انا كل شيء
خلقناه بقدر وقال تعالى وكل شيء عنده بمقدار وقال ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة وقال
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقال تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا
فاذا علمت ايها الانسان ان القضاء والقدر قد سبق برزقك واجلك وانه قد سبقت قسمتك ووجودك
فماذا تطلب واذا طلبت فكيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق اذ قد سبق منه العطاء
قبل ان يكون منك الطلب جل اي عظم وتعالى حكم الازل القديم ان يضاف الى العلل والاسباب الحادثة اذ محال
ان يتقدم الحادث على القديم لا وجودا ولا حكما **قال** ذو النون المصري رضي الله عنه التوحيد ان تعلم ان قدرة
الله في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وليس في السموات
العلى ولا في الارضين السفلى مدبر غير الله وكل ما تخيل ببالك فالله بخلاف ذلك هو قوله وعلة كل شيء صنعه

الضمير في صنعه يعود على الحق تعالى اي علة كل شيء صنع الحق له بمقتضى سبب وجود الاشياء وظهورها هو
صنع الحق لها وصنع الحق لا علة له وقال بعضهم ليس في الامكان ابدع مما كان اي باعتبار العلم والمشيئة
لا باعتبار القدرة فعالم الايجاد كان بالقدر والقضاء السابق بما كونته القدرة وابدعته واظهرته لا يمكن ان يكون
ابدع منه من حيث تعلق العلم القديم به فلا يمكن تخلفه وان كان العقل يجوز ان يخلق الله تعالى ابدع منه اذ
القدرة صالحة ولكن لما سبق به العلم ونفذ به القضاء لم يكن ابدع منه او تقول ليس في عالم الامكان ابدع مما
كان فيما ظهر في عالم الاكوان وهو عالم الشهادة الا ما كان في عالم الغيب من المعاني القديمة ولم يظهر ابدع
منه ولا يظهر ابد الابدين فهو في الكلام صحيح على هذا الوجه والله تعالى اعلم ومما يدلك على ان طلبك ليس سببا
في عطاياه لك وجود عنايته بك قبل ظهورك الذي اشار اليه بقوله عنايته فيك لا لشيء منك واين كنت
حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن في ازله اخلاص اعمال ولا وجود احوال بل لم يكن
هناك الا محض الافضال وعظيم النوال قلت مما تواترت به الاخبار والنقول واجمع المنقول والمعقول
ان ما شاء الله يكون وما لم يشأ لم يكن ومشيئته تعالى قديمة لانها عين ارادته وارادته على وفق علمه
وعلمه قديم فكل ما يبرز في عالم الشهادة فانما هو ما قدر له الحق في عالم الغيب جفت الاقلام وطويت الصحف
قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها اي نظهرها فلا سعادة ولا
شقاء الا وقد سبق بهم القدر والقضاء السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وقد تقدم
قوله ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يمضيه واذا علمت ذلك ايها الانسان اكتفيت بعلمه السابق عن
طلبك الالحاح وبقي طلبك عبودية واجابة الربوبية والا فعنايته سابقة على وجودك لا لشيء منك تستحق
به عنايته ومنته واين كنت حين واجهتك عنايته في ازله حين سبقت لك منه العناية وكتبك في جملة اهل
السعادة والهداية ثم لما استنطقك يوم الميثاق اقررت بربوبيته واين كنت حين قابلتك رعايته وحفظته
وانت في ظلمة الاحشاء حين اجرى عليك رزقه من عين الدم وحفظك في ذلك المستودع حتى استتمت
اعضاؤك وقويت اركانك ثم اخرجك الى رفقه وما يسر لك من رزقه لم يكن في ازله حين واجهتك عنايته
ولا في مستودعك في الرحم حين قابلتك رعايته اخلاص اعمال ولا وجود احوال تستحق بها وجود
النوال بل لم يكن في ذلك الوقت الا محض الافضال وعظيم النوال قال الواسطي رضي الله عنه اقسام
قسمت ونعوت اجريت كيف تستجلب بحركات او تنال بمعاملات وقال الشاعر

… فلا عمل مني اليه اكتسبته … سوى محض فضل لا بشيء يعلل …

وقال

وقال داود … وكنت قديما اطلب الوصل منهم … فلما اتاني العلم وارتفع الجهل … علمت بان العبد لا طلب
له … فان قربوا فضل وان بعدوا عدل … وان اظهروا لم يظهروا غير وصفهم … وان ستروا فالستر من اجلهم
يجلو وقال اخر … قد كنت احسب ان وصلك يشترى … بنفائس الاموال والارباح … وظننت جهلا
ان حبك هين … تفنى عليه كرائم الارواح … حتى رايتك تجتبي وتخص من … تختاره بلطائف الامناح …
… فعلمت انك لا تنال بحيلة … فلويت راسي تحت طي جناحي … وجعلت في عش الغرام اقامتي … ابدا
وفيه غدوي ورواحي … … ولهذا لم يلتفت قلب العارف لخوف ولا رجاء ولم يبق له في غير وجه الله
حاجة فتحصل له الولاية وهي سر العناية لا تنال بحيلة ولا تدرك بطلب الا لمن سبقت له العناية بقسمي
لما اريد منه قيل لذي النون بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقيل لعلي كرم الله وجهه
هل عرفت الله بمحمد او عرفت محمدا بالله قال لو عرفت الله بمحمد ما عبدته ولكان محمد اوثق في نفسي من
الله ولكن الله عرفني بنفسه فعرفت محمدا صلى الله عليه وسلم بالله وهنا انقسمت معرفة العارفين اعني حيث
تحققوا بسوابق القدر غابوا عن انفسهم في وجود معروفهم واستراحوا واستظلوا في ظل الرضى والتسليم وهب
عليهم من جنات المعارف نسيم لكن اختلفت احوالهم في حال نهاياتهم الماء واحد والزهر الوان فمنهم
من تغلب عليه الهيبة والحياء قال بعضهم من ازدادت معرفته ازدادت هيبته له ومن كان بالله اعرف
كان له اخوف وفيهم قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ومنهم من يغلب عليه الشوق والاشتياق
قال بعضهم من عرف الله انتهى بالبقاء واشتاق الى اللقاء وضاقت عليه الدنيا بحذافيرها وقال السري
اجل مقام العارف الشوق يقول الله تبارك وتعالى ان لي عبادا من عبادي احبهم ويحبونني واشتاق اليهم ويشتاقون
الي واذكرهم ويذكرونني وانظر اليهم وينظرون الي من سلك طريقهم احببته ومن عدل عنهم مقتته قيل يا ربنا
وما علاماتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن
الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفروش ونصبت الاسرة وخلا
كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فمن
صارخ وباك ومن متأوه وشاك ومن قائم وقاعد ومن راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي
ما يشكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاثا اقذف في قلوبهم من نوري فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو
كانت السموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل عليهم بوجهي افترى
من اقبلت عليه بوجهي يعلم احد ما اريد ان اعطيه هو وقال ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه غيبني الشوق

يوما فقلت يا رب ان اعطيت احدا من المحبين ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق فرايت
في النوم كانه اوقفني بين يديه وقال يا ابا ابراهيم اما استحييت مني ان تسألني ان اعطيك ما يسكن قلبك قبل لقائي وهل
يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم
رضني بقضائك وصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك ه ومنهم من تغلب عليه السكينة في القلب لان العلم
واليقين يوجبان السكون والطمانينة فمن ازداد معرفة ازداد سكينة قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
ومنهم من يغلب عليه الدهش والحيرة قال بعضهم اعرف الناس بالله اشدهم تحيرا فيه وفي الحديث
اللهم زدني فيك تحيرا ومنهم من يغلب عليه التواضع والخضوع والذل والانكسار قال الجنيد العارف
كالارض يطاها البار والفاجر وكالسحاب يظل الاحمر والابيض وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب ومنهم من
تتسع معرفته ويخوض بحار التوحيد فلا يكدره شيء ولا يستولي عليه شيء بل ياخذ النصيب من كل شيء ولا ياخذ
من نصيبه شيء بل انس بكل شيء ولا يستوحش من شيء قال ابو تراب العارف يصفو به كدر كل شيء ولا يكدره
شيء وقال ابو سليمان الداراني ان الله يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح له وهو قائم يصلي وقال بعضهم
العارف من انس بذكر الله حتى استوحش من خلقه وافتقر الى الله تبارك وتعالى فاغناه عن خلقه وذل الى الله تبارك
وتعالى فاعزه الله في خلقه وفي زبور داود عليه السلام يا داود بلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن
جالسني وانيس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني
عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته اشد مما احبني ومن طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني
فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وانسوا بي اؤانسكم
واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى كليمي وعيسى
روحي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتهم بجلالي وجمالي ه ولما كان الاعتماد
على السابقة يقتضي ترك العمل بين سر ذلك بقوله علم ان العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية
فقال يختص برحمته من يشاء وعلم انه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل فقال ان رحمة
الله قريب من المحسنين قلت لما اخبر الله سبحانه في كتابه وعلى السنة رسله ان المدار انما هو على السابقة
فمن سبقت له العناية لا تضره الجناية تشوف الخلق كلهم الى ظهور سر هذه العناية فكل واحد يرجو
انه من اهلها فاخبرهم الحق تعالى ان ذلك الامر انما هو لبعض دون البعض فقال يختص برحمته من يشاء
فاسند ذلك الى مشيئته دون مشيئتهم فعلموا ان ذلك انما هو لبعض دون الكل فلا يدرك لاحد بطمع

انه من ذلك البعض فربما يتركون العمل ويعتقدون على سابق الازل فاخبرهم الحق تعالى ان لذلك السر
علامات تدل على من هو من اهله ومختص به فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فالرحمة هنا هي العناية
السابقة وهي قريبة من المحسنين الذين احسنوا عبادة ربهم واحسنوا الى عباد ربهم فتحصل ان سر
العناية انما تظهر على المحسنين المتقنين لاعمالهم المخلصين في عبودية ربهم فمن استند الى الحكم السابق
وترك العمل فهو مغرور او مطرود لابطاله الحكمة ومن استند الى العمل دون النظر للقدرة والمشيئة
السابقة فهو جاهل بعيد من الحضرة غافل ومن جمع بينهما فهو محقق واصل قال ابو عثمان المغربي
رضي الله عنه قلوب العارفين فارغة لمعاينة المقدور وقال بعضهم ليس كل من طلب نال ولا كل من
نال وصل ولا كل من وصل ادرك ولا كل من ادرك وجد ولا كل من وجد سعد وكم من واحد جمع المعنى بمعنى
وكم من واحد اجرى من القربات غرفات ومن ابتلي بالتوفيق وصل لحضرة الغيب التي غير القبول كما عن بعض
الصالحين انه راى في منامه ابليس اللعين يضج بالصياح والعويل فاجتمع عليه جنوده وقالوا ما لك فقال
لهم كنت اطمع في فلان منذ سنين فاذا به قد استوى بظاهره وباطنه سره وعلانيته فلم اجد اليه سبيلا
تخلى بالصدق فامتنع مني في مقعد صدق عند مليك مقتدر ه ثم بين ما تقدم من حكم المشيئة فقال
ان المشيئة يستند كل شيء وليس تستند هي الى شيء قلت المشيئة والارادة شيء واحد
واليها تستند الاشياء كلها قال تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله ولو شاء ربك ما فعلوه الى غير ذلك
من الايات الدالة على سبق المشيئة للكائنات واما هي فلا تستند الى شيء ولا تتوقف على شيء فلا تتوقف على
سؤال ولا على طلب فما شاء الله كان من غير سبب ولا سؤال وما لم يشا لم يكن فرب من شاء بلا عمل وبعد
من شاء بلا سبب لا يسال عما يفعل وهم يسالون فقاعدة التحقيق ما ثم الا سابقة التوفيق قال ابو بكر
الواسطي رضي الله عنه ان الله لا يقرب فقيرا لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس لك عوض عنه خطوة
حتى بها يوصل وبها يقطع ولو بذلت الدنيا والاخرة ما وصلت اليه بهما ولو اخذتهما كلهما ما قطعك
بها قرب من شاء بغير علة وقطع من شاء من غير علة كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالنظر
الى المشيئة حقيقة والنظر الى السبب شريعة او تقول النظر الى المشيئة قدرة والنظر الى الاسباب
حكمة ولا بد من الجمع بينهما فالحقيقة معينة والشريعة مبينة فالشريعة حكمة والحقيقة قدرة
والحقيقة حاكمة على الشريعة في الباطن والشريعة حاكمة على الحقيقة في الظاهر وليس حكم القدرة
باولى من حكم الحكمة في محله ولا بالعكس قال الششتري رحمه الله واعلم ان الناس اربعة ناظر

في السوابق لعلمهم بان الحكم الازلي لا يتغير باكتساب العبد وناظري في العواقب لعلمهم بان الاعمال بخواتمها وناظري
للوقت لا يشتغل بالسوابق ولا بالعواقب عنها دائما كلفه به من حكم الوقت عالم بان العارف ابن وقته لا يهتم
بماض ولا مستقبل ولا يرى غير الوقت الذي هو فيه وناظري لله وحده لعلمهم بان الماضي والمستقبل والحال متقلبون
في قبضته منصرفون في حكمه والاوقات كلها قابلة للتغير وتبديل الحال على اهلها وانما يراقب من كل شيء بيده
وقد اراد بعضهم الخروج من بيت بعض المشايخ فقال له الشيخ اين تريد فقال يا سيدي ليلا اشتغل عن
وقتك فقال له ليس عندنا الله وقت ولا معنت انما نحن في الوقت لا الوقت ومن تمكنت فيه حالة الشهود غاب
بالموجد عن الوجود وتحسبهم ايقاظا وهم رقود وحكي ان رجلا قال لابي يزيد اين ابو يزيد فقال له ليس هنا
ابو يزيد وقال رجل للشبلي اين الشبلي قال مات لا رحمه الله انا عن الشبلي لا رحمه الله لا احمد الله عن
منشأ هذه تر لربه وورد ابو يزيد رجل في المسجد يسأل عنه فقال له وانا اطلبه منذ سنين فظن انه مجنون
فلما اعلم انه هو قال له يا سيدي عليك اسئل ولك الطلب فقال له ابو يزيد الذي تطلب قد ذهب في الذاهبين
في الله بالله لله وبحارده الله انتهى هذا اخر الباب الثامن عشر وحاصله في اداب السؤال والطلب
وانه ينبغي ان يكون عبودية لا بسبب في العطاء اذ قد سبقت قسمتك في الازل قبل ان يكون منك طلب ومعنا بقية
سابقة يختص برحمته من يشاء لان الحكمة تقتضي وجود العمل فوجود العمل امارة على خصوصية
الازل مع توقف ذلك على المشيئة لانها يستند اليها كل شيء ولا تستند هي لشيء فلزم السكون
والادب في حق في ترك الطلب كما يشير ذلك في اول الباب التاسع عشر بقوله وقال رضي الله عنه ربما دلهم
الادب على ترك الطلب قلت الظاهر ان هنا التنبيه لان الغالب على العارفين واهل الفناء السكوت
والسكون تحت مجاري الاقدار فصدور الطلب منهم قليل لان العارف فان عن نفسه غائب عن حسه ليس
له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله قرار فلا يتصور منه سؤال ولا فوات مامول ومن شغله ذكري عن
مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين الاشياء تشتاق اليه وهو غني عنها اشتاقت الجنة الى
عمار وصهيب وبلال كما في الحديث والحاصل ان العبد ما دام غائبا عن نفسه فانيا في شهود ربه منقطع
عن حسه لا يتصور منه طلب اصلا اذ الطلب يقتضي الاثنينية والغرض انه غريق في بحر الوحدة فطلبه حينئذ
سوء ادب في حقه فان رد الى الشعور بنفسه وهو مقام البقاء فقد يتصور منه السؤال على وجه العبودية لا على
وجه الاقتضاء كما تقدم ثم بين مستنده في ترك الطلب فقال اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره
عن مسئلته قلت اما الاعتماد على القسمة الازلية فقد تقدم الكلام عليها في الحكمة قبل هذه واما

الاشتغال

الاشتغال بالذكر عن المسئلة فقد تقدم في باب الحديث من شغله ذكري عن مسئلتي وقال الواسطي رضي الله
عنه ما جرى لك في الازل خير من معارضة الوقت يعني بالطلب للحظ وقال القشيري اذا وجد في قلبه اشارة الى
الدعاء دعا كما اذا وجد نشاطا او انبساطا للدعاء فالدعاء اولى واذا وجد في قلبه قبضا فالسكوت اولى
وقال بعضهم ما سألت الله تعالى بلساني شيئا منذ خمسين سنة ولا اريد ان ادعو ولا اريد ان يدعى لي وذلك
لان الله سبحانه ليس بغافل حتى يذكر بل هو عليم بخفيات امورك فيأتيك منها ما قسم لك كما يشير لك
بقوله انما يذكر من يجوز عليه الاغفال وقد قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون اليس الله بكاف عبده
ولا يحتاج الى تنبيه لانه لا يهملك فيما هو من قسمتك كما يشير بقوله وانما ينبه من يجوز عليه الاهمال والحق
تعالى لا يجوز عليه الاهمال لكمال قدرته واحاطة علمه ولان حكمته اقتضت ارتباط الاسباب والعلل وتقديم
الاشياء وتاخيرها قال تعالى وكل شيء عنده بمقدار ومن حصل يقينه اكتفى بتدبير المولى عن تدبيره واستغنى بعلم
الله عن استعجاله ورضي بتصريف الحق فيما يفعل فيكون ان ابراهيم كان حنيفا ولا شك ان من كان على ملة ابراهيم
عليه السلام اقتدى به وقد كان بين السماء والارض حين رمي به فاستغنى بعلم الله عن سؤاله وكانت حالة
سيدنا ابراهيم عليه السلام في ذلك الوقت الاستغراق في الحقيقة فلما رد للشرائع دعا فقال رب اغفر لي
ولوالدي وللمؤمنين رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وكذلك الانبياء عليهم السلام اكثروا من الدعاء
للتشريع والتعليم واظهار الفاقات التي هي مواسم واعياد كما ابان ذلك بقوله ورود الفاقات اعياد
المريدين قلت الاعياد جمع عيد وهو ما يعود على الناس بالافراح والمسرة في العوائد فهو موسم تهم
بالحظوظ والعوائد الجسمانية والخواص فرحهم وسرورهم بالفاقات عليهم ووجود قلوبهم وصفاء وقتهم
من كدرات الاغيار والغالب ان هذه المعاني انما توجد عند الفاقة والحاجة والاضطرار حيث ينقطع
حظ النفس فيها لان النفس كلما ضيقت عليها رحلت الى عالم الملكوت وفي ذلك العالم راحتها وفرحها
وسرورها قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وهما جنتان معجلة
ومؤجلة فلاجل هذا اثرت الصوفية الفقر على الغنى والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة
لما يحصل لهم بذلك من الرقة والحلاوة وكلما ازدادوا فاقة ازدادوا من الله قربا وولاء وكان بعضهم يقول
يطوف حول الكعبة ويقول ⁂ مولاي يشغلني كما ترى ⁂ وصبية بالبيت كما تراه ⁂ واملتي عريانة
كما ترى ⁂ يا من يرى الذي بنا ولا يرى ⁂ اما ترى ما حل بنا اما ترى ⁂ فسمعه بعضهم فجمع له كسرا
ودفعها اليه فقال له اليك عني لو كان معي شيء لما امكنني ان اقول هذا القول وقال ابو السعاد

ابراهيم الهروي رضي الله عنه من اراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على سبع فان الصالحين اختاروها
حتى بلغوا سنام الخير اختاروا الفقر على الغنى والجوع على الشبع والدون على المرتفع والذل على العز والتواضع
على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة اهـ وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا ان
يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما يحترز الغني من الفقر حذرا ان يفسد عليه غناه وانشد لبعض العارفين

قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه — فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباي تحتهما — قلب يرى الفه الاعياد والجمعا
احرى الملابس ان تلقى الحبيب به — يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم ان غبت يا املي — والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا

وقال اخر

قالت هل العيد بالبشرى فقلت لها — العيد والبشرى عندي يوم لقياك
الله يعلم ان الناس قد فرحوا — فيه وما فرحت الا بلقياك

ثم بين وجه كون الفاقة عيدا فقال ربما وجدت من المزيد في الفاقات
ما لا تجده في الصوم والصلاة الفاقات بسط المواهب ان اردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة
لديك انما الصدقات للفقراء والمساكين **قلت** انما كان الانسان يجد في الفاقة من المزيد ما لا يجده في الصوم
والصلاة لان الفاقة من اعمال القلوب والصوم والصلاة من اعمال الجوارح والذرة من اعمال القلوب افضل من
امثال الجبال من اعمال الجوارح الفاقات قوت الروح والصوم والصلاة قوت القلب والروح محل المشاهدة
والقلب محل المراقبة وما بينهما معلوم **قال** بعضهم اعلم ان العيد الذي هو الفتح الرباني انما يقع
في القلوب الفارغة من العوائق والشواغل وقد يوجد العبد كثير الصوم والصلاة وقلبه مسدود
لاشتغاله بامور دنياه وهو الاكثر من الناس وقد يوجد العبد قليل الصوم والصلاة وقلبه مفتوح
للعلوم اللدنية والتنزلات الوهبية وهم الاقلون من الناس وكل العبادات يدخلها الرياء الا الخمول
لكونه لا حظ للنفس فيه اهـ وفي بعض الاخبار يقول الله تبارك وتعالى لعبده سبكتك بالفاقة لتكون
ذهبا الحديث قال في التنوير اعلم ان البلايا والفاقات من اسرار الالطاف ما لا يفهمه الا اولو البصائر
ولو لم يكن الا انها تكسر النفس وتحقيرها وقطعها عن حظوظها لكان في ذلك غاية المطلوب منها وقد قيل حيث
ما وقعت الذلة وقعت معها النصرة قال الله العظيم ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم قال فان اردت
ايها الفقير بسط المواهب وورودها عليك صحح الفقر والفاقة لديك فاذا تحققت الفاقة والفقر
عندك فاستعد لهبات المواهب فانها ترد عليك كالسحاب وقد قلت في هذا من قصيدة سيأتي ذكرها
في محلها ان شاء الله — وان ترد بسط المواهب عاجلا — ففي الفاقة ريح المواهب ينتشي

والمراد

والمراد بالمواهب معارف وكشوفات ولطائف وحكم وعلوم واسرار تنزل على القلوب من خزائن الغيوب حال
صفائها وتصفيتها من الغيرية واصفى ما يكون القلب حين تذهب النفس وذهاب النفس انما يكون بترك
حظوظها ولا يتحقق ذلك في الغالب الا بحال الفاقة والفقر ولذلك كانوا يفرحون بالفقر ويحزنون من الغنى
فتح على بعضهم بشيء من الدنيا فقال هذه عقوبة لا ادري ما سببها **وقال** الهروي الفقر صفة مهجورة
وهو اول ما يناله العارف لكونه تخلية على الله وتجليه يريد به هو اعم المقامات حكمه القطع عن العوائق
والتجرد من العلائق واشتغال القلب بالله **قيل** الفقير الصادق لا يملك ولا يملك **وقيل** لسهل رضي الله عنه
متى يستريح الفقير قال اذا لم ير في كل وقت غير ربه **وقال** الشبلي الفقير لا يستغني بشيء دون الله **وقال**
السهروردي في عوارف المعارف الفقر اساس التصوف وبه قوامه ويلزم من وجود التصوف وجود الفقر
لان التصوف اسم جامع لمعاني الفقر والزهد مع زيادة احوال لا بد منها للصوفي وان كان فقيرا زاهدا
وقال بعضهم نهاية الفقر بداية التصوف لان التصوف اسم جامع لكل خلق سني والخروج عن كل
خلق دني لكنهم اتفقوا ان لا دخول على الله الا من باب الفقر ومن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بشيء مما
اشار اليه القوم والتحقق بالفقر هو الاستغناء بربه والاغتباط بحصوله والاستقرار معه حتى يكون
عنده احلى من العسل ويكون المال عنده امر من الحنظل فحينئذ تتزايد عليه المواهب وتتسع له
المعارف حتى يكون اغنى الاغنياء **قال** بعض الصالحين كان لي بعض مال فرايت فقيرا في الحرم جالسا منذ
ايام لا ياكل ولا يشرب وعليه اطمار رثة فقلت اغنيه بهذا المال فالقيته في حجره وقلت استعن بها على
دنياك فنفض بها في الحصباء وقال لي اشتريت هذه الجلسة مع ربي بما ملكت وانت تفسدها علي ثم
انصرف وتركني التقطها فو الله ما رايت اعز منه لما بدده ولا اذل مني لما كنت التقطها وهذا هو تصحيح
الفقر والفاقة ظاهرا وباطنا **وكان** بعضهم اذا اصبح عنده شيء اصبح حزينا واذا لم يصبح عنده شيء
اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس بعكس هذا فقال اني اذا لم يصبح عندي شيء فلي برسول الله اسوة
حسنة واذا اصبح عندي شيء لم يكن لي برسول الله اسوة حسنة **قلت** وهذه حالة اشياخنا رضي
الله عنهم حسبما استفدناه من حالهم وقد بلغنا ان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه كان
يشعل الفتيلة ويفتش في نواحي البيت اذا وجد شيئا اخرجه يتصدق به ويبيت على الفاقة هكذا
كانت حالته في حال تجريده رضي الله عنه **هـ** واستشهد المؤلف رضي الله عنه بالاية الكريمة انما
الصدقات للفقراء والمساكين اشارة الى ان ما يهبه الله تعالى من المواهب والمعارف انما هي صدقة

ومنة لا جزاء على العمل والاحوال لان الصدقة لا تكون في مقابلة عمل وان الله لغني عن العالمين ثم التحقق
بالفقر بمجموعه التحقق باوصاف العبودية وهي الذل والعجز والضعف كما يشير الى ذلك قوله تحقق باوصافي
يمدك باوصافي تحقق بذلك يمدك بعزي تحقق بعجزك يمدك بقدرتي تحقق بضعفك يمدك
بحولي وقوتي قلت اوصاف العبودية اربعة يقابلها من اوصاف الربوبية اربعة اولها من العبد الفقر
ومن الله الغنى الثاني من العبد الذل ومن الله العز الثالث من العبد العجز ومن الله القدرة الرابع من العبد
الضعف ومن الله القوة والتحقق بالوصف هو التخلق والانصاف به قلبا وقالبا ويكون ذلك باديا بين خلقه
فلا يتحقق الذل لله حتى يظهر ذلك بين عباده فمن اراد ان يعده كلامه بالغنى به عما سواه فليتحقق بالفقر مما سواه
كما قال الشيخ ابو الحسن في حزبه الكبير نسألك الفقر مما سواك والغنى بك حتى لا نشهد الا اياك ومن
اراد ان يعده الله بالعز الذي لا يفنى فليتحقق بالذل لله والتواضع بين خلقه فمن تواضع دون قدره رفعه الله
فوق قدره ومن اراد ان يعده الله بالقدرة الخارقة للعوايد فليتحقق بعجزه وليتبرا من حوله وقوته ومن
اراد ان يعده الله بالقوة على طاعة مولاه ومجاهدة نفسه وهواه فليتحقق بضعفه ويسند امره الى سيده
فبقدر ما تعطي تاخذ وبقدر ما تتخلى تتحلى وبقدر ما تتحقق بوصفك يمدك من وصفه وقد كنت قلت
في ذلك ابياتا وهي هذه * تحقق بوصف الفقر في كل لحظة * فما اسرع الغنى اذا صح الفقر * وان ترد
بسط المواهب عاجلا * ففي الفاقة رحب المواهب ينتشي * وان ترد عزا منيعا مؤبدا * ففي الذل
تحظى بالعز بل تحضى * وان ترد رفعا للقدر عاليا * ففي ضعف النفس الدنية تجتني * وان
اردت العز جاريا في الورى * وعن كل مطلوب سوى الحق تكتفي * * * قال الشيخ ابو الحسن رضي
الله عنه وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والافتقار والعجز والذل والضعف لله تعالى واضدادها اوصاف
الربوبية فما لك ولها فلازم اوصافك وتعلق باوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير سواك
ومن بساط الضعف الحقيقي يا قوي من للضعيف سواك ومن بساط العجز الحقيقي يا قادر من للعاجز سواك
ومن بساط الذل الحقيقي يا عزيز من للذليل سواك تجد الاجابة كانها طوع يدك واستعينوا بالله واصبروا
ان الله مع الصابرين هـ ولا يصح التحقق بالوصف حتى يعلو باضداده من مولاه فلا يتحقق بفقره ولا عجزه
ولا ضعفه الا احد سواه روى ان بعض الملوك قال لبعض الفقراء الا يكون لك من حاجة فارفعها الي
فقال له الفقير قد رفعت حوايجي لمن هو اقدر منك فما اعطاني منها رضيت به وما منعني منها رضيت
عنه فقال له والك عندي حاجة قال بلى قال وما هي قال لا تزرني ولا تراني وانشدوا

ملكت

ملكت نفسي وكنت عبدا * فصرت حرا وطاب عيشي * اصبحت ارضى بحكم ربي * ان لم اكن راضيا وابشر *
فهذا هو التعلق بوصف الربوبية والتحقق بالله الذي لا يفنى عزه قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين ومن
تحقق بالله ذل له كل شيء وقد حج شيبان الراعي مع سفيان الثوري فلما كانا في البرية عرض لهما سبع فقال
سفيان خارج الطريق ومضى اليه شيبان ثم حرك اذنه فلم يزد ان حرك ذنبه وبصبص وانصرف فقال له سفيان
ما هذا يا شيبان فقال له هو شيء ان ركبته الى مكة لفعلت وكانت عجوز تاتي كل يوم بيت السري السقطي
فتكنس بيته وتنسوه له بعض القوت فسئلت عن ذلك فقالت الدنيا سخرها الله لي لما زهدت فيها وفي هذا
المعنى ورد الحديث يقول الله تعالى للدنيا يا دنيا اخدمي من خدمني واتعبي من خدمك وقال ابراهيم
ابن ادهم رضي الله عنه من طلب الفقر استقبله الغنى ومن طلب الغنى استقبله الفقر والغنى هو الغنى بالله
وقال سهل رضي الله عنه لم يشم رائحة اليقين من ركن الى غير الله وقال ابو تراب رايت شابا يمشي
في البادية بلا زاد فقلت في هذا الموضع بلا زاد فقال لست ارى غير الله فقلت اذهب الان حيث شئت وقال
ابراهيم الخواص رضي الله عنه لقيت فتى في البادية فقلت الى اين فقال الى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال
الذي يمسك السموات والارض ويحفظهما لا يعجزه ان يوصلني بلا سبب ولا علاقة فلما دخلت مكة ثم رايته
بعد ذلك بمكة وهو يطوف ويقول * يا عين سحي ابدا * يا نفس موتي كمدا * ولا تحبي احدا * الا الاله
الصمد * فلما راني قال لي ما زلت على ضعف يقينك فقلت ابلى اعلم ان الله على كل شيء قدير هـ هذا
اخر الباب التاسع عشر وحاصله ان العارفين رفعت لهم الادب على ترك الطلب اكتفاء بعلم الله
اذ لا يذكر الا الغافل ولا ينبه الا الساهي وتعلق السر الا من بين علوا هممهم اذا نزلت بهم فاقة او شدة لم
يسئلوا فضلا عن حوايجها وجعلوها مواسم واعيادا لما يجدون فيها من المزيد وما يهب عليهم
من نسيم التوحيد والتجريد وهي المواهب الربانية والعلوم اللدنية فتحققوا باوصافهم وامدهم
باوصافه فصاروا في الظاهر عبيدا وفي الباطن احرارا في الظاهر فقراء ضعفاء اذلاء وفي الباطن اغنياء
اقوياء اعزاء موحدين هي الكرامة العظمى دون الكرامة الحسية كما اشار الى ذلك في اول الباب الموفي
عشرين فقال وقال رضي الله عنه ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة قلت الكرامة
الحسية هي خرق العادة كالمشي على الماء والطيران في الهواء وطي الارض ونبع الماء وجلب الطعام
والاطلاع على المغيبات وغير ذلك من خوارق العادات والكرامة المعنوية هي استقامة العبد مع
ربه في الظاهر والباطن وكشف الحجاب عن قلبه حتى عرف مولاه والظفر بنفسه ومخالفة هواه وقوة

يقينه وسكونه وطمأنينته بالله والمعتبر عند المحققين هي هذه الكرامة واما الكرامة الحسية فلا يلتفتون
ولا يلتفتون اليها اذ قد تظهر على يد من لم تكمل استقامته بل قد تظهر على يد من لا استقامة له اصلا كالسحرة
والكهان وقد تظهر على ايدي الرهبان وليست بكرامة انما هي استدراج قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على
الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر
كذاب او ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك على نعت الرضى فجعل يشتاق الى سياسة
الدواب وخلع الرضى قال وكل كرامة لا يصحبها الرضى عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور او ناقص
او هالك مثبور هـ وقال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه ليس الشأن من تطوى له الارض
فاذا هو بمكة او غيرها من البلدان انما الشأن من تطوى له صفات نفسه فاذا هو عند ربه قلت
والكرامة الحقيقية هي الاستقامة على الدين وحصول كمال اليقين واما خوارق العادات الحسية
فان صحبتها الاستقامة ظاهرا وباطنا وجب تعظيم صاحبها لانها شاهدة له بالكمال مما هو فيه وان
لم تصحبها الاستقامة فلا عبرة بها والغالب ان اهل الباطن كراماتهم باطنية ككشف الحجب ومزيد الايمان
ومعرفة الشهود والعيان وكذلك عقوبة من اذاهم جلها باطنية لا يتفطنون لها كقساوة القلب
والانهماك في الذنوب والغفلة عن الله والبعد عن حضرته ولاكن لا يشعرون وهي اعظم من العقوبات في الحس
والحاصل ان اهل الاستقامة الظاهرية كراماتهم ظاهرية حسية واهل الاستقامة الباطنية كراماتهم
باطنية معنوية اهل الظاهر من اذاهم عوقب في الظاهر واهل الباطن من اذاهم عوقب في الباطن وقد
لا يعاقب لانهم رحمة كلمن قرب منهم شملته الرحمة ولو قربه تسليطا وانكارا هم القوم لا يشقى
جليسهم على قدم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ولو اراد الله
تعالى ان ينتقم الناس على يده لما عاجل بالعقوبة من اذاه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
خيره ملك الجبال فحلم صلى الله عليه وسلم وعفا وقال لعل الله ان يخرج من صلبهم من يقول لا اله الا الله
والله تعالى اعلم واعظم الكرامة الفهم عن الله والرضى بقضاء الله وترك التدبير والاختيار مع الله
واقامة العبد حيث اقامه الله كما ابان ذلك بقوله من علامة اقامة الحق لك في الشيء ادامته اياك
فيه مع حصول النتائج قلت اذا اقام الحق تعالى عبده في حالة لا يستقبحها الشرع ولا يأباها
سليم الطبع فلا ينبغي له الانتقال عنها بنفسه حتى يكون الحق تعالى الذي ادخله فيها هو الذي

يتولى

يتولى اخراجه منها وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق فالمدخل الصدق ان تدخل في الشيء بالله
لا بنفسك والمخرج الصدق ان تخرج منه بالله لا بنفسك فاذا اقامك الحق تعالى في الاسباب فلا تخرج منها
بنفسك فتتعب فاذا مكثت حتى يخرجك الحق تعالى باشارة صحيحة من شيخك او من هاتف عند ربك وقد
تقدم هذا اول الكتاب ومن علامة اقامة الله لك في ذلك الشيء الذي انت فيه ادامة الحق اياك في ذلك الشيء
مع حصول النتائج وعلامة الخير والمراد بالنتائج ما يترتب عليه من اعطاء حق الواجب والمستحب كاداء
الزكاة واطعام الجائع وستر العريان واعانة اللهفان وغير ذلك من انواع الاحسان واذا اقامك الحق
تعالى في نشر العلم الظاهر فعلامة اقامة الحق فيه تعظيمه لله ونفع عباد الله والزهد في الدنيا والرغبة
فيما عند الله والتواضع والصبر على جفاء المتعلمين وهكذا سائر الحرف اذا كان فيها على المنهاج الشرعي
فلا ينتقل عنها بنفسه واذا اقامك الحق تعالى في التجريد فالزم الباب وتحل بالاداب حتى يفتح لك
الباب فعلامة اقامته اياك فيه حصول نتائجه وهو الترقي في الاحوال والمقامات حتى تبلغ النهايات
والمقامات هي التوبة والتقوى والاستقامة والزهد والورع والخوف والرجاء والرضى والتسليم والاخلاص
والصدق والطمأنينة والمراقبة والمشاهدة والمعرفة وكل مقام له علم وعمل وحال فاوله علم وثانيه عمل
وثالثه حال ثم مقام فاذا بلغ المقام المعرفة وتمكن فيها انقطعت المقامات قال بعضهم في التوحيد
غابت الاحوال وانقطعت المقامات وان الوريك المنتهي فحينئذ يغمس في بحر الاحسان فاذا عبر من بساط
احسان الله لم يصمت اذا اساء كما ابان ذلك بقوله من عبر من بساط احسانه اصمتته الاساءة ومن
عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت اذا اساء قلت اهل التعبير هم اهل التذكير الذين
يذكرون عباد الله ويعبرون عما فهمهم الله به من العلوم والمواهب والفتوحات على قسمين علماء وعارفون
او تقول اهل الحجاب واهل الفتح فاهل الحجاب يعبرون من بساط احسان انفسهم فيقولون فعلنا كذا ورأينا
كذا وفتح علينا في كذا او فعلوا ايها الناس كذا واتركوا كذا فاذا وقعوا في زلة او هفوة سكتوا حياء من
الله وخوفا ان يامروا بما لم يفعلوا لانهم واقفون مع نفوسهم محجوبون عن ربهم فاذا فعلوا طاعة
فرحوا بها واعتمدوا عليها واذا فعلوا زلة حزنوا وجزعوا وسقط في ايديهم فلا يعبرون الا من بساط
احسان نفوسهم فصمتتهم الاساءة واهل الفتح من العارفين يعبرون من بساط احسان الحق غائبين
عن شهود الخلق فانون عن انفسهم باقون بربهم فهؤلاء اذا عبروا عما منحهم الله من المعارف
والاسرار والعلوم والانوار والكرامات والفتوحات والمواهب ذكروا فامروا ونهوا دام تعبيرهم

ونفع تذكيرهم فإذا أساءوا لم تصحبهم إساءتهم لا رؤية إساءتهم من أنفسهم ورؤيتهم من بساط إحسان
الله إليهم وإحسانه لا يكدره شيء وقولنا من أنفسهم أعني أدبا فقط إذ هم لا يشهدون إلا تصريف الحق
فيهم فلذلك لم تصحبهم إساءتهم لأنهم مغموسون في بحر المنة لا يشهدون في الكون سواه وأيضا من غيبه
من بساط نفسه نادته مساويه أسكت أمانة كي فعلك القبيح ووصفك الذميم فيسكت خجلا ومن غيبه من بساط
إحسان الله غابت عنه مساويه لغيبته في محاسن مولاه فلا يشهد إلا إياه فإذا أراد أن يعبر سبق نوره من فيه
إلى قلوب عباده فيسري فيهم التعبير ويأخذ بقلوبهم التذكير كما أبان ذلك بقوله تسبق أنوار الحكماء
أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير قلت الحكماء هم العارفون بالله الذين يتكلمون بالله ويسكتون
بالله غائبين عن أنفسهم يشهدون ما من الله إلى الله فإذا أرادوا أن يعبروا عما فهموا من مولاهم من العلوم
والمعارف سبق نور شهودهم إلى القلوب المستمعة فتنصبغ فيهم على قدر صدقهم فمنهم من يدخل النور
سويداء قلبه ومنهم من يقف النور على ظاهر قلبه ومنهم من يشرق النور على طرف قلبه فإذا عبر العارف عن
المقامات والأحوال وصل التعبير على قدر سريان النور فمن وصل النور إلى سويداء قلبه نهض من ساعته إلى
ربه ومن وصل إلى ظاهره قلبه خشع وخضع وعزم على البر والتقوى ومن وصل إلى طرف قلبه عرف الحق وصدق وحبب
ما صار التنوير وصل التعبير وقولنا في تفسير الحكماء هم العارفون مأخذه من قوله عليه السلام رأس الحكمة
مخافة الله وأعرف الناس بالله أشدهم له خشية وفيهم قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء
وسئل مالك عن الحكمة فقال ما زهد عبد واتقى إلا أنطقه الله بالحكمة ثم قال من أراد أن يفتح الله عين قلبه
فليكن عمله في السر أكثر من عمله في العلانية لأن عمل السر منبع الإخلاص والإخلاص منبع الحكمة وسئل مرة
أخرى عن الحكمة أيضا فقال نور يقذفه الله في قلب العبد المؤمن من معرفة الملك هـ وأهل التنوير هم الحكماء
وهم العارفون بالله ولله در القائل في وصفهم حيث قال هم يشرقون ليبتون الأبصار بهم تنسي سوس
معرمة أبناء أبصار لا ينطقون بغير الحق إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا بإكثار من تلق منهم تقول
هذا سيدهم مثل النجوم التي يهدي بها الساري وقولنا في وصفهم يشهدون ما من الله إلى الله
يعني أنهم غائبون عن أنفسهم لا يرون إلا تصريف الحق ومظاهر أنواره قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه
الناس ثلاثة عبد يشهد ما منه إلى الله وعبد يشهد ما من الله إليه وعبد يشهد ما من الله إلى الله الأول
في حزن وأشجان والثاني في فرح وامتنان والثالث لم يشغله عن الله خوف نار ولا شوق جنان الأول
في نقمة وتكليف والثاني في عناية وتعريف والثالث مشاهد للعلي اللطيف ثم قال وقليل العمل مع

شهود

شهود المنة خير من كثيره مع رؤية التقصير من النفس هـ مختصرا ثم ذكر علامة التعبير الذي يسبقه التنوير والذي
يسبقه التكدير فقال كل كلام يبرز وعليه كسوة من القلب الذي برز منه قلت علامة الكلام الذي يسبقه
التنوير هو تأثيره في القلوب وتهييجه الأرواح وتشويقه الأسرار فإذا سمعه الغافل تنبه وإذا سمعه العاصي
انزجر وإذا سمعه الطائع زاد نشاطه وعظم شوقه وإذا سمعه السائر طوى عنه تعب سيره وإذا سمعه
الواصل تمكن من حاله فالكلام صفة المتكلم فإذا كان المتكلم في التنوير وقع في قلوب السامعين وإذا كان في
تكدير مج كلامه آذان المستمعين فكل كلام يبرز وعليه كسوة من القلب الذي برز منه ولذلك قال
سيدنا علي كرم الله وجهه من تكلم عن فنائه من ساعته ومن لم يتكلم عن فنائه مر بوجهه وقيل الناس حوانيت
مغلقة فإذا تكلموا عرف ما في حوانيتهم فيتبين البيطار من العطار وقالوا أيضا الكلام إذا خرج من القلب وقع
في القلب وإذا خرج من اللسان حده الآذان وانتهى الحال الذي من المقال وإذا اجتمع الحال والمقال فهو أبلغ للكلام
وأتم ائتلاف للكلام وقال بعض العارفين من كان قلبه روحانيا كان كلامه معنويا ينزل من القلوب في أوسع
ساحاتها ومن كان قلبه نفسانيا كان كلامه حسيا يعني لا يتكلم إلا في الحس ولا يخوض إلا فيه ومن طمس الله
قلبه بحب الدنيا فلا يسمع ولا يستمع وقد يكون من الناس من هو عالم الظاهر جاهل القلب وعلامته في جميع
حديث الدنيا على حديث الآخرة أو حديث الحس على حديث المعنى ومثل هذا الحذر كل الحذر فقلبه ميتة
وكلامه كله على الميتة والميتة هي الجيفة قال صلى الله عليه وسلم الدنيا جيفة وطلابها كلاب فمن تكلم
على الدنيا فمثله مثل الكلب ولا خير في كلب ولو كان عالما قاله الششتري ثم إن هذه الكسوة التي تبرز على الكلام
إنما هي من نتائج الإذن من الله فيه وأما إذا لم يكن فيه إذن فلا كسوة عليه كما أبان ذلك بقوله من أذن له
في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت إليهم إشارته قلت الإذن في التعبير إنما
يكون على يد الشيخ الكامل العارف الذي أهله الله للتربية ونصبه للتوصيل والترقية فإذا رأى على المريد
أهلية التذكير أذن له في التعبير فإذا عبر أخذ بمجامع القلوب وفاض من لسانه أسرار علم الغيوب فتخلص
في مسامع الخلق عبارته وتجلى لهم إشارته أي تتضح وتفهم ولا عبرة عند المحققين بلحن الكلام وإعرابه
ولا قطعه ووصله ونصبه من صوابه وإنما العبرة بالمعاني دون القوالب والأواني يحكى أن بعض النحويين
دخل مجلس الحسن بن سمعون ليسمع كلامه فوجده يلحن فانصرف ذاما له فبلغ ذلك الحسن فكتب له
إنك من كثرة الإعجاب رضيت بالوقوف دون الباب فاعتمدت على ضبط أقوالك مع لحن أفعالك وإنك في
نفسك بين رفع وخفض ونصب وجزم فانقطعت عن المقصود هلا رفعت إلى الله جميع الحاجات وخفضت

كل المنكرات وجزمته عن الشهوات ونصبت بين عينيك العمات والله يدا في ما يغال للعبد لم لم تكن معربا وانما يغال له لم كنت مذنبا ليس المراد فصاحة المغال وانما المراد فصاحة الفعال ولو كان الفضل في فصاحة المقال لكان سيدنا هارون اولى بالرسالة من سيدنا موسى حيث يقول واخي هارون هو افصح مني لسانا هـ ومما ينسب للخليل رحمه الله وسيبويه لسان فصيح معرب في كلامه فليته من وقفة العرض يسلم وما ينفع اعراب من يخشى تقى وما ضر ذا تقوى لسان معجم هـ وقال آخر مثري بالفعال ذو زلل وان تكلم في جد الله وزنه هـ قال وقد كتبت لفظه فيها وعجبا اخطاما لحنه وانما اخطا من قاع عندا وليس في كتابه حسنة

وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول اذا ذكر من تقدم له في العربية يقول له انت ازى شيئا من عربيتك وانا انتهى شيئا من جلبيتي يعني اللغة الجلبية وتلتفوا اللغربي **والحاصل** من اجتمع فيه الحال وفصاحة المقال فهو كمال الكمال وذلك لانه ينتفع بكلامه بغير مونة كالغزالي والششتري والشاذلي والمرسي والشيخ رضي الله عنهم وقد عظم النفع بكلامهم واعظمهم رضي الله عنه وقد حاز قصب السبق في التعبير وتحقيقه كتب القوم وقد شهد له شيخه بهذا المعنى فقال والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا الى الله وقال له والله ليكونن لك شان عظيم وقال فيه ايضا حين نسخ له كتاب التهذيب والله لاجعلنك عينا من عيون الله يقتدى بك في علم الظاهر والباطن وقال فيه ايضا والله ما رضي له مجلسه جد لكن في بداية التصوف كان جده فقيها شيخ المدونة اسمه عبد الكريم وكلام الشيخ رضي الله عنه يدل على مقامه وما يخلص التصوف ولا تعذب الا على يديه وقد قرب المدارك في بين المسالك في احسن عبارة واوجز لفظ واشارة فجزاه الله عن المسلمين خيرا **ثم** بين رضي الله عنه الكلام الذي لم يوذن لصاحبه في التعبير عنه فقال **ربما برزت الحقائق مكسوفة الانوار اذا لم يوذن لك فيها بالاظهار** **قلت** قد يتكلم الانسان بحكم وحقائق مع فصاحة وبلاغة وشقاشق ولكنها مكسوفة الانوار مطموسة الاسرار ليس فيها حلاوة ولا عليها طلاوة وسبب ذلك عدم الاذن فيها اذ لو اذن له في التعبير لظهر عليها كسوة التنوير

قال في لطائف المنن اعلم مواهب الله لاوليائه وجود العبارة قال وسمعت شيخنا ابا العباس يقول الولي يكون مشحونا بالمعارف والعلوم والحقائق لديه مشهودة حتى اذا اعطي العبارة كان ذلك كالاذن من الله في الكلام وقال وسمعت ابا العباس يقول كلام الماذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يوذن له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فيقبل من احدهما ويرد على الاخر **قلت** وينبغي لاهل التعبير ان يخاطبوا الناس بقدر ما يفهمون فليس التعبير لاهل البداية كاهل

النهاية

النهاية وفي **الحديث** خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون نعم ان خاف الوقت على الفقير يجمع الكل وتكلم في البدايات والوسط والنهاية وكل واحد ياخذ نصيبه ويشرب من منهله قد علم كل اناس مشربهم وهذه كانت طريقة الجنيد رضي الله عنه يلقي الحقائق على رؤوس الاشهاد فقيل له في ذلك فقال علمنا محجوب ان يأخذه غير اهله او ما هذا معناه ثم عبارتهم بعد الاذن لا تكون الا محكمة بينها الشيخ بقوله فقال **عباراتهم اما لفيضان وجد او لهداية مريد** **قلت** ما اشتملت عليه قلوب العارفين من المعارف واسرار التوحيد وغوامض العلوم التي لا تكيفها اجلى الفهوم هو سر من اسرار الله وهم امناء الله عليها فلا يطلعون عليها الا من راوه اهلا لها الا من كان مغلوبا على حاله لا يقدر على امساكها فعباراتهم اذا اما لفيضان وجد غلبه فلا يقدر على امساكها او لاجل هداية مريد وارشاده وترقيته الى مقام التحقق والاطلاع عليه والا فلا يظهرون من تلك الاسرار قليلا ولا كثيرا الا من القليل وقد تقدم قول بعضهم قلوب الاحرار قبور الاسرار وقال اخر لا يكتم السر الا كل ذي ثقة فالسر عند خيار الناس مكتوم

ثم بين حال الفريقين ومقام الفريقين فقال **الاول حال السالكين** وهم المستغرقون من السائرين حين غرقوا ولم يتمكنوا فهم مملوكون بيد الاحوال اذا غلب عليهم الوجد فاضوا ولم يشعروا واذا رجعوا الى انفسهم ندموا واستغفروا ثم بين حال الثاني فقال **والثاني حال ارباب المكنة والمحققين** وهم الراسخون المتمكنون فلا يعبرون عن تلك الاسرار الا لاجل هداية المريد يرومون تربية السالكين وترقية السائرين واما غيرها فلا فان عبر عنها السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وان عبر عنها المتمكن من غير قصد هداية كان في ذلك افشاء لاسرار الربوبية وهي عنده من اعز من الكبريت الاحمر وقد كان الحلاج منهم سنين فلا يظهرون له منها قليلا ولا كثيرا حتى اذا اراد اعطى نفسه وفلسه وبذل روحه بالكلية اشاروا اليه اشارة خفية وقد ذكر شيخ شيوخنا سيدي علي في كتابه ان طريقتهم المريد يبرح حتى مع اشياخه الاكابر سنين ثم قالوا له يا سيدي نار دخلت نعوذ بربنا فقال لهم نعم عند الفتوح لدار فلما اتوه خرج لهم حبيلا صغيرا فوجهه اليهم ثم دخل فانتشر هذه الاشارة ما افهمها واخفاها ثم من الله على اهل هذا الزمان برجال كرام من محبتهم بالصدق ومنحوه من الاسرار في قليل من الزمان ما لم يدركه المتقدمون في الازمنة الطويلة جزاهم الله عن الامة المحمدية خيرا **وقد** تكلم الشيخ ابو الحسن على حال السالكين والواصلين بكلام طويل ذكره في لطائف المنن ونقله القشيري فقال ان لله عبادا محق افعالهم بافعاله واوصافهم باوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من اسراره ما يعجز عن سماعه عامة الخلق فهم مغرقون في بحر الذات وتيار الصفات

التيار وسط البحر ومعظمه

١٢٦

بنوا عن اجعالهم ثم بنوا عن صفاتهم ثم بنوا عن ذواتهم وبقوا بذات الله تعالى ولم يبق لهم منهم شيء وما
كان الله ليلقيه يعطي الله خلقه ومن حي بناؤه في بقائه ثم قال واعلم ان الفناء يوجب الغيبة عما سوى الله
قلت وهو مقام السالكين والبقاء يوجب ايجاد كل شيء مع الله يعني بالله فصاحب الفناء يقوم الله عنه
وصاحب البقاء يقوم بالله عن الله وهنا ولاية رسول يتولى الله ورسوله والذين امنوا ولي يتولاه الله وهو
وهو يتولى الصالحين **قال** الشيخ ابو الحسن وعلامة الولي الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والفرار الى الله
عند الشدائد والرجوع اليه عند النوائب فمن اعطي هذه الاربعة من خزائن الاعمال والمجاهدة فقد
صحت ولايته لله ولرسوله وللمومنين ومن اعطيها من خزائن المنن والسوابق فقد تمت ولايته الله له
فالولاية الاولى ولاية صغرى والولاية الثانية ولاية كبرى قيل كيف يتولى الله ورسوله والذين امنوا
قال يتولى الله بالمجاهدة لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويتولى الرسول بالمتابعة
قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله من يطع الرسول فقد اطاع الله ويتولى المومنين بالاقتداء
بهم وهي علامات من خاف في الولاية واما الذين تولاهم الله فهم الذين محوا الحضرته وغابوا عن خليقته
فلا يرون في الوجود الا الله الاولى تسمى ولاية ايمان وهذه ولاية ايقان فقيل له وما الفرق بين الايمان والايقان
قال الكل يقين ايقان وليس كل ايمان يقين فالايمان ربما تخلله الغفلة والايقان لا تتخلله الغفلة المومن
يتجلى له الحق دون كل شيء والموقن يتجلى له الحق في كل شيء المومن فان عن كل شيء فلم يشهد مع الله
شيئا والموقن باق في كل شيء فهو يشهد الله في كل شيء ه **ثم بين** المولف رضي الله عنه فائدة التعبير وثمرة
العبارة فقال **العبارة قوت لعائلة قلوب المستمعين وليس لك منها الا ما انت له اكل قلت**
العائل هو الفقير والعائلة جمع له فعبارة العارفين قوت لقلوب الفقراء الطالبين لزيادة ايقان قلوبهم
ومشاهدة محبوبهم فلا يزالون في حضانة الشيوخ وغيا لهم حتى يكمل ايقانهم وترشد احوالهم فهم
حينئذ يستقلون بانفسهم وعلامة رشدهم انهم يأخذون النصيب من كل شيء ولا ينقص من حالهم شيء
يفهمون عن الله في كل شيء ويعرفون في كل شيء ويشربون من كل شيء فاذا كانوا كذلك فقد استقلوا بانفسهم
وتاهلوا الارشاد غيرهم **قال** بعض الحكماء مثل الفهوم مثل البلاب ولا تطير الذباب ولا ينبح الكلاب فلبس
من والالباب **واما** من لم يبلغ هذا المقام فلا بد ان يلزم العش في حضانة من يزقه ويطعمه فاذا طار من
العش قبل تربية الجناح اصطادته الكلاب والصبيان ولعبت به النساء والصبيان فاذا كان في عش الشيخ
وكان يطعمه مع غيره فليس له من القوت الا ما يقدر اكله والا قتله فليس طعام الصبي الصغير كطعام

الرجل

الرجل الكبير وكذلك عبارة الشيوخ للمريدين كل واحد يأخذ ما يليق بحاله في الشيوخ في كرون وبالجملة فيه كرون
احوال البدايات والنهايات والوسط وكل واحد يأخذ ما يليق به فقد علم كل اناس مشربهم فلا يتعلق المبتدي بمذاق
المنتهي فيقصمه كما اذا اكل الطفل الصغير طعام الكبير يقف في حلقه واذا اكل الكبير طعام الصغير لا يشبعه هذا
معنى قول الشيخ وليس لك منها الا ما انت له اكل اي ليس لك من قوت العبارة الا ما انت قادر على اكله والغصة
به والله تعالى اعلم **وقد سالني** بعض الاخوان عن قوت الروحانية والبشرية **فقلت** قوت البشرية معلوم
وقوت الروحانية على وزان قوت البشرية في الصبي لا يطيق الطعام الخشن حتى يكبر كذلك الروح تربي شيئا
فشيئا فتطعم اولا ذكر اللسان فقط ثم ذكر القلب مع اللسان ثم ذكر القلب فقط ثم ذكر الروح وهو الفكرة ثم
ذكر السر وهو النظرة ثم تاكل كل شيء وتشرب كل شيء حتى تفنى في الكون باسره فطعامها الفكرة او
النظرة التي هي طعام الرجال او مرة وهي في مقام الاطفال للغفلة وكل حينه فاذا بلغت الروح ان تاكل كل شيء
وتشرب من كل شيء فقد صح لها ان تكون في الملكوت الاعلى وتذهب حيث تشاء وقد يختلف الشرب لجماعة من
انية واحدة لاختلاف مقاماتهم كقضية الرجال الذين سمعوا قائلا يقول يا سعتر بري **وذلك** ان رجلا
في الصالحين بمكة صاح يا سعتر بري لرجل اخر كان اسمه ذلك فسمعه الثلاثة رجال فكل واحد تعلق بفهم
ما يليق بحاله فسمع احدهم الساعة ترى بري وسمع الاخر اسع ترى بري ومنهم من سمع ما اوسع
بري فالاول كان مستشرفا والثاني مبتدئا والثالث كان واصلا وكذلك قضية ابن الجوزي وكان يفتي ببغداد
اثني عشر علما فخرج يوما لبعض شؤونه فسمع قائلا يقول ه اذا العشرون من شعبان ولت ه فواصل
شرب ليلك بالنهار ه ولا تشرب باقداح صغار ه فقد ضاق الزمان على الصغار ه فخرج هائما
على وجهه الى مكة فلم يزل يعبد الله بها حتى مات رحمه الله فيفهم من الشاعر انصراف العمر وضيق زمان
الدنيا كله **قال في لطائف المنن** واعلم ان هذه الفهومات المعنوية الخارجة عن الفهم الظاهر
ليست باحالة اللفظ عن مفهومه بل هو فهم زائد على الفهم العام يفتحه الله لهذه الطائفة من ارباب
القلوب وهو من باطن الحكم المندرج في ظاهره اندراج النبات في الحبة وذلك ان العدد النوراني والفتح
الرباني يتصل بعضه ببعض الى الطرف الظاهر بحيث انتهت القوة انتهى الادراك فيما فهموا ما يوافق
ظاهر المعنى الباطنية وربما خالفه من جهة ما وربما كان الفهم بعكس ظاهره وقد كان الشيخ مكين الدين
الاسمر رضي الله عنه ممن يشهد له الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه بالولاية الكبرى والمكاشفة العظمى
فانتهى انسان في مجلسه ه لو كان لي مسعد بالنوح يسعدني ه لما انتهيت بشرب النوح ابكاره

بأنواع أفعال الهوى ثم بأنواع صفاتهم ثم بأنواع ذواتهم وبفوايد آيات الله تعالى ولم يروا هم منهم شيء وما
كان في الله تلفه فعلى الله خلفه ومن في فنائه في بقائه ثم قال واعلم أن الفناء يوجب الغيبة عما سوى الله
قلت وهو مقام السالكين والبقاء يوجب إيجاد كل شيء مع الله يعني بالله فصاحب الفناء يقوم الله عنه
وصاحب البقاء يقوم بالله عن الله وهما ولايتان فمولى يتولى الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتولاه الله وهو
وهو يتولى الصالحين قال الشيخ أبو الحسن وعلامة الولي الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والفرار إلى الله
عند الشدائد والرجوع إليه عند النوائب فمن أعطي هذه الأربعة من خزائن الأعمال والمجاهدة فقد
صحت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين ومن أعطيها من خزائن المنن والمواهدة فقد تمت ولاية الله له
فالولاية الأولى ولاية صغرى والولاية الثانية ولاية كبرى قيل كيف يتولى الله ورسوله والذين آمنوا
قال يتولى الله بالمجاهدة لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويتولى الرسول بالمتابعة
قال إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله من يطع الرسول فقد أطاع الله ويتولى المؤمنين بالاقتداء
بهم وهي علامات من خارج الولاية وأما الذين تولاهم الله فهم الذين صحوا الحضرة وغابوا عن خليقته
فلا يرون في الوجود إلا الله الأولى تسمى ولاية إيمان وهذه ولاية إيقان فقيل له وما الفرق بين الإيمان والإيقان
فالكل يقين إيمان وليس كل إيمان يقين فالإيمان ربما تخلله الغفلة والإيقان لا تتخلله الغفلة المؤمن
يتجلى له الحق دون كل شيء والموقن يتجلى له الحق في كل شيء المؤمن فان عن كل شيء فلم يشهد مع الله
شيئا والموقن باق في كل شيء فهو يشهد الله في كل شيء هـ ثم بين المؤلف رضي الله عنه فائدة التعبير وثمرة
العبارة فقال العبارة قوت لعائلة قلوب المستمعين وليس لك منها إلا ما أنت له آكل قلت
العائل هو الفقير والعائلة جمع له فعبارة العارفين قوت لقلوب الفقراء الطالبين لزيادة أنوار قلوبهم
ومشاهدة محبوبهم فلا يزالون في حضانة الشيوخ وعيال الهوى حتى يكمل إيقانهم وترشد أحوالهم ف
حينئذ يستقلون بأنفسهم وعلامة رشدهم أنهم يأخذون النصيب من كل شيء ولا ينقص من حالهم شيء
يفهمون عن الله في كل شيء ويرجعون في كل شيء ويشربون من كل شيء فإذا كانوا كذلك فقد استقلوا بأنفسهم
وتأهلوا لإرشاد غيرهم قال بعض الحكماء مثل بعضهم صبي في الباب ولا يطير الذباب ولا ينبح الكلاب فليس
منه والألباب وأما من لم يبلغ هذا المقام فلا بد أن يلزم العش في حضانة من يزقه ويطعمه فإذا طار من
العش قبل تربية الجناح اصطادته الكلاب والصبيان ولعبت به النساء والصبيان فإذا كان في عش الشيخ
وكان يطعمه مع غيره فليس له من القوت إلا ما يقدر أن يأكله والأقل فليس طعام الصبي الصغير كطعام

الرجل

١٢٧

الرجل الكبير وكذلك عبارة الشيوخ للمريدين كل واحد يأخذ ما يليق بحاله فالشيوخ يذكرون في الجملة فيذكرون
أحوال البدايات والنهايات والوسط وكل واحد يأخذ ما يليق به فقد علم كل أناس مشربهم فلا يتعلق المبتدي بمذاكرة
المنتهي فيفسد كما إذا أكل الطفل الصغير طعام الكبير يقف في حلقه وإذا أكل الكبير طعام الصغير لا يشبعه هذا
معنى قول الشيخ وليس لك منها إلا ما أنت له آكل أي ليس لك من قوت العبارة إلا ما أنت قادر على أكله والاغتذاء
به والله تعالى أعلم وقد سأل النبي بعض الإخوان عن قوت الروحانية والبشرية فقلت قوت البشرية معلوم
وقوت الروحانية على وزان قوت البشرية فالصبي لا يطيق الطعام الخشن حتى يكبر كذلك الروح تربى شيئا
فشيئا فتطعم أولا ذكر اللسان فقط ثم ذكر القلب مع اللسان ثم ذكر القلب فقط ثم ذكر الروح وهو الفكرة ثم
ذكر السر وهو النظرة ثم تأكل كل شيء وتشرب كل شيء حتى تشرب الكون بأسره فلو أعطيتها الفكرة أو
النظرة التي هي طعام الرجال أو مرة وهي في مقام الأطفال للفظته وطرحته فإذا بلغت الروح أن تأكل كل شيء
وتشرب من كل شيء فقد صح لها أن تهيم في الملكوت الأعلى وتذهب حيث شاءت وقد يختلف الشرب لجماعة من
في آنية واحدة لاختلاف مقامهم كقضية الرجال الذين سمعوا قائلا يقول يا سعتري بري وذلك أن رجلا
في الصبابة بمكة صاح يا سعتر بري لرجل أخي كان اسمه ذلك فسمعه الثلاثة رجال فكل واحد تعلق في فهم
ما يليق بحاله فسمع أحدهم الساعة ترى بري وسمع الآخر اسع ترى بري ومنهم من سمع ما أوسع
بري فالأول كان مستشرفا والثاني مبتديا والثالث كان واصلا وكذلك قضية ابن الجوزي وكان يعظ ببغداد
اثنا عشر علما فخرج يوما لبعض شؤونه فسمع قائلا يقول إذا العشرون من شعبان ولت فواصل
شرب ليلك بالنهار ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان على الصغار فخرج هائما
على وجهه إلى مكة فلم يزل يعبد الله بها حتى مات رحمه الله ففهم من الشاعر انصراف العمر وضيق زمان
الدنيا لله قال في لطائف المنن واعلم أن هذه الفهومات المعنوية الخارجة عن الفهم الظاهر
ليست بإحالة اللفظ عن مفهومه بل هو فهم زائد على الفهم العام يفتحه الله لهذه الطائفة من أرباب
القلوب وهو من باطن الحكم المندرج في ظاهره اندراج النبات في الحبة وذلك أن المدد النوراني والفتح
الرباني يتصل بعضه ببعض إلى الطرف الظاهر بحيث انتهت القوة انتهى الإدراك في ما فهموا ما يوافق
ظاهر المعنى الباطنية وربما خالفه من جهة ما وربما كان الفهم بعكس ظاهره وقد كان الشيخ مكين الدين
الأسمر رضي الله عنه ممن يشهد له الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه بالولاية الكبرى والمكاشفة العظمى
فاتفق أن إنسانا في مجلسه لو كان يقصد بالراح يسعده لما انقضت بشرب الراح أوطاره

هـ والى الحق تشرب ان شاربه هـ واشرب ولو صفتك الراح او زارها هـ يلام بلوم على صهباء صافية هـ حتى
الجنا يوحد عن اسكر النار امها هـ فقال بعض فقهاء الظاهر لا يجوز في هذه الابيات فقال الشيخ مكير الدين رجل
ودعه فانه رجل محجوب بجهله انه لا يفهم الا الشراب الحسي دون المعنوي وهو جحود والله تعالى اعلم ثم ان العبارة
ما تدل على حال العجز وقد يكون جوف ما يقول وقد يكون دون ما يقول كما اشار الى بيان ذلك بقوله ربما عبر عن
المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة قلت العبارة
لا تدل على نهاية العجز ولا وصوله الى ما عبر عنه وقد يعبر عن المقام من لم يصل اليه ولا كان استشرف عليه وقد
يعبر عنه من وصل اليه وربما عبر عن المقام وقدمه فوق ما عبر عنه وذلك ملتبس اذ لا يعرف المستشرف من
الواصل الا ذو بصيرة نافذة يعني من فتح عليه في المعرفة فكل من فتح عليه في معرفة الله ورفع عنه الحجاب عرف
كلام الواصل من المستشرف فليس من دخل البلد ووصف ما فيها كمن استشرف عليها ولم يدخلها ثم
جعل ينعتها قال بعضهم وقد يعرف المستشرف بطول التعبير والواصل بالاختصار فيجد المستشرف يطول
العبارة ويكررها والواصل اول مرة يذكرها وقد قالوا العارف بالقرب لا يبتغي الهين والعارف بالبعد لا يبتغي
الحق قلت وهذه القاعدة ليست كلية اذ كثير من العارفين الواصلين تطول عبارتهم وهم من المستشرفين
من تقصر عبارتهم لمعنى فتهم معاصل الخطاب قال المولف رضي الله عنه الاستشراف والوصول ليس الا من اراتب
التوجه للتحقق بالعجز فمن وصل لمعرفة العجز عن الوصول فهو الواصل لان العجز لا يكون الا بعد الاتصاف به حقيقة
لا مجازا وكان الجاهل عجزه حالة فهو والعارف عجزه جلاله رحمانه قلت المراد بالعجز في حقه الحيرة والدهش
او لا ثم العجز عن الاحاطة والكنه ثانيا ثم قال يشهد لذلك ان الجاهل متى تحرك وقعه الحظوظ والعارف
ما يتحرك الا بالحقوق والجاهل نصيبه الوهم والعارف نصيبه الفهم الجاهل طالب العلم والعارف طالب المعلوم
الجاهل تابع بنفسه للصور الحسية والعارف غائص ببصيرته مع الارواح المعنوية وجميع المراتب والمقامات
مراحل بين الحس والمعنى والانتقال من الهياكل الجسمية للعوالم القلبية ثم من العوالم القلبية للحقائق
الروحانية ثم من الحقائق الروحانية الى الاسرار الربانية ثم من الاسرار الربانية الى المعارف التوحيدية ثم
لا ينبغي للسالك ان يعبر عن هذه الاسرار اذا واجهته في طريق السلوك كما ابان ذلك بقوله لا ينبغي للسالك
ان يعبر عن وارداته فان ذلك مما يقل عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق فيها مع ربه قلت المريد
في حال سيره مامور بالكتمان لعلمه وعمله وحاله وارداته فلا يفشيه لاحد من غير اهله الا لشيخه او اخوانه الاحوال
من قبله صدقه مع ربه وايضا الاحوال تأتي من حضرة قهار فتزعج القلوب خوفا او تقلقها شوقا فاذا افشى ذلك

كان تبريدها والعمل النورها ثم غلت قدرته وصب فيها الماء البارد فيصول عليه غليانها انها تبلو لو فلا نارها
وحركها الاستعداد ادامها كذلك الوارد ان الالهية تفجأ القلوب لتحركها الى النهوض الى مولاها فاذا افشاها وذكرها
للناس قل عملها في قلبه ورجع عدم صدقه فيها مع ربه قلت ومن ذلك استعمال الاحوال التي تميت
النفوس لا ينبغي افشاؤها للنفس حظ في ذلك لانها مجبولة على حب المدح والذكر الحسن ولوم الاخوان
وكثيرا ما نرى بعض الفقراء يذكرونها ويتبجحون بها وهو غير صواب نعم اذا كان يقتدى به فيبينها لاهل الاقتداء او د
لانهاض الفقراء فذلك حسن مع نية حسنة وكثيرا ما تستعمل هذه الاحوال في حال السؤال فلذلك ذكره
باثره او تقول لما كان التعبير عن الواردات الالاهية مما يوجب الاقبال والتعظيم فيؤدي ذلك الى العطاء
فيحتاج الى آداب القبض بين ذلك بقوله لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلائق الا ان ترى ان المعطي فيهم مولاك
وان كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم قلت مد اليد الى الاخذ من الخلق على قسمين اما ان يكون من غير سؤال
او بعد السؤال ولكل واحد منهما احكام اما الاخذ من غير سؤال فيشترط فيه امران احدهما علمي والاخر صوفي
اما العلمي فلا ياخذ ممن كسبه حرام ولا مختلطا ولا محجور عليه كالصبي والمجنون والعبد واما الصوفي فلا يقبض حتى
يرى ممن يقبض عليه حظ الاعيان اتسعت معرفته وتحقق فناؤه بحيث لم يبق له نظر للواسطة اصلا ومما يسلم
له القبض مطلقا لانه يقبض من الله ويدفع بالله والكامل هو الجامع بين الحقيقة والشريعة وقد كان كثير
من الصوفية المحققين يقبضون جوائز السلطان ثم يدفعونها على ايديهم واما القبض بعد السؤال فالكلام
عليه من وجهين الاول في جواز السؤال ومنعه والثاني فيما يقبضه بعد اخذه اما حكم السؤال فاصله الجواز
قال الله تعالى واما السائل فلا تنهر فلو كان ممنوعا لما نهى الله عن نهره ثم تعتريه الاحكام الخمسة فيكون
واجبا ومندوبا ومباحا ومكروها وحراما فاما الواجب فهو ما يكون لسد الرمق بحيث اذا ترك السؤال مات
فهذا واجب عليه فلو تركه حتى مات مات عاصيا لان الشارع حث على صون حياة البشرية الحسية وجهة
الصوفية ايضا عن خاف على صون حياة الروحانية بحيث تمنعه الرياسة من حط راسه وذبح نفسه
فقد نص القسطلاني في شرح البخاري عن ابن العربي المعافري انه قال هو واجب على المريد في البداية متحصل
انه واجب حيث يخاف على صون حياة البشرية او الروحانية والى اصلاح الثاني اشار ابن البنا بقوله هـ
هـ وما على السائل من تاويل هـ لاجل قهر النفس والتذليل هـ فهي من الاذواق والاحوال هـ من كان داخل
النفس بالسؤال هـ قالوا ولا خير اذا في العبد هـ ما لم يكن فيه ذاق طعم الرد هـ وبالجملة فهو في رياضة
النفس واجب او مندوب وكان ابراهيم الخواص تعرض عليه الالوف فلا يقبلها وربما سال من يعرف

من الناس الدرهم والدرهمين لا يزيد على ذلك واما المندوب فهو ان يسأل لغيره فهو من المتعاونين على البر فيسأل
الطعام لمن يعجز من يعطيه او يسأل اللباس او غير ذلك وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين قدموا عليه من انه
ويدخل في المندوب ما كان من باب النفوس حيث لم يجب عليها كما تقدم واما المكروه فهو ان يسأل لقوت البشرية
مع القدرة على الاستغناء عنه بتسبب من الاسباب وهذا ما لم ينقطع للعبادة ويتجرد الى الذكر واما المنقطع الى الله
فلا بأس به وقد فعله كثير من العارفين المحققين وقد كان ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد يسأل بابا او بابين
او ثلاثة بين العشاءين وكانت العامة تتعجب منه الى ان عرف بذلك فكان لا يعيبه عليه العامة ولا الخاصة مع جلالة
قدره وعلو معرفته وكان الشيخ ابو سعيد الخراز اذا اشتدت به الفاقة يمد يده ويقول من عنده شيء لله
وكان ابراهيم بن ادهم معتكفا بجامع البصرة ولا يطعم الا من ثلاث الى ثلاث ليال يخرج بعد صلاة المغرب
يطلب على الابواب وكان سفيان الثوري رضي الله عنه يسأل الطعام لله فان فتح بكثير اخذ كفايته وترك
الاخوانه الرجال على هذه الحالة فضعوا الدنيا الفانية لتأثيرهم الاخرى الباقية وكذلك لا يقدح في شيء يحجة
ولا حقيقة ولا يحجب نور المعرفة وقد اشار ابن البنا الى هذه الخمسة اعني المندوب والمكروه فقال * *
* وكل هو سؤاله لنفسه * ثم اباحوه لاجل جنسه * ولم يعد وكم من السؤال * لاكرمن العون على الاعمال *
* اذا اتى خير الخلق ازاية * يسأل احيانا الى اصحابه * واما المباح فهو ان يسأل لحاجته الغير
الضرورية كسؤاله لقضاء دينه او ما يزيد على ستر عورته وسد رمقه او غير ذلك مما ليس بضروري لكنه حاجي
او محتاج اليه واما المحرم فهو ان يسأل تكثرا او زيادة على ما يكفيه وفي الحديث من اراد ان يعرف رحمها بالسؤال
عليه حرام وفيه ورد الحديث انه يبعث يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم ومن المحرم ايضا ما فيه الحاح
واضرار بالمسؤول فان الفقراء لا يسألون الناس الحافا قلت ——— واما ما كان يفعله بعض اصحابنا من
صورة الالحاح فانما قصدهم بذلك قتل نفوسهم بما يسمعون من المسؤول فانهم لا يفعلونه
الا مع من يعرف عنده الانكار فيستخرج منه الجلال اختبارا لانفسهم وقد يقصدون بذلك تحقيق الاخلاص
وستر الحال فيظهرون بالرغبة وهم من ازهد الناس تحقيقا للاخلاص بعلم الله وما كان ذلك الا حال قوتهم
وجذبهم فالسكر غالب عليهم هذا ما حققته منهم وقد انقطع ذلك اليوم فما بقي الا المطلوا اهل السلوك
وينبغي ان يكون حال السؤال يده ممتدة الى الخلق وقلبه معلق بالحق فان في المباحث * وفي اداب
الصوفي عند المسألة * ان يدخل السوق اليه يسأله * لسانه يشير نحو الخلق * وقلبه معلق بالحق *
وقد ذكر ابن ليون التجيبي السؤال في بيت الله وذكر مسألة الزنبيل وكيفيته ان يتوضأ ويصلي ركعتين

ويأخذ

ويأخذ الزنبيل بعينه وعلى يده اليمنى ويخرج الى السوق ومعه رجل آخر يذكر الله ويذكر الناس والناس يعطونه
في ذلك الزنبيل حتى يجمع ما تيسر من الطعام ويصبه بين الفقراء فيأكلون طعاما حلالا لا تكلف ولا كلفة هذا
ما تيسر لنا في حكم السؤال والذي يظهر لنا ان تركه اليوم احسن من استعماله اذ زالت هيبته وصار حرفة من
الحرف فصارت تبصر كثير من الفقراء تتكلس اليه وما ذلك الا لما فيه من الحكمة عندها والله تعالى اعلم واما من
يأخذ من السؤال فان كان فقيرا اليه اخذه وان كان غنيا عنه تصدق به خفية بالارامل وكان شيخ شيخنا
رضي الله عنه يقول كان قصدنا من السؤال قوت الارواح فلما خرج عنه قوت الاشباح تبارك الله يعني
فيأخذه من اضطر اليه وبالله التوفيق وهذه الحكمة التي ذكر هذا الشيخ هي من اعظم المهمات التي يحتاج
اليها اهل التجريد وليس مقصوده الكلام على السؤال فقط انما مقصوده الدلالة على التحقق بصفة اليقين وعدم
التشوف الى المخلوقين فلا يعلق قلبه بالمخلوق فان تشوف اليه فينبغي ان لا يقبض ما يعطيه ولا يمد يده
الى الاخذ منه حتى يرى ان المعطي هو الله ويكون ذلك ذوقا وحالا قلت هذا الشرط انما هو فيما يأخذه
بغير سؤال واما في حال السؤال فلا يشترط بل يكون علما ومجاهدة حتى يصير حالا وذوقا واما ما يأخذه
بغير سؤال فلا بد من هذه المعرفة وقال شيخ شيخنا رضي الله عنه لا تشترط في هذه المعرفة بل يكفي
العلم فيهما وهو الاصح ما لم تتشوف نفسه الى الخلق فان تشوفت فليكف عن القبض من الخلق وليكتف
بضمان الملك الحق قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها قيل لبعضهم كيف خرجت من الدنيا
بعد ان كانت في يدك قال نظرت منصفا لنفسي في معنى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فرأيت
جميع الخلق من البعوضة الى الفيل تكفل الله لهم بالرزق ففوضت امري اليه واشتغلت بالعبادة وقال
عيسى عليه السلام لا تهتموا بالرزق فان الذرة على صغرها تؤتى كل يوم برزقها الحديث وقال ايضا عليه
السلام عجبت لمن يعمل للدنيا وهو يرزق فيها بلا عمل ولا يعمل للآخرة وهو لا يرزق فيها الا بالعمل وقال
صلى الله عليه وسلم من كان همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ومن كان همه الدنيا
جعل الله فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له وان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه اجله
وكان يحيى بن معاذ يقسم انه لا تسكن الحكمة قلبا فيه ثلاث خصال هم الرزق وحسد الخلق وحب
الجاه وكان حبيب العجمي يخدم الحسن البصري فصنع حبيب طعاما لافطارهما واذا بسائل
فاعطاه جميعه فقال الحسن يا حبيب انك كثير اليقين قليل العلم فهلا اعطيته النصف وتقوت بالنصف
فقال يا سيدي تراه يدي وانا استعجل اليه فلما جاء الليل واذا بقارع على الباب فخرج حبيب فوجد عبدا معه

طعام كثير والشتاء ينزل والغلام يبكي فقال له ما هذا فقال الطعام قال له سبحان الله قبله منك الحسن البصري ولو انت
حي لوجه الله وقد طال على الرق فقال حبيب لا اله الا الله عتق وقبة والطعام جائع ثم دخل به على الحسن فقال يا ابا سعيد
انك كثير العلم قليل اليقين فقال يا حبيب تقدمنا ... وقال بعض الاغنياء كنت نائما واذا بانسان
قد وقع على في عالم النوم وزجرني وقال لي اخرج الدرهم فانتبهت وانا مذعور ولم ادر ما اصنع فلما وقع الله في قلبي
ان اخذت منه خمسمائة دينار وركبت دابتي وانطلقت زمانا حتى خرجت من العمران الى مسجد خرب ووقفت بقرب
ودخلت المسجد فوجدت مسكينا وهو يتضرع الى الله ويسأله من فضله فسألته عن حاله فقال انا صاحب عيال ولي
بنيات منذ ثلاث ما طعموا فانا اسأل الله من فضله فدفعت له المائة وقلت له اذا نفدت فسل عني فانا فلان وابنتي
فقال لا والله ما اسأل غير الله ثم انصرفت وانا متعجب من ثقته بالله تعالى وهذه حكايات جنود من جنود الله تقوي
اليقين وتوجب الثقة برب العالمين فينبغي للعبد من الله ان يرجع حاجته اليه فاولى ان يرجعها الى غيره كما يشير لذلك
بقوله ربما استحيا العارف ان يرفع حاجته الى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحيي ان يرفعها الى خليقته
قلت العارف هو الذي بلغ من التقرب والقرب حتى امحى عن نفسه بالكلية وزالت عنه الانوية والغيرية فحيث
لم يبق له عن نفسه اختيار ولا مع غير مولاه قرار فاذا اراد ان يسأل عبودية استحيا من مولاه ان يثبت معه سواه
اكتفاء بمشيئته وتحقيقا لاحديته فاذا كان يستحيي من مولاه ان يرفع حوائجه اليه فكيف لا يستحيي منه ان
يرفعها الى غيره فلا يرجع الى الحق سبحانه فيعطيه افضل ما يعطي السائلين ويبوئه في مقعد صدق مع النبيين
والصديقين وقد تقدم الحديث من شغله ذكري ... وقال سهل بن عبد الله ما من وقت الا والله تعالى
مطلع فيه على قلوب عباده فاي قلب رأى فيه حاجة الى سواه سلط عليه الشيطان وحجبه عنه هـ وقيل للواسطي
لم لا تسأل الله شيئا فقال اخشى ان يقال لي ان سألتنا الذي لك عندنا فقد اتهمتنا وان سألتنا ما ليس لك
عندنا فقد اسأت الادب معنا وان سلمت الامر لنا ونحن نجري لك اجرينا لك الامور على مقتضى الموافقة
هذا آخر الباب الموفي عشرين وحاصله الكلام على الكرامات وما ينشأ عنها من العبادات اعظم الكرامات
الحقيقية هي الاستقامة على العبودية ومشاهدة انوار الربوبية فاذا اختفى ذلك في الولي فلا عبرة بالحكم
وادلة التعبير فجيئية فربما يقبل عليه الخلق بالعطاء فاذا عرف فيهم مولاه هو حال الاخذ من ايديهم
والاجلاء واما السؤال فمنهم لقوة البشرية فلا يتصور من العارف استحياء من الله واكتفاء بعلمه ومشيئته
هذا مقام الواصلين واما السائرون فهم عاملون على مجاهدة نفوسهم فان ثقل عليها السؤال قدموها
اليه وان ثقل عليها الفاقة والصبر والاكتفاء بالمشيئة والعلم قدموه كما يشير لذلك الشيخ رضي الله عنه

باولى

في اول الباب الحادي والعشرين بقوله وقال رضي الله عنه اذا التبس عليك امران فانظر اثقلهما على النفس
فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا قلت هذا ميزان صحيح في حق السائرين المشتغلين بالجهاد الاكبر
قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل ما يثقل على النفس المريد
وتنفر منه فهو حق فالواجب على المريد اتباعه وكل ما يخف عليها فهو باطل وفيه حظها فالواجب عليه
اجتنابه وهذا الامر يختلف اختلافا كثيرا فرب نفس يثقل عليها غير ما يثقل على الاخرى فبعضها يثقل عليها
الصمت وبعضها يثقل عليها الكلام كما اذا تربى في الصمت وبعضها يثقل عليها العزلة وبعضها يثقل
عليها الخلطة وبعضها يثقل عليها الصيام وبعضها الفطر وبعضها يثقل عليها السؤال وتموت منه
في ساعة واحدة وبعضها يخف عليها كما اذا تعودته قبل الامر به وقس على ذلك فليكن العبد على نفسه بكرة
ويسير معها على عكس مرادها هكذا يستمر معها فلا يطيعها فيما تأمره ويتهمها فيما تستحسنه فاذا
تزكت وتطهرت من الحس ولم يبق فيها بقية فحينئذ يجب عليه موافقتها اذ لا يتجلى فيها حينئذ الا الحق
فقد جاء الحق وزهق الباطل فيصير امر العارف معكوسا مع السائرين فالسائر يبغي التدبير والاختيار والعارف
يتبعه والسائر ينفر من الخلطة والعارف تتبعه والسائر يبغي الكلام والعارف يتبعه والسائر ينفر من الدنيا
ويهرب منها والعارف غائب عنها لا ينفر منها وربما تتبعه والحاصل ان الواصل معكوس مع السائر في اموره
كلها وبالله التوفيق ويجب على من اراد جهاد نفسه ان يلقيها الى شيخ التربية اذ قد يلتبس عليه امرها
وعلى قدر علمه بما يثقل عليها لا قدرة له على مجاهدتها الا بصحبة الشيخ هذه سنة الله في عباده فان النفس
تأبى ان تخرج عن رايها ومرادها ابدا فالواجب اسلامها الى من يعينه عليها وانظر التكاليف الشرعية تجدها
مخالفة لهوى النفس ومن لا يلتفت فيها الا للشرع فهو كالحجر وما خرج من تبع الا بتتبع الاهواء والله تعالى اعلم
وها هنا ميزان آخر تعرف به العمل الذي فيه حظ النفس وهواها وما لا حظ لها فيه هو ان تعرض عليها
الموت وانت في ذلك العمل فان رضيت بالموت وهي في ذلك العمل فالعمل صحيح وان لم ترض بالموت وهي في ذلك
العمل فالعمل باطل فكل عمل لا تنفر من الموت فهو صحيح وكل عمل تفر فيه من الموت فهو باطل يعني فيه الهوى
والحظ وكذلك الانسان يزن نفسه بهذا الميزان ليعرف هل رحل من هذا العالم او هو باق فيعرض الموت
على نفسه في حال عافيته وحال جماله فاذا قبلت الموت ولم تفر منه فليعلم انه رحل من هذا العالم وان لم تقبل نفسه
الموت وطلبت البقاء ففيه بقية بقدر ما نفرت منه وبالله التوفيق ثم ذكر الشيخ ميزانا آخر يعرف به اتباع الهوى
من الحق فقال من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات قلت

هذا ميزان اغفوا ان شئت قلت هو ان أخف الميزان الاول اذ من شأن النفس ان يثقل عليها الواجب لمشاركة الناس
لها فيه اذ جل الناس يفعلونه فلا يظهر لها فيه مزية على غيرها وهي ابدا تحب الخصوصية بخلاف النوافل فانها
تنبسط اليها وتحب ان تتبجح بها اما لطلب المدح والثناء واما لطلب الاجور من القصور والحور وهذا كله عند المحققين
من الحظوظ الجلية او الخفية فالمسارعة الى النوافل والخيرات وفضائل الطاعات مع التكاسل عن الفروض الواجبات
من علامة الهوى فيجب على الانسان ان يقدم الفرض الواجب ولا يقدم عليه الا ما هو من كماله كالنوافل قبله وبعده
اعانة على الحضور فيه فان حصل الحضور استغنى عن الوسيلة والنافلة الكبرى عندنا هو الاستغراق في مشاهدة
مولاه فيه ونظرة اوما يوصل الى هذا المقام من مذاكرة او ذكر او من رفض الدنيا بحذافيرها وغاب عن نفسه
وجنسه فقد جمع الفرائض والنوافل كلها ولو ترك ظاهرها ونظامها وفي بعض اخبار سيدنا داود عليه السلام
قال يا رب اين اجدك فقال اترك نفسك وتعالى اغب عنها تجدني اقرب اليك منها وقال الشيخ ابو الحسن رضي
الله عنه عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى ومحبة المولى وبالله التوفيق ولما كان من شأن النفس الامارة
التكاسل عن الطاعات قيدها الحق تعالى باعيان الاوقات كما ابان ذلك بقوله قيد الطاعة باعيان الاوقات
لئلا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك الوقت ليبقى لك حصة الاختيار قلت من شأن النفس
تسويف العمل وتطويل الامل فلو تركت مع اختيارها ما توجهت قط الى ربها ولما علم الحق سبحانه
ان من عباده من لا تنهضه المحبة ولا تسوقه اليه مجرد الرغبة وانما تسوقه اليه سلاسل الامتحان بتخويف
النيران او شبكة الطمع بنعيم الجنان اوعد من حاد عن طاعته بالعذاب الاليم ووعد من اطاعه وتقرب
اليه بالنعيم المقيم ثم فرض عليهم ما تقتضي فيه طاعته من الاحكام والفرائض وعين لها اوقاتا مخصوصة
اذ لو ترك ذلك لاختيار عباده ما اقبل عليه بها الا القليل من اهل محبته ووداده ومن رحمته تعالى وسع
عليهم في تلك الاوقات فبقي لهم في ذلك شيء من الاختيار فوسع الظهر مثلا الى العصر والعصر الى الاصفرار
والمغرب الى العشاء والعشاء الى نصف الليل والصبح الى قرب الطلوع فقد قيد لك ايها العبد الطاعات التي
اوجبها عليك باعيان الاوقات لئلا يمنعك التسويف من فعلها فيؤدي ذلك بها الى تركها ووسع عليك
الوقت ليبقى لك حصة اي ضرب ونصيب من الاختيار اذ لو ضيق عليك الوقت لكان ذلك في غاية الحرج والاضطرار
فالحمد لله على منته وسعة رحمته وقد قيل ان الله سبحانه يقول لعبده الم اخرجك من العدم الى الوجود وامدك
بامداد الفضل والجود جعلت لك نورا في بصرك لتدرك به ادلة قدرتي وعظيم اياتي وجعلت لك نورا بحضيره
في بصيرتك لتفهم به خطابي وتتقي بالطاعة عقابي وترجو ثوابي فوعدتك الثواب على الطاعة واوعدتك

العقاب

العقاب على المخالفة ثم كلفتك من العمل ما تطيق ووسعت عليك في الاوقات كل ضيق فلو انك قضيت ما وجب
عليك في اول عمرك في اخره لقبلته منك فما الذي منعك من الامتثال ولم يكن لك عذر غير الغواية والضلال اهـ
وقد قيل في المثل من طلب جلب ومن هاب خاب وانظر كيف في الله الهداية بالجهاد هذا وقد اوجب سبحانه على نفسه
ما لم يجب عليه فقال سبحانه وهو اصدق القائلين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين
وانشدوا في هذا المعنى … لو صح منك الهوى ارشدت للحيل … والصدق سبب ينيل غاية الامل … وقلما خاطر همة
تسموا بصاحبها … ولا تغتر بالتواني فيحبط العمل … وكان الربيع بن خثيم يردد هذه الاية
ويبكي قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وكان
بجيع ليت شعري من اي الفريقين انت يا نفسي وهذه الاية تسمى مبكية العابدين وقال سهل رضي الله عنه
في معنى هذه الاية ليس اهل الموافقة كاهل المخالفة اهل الموافقة في مقعد صدق عند مليك مقتدر واهل
المخالفة في عذاب السعير اهـ ولما ذكر حكمة توقيت الطاعة ذكر حكمة ايجابها على عباده فقال علم قلة
نهوض العباد الى معاملته فاوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليه بسلاسل الايجاب عجب ربك من
قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل اوجب عليك وجود طاعته وما اوجب عليك الا دخول جنته قلت
هذه حكمة التشريع لانه مادة الاحكام اهل الظاهر وحاصلها ان الحق سبحانه من حكمته لما علم من عباده
قلة النهوض الى معاملته لانه قال وقليل من عبادي الشكور وقال الا بفلا وقليل ما هم فلما علم ذلك اوجب عليهم
طاعته واوعدهم على تركها بالعقوبة فساقهم اليه بسلاسل الايجاب ثم ذكر الشيخ حديثا ورد في شأن الاسارى
اشارة الى ان العبد لا اختيار له فهو اسير في قبضة القهر والحديث مشهور وهو قوله عليه السلام عجب ربك
من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل لانه عليه السلام كان يدعو الى الله والى دخول حضرته فمن وافقه نجا ومن خالفه
جعل له السلسلة في عنقه وساقه الى حضرة ربه ولفظ الحديث عجب الله من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل
قال بعض العلماء يجوز ان يكون معنى التعجب المنسوب الى الله اظهار عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشأن
وهو ان الجنة التي اخبر الله بما فيها من النعيم المقيم والخلود في العيش الرغد الدائم ومن حكم من سمع بها
من ذوي العقل ان يسارع اليها ويبذل جهده فيها ويحتمل المكاره والمشقات لنيلها وهؤلاء يفرون منها
ويرغبون عنها حتى يقادوا اليها بالسلاسل كما يقاد الى المكاره العظيمة التي تنفر منها الطباع اهـ ثم ان
الحق سبحانه غني عن الانتفاع بالمنافع فما امرك بهذا ونهاك عن هذا الا لما فيه من جلب المنافع ودفع
المضار اوجب عليك وجود طاعته وما اوجب عليك الا دخول جنته قال بعض الحكماء اعلم ان في الطاعات

تفاوت وفي درجات وفي الخطايات كبائر ودركات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون
الغرف من فوقهم كما يرى اهل الارض الكوكب الدري في افق السماء قيل يا رسول الله تلك منازل الانبياء
قال والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال ان الناس ثلاثة عبد اطاع الله
عبودية وشكرا وامتثالا وقياما بحق الخدمة في اداء الوجوب شرعا وعلو درجة وعبد اطاع الله تعظيما
للموجب في الوجوب في حقه تنبيها واظهارا للحكمة وعبد اطاع الله خوفا من عذابه ورجاء في ثوابه ولولا
ذلك ما عبده في الوجوب في حقه لطمعه به وفي الآخر وشتان ما بينهما هـ قلت والتحقيق انما هو قسمان
قسم اطاع على التكليف وهو اهل التشبيه وقسم اطاع على التعظيم وهو اهل التعريف والتعليم اهل
الحجاب اطاعوا خوفا وطمعا واهل العيان اطاعوا حبا وشكرا وهو مقام الانبياء وخواص الاولياء قال عليه
السلام افلا اكون عبدا شكورا والحكمة عند اهل الباطن في وجوب الخدمة انما هي اظهار لسر الربوبية التي
هي مظاهر العبودية فالربوبية بلا عبودية نقص يلزم عليه ابطال حكمته والعبودية بلا ربوبية محال
لا يتصور وجودها من وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه غير محال ولاجل هذا المعنى كان العارفون
اذا تحققوا هذا السر وهو ان العبودية لا وجود لها من انفسها وانما حكمة وجودها اظهار سر الربوبية باظهار
احكام العبودية وعرفوا ذلك حالا وذوقا كانت عبادتهم شكرا وكانوا فيها محمولين غيبة عن عملهم بالله لله
فعبادة هؤلاء كثيرة عظيمة المعنى وان كانت قليلة في الحس ولا تفنى ابدا اذ نومهم كلها عبادة ونومهم عبادة
واكلهم عبادة ومشيهم عبادة وفي مثل هؤلاء ورد الحديث نوم العالم عبادة وقال ايضا رجال يدخلون
الجنة على العرش الممهدة قيل من هم يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا او كما قال عليه السلام في ذكر
المنذر وقال ابو سليمان قد يدري العارف على فراشه ما لا يدركه في صلاته هـ ولا يستغرب العبد من
نفسه بلوغ هذا المقام فان فضل الله لا ينال بسبب وقدرة الله صالحة لجزيل كل مطلب كما ابان ذلك بقوله
من استغرب ان ينقذه الله من شهوته وان يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الالهية وكان الله
على كل شيء مقتدرا قلت لا شك ان الحق تعالى لا يعجزه شيء هو الغالب على امره وقلوب عباده بيده
يصرفها كيف شاء ويقلبها حيث شاء فمن كان منهمكا في الغفلة مستغرقا في بحار الشهوة فلا يستغرب ان
ينقذه الله من غفلته وان يخرجه من وجود شهوته فان ذلك قدح في ايمانه وكيف يستغرب ذلك وربنا تعالى
يقول وكان الله على كل شيء مقتدرا وانت من ذلك الشيء وقال تعالى في حق العصاة يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال تعالى فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه

الرغبة ذلك من الآيات وقال عليه السلام لو اذنبتم حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم ولنذكر
من تقدم قبله من اهل الغفلة والعصيان ثم صار من اهل المشاهدة والعيان كانوا لصوصا فصاروا خصوصا كابراهيم بن
ادهم والفضيل بن عياض وابن المبارك وكثير ممن يتعذر حصره وقد ذكر القشيري في اول رسالته منهم رجالا
فمنهم اولا تقوية لرجاء المذنبين ولية كان الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ثم سال راهبا عن التوبة
فقال له لا توبة لك فكمل به المائة ثم سال العالم له عن التوبة وامره بالذهاب الى قرية فيها قوم يعبدون الله
فقبضته ملائكة الرحمة والحديث في البخاري مطولا وكذلك الرجل الذي كان لصا فصار عابدا
هل له من توبة فاستهزا به واخذ عرجونا يابسا وقال له خذ هذا العرجون فاذا اخضر فقد صحت توبتك فاخذه
بالنية وجعل يعبد الله وينظر اليه فاصبح ذات يوم مخضرا اخضر قلت وقد ادركت اقواما كانوا
منهمكين في الغفلة وترك الصلاة لا يعرفون من الدين المشهور قليلا ولا كثيرا فضلا عن علوم الخصوص فانقلبوا
وصاروا خصوصا عارفين وقد ادركت اقواما منهمكين في الذنوب منهمكين في المعاصي وظلم العباد فصاروا من
اعظم الصالحين وقد رايت نصارى بثغر سبتة حضروا خلف حلقة الذكر فانجذبوا وتبعونا حتى
خرجنا الحد الذي بيننا وبينهم ولو وجدوا سبيلا لاسلموا سريعا وقد كان بعض اخواننا يقول [illegible] نفسه
متعجبا من خروجه من غفلته هذا مدمن الخمر [illegible] فلقد رايته مجذوبا [illegible] راسه
حافيا رجله فهو اليوم من خواص الاولياء والغالب انما يتفق هذا لمن يتفق على صحبة العارفين الذين عندهم
الاكسير وهم موجودون في كل اوان وهذا امر شهير لا يحتاج الى دليل ومن شك فليبحث هديا عجبا ممن
ينكر ضوء الشمس بعد طلوعها او نور القمر بعد ظهوره ولكن كما قال صاحب البردة قد تنكر العين
ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا واعجب
منه من ينكر وجود شيخ التربية ويقر بعدم انقطاع اهل الخصوصية فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور واعني تعمى عن طريق اهل الخصوص وتبصر طريق اهل العموم كالخفاش يبصر في الظلمة
ولا يبصر في النور فهذا عند الناس معذور لفقد ما عند الاقوياء من النور وقد يسلط الله على عبده
الانهماك في الشهوات ويحبسه في بحر الغفلات ثم يمن عليه بالتوبة والتيقظ من الغفلة ويدخله مع
احبابه مداخل الحضرة ليعرف قدر ما انعم الله عليه من المنة كما اشار الى ذلك بقوله ربما وردت الظلم
عليك ليعرفك قدر ما من به عليك قلت لا شك ان نيل الشيء بعد الطلب اذوق من المساق
بغير تعب والصحة بعد الفضيحة احلى من الصحة بلا فضيحة والصفا بعد الجفا اصفى من

الصفا بالاحياء وفطام النفس عن مألوفاتها وعوائدها اشد معالجة من النفس السالمة المنقادة من غير
تعب فيكون الاجر او الفضل على قدر التعب وفي هذه حكمة تقديم ورود الغفلة والشهوة على العبد ثم ينقذه
منها بالعلم فيدرك قدر هذه النعمة التي انعم الله بها عليه وربما اورد عليك ايها الانسان الحنو على الظلم جمع
ظلمة وهي الاغيار والاكدار وحب الشهوات والعوائد فتنغمس في بحارها وتنحبس في سجون ظلماتها ثم ينقذك
منها في ساعة واحدة وذلك لتعرف بعد الفتح قدر ما من الله به عليك فتزداد محبة وشكرا ويعظم الشيء عندك محلا
وقدرا فتعرف حقه وتصونه عمن لا يستحقه ولاجل هذا جعل الله الجنة محفوفة بالمكاره ليعرف العباد بعد
دخولها قدر النعمة التي من الله بها عليهم وكذلك جنة المعارف محفوفة بالمكاره ليعرف العارف قدر القسم
الذي كشف به والخير الذي منحه الله اياه واعلم ان هذه الظلم التي ترد على القلوب فتحجبه عن علام الغيوب هي اشياء
جمعها الله من الدنيا والنفس والشيطان فمن زهد في الدنيا وغاب عن نفسه والطرد به منها وذكر الله حتى احترق الشيطان
وذاب دخل مع الاحباب وفتح له عن علم الغيوب الباب قال بعض الحكماء اعلم ان الصانع البديع
سبحانه لما خلق القلب جعله خزانة اسراره ومعدن انواره وموضع نظره من عبيده ولم يخلق الله في الوجود اشرف
منه فلم يزل على باب القلب اخس الاشياء واقذرها لتقتضي حكمته اجتماع الاضداد التي لا قدرة لغيره على ذلك
فمن جاء على باب القلب فيجده كلبا ينهش فيه وهما الدنيا والشيطان فمن اراد الدخول فحين اتيته من الله لابد له من
تغميض عينيه عن هذه القذرة واعراضه عن الكلب لانه لا سبيل له على من اعرض عنه وعن جيفته وكان من اتبعه الجيفة
سلب النور الذي اراد به الدخول ليبيت قلبه وكان له ذلك كالطلسم على الكنز منعه منه لا محالة هـ وقيل ان
الدنيا بنت الشيطان وطالب الدنيا صهر ابليس والاب لا ينفك عن بنته ابدا ما دامت البنت في عصمة الصهر
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الاخرة وبصره بعيوب نفسه
قيل يا رسول الله اي الناس شر قال الاغنياء يعني البخلاء ثم قال عليه السلام ومن عظم غنيا لاجل غناه كان عند
الله كعابد وثن ومن اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة هـ واوحى الله تعالى الى موسى عليه
السلام ما احبني من احب المال وما احبني من احب الدنيا فانه لا يجمع في قلب واحد حبي وحبها ابدا يا موسى
ما خافني من خاف الخلق وما توكل علي من خاف فوات الرزق وعزتي وجلالي ما توكل علي عبد الا كفيته وبيدي مفاتح
الملك والملكوت وما اعتصم بي عبد الا دخلته الجنة وكفيته كل مهمة ومن اعتصم بغيري قطعت عنه
الاسباب من فوقه واسخت الارض من تحته ولا ابالي كيف اهلكته يا موسى خمس كلمات ختمت لك بهن
التوراة ان عملت بهن نفعك العلم كله والا لم ينفعك شيء منه الاولى كن واثقا بالرزق المضمون لك ما دامت

خزائني

خزائني مطوية وخزائني مملوءة لا تنفد ابدا الثانية لا تخافن ذا سلطان ما دام سلطاني وسلطاني غير زائل ابدا
الثالثة لا ترى عيب غيرك ما دام فيك عيب والعبد لا يخلو من عيب ابدا الرابعة لا تدع محاربة الشيطان ما دام
روحك في جسدك فانه لا يدع محاربتك ابدا الخامسة لا تأمن مكري حتى ترى نفسك في الجنة ففي الجنة اصاب
آدم ما اصاب فلا تأمن مكري ابدا هـ قلت وهذا كله تشريع لغيره والانبياء كلهم مطهرون معصومون
وكل ما ورد فيهم من التعليم والتنبيه فالمراد به غيرهم وبالله التوفيق ثم من من الله عليه فاخرجه من اسر نفسه
واطلقه من سجن غفلته فلم يعرف قدر هذه النعمة سلبها منه ساعته كما اشار الى ذلك بقوله من لم يعرف قدر
النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها قلت هذا الذي ذكره الشيخ مجرب صحيح وذلك ان العبد
قد تترادف عليه النعم والعوائد فلا يعرف قدرها ولا تعظم عنده كل التعظيم فاذا سلبها وضرب بالبلاء
والاوجاع والمصائب حينئذ يعرف قدر العافية وكذلك الفقير يكون مصحوبا بالحضور واليقظة والنظرة فلا
يعظم عنده قدرها فاذا اصابته الغفلة ورجع الى الحس وفقد قلبه عرف قدر ما كان عنده فاذا التجأ واضطر
الى الله رد اليه ما سلبه قيل ان الله تعالى يقول لجبريل يا جبريل انسخ حلاوة محبتي من قلب عبدي اختبره
فينسخ جبريل حلاوة المحبة من قلب ذلك العبد فاذا هو اضطر وتضرع والتجأ وبكى يقول الله يا جبريل رد عليه
حلاوة محبتي فقد وجدته صادقا واذا انسخ حلاوة المحبة من قلب العبد فلم يبتهل ولم يتضرع لم يرد اليه شيئا
وسلبه تلك الحلاوة والعياذ بالله من السلب بعد العطاء ويستعين العبد على معرفة قدر النعم بالتفكر
فيها وبالتفكر في حال نفسه قبل وجودها فيتذكر اذا كان غنيا الى حال فقره المتقدم حسا ومعنى ويتذكر اذا كان
صحيحا الى حال مرضه ويتذكر اذا كان طائعا حال عصيانه ويتذكر اذا كان ذاكرا الى وقت غفلته ويتذكر اذا كان عالما
الى وقت جهله ويتذكر اذا كان مصاحبا للشيخ عارفا الى وقت ضلاله ويتذكر اذا كان عارفا بالله الى وقت حجابه وهكذا
كل نعمة يتذكر الى ضدها الذي كان موجودا فيه قبل وجودها فلا شك انه يعرف قدرها فيشكرها فتدوم عليه
واما من لم يتذكر جمال النعم فلا يعرف قدرها فيغفل عن شكرها فتسلب منه وهو لا يشعر قال
بعضهم شكر الله تعالى باللسان هو الاعتراف بالنعمة على وجه الخضوع وشكر الله بالبدن هو الاتصاف
بالخدمة على وجه الاخلاص وشكر الله بالقلب هو مشاهدة المنة وحفظ الحرمة وقال الجنيد رضي
الله عنه الشكر الا ترى نفسك اهلا للنعمة والا تعصي الله بنعمته هـ فان قلت كيف اقوم بشكر
النعم وهي لا تحصى قلت القيام بها هو الاعتراف بها للمنعم وحده والى هذا المعنى اشار الشيخ بقوله
لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فان ذلك مما يحط وجود قدرك قلت

فقد يتفكر الانسان في نفسه وما به من النعم فيجد نفسه مغمورا في النعم حسية ومعنوية فينظر في نعمة البصر وفي نعمة
السمع وفي نعمة الشم وفي نعمة الذوق وفي نعمة الكلام وفي نعمة العقل وفي نعمة اليدين وفي نعمة الرجلين وفي نعمة الصحة
والعافية وفي نعمة الكفاية وفي نعمة الاهل وفي نعمة الاولاد ثم في نعمة الهداية الى الاسلام ثم في نعمة الايمان
ثم في نعمة المعرفة ثم في نعمة الطاعة ثم في نعمة العلم ثم في نعمة من ينتفع بهم من الاخوان ثم في النعمة
الكبرى نعمة الشيخ ثم فيما اعد الله له بعد الموت الذي لا نهاية له فاذا وجد نفسه مغمورا في النعم فلا يدهش
منها ويتفرغ نفسه عن القيام بشكرها فان الاعتراف بها ومعرفتها والاقرار بها انها من الله بلا واسطة هو
شكرها وقوله الحمد لله رب العلمين كان في شكر اللسان لانه ان الجنة هي من اعظم النعم وكان شكر اهل
الجنة فيها الحمد لله رب العلمين قال تعالى وءاخر دعويهم ان الحمد لله رب العلمين **وقد** جاء في بعض
الاخبار ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة من نعمك ونعمتك
توجب علي الشكر والشكر نعمة توجب الشكر ايضا وهكذا وانشد بعضهم في هذا المعنى

اذا كان شكر العبد لله نعمة ... له عليها من الله يجب الشكر ... فكيف له بلوغ الشكر والشكر نعمة
ولو تتوالى الاحقاب واتصل العمر ... **وقال اخر** ... لك الحمد مولانا على كل نعمة ... ومن جملة النعماء قولي
لك الحمد ... فلا حمد الا ان تمن بنعمة ... سبحانك لا يقوى على حمدك العبد ... فاوحى الله اليه اذا عرفت
ان النعمة كلها مني فقد شكرتني وقد رضيت منك بذلك **وفي رواية** اخرى قال داود عليه السلام الاهي ان ابن
ءادم ليس فيه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن اين يكافيها فاوحى الله تعالى اليه يا داود اني اعطي
الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمني **وكتب** بعض عمال عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه انا بارض وقد كثرت فيها النعم ولقد اشفقت على قلبي ضعف الشكر فكتب اليه عمر اني كنت
اراك اعلم بالله مما اراك ان الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها الا كان حمده افضل من نعمته
لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله تعالى ولقد ءاتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وقال تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ثم قال وقالوا الحمد
لله الذي صدقنا وعده واي نعمة اعظم من دخول الجنة هـ **ولما كان** اعظم النعم واشرفها هو دواء القلب
وشفاؤه من مرض الهوى الذي فيه في بحر الغفلة وعرضه لغضب المولى نبه الشيخ على ذلك ليعرف العبد قدر
هذه النعمة اذا كان شفاه الله ويطلب من الله اخراجه من تلك النعمة اذا لم يكن شفاه الله فقال **تمكن**
حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال **قلت** حلاوة الهوى على قسمين هوى النفس وهوى القلب

فهوى

فهوى النفس يرجع لشهواتها الجسمانية كحلاوة الماكل والمشارب والملابس والمراكب والمناكح والمساكن
وهوى القلب هو شهواته المعنوية كحب الجاه والرياسة والعز والمدح والخصوصية والكرامات وحلاوة
الطاعات الحسية كمقام العباد والزهاد وحلاوة علم الحروف والرسوم فاما علاج هوى النفس فامره قريب يمكن
علاجه بالعزلة او نحو ذلك والزهد وصحبة الاخيار واما علاج هوى القلب اذا تمكن فهو صعب وهو الداء العضال
الذي اعضل الاطباء اي اعجزهم وحبسهم عن علاجه فلا يزيله الدواء الا ان كان وانما يخرجه وارد الاهي بغتة بعناية
سابقة بواسطة او بغير واسطة كما اشار الى ذلك بقوله **لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج او شوق
مقلق** **قلت** الشهوة اذا تمكنت من القلب صعب علاجها فلا يمكن خروجها في العادة الا بوارد قهري
جلالي او جمالي فالوارد الجلالي هو خوف مزعج يزعجك عن شهوتك ويخرجك عن وطنك واهلك والوارد
الجمالي هو شوق مقلق فيقلقك عن مراداتك وحظوظك فينسيك نفسك ويونسك بربك ولاجل صعوبة
هذا المرض كان اشد حجابا عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد لان هذه الشهوة خفية لا ان صاحبها اطلعه الله
على علم الاية فهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اذ ظاهرهم عن طريق الخصوص وبقوا في طريق العموم **اما**
العلماء الظاهريون فهم يعتقدون انه لا فضيلة فوق علمهم حتى اني سمعت من بعضهم يقول ان مقام الاحسان
هو مقامهم الذي هم فيه من العمل بظاهر الكتاب والسنة ولا مقام فوق ذلك فكيف يمكن اخراج هذا الا
بعناية سابقة **واما** العباد والزهاد فهم يقولون ايضا هذه غاية المحبة والطاعة ويزيدهم بعدا
ما يرونه من الكرامات الحسية فيزدادون حجابا وتمكنا في حالهم **واما** العوام واهل الغفلة فهم اقرب الناس
الى الانقياد والتعود الى ربهم **وفي الحديث** عنه صلى الله عليه وسلم قال اكثر اهل الجنة البله على اصل الفطرة
ومما يدلك ان الشهوة القلبية اصعب من الشهوة النفسية قصة ءادم والشيطان فان ءادم عليه السلام
كانت شهوته في بطنه فتداركه الله بعنايته والشيطان كانت شهوته في قلبه فقال انا خير منه فطرد الى يوم
القيامة ثم اعلم ان الخوف على قسمين خوف العوام وخوف الخواص خوف العوام من العقاب والعذاب
وخوف الخواص من القطيعة والحجاب والشوق ايضا على قسمين شوق العوام للحور والقصور وشوق
الخواص للشهود والحضور شوق العوام لنعيم الاشباح وشوق الخواص لنعيم الارواح شوق
العوام ناشئ عن قوله تعالى وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة في جنات عدن وشوق الخواص ناشئ عن قوله تعالى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم جعلنا
الله من اعظمهم قدرا واكملهم محلا وفضلا امين بمنه وكرمه فاذا دخل الخوف او الشوق الى القلب اخرج

ما فيه من الاغيار وملئ بالمعارف والانوار فحينئذ تخلص الاعمال وتزكو الاحوال ويقبل عليه ذو العظمة
والجلال وقد اشار الى ذلك بقوله كما لا يحب العمل المشترك كذلك لا يحب القلب المشترك العمل المشترك
لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه **قلت** العمل المشترك هو الذي تصحبه الحظوظ النفسانية دنيوية
واخروية والقلب المشترك هو الذي يكون فيه حب السوى فالعمل الذي تصحبه الحظوظ مدخول والمدخول
غير مقبول يقول الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشريكه والقلب الذي
فيه حب الشيء من السوى ملطخ بالهوى فلا يليق لحضرة المولى فالحق تعالى وهو ينبغي للطالب غيره باداوود طهر لي بيتا
اسكنه ولله در الششتري رضي الله عنه حيث يقول في حبيب انما هو غيور في يحل في القلب كغيره حذر ذر في
اذا راى غيره امتنع ان يزور فمن خص اعماله بالاخلاص استحق القبول ومن اخلى من غيره قلبه
من الاغيار امتلا بالعلوم والانوار وانبعث منه المعارف والاسرار **واعلم** ان العمل المشترك هو الذي يدخله
ثلاث علل اما رياء او عجب او طلب عوض اما الرياء فهو الشرك الاصغر وقد تقدم الحديث من عمل عملا اشرك فيه
معي غيري تركته وشريكه وفي حديث مسلم ثلاثة اول من تسعر بهم جهنم يوم القيامة منهم ذكر القارئ لغير الله
والشجاع الذي يقاتل لغير الله واما العجب فهو رؤية النفس واسناد العمل اليها ورؤية المزية لها على الناس
قال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى قيل معناه اذا عملت عملا فلا تقل عملت ولا تظهره عند من يعظمك
لاجل عمله بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه **وقال** زيد بن اسلم معنى لا تزكوا انفسكم لا تعتقدوا انها بارة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من الذنوب العجب **قال** بعض السلف لان ابيت نائما واصبح نادما
احب الي من ان ابيت قائما واصبح متعجبا **وقيل** لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت
اذا ظن انه محسن قيل والعجب اعمى عن آفات نفسه وعمله والعمل اذا لم يتفقد ضاع وانما يتفقد عمله
من غلب عليه خوف الله وخوف ذنوبه ولا يريد الثناء على نفسه وحمدها وتزكيتها وربما اعجب برأيه
وعقله فيستنكف عن سؤال غيره ولا يسمع نصح ناصح لنظره لمن سواه بعين الاستحقار نسأل الله
السلامة والعافية واما طلب العوض والجزاء فقد تقدم مرارا التحذير منه وانك ان طلبته بالجزاء طالبك
بصدق الاخلاص ويكفي المريب وجود السلامة فكل عمل فيه بعض هذه الآفات فان الله لا يقبله قبول
الخواص واما القلب المشترك فهو الذي يدخله ثلاث ايضا حب الدنيا او حب الخصوصية او النعيم الاخروية
وكلها قادحة في الاخلاص مخرجة عن درجة التوحيد الخاص وبالله التوفيق هذا في الباب الحادي والعشرين

وما طلعه

وما طلعها لا كميزان الاعمال والاحوال الصحيحة والسقيمة وحاصل هذه الميزان ان كل ما يثقل على النفس فهو صحيح
وكلما خف عليها فهو سقيم ومن جملة ما يثقل عليها القيام بالحق الواجب دون النوافل فانها تخف عليها
فلما علم الحق سبحانه ذلك منها فاوجب عليها في اوقات معلومة لا ينفعها التسويف لاجل النفوس يغلب
نهوضها الى حضرة الحق وسره وليس للحق سبحانه غرض فيما فرض وانما ساقها الى جنته بسلاسل امتحانه فمن
غلبته نفسه على النهوض الى الطاعة واسرته شهوته عن الحضور بالسباق فلا يستغرب ان تنقذه قدرة الله منها فان
قدرة القدير تلمع البحر او في ورما تكون تلك الشهوة او الغفلة في حقك نعمة وذلك لتعرف منة الله
عليك حين ينقذك منها فان كثيرا ممن انعم الله عليهم لم يعرفوا قدرها فسلبوا منها فاذا انعم عليك
بانقاذك من نفسك والحاقك بخواص جنسك فاغتنمت في النعم ولا تنسى هؤلاء شكرها فاجازك بالمنعم
فقام بشكرها فاذا رايت من حسنة نفسه وتمكن داء الهوى من قلبه فاعلم ان ذلك هو الداء العضال
فلا يخرجه منه الا خوف مزعج او شوق مقلق فاذا ازعجه الخوف او الشوق تفرغ قلبه وخلص عمله فيقبل
الله عليه فاذا اقبل عليه ملأه بالانوار فمنها ما يتصل الى سويداء قلبه ومنها ما يقف على ظاهر قلبه كما
ابان ذلك بقوله في اول الباب الثاني والعشرين **وقال رضي الله عنه** انوار اذن لها في الوصول وانوار
اذن لها في الدخول **قلت** اما الانوار التي اذن لها في الوصول فهي انوار الايمان وهي لاهل الدليل والبرهان
لان قلوبهم لم تتفرغ من الاغيار ولم تمح منها صور الآثار فلما جاءت وجدت داخل القلب مملوا
بصور الآثار فوقفت في ظاهر القلب **واما** الانوار التي اذن لها في الدخول فانها انوار الاحسان من اهل
الشهود والعيان وذلك لانهم فرغوا قلوبهم مما سوى ربهم فدخلتها الانوار فوجدت متسعا
فسكنت سويداء قلوبهم **وعلامة** النور الواصل والداخل ان صاحب النور الواصل الظاهر يفتش تارة
مع الدنيا وتارة مع الاخرة تارة مع حظ نفسه وتارة مع حورية تارة مع الغفلة وتارة مع اليقظة وصاحب
النور الداخل لسويداء القلوب لا تراه الا مع ربه لا يشغله عنه حظوظ الدنيا ولا حظوظ الاخرة غائبا عن
نفسه حاضرا مع ربه **قال** بعض الحكماء ان الايمان اذا كان في ظاهر القلب كان العبد محبا للدنيا والاخرة
فيكون صاحبه تارة مع ربه وتارة مع نفسه وقد تمكن النور في القلب ودخوله اليه يكون بغض العبد للدنيا
وتركه لهواه **وفي هذا** المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح قيل
فهل له من علامة يا رسول الله قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور
والتاهب ليوم النشور **ثم اعلم** ان الانوار التي اذن لها في الوصول عامة لجميع المومنين وقد تقدم

قوله في الحس لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض وأما الأنوار التي أذن لها في الدخول
فهي خاصة بالخواص من أهل التفرغ من الأغيار ولوث الأنوار وأما من كان قلبه محشوا بصور آثارها فلا يطمع في نيل
أسرارها كما أبان ذلك بقوله ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت
من حيث جاءت قلت رب هنا للتكثير أي كثيرا ما ترد عليك أنوار عالم الغيب لتغيبك عن عالم الشهادة
فتجد قلبك محشوا بصور عالم الشهادة فترتحل عنك وتتركك محبوسا في يدها وتقول كثيرا ما ترد عليك
أنوار الصفات لتخرجك من سجن الآثار فتجد قلبك مملوا بها فتتركك وسطها محجوبا بها وتقول كثيرا ما ترد
عليك أنوار الملكوت فتجد قلبك محشوا بظلمة الملك فتتركك في ظلمة الكون وتقول تارة ترد عليك أنوار
الجبروت فتجد قلبك محشوا بأنوار الملكوت وحلاوتها فتعد بهجتها فتتركك واقفا معها وتارة ترد عليك
القناعة من الله حرمان الذي تطلب أمامك ولو كان العلم ينتهي لراحة محمد حين لم يقل الله تعالى لسيد العارفين
وقل رب زدني علما وقال عليه السلام كل يوم لا أزداد فيه علما لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم
أو كما قال عليه السلام والمانع للقلب من دخول الأنوار هو وجود الأغيار كما أشار إلى ذلك بقوله فرغ
قلبك من الأغيار تملأه بالمعارف والأسرار قلت التفريغ هو الخلو من الشيء والتصفية منه والأغيار
جمع غير بكسر الغين وفتح الياء أو يجوز أن يكون بفتح الغين وسكون الياء وهو الغير والمراد حينئذ السوى وإنما
جمعه لتعدد أنواعه كما قالوا بجمع العالمين يقول رضي الله عنه فرغ قلبك أيها الفقير من الأغيار وهو
ما سوى الله بحيث لا يتعلق قلبك بشيء من الكون علويا أو سفليا دنيويا أو أخرويا حسا أو معنويا كحب
الخصوصية وغيرها من الحظوظ فإذا رحل قلبك من هذا العالم بالكلية ولم يبق فيه إلا محبة مولاه فإنه يملأه
بالمعارف بحيث يكشف عنك حجاب الوهم ويذهب عنك ظلمة الحس فتشاهد الأشياء كلها أنوارا
ملكوتية مشاهدة ذوقية تمكينية ويملأه أيضا بالأسرار وهي أسرار الجبروت فتغيب بالجمع عن
الفرق وبشهود الجبروت عن شهود الملكوت وتكاشف بأسرار القدر ويهب عليك نسيم برد الرضى
والتسليم وأنت في حضرة النعيم المقيم عند العلي الكبير والأسرار على هذا أبلغ من المعارف فالمعارف
أنوار الملكوت والأسرار أنوار الجبروت لأن السائر قد يكشف له عن نور الملكوت فيشهد الكون كله نورا
لكنه مفتقر إلى تلك الأنوار لينتفي بها إلى التفكير في شهود الذات بل افتقار القلب إلى التلقي في السوى
فإذا حصل الفناء والمعنى وتمكن منها محى الرسوم ولم يفتقر إليها كذلك السالك يكشف له أولا عن نور الكون
فيغيب في النور عن ظلمة الحس ثم لا يزال في السير حتى يقبض المعنى ويتمكن منها فلا يحتاج إلى مشاهدة

نور

نور فيستغني عن نور الملكوت بنور الجبروت وقد تقدم هذا المعنى عند قول المؤلف اهتدى الراحلون إلى آخر الحكمة
فيمحو السوى عن عين قلبه بالكلية ويغيب عن نفسه وحسه بشهود الأحد ولله در قول الشاعر ∴ ∴ ∴
∴ إن تلاشى الكون عن عين قلبي ∴ شاهد السر غيبه في بيان ∴ فاطرح الكون عن عيانك وامح ∴ نقطة العين
إن أردت تراني ∴ ويحتمل أن يريد بالمعارف علوم العرفان وبالأسرار الأذواق والوجدان فتكون المعارف
هي علوم المعرفة بحيث يعرف في كل شيء ولا ينكر شيئا والأسرار أذواق تلك العلوم فإن المعرفة تكون أولا علما
ثم ذوقا وحالا ويحتمل أن يكون من عطف التفسير فتكون الأسرار هي المعارف والله تعالى أعلم ومراده من عدة
السير إلى هذا المقام فليبع قلبه وينصبه على التعلم فبعد التخلية تكون التحلية وبعد التصفية تكون الترقية
ولأجل هذا نهوا السالك عن التزوج وعن التعلق بالأسباب إذ لا يخلو من علقة فإذا تفرغ من المعنى لم يبق له مراد
إلا مراد معبوده فإذا رأى ما يشتهر من عنده مولاه تلقاه بالقبول فلا يطالب بالمزيد الصبر وتراخى عنه الفتح والطلب
فلم يدرك هذه الأسرار ولم يكشف له عن تلك الأنوار فلا يستبطئ من ربه النوال فإنه جواد كريم ولكن يستبطئ
منه وجود الإقبال وإلى ذلك أشار بقوله لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال
قلت الحق سبحانه جواد كريم حليم رحيم من تقرب إليه شبرا تقرب منه ذراعا ومن تقرب منه ذراعا
تقرب منه باعا ومن أتاه يمشي أتاه هرولة كما في الحديث فإن توجهت إليه بقلبك ثم تراخى الفتح من قبله فلا
تستبطئ منه النوال أي العطاء وهو كشف الحجاب ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال فلعل إقبالك
عليه لم يكن بكليتك فإن الله سبحانه يقول بلسان الحال ليس يدرك وصالي من فيه بقية أو كان بحرف أو حظ وأما
لو زالت أغيارك لأشرقت أنوارك ولو تطهرت من جنابة الغفلة لاستحققت الدخول إلى مسجد الحضرة وقد يكمل
إقبالك ويعوزك الأدب مع سيدك وهو استبطاؤك النوال ولو صح منك الإقبال قال بعضهم هب
أن السيد الكريم أهل النار فضلا وكرما أفتنى العبد يعلل الأدب بين يدي سيده ويكشف جلباب الحياء عن
وجهه فإن جعل ذلك فهو بالعقوبة أولى من الكرم وقد قال أرباب المعرفة لأن تكون صاحب استقامة
خير من أن تكون صاحب كرامة ومن باع نفسه لله وكان عبدا مملوكا لمولاه فلا شيء يستغني على مولاه
حكي عن ذي النون المصري رضي الله عنه أنه رأى رجلا فاشترى دارا وأراد أن يكتب عقدها فقال له ذو النون
يا أخي أقبلت وصيتي أو وصيتك فقال نعم قل يا سيدي فقال له لا تشتري دارا تفنى وتدع دارا تبقى فقال
له من لي بها فقال له هلا اشتريت من الله دارا بدار السلام ومجاورة الكريم ولتنال فيها الأمان وتتنعم
بنعيم لا يدرك بالأثمان إن لها أربع حدود الأولى منازل الأنبياء والثانية منازل العارفين والثالث

منازل المشتاقين الرابع ريان في الجنة ان يسكنها من نزل الرحمن وبابها باب الرضوان مكتوب على بابها بالخط
الازل ۞ دار تقوى ورضى عليها ۞ احسنت ونعم دار المتقين ۞ ثم نادى الحق من ارجائها ۞ ادخلوها
بسلام امنين ۞ ۞ فان اردت عقد شرائها فقلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة هذا ما اشترى العبد التواب من الملك الوهاب بثمن قيمته الخروج من كل
المعاصي الى الطاعة ومن تعب الحرص والطمع الى راحة الزهد والورع شهد بذلك عدول القلب واللسان
وجميع ما في لهم من القران وبتاريخ حل عقدة الاصرار من وقت الانابة ومن اوفى بعهده من الله فالله نعم ثم
نقدوا بماله وخرج معه الى الله ۞ ثم من صح اقباله على الله لم يضيع شيئا من الاوقات في غير طاعة مولاه كما
نبه على ذلك بقوله حقوق في الاوقات يمكن قضاؤها وحقوق الاوقات لا يمكن قضاؤها **قلت** اما
الحقوق التي في الاوقات فهي الطاعة التي عين الله تعالى لها وقتا محدودا كالصلوات الخمس والسنن المؤكدة
وكذلك الزكوة والصيام لها وقت محدود في العام فاذا خرج وقتها امكن قضاؤها وان كان يسمى مجبها
لاكن بعض الشر اهون من بعض واما حقوق الاوقات بانفسها فهي مراقبة الحق او مشاهدته كل واحد
على قدر وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما اتيها وهذه الحقوق اذا فات وقتها لا يمكن قضاؤها الا الوقت
الثاني له حق مخصوص لا يسع غيره فما من لحظة الا ويجب عليك ان تكون فيها عاملا لله مشتغلا فيها بما
يوصلك الى قربه ورضاه وهذا معنى قوله اذ ما من وقت يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وامر اكيد فكيف
تقضي فيه حق غيره وانت لم تقض حق الله فيه **قلت** ما من وقت او لحظة ترد عليك ايها العبد الا ولله
عليك فيها حق جديد من ذكر او فكرة او نظرة او من مراقبة او مشاهدة او من خدمة حسية او معنوية
قد علم كل اناس مشربهم وامر اكيد من التحقق بالعبودية والقيام بوظائف الربوبية فان غفلت
عن الحق الجديد والامر الاكيد في وقت ما ودخل الوقت الثاني فقد فاتك القضاء وندمت على ما مضى وكيف
يمكن ان تقضي في الوقت الثاني حق غيره وهو ايضا له حق يجب عليك ان تؤديه فيه فلا يمكنك ان تقضي فيه
حق الوقت الاول في الوقت الثاني وانت لم تقض حق الله فيه اعني الوقت الثاني والحاصل ان كل وقت له حق
فان فات فلا قضاء له ولذلك قال اهل الاداب الصوفي هو صاحب الانفاس وحفظ الحواس والانفاس هي
دقائق الساعات وضبطها من عمارتها بانواع الطاعات فاذا ضيع حقوق الساعات خرج عن اداب
التصوف والله تعالى اعلم قال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه اوقات العبد اربعة لا خامس لها نعمة او
بلية طاعة او معصية ولله على عبده في كل وقت منها حق فحق النعمة الشكر وفي البلية الصبر وفي الطاعة

شهود

شهود المنة وفي المعصية اللجأ والانابة وطلب الاقالة ه وفي هذا المعنى قال عليه السلام من اعطي فشكر وابتلي
فصبر وظلم فغفر واذنب فاستغفر ثم سكت عليه السلام فقالوا ماله يا رسول الله قال اولئك لهم الامن
وهم مهتدون اي لهم الامن يوم القيامة وهم مهتدون في الدنيا وقيل لهم الامن في الدارين وهم مهتدون الى حضرته
في الكونين والاول اصح واعلم ان القيام بحقوق الاوقات على التمام يكاد ان يكون متعذرا في حق البشر قال تعالى
وما قدروا الله حق قدره اي ما عبدوه حق عبادته وما عرفوه حق معرفته فلهذا كانت حقوق الاوقات لا يمكن
قضاؤها لانها اجمعة لحقك الانفاس والخطرات وقد اعيا الرجال حفظها في حال الصلاة فكيف في كل
وقت لاكن قد يختص من حضرته من يشاء **قال** بعضهم منذ عشرين سنة ما خطر على قلبي شيء سوى الله تعالى وقال
الشيخ ابو الحسن من احب الله لم يستعمل جوارحه الا فيما يرضي محبوبه وانفاسه كلها محفوظة بالطاعة
ولو حيل بينه وبين الخدمة لفارق الدنيا من ساعته لان الطاعة قد صارت غذاء ارواحهم فان رفعوها
ماتوا رزقنا الله من ذلك الحظ الاوفر **ثم** في تضييع حقوق الاوقات تضييع العمر الذي هو اعز من الكبريت الاحمر
وهو الذي نبه عليه بقوله ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له **قلت** عمر المومن هو
راس ماله فيه ربحه وخسرانه فمن شدد عليه كان من الفائزين ومن ضيعه في البطالة والتقصير كان من
الخاسرين فما فات منه في غير طاعة فلا عوض له اذ ما ذهب لا يرجع ابدا وما حصل منه لا قيمة له يقدر
اذ لو اشتريت ساعة منه بملء الارض ذهبا لكانت تربح عليه لان ساعة منه تذكر الله فيها تنال بذلك
ملكا كبيرا ونعيما مقيما لو بيعت الدنيا بحذافيرها ما بلغت منه عشر العشر ولاجل هذا المعنى
اشتدت محافظة السلف الصالح على الاوقات وبذلوا المجهود في اغتنام الساعات ولم يقنعوا من انفسهم
الا بالجد والتشمير ولم يسمحوا لها في الاخذ والبطالة بقليل ولا كثير **وفي الحديث** عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تاتي على العبد ساعة لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة يوم القيامة وقال سيدنا
علي كرم الله وجهه ورضي عنه بقية عمر العبد ما لها ثمن يدرك بها ما فات ويحيي بها ما مات **وقال**
الجنيد رضي الله عنه الوقت اذا فات لا يستدرك وليس شيء اعز من الوقت وفي معناه قيل ۞ ۞
۞ السباق السباق قولا وفعلا ۞ حذر النفس حسرة المسبوق ۞ ۞ وقال الحسن البصري
رضي الله عنه ادركنا اقواما كانوا على انفاسهم او قال اوقاتهم اشد حرصا واحرص شفقة منكم على
دنانيركم ودراهيمكم فما لا يخرج احدكم درهما ولا دينارا الا بمنفعة واستجلاب فائدة
كذلك كانوا لا يضيعون نفسا من انفاسهم في غير طاعة ابدا كان سيدنا علي رضي الله عنه وكرم

وجهه يقول لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صنعت طعاما فاوسعيه اذا جعليه ما يعلا خبيبا
جان بين العابع والبابعى خمسين تسبيحة **وقال** ابو علي الجوزجاني ما مضغت الخبز منذ اربعين سنة وانما اسف
السويق واعوذ بالله تعالى قال وقد كنت عددت ما بين المضغ والبلع سبعين تسبيحة **وقيل** ان ساعات الليل
والنهار اربع وعشرون ساعة تبعث يوم القيامة خزائن مصفوفة اربعا وعشرين خزانة بعد كل عمر هذا في الدنيا
بكل ساعة السر فيها خزانة معمورة بالنعيم ومن كان ضيعها بقيت خزانة خاوية فيتحسر عليها اويندم
وجاء في الخبر ان اهل الجنة بينما هم في نعيمهم اذ سطع لهم نور من فوق اضاءت منه منازلهم كما تضيء
الشمس لاهل الدنيا فينظرون الى رجال من فوقهم اهل عليين يرونهم كما يرون الكوكب الدري في افق السماء وقد
فضلوا عليهم في الانوار والجمال والنعيم كما فضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم فينظرون اليهم يطيرون على نجب
تسرح بهم في الهواء يزورون ذا الجلال والاكرام فينادي هؤلاء يا اخواننا ما انصفتمونا كنا نصلي كما تصلون ونصوم
كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا فاذا النداء من قبل الله عز وجل انهم كانوا يجوعون حين تشبعون
ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكتسون ويذكرون حين تنسون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون
ويخافون حين تامنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما
كانوا يعملون ○ **ومما** يعين على حفظ الاوقات واتصال الطاعات الزهد في السوى ومحبة المولى فان
من احب شيئا اكثر من ذكره وخدمه وخضع له وكان عبدا حقيقة له كما اشار الى ذلك بقوله **ما احببت شيئا**
الا كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا **قلت** القلب اذا احب شيئا اقبل اليه وخضع له والطاعة
في كل ما يامر كان المحب لمن يحب مطيع وهذه حقيقة العبودية الخضوع والطاعة وليس للقلب الا وجهة
واحدة وليس للانسان الا قلب واحد قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واذا كان للقلب وجهة
واحدة فمهما اقبل بها على مولاه اعرض عما سواه وكان عبد الله حقيقة واذا اقبل على هواه اعرض قطعا
عن مولاه وكان عبد السوى وهو الحق تعالى لا يرضى لعبده ان يكون عبدا لغيره قال تعالى ذم من كان عبد الهوى
افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه
من بعد الله فالاية نص في ذم من اتبع هواه واتخذ ربا من دون مولاه ○ **واما** تفسير اهل الباطن فهو اشارة
لا تفسير معنى **وفي الحديث** ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا **وقد** ورد عن شيخ شيوخنا سيدي محمد
ابن عبد الله في اشارة هذه الاية انه يمكن ان يكون مدحا ومعناه حينئذ أي ابصر من اتخذ الهه الذي
خلقه لا يحب سواه واضله في محبته على علم وبينة من ربه وختم على سمعه وقلبه بمحبته وجعل على بصره

غشاوة تمنعه من النظر لما سواه فمن يهديه في هذه الهداية العظمى من بعد الله لا هادي له سواه وهذا خارج
عن سياق ظاهر الاية ولا يصح تفسير الاية به **واعلم** ان تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم على غير المعنى المعهود ليس هو عندهم غير المعنى المراد ولا كنهم يقررون الاية والحديث على ما يعطيه
اللفظ ثم يفهمون اشارات ودقائق واسرارا خارجة عن مقتضى الظاهر خصهم الله بها لصفاء اسرارهم هكذا
ذكر المؤلف في لطائفه ثم نرجع الى ما كنا فيه من طلب العبودية لله والحرية مما سواه **قال صلى الله عليه وسلم**
تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة زاد في رواية والزوجة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش **وقيل**
للجنيد من العبد قال من يفرغ قلبه ادنى علاقة لغير الله لان المكاتب عبد ما بقي عليه درهم قيل له ومن الحر قال
من تخلص من طمعه واستنقذ قلبه من شهوات نفسه **وكان** للشبلي تلميذ له وكانت رجل يوما جبة
وكان على راس الشبلي قلنسوة فخطر على قلب التلميذ محبة القلنسوة يجمعها مع الجبة فاشتغل الشيخ
بما زاد له الجبة وجمعها مع القلنسوة ورمى بهما في النار وقال له لا تبق في قلبك التفاتا لغير الله وانكر
عليه بعض اهل الظاهر المتجمدين على ظاهر الشرع بتعجبها بالمقصود لان اعمال الصوفية مبنية على العبادة
القلبية لا الاعمال الظاهرة لم يوافقها القلب كانت اشباحا خاوية وبالله التوفيق **واعلم** ان من تخلص
من طبعه واستنقذ من اسر نفسه يوفق لحقوق محبة ربه والمحبة لها بداية ووسط ونهاية فاول
المحبة وبدايتها ملازمة امتثال الامر واجتناب النهي قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ووسطها لهج اللسان بالذكر وتعلق القلب بشهود المحبوب ونهايتها لا تدرك بالعبارة ولا
تلحقها الاشارة وفي هذا المعنى قيل ٭ فلم يبق الا الله لا رب غيره ٭ حبيب لقلب غاب عن كل مفقد ٭
٭ هنيئا لمن قد نال حب حبيبه ٭ وخاض بتبري الغير اكرم مورد ٭ نعيم بلا حد لديه مجدد ٭
٭ على عدد الانفاس في كل مشهد ٭ **روي** ان ابا يزيد رضي الله عنه كان يحذو المنبر في الخطيب وما
قدروا الله حق قدره فجعل يضرب نفسه حتى سال الدم من عينيه فهذه المعاني لا تدركها العامة ولا الخاصة وانما
يعرفها خاصة الخاصة وانشدوا ٭ وقفت لو افنيت قلبي صبابة ٭ لكنت على هذا احببا الى قلبي ٭
٭ ازيد على عذل العذول تشوقا ٭ ووجد على وجد وحبا الى حبي ٭ ابا القلب الا انت في كل حالة ٭
٭ حبيبا ولو دارت عليه يد الكرب ٭ فلا تبتليه بالبعاد فانما ٭ تلذ انفاس المحب بالقرب ٭
ومعنى محبة الله لعبده حين يقبل عليه هو تقريبه لحضرته وهدايته لمحبته من غير نفع له في ذلك
اذ لا تنفعه طاعة من اقبل عليه ولا تضره معصية من ادبر عنه اذ هو غني عن الكل كما اشار الى ذلك بقوله

لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وإنما أمرك بهذا ونهاك عن هذا لما يعود إليك لا يزيد في عزه إقبال من
أقبل عليه ولا ينقص من عزه إدبار من أدبر عنه **قلت** الحق تعالى غني عن كل شيء ومفتقر إليه كل شيء فلا تنفعه
طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين وفي بعض المناجاة إلهي تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون
له علة مني أنت الغني بذاتك أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عني فلا تنفعه أيها العبد طاعتك
فيكون مفتقرا إليها تعالى الله عن ذلك ولا تضره معصيتك فيكون مقهورا بها وهو القاهر فوق عباده فلا تملك
أمرك بالطاعة ليقربك إليه رحمة الله قريب من المحسنين وإنما نهاك عن المعاصي لما جعل فيها من علامة البعد
عن حضرته فما أمر الله بشيء إلا وفيه تقريب وآداب للحضرة وما نهى الله عن شيء إلا وفيه ضرر وإبعاد عن الحضرة لما
فيه من سوء الأدب والتحقيق أنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون لا يزيد في عزه إقبال من أقبل عليه لأن عزته
أزلية قديمة ولا ينقص من عزه إدبار من أدبر عنه لأنه غني عن العالمين ومن أسمائه تعالى القدوس قال بعضهم
معناه المنزه عن كل كمال لا يليق بربوبيته ولا يقال إنه منزه عن النقائص إذ لا نقص يتصف به حتى ينزه
عنها إذ لا ينفى عن الشيء إلا ما يصح إثباته له فإن نفيت ما لا يصح إثباته له فربما يكون نقصا كما يقال السلطان
ليس بجزار ومن أجاز ذلك فإنما مراده التعظيم وكمال التنزيه بسر والتنزيه قال بعضهم لو أراد الخلق تنزيه
الخالق لا يلتبسان العجز ما استطاعوا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت
على نفسك هـ ثم قال ذلك البعض إن صفات الباري وأسماءه كلها كليات والمخلوق جزء والجزء لا يحيط
بالكل ولا يدرك حقيقته فليحترز من التأويلات العجز عن المعنى الذي يتجنب الحق منها لا يعرف الله
إلا الله وأنشد وأنشد: لا يعلم الله إلا الله فاتئدوا * والدين دينان إيمان وإشراك * وللعقول حدود لا
تجاوزها * والعجز عن درك الإدراك إدراك * فهذا أوائل المعرفة وأما وسطها فهو اغتراف من بحر
الحقيقة واستشراف على غوامض الطريقة ولا تشعر به عقول العامة وإنما يخوض فيه الخاصة فإن
ما تقدم كان فيه استدلال بالاسم على المسمى وهذه مرتبة تكشف الفرق بين الاسم والمسمى وبين
الصفة والموصوف ثم قال ولهذا قالوا الجمع سقوط التفرقة وليس بعد هذا إلا جمع الجمع وهو غاية
المعرفة فأول المعرفة دلالة الصنعة على الصانع ووسطها دلالة الصانع على الصنعة وغايتها تلاشي
كل ما دون الحق كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام انتهى فالله التصرف مختصرا
هذا في الباب الثالث والعشرين وحاصلها الترغيب في تحصيل الأنوار بالتخلي عن الأكدار فإذا
فرغت قلبك وتأخر الفتح عليك فلا تستبطئ منه وجود النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال

مكملة

ولا يكمل إقبال العبد على ربه حتى يستغرق الأوقات كلها في طلبه فكل وقت من العمر لا ثمن له ولا يمكنه التفرغ
لحفظ الأوقات حتى يتخلص من رق الكائنات فإذا تخلص مما سواه كان عبدا حقيقة لمولاه فحينئذ اجتباه وخصه
واصطفاه من غير منفعة له فيه ولا ضرر وإنما يعود نفعه له وضرره عليه إذ لا يزيد في عزه إقبال من أقبل ولا إدبار
من أدبر وإنما وصل من وصل بمحض فضله وأبعد من أبعد بمحض عدله ومعنى وصول العبد إلى مولاه علمه
بنور عظمة ربه وسناه كما أبان ذلك في أول الباب الثالث والعشرين بقوله وقال رضي الله عنه وصولك
إليه وصولك إلى العلم به وإلا فجل ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل بشيء **قلت** قد ذكر أهل الفن هذا
الفن اصطلاحات وألفاظا تداولوها بينهم تقريبا لفهم المعاني فمنها السير والرحيل وذكر المنازل والمناهل
والمقامات ومنها الرجوع والوقوف وكل ذلك كناية عن مجاهدة النفوس ومحاربتها وقطع العوائق والعلائق
عنها والوقوف مع شيء منها وسيأتي للمؤلف لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ومنها الوصول والتمكين
والسكون والطمأنينة ومنها المشاهدة والمكالمة والمجالسة والمسارة وغير ذلك وكل ذلك كناية عما أدركته
أرواحهم وأفئدة أسرارهم من عظمة الحق وجلاله وسيأتي تفسير شيء من ذلك في محله إن شاء الله ومعنى الوصول
عنده هو تحقيق العلم بوجوده وحده فوصولك إليه هو شعورك بعدمك حتى يكون عدمك عندك ضروريا
وعلمك بوجوده كذلك وهذا الأمر كان حاصلا في نفس الأمر لكن لم تشعر به وفي هذا المعنى قال بعضهم وبعضه
للششتري * بين طلوع ونزول * فنيت العزول * أين من لم يزل * فيوصف بزوال * فحول في نزول
* أو امتزج عن الحلول * فالزوال هو المعرفة وهو معنى الوصول وسببها الحول ولذلك أمره بها وقال
شيخ شيوخنا سيدي علي الناس كلهم فيها هالكون ولا يعرفون وسمعت شيخنا يقول الناس كلهم في البحر
إلا من الوحدة ولكن لا يشعرون فوصول العبد إلى الله هو تحقيق العلم بوجوده والغيبة عن نفسه وعن كل
ما سواه وإلا فكيف لك بأن تعتقد أن الوصول يكون حسيا فجل ربنا تعالى وترفع أن يتصل به شيء للزوم
تحيزه أو يتصل هو بشيء للزوم افتقاره وحصره وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم أن هذا العلم بالله يكون
كسبيا ثم لا يزال يغيب عن نفسه وحسه سكرة بعد سكرة وحيرة بعد حيرة حتى يصحو وينجلي عنه
ضباب الحس وسحاب الجهل وظلمة النفس فتشرق عليها شمس النهار وتنجلي عنه ظلمة الأغيار
وفي ذلك قيل * ليلي بوجهك مشرق * وظلامه في الناس سار * الناس في سدف الظلام * ونحن
في ضوء النهار أي ليل وجودي صار مشرقا ومضيئا بسبب شهود ذاتك وظلام ليل القطيعة سار في جل
الناس الناس في جوف ظلمة الأكوان ونحن في ضوء شموس العرفان ثم لا يزال في تربية الشيخ وتحت

حقائقه ومن سار إليه بغير صدق فهو حقيق بأن يسلم له خصيم البعد والظلمات ويبعد عن الأنوار ويحصر ذلك من قصده فيه
بحسب ما يقول بلسان الحال أي الخصوص ولم تبع النزاع فإذا اتبع الخصوص الأنوار استمد من كل شيء وشرب من كل
شيء وأخذ النصيب من كل شيء فينبغي في وصوله إلى الواسطة شكرا وإحسانا للأشياخ وللوالدين وينشد حينئذ
بلسان حاله ومقاله: الحمد لله لا تغني محامده ۞ والحمد لله في الأحوال والبدع ۞ من يهده الله أضحى عالما
وكفى ۞ بالله في كل ما يبدو وما استعبدوه ۞ فلا الوصل جد بالنفس فلتجئنا ۞ عنها إلى منزل الأشياء
بالقدر ۞ فإن ظهرت فإنما البعد والعلم ۞ المنعوت بالحسن والحسنى لذي نكتته ۞ ومنها اليوم أصطاحهم
في ذكر القرب والاستشراف والمراقبة وفسر الشيخ معنى القرب فقال **قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه وإلا فمن**
أين أنت ووجود قربه قلت إذا حققت أن الأكوان ثابتة بإثباته ممحوة بأحدية ذاته علمت علم يقين
أن الأكوان والمكان والزمان لا وجود لها وأن الحق كما كان وحده ولا أين ولا مكان كذلك لا أين ولا مكان ولا زمان
نورا حد بنية محو وجود الأكوان فلا تنتفي بوجوده الزمان والمكان ولم يبق إلا الواحد المنان وفي البخاري عنه
صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار فالوجود الحقيقي
إنما هو لذاته إلا أنه تعالى تجلى واستتر واحتجب بما ظهر فإذا علمت هذا علمت أنه تعالى قريب من كل
شيء محيط بكل شيء والأشياء إلا الذي ليس كمثله شيء فمن فتح الله عين بصيرته شاهد عدمه لوجوده
فإنه الحق محيط به وما حيلة لوجوده روي أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال يوما بين يدي أستاذه
اللهم اغفر لي يوم لقائك فقال له شيخه هو أقرب إليك من ليلك ونهارك ولا كن الظلم أوجب الضلال وسبق
القضاء حكم بالزوال عن رجلت الأنس ومنازل الوصال وللظالم يوم لا زناب فيه ولا يحتال والسابق قد وصل
في الحال اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ثم فمعنى قربك من الحق أن تكون مشاهدا
لقربه منك قرب وجود وإحاطة قال تعالى وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وقال تعالى أولم يكف بربك أنه
على كل شيء شهيد إلا أنهم لا تعتقد هذا واعتقدت وجود نفسك وثبوت حسك الوهمي فلا تشاهد إلا
البعد فمن أين أنت ووجود قربه فيك الحسي من ذاته الأزلية حتى تراه بعين الحس فما دمت في عالم الأشباح فلا تنس
بعيد من عالم الأرواح فحالي قريب منه كما قال القائل ۞ ومن عجب أني أحن إليهم ۞ وأسأل شوقا عنهم
وهم معي ۞ وتشتاقهم عيني وهم بسوادها ۞ ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي ۞ سبحان من
بعد قوما في حال قربهم وقرب قوما من غير بعدهم وراجع ما تقدم لنا في الشرح عند قوله شعاع البصيرة
نفهم المسألة على أصلها وحق هذه الحكمة أن تتقدم على التي قبلها لأن القرب سابق على الوصول لما

تترتب

يترتب على ذكر الوصول من ذكر الواردات والأمر قريب والله تعالى أعلم **وقال** الشيخ زروق رضي الله عنه في شرح هذه الحكمة
القرب في الجملة على ثلاثة أوجه أحدها قرب الكرامة وهو تقريب الحق عبده حتى يكون مشاهدا لقربه منه فيتولاه دون
ما سواه الثاني قرب الإحاطة إحاطة العلم والقدرة والإرادة وعموم التصرف وهذا هو قرب الحق من عبده الثالث
قرب المناسبة والمسافة ولا يصح في جناب الربوبية لاستحالة المسافة عليه ونفي مناسبة العبد للرب فتعين الكلام
في قربك منه على وجه الكرامة أن تكون مشاهدا لقربه منك على وجه الإحاطة وإلا فمن أين أنت ووجود قربه على وجه
التناسب والمسافة هو وإنما نقلته لعلمي أن الكتاب يطالعه من يحسن العموم ومن لا يحسنه فإذا خاف من الحج
وجد من يتخلل وفي البها وهو ما نقله الشيخ زروق هنا وبالله التوفيق ومن حصل على مقام القرب والوصول ترد عليه
الحقائق العرفانية والأسرار الربانية والعلوم اللدنية تارة ترد مجملة ثم يقع التفصيل وتارة ترد مفصلة
وهو غالب واردات أهل التفكير والغالب أن هذه الواردات إنما ترد بعد الفتح والوصول ولذلك قلنا الأحسن
لو قدم الشيخ مقام القرب ثم يذكر مقام الوصول ليتصل بهذه الحكمة التي تكلم فيها على الواردات حيث
قال **الحقائق ترد في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه**
قلت الحقائق هي ما يرد على قلب العارف من تجليات العلوم والحكم والمعارف فتارة تكون علوما وتارة
حكما ومعارف وتارة تكون كشفا بغيب كان أو سيكون وحكمة ذلك أن الروح إذا تخلصت وصفت من غبش
الحس كان غالب ما يتجلى فيها حقائق أن هذه الحقائق قد ترد في حال التجلي مجملة فيفيد هلا لا نسي
ما تجلت ثم ينعكس فيها فتتبين معناها فبعد الوعي وهو الحفظ يكون البيان ثم استدل بآية الوحي
لأن الوحي على أربعة أقسام وحي إلهام ووحي منام ووحي إعلام ووحي أحكام فشاركت الأولياء الأنبياء في ثلاثة
وحي إلهام ووحي منام ووحي إعلام وهو إعلامهم عن الله وانفردت الأنبياء بوحي أحكام فالأولياء لهم
وحي إلهام وقد يكون أولا مجملا في القلب فإذا قرأه وأظهره تتبعه وبينه قال تعالى فإذا قرأناه فاتبع قرآنه في قلبك
كما قرأنه عليك ثم إن علينا أن نبينه حتى تفهمه ونبينه للناس كان عليه السلام يعالج من التنزيل شدة
مخافة أن ينساه فلما نزلت الآية كان يستمع لجبريل فإذا فرغ قرأه كما أنزل فالوحي الذي هو وحي أحكام
مضمون فلا ينسى بخلاف وحي الإلهام فلذلك ينبغي للولي أن يقيد تلك الواردات في قلبه فإن الحكمة في حال
التجلي تكون كالجبل فإذا غفل عنها ترجع كالجمل فإذا غفل عنها بعد رجعت كالنور ثم كالكبش
ثم كالبيضة ثم تغيب ولذلك كان شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه لا تفارقه الدواة والقلم والقرطاس
ليقيد المواهب وكذلك كان أشياخنا وكانوا يأمرون بذلك قلت وعلى هذا الشرح الذي نقيده إنما

هو مواهب لا نعرف الكتب المحكمة ولا ندري ما نكتب فنقف فتفتح علينا من الله فإذا أوردنا شيئا من عند الله كتبناه ولا نتكلم في كتب القوم ان وجدنا نقلا عن أهل مواجيدهم انما أجاز الله علينا كتبناه والا تركناه واتبعنا بما أتى الله وكثيرا ما نكتب الكلام ثم نطالعه ونستغرب أن كتبناه وصدر منا وذلك كله ببركة صحبة أشياخنا نفعنا الله بهم أحسن جزائه ولقد كنت في حالي الأولى منتقدا على هذه الطائفة اذا اردت أن نتكلم في التفسير أو غيره نتشوق في الكلام ثم نغيب ويكثر الكلام فيخرج منه من غير اختيار كأنه السحاب فنقصد منه علوم وحكم فإذا استكملنا لا يبقى منها الا القليل ولقد حضر معنا في يوم رجل صالح كبير السن وسمع ذلك فقال والله لقد حضرت مجالس العلماء والكبير والصغير ما رأيت مثل هذه الجواهر واليواقيت التي تخرج من سيدي فلا ينبغي كذلك مدة عمر انا لم نعرف شيئا ثم انتقلنا لتلك الحال التقييد فصار الفهم عندي أفصح من عبارة اللسان وكان بعض العارفين يقول لأصحابه اذا كنت أتكلم عليكم تكون استفادتي من نفسي ما يجريه الله على لساني كما تستفيدون أنتم مني وفي ذلك يقول ابن الفارض رضي الله عنه ❁ ولا تك ممن طيشته طروسه ❁ ❁ بحيث استخفت عقله واستفزت ❁ فثم وراء النقل علم يدق عن ❁ مدارك غايات العقول السليمة ❁ تلقيته مني وعني أخذته ❁ ونفسي كانت من عطائي ممدتي ❁ ❁ وكان الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه اذا استغرق في الكلام وقد فتح عليه العلوم هل رجل يقيد عنا هذه الأسرار هلموا الى رجل جعله الله بحر العلوم أو كلاما نحوه وكان يحضر مجلسه أكابر وقته كعز الدين بن عبد السلام وابن الحاجب وابن عصفور وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذري وكان عز الدين بن عبد السلام اذا سمع كلامه يقول هذا الكلام قريب عهد بالله وكان الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد يقول والله ما رأيت أعرف بالله من أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وكان في كل سنة يطلع الى القاهرة ويجتمع اليه مشايخ القاهرة ومصر ومن تلك الناحية فيفيض عليهم بالعلوم والمواهب الربانية والأسرار اللدنية فلما مات رضي الله عنه واستخلف الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه جعل يطلع الى القاهرة كما كان يفعل شيخه فاجتمع اليه جماعة من أكابر مصر وعلمائها وقالوا يا شيخ كان الشيخ أبو الحسن اذا جاء الى هذا الموضع يجيء لعندنا ونتبرك بقدومه وما نسمع منه من مواهب الله تعالى وانت قد أقامك الله مقامه فنحب أن نتبرك بكلامك فقال لهم اذا كان صبيحة غد نجيء اليكم ان شاء الله فلما كان صبيحة غد أمر الحاضرين بالمسير الى مصر وأمر بحمل رسالة القشيري رضي الله عنه قال ابن الصباغ فحملتها ووصلنا الى جامع عمرو بن العاص فوجدنا قد امتلأ بأكابر أهل مصر وعلمائها فقال لي تقدم وقال لي اجلسنا بشرقي الجامع فقال

أخرج رسالة القشيري فأخرجتها فقال افتح واقرأ الذي يظهر لي ففتحت الكتاب فوجدت باب الفراسة فقرأت أول الباب فلما بلغت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي أغلق الكتاب ثم قال اعلم أن الفراسة تنقسم الى أربعة أقسام فراسة المؤمنين وفراسة الموقنين وفراسة الأولياء وفراسة الصديقين فأما فراسة المؤمنين فحالها كذا وحدها كذا ثم تكلم بكلام عظيم ثم انتقل الى فراسة الموقنين فتكلم بطريقة أعلا ثم قال وأما فراسة الأولياء فحدها كذا وحالها كذا وتكلم في ذلك بكلام موهوب غير مكسوب أذهل عقول الحاضرين واستغرق بذلك الى أذان الظهر والناس يبكون ورأيت الفقيه ينحدر من جبينه حتى ينحدر على لحيته وكانت لحية كبيرة وقال لي الطائع المنن وكنت أنا لأمره من المنكرين وعليه من المعترضين لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صح نقله عنه حتى جرت مقاولة بيني وبين بعض أصحابه وذلك قبل صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل ليس الا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظاما وظاهر الشرع يأباها فقال لي ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ ندما قال لي الشيخ يوم خاصمنا قلت لا قال دخلت عليه فأول ما قال لي هؤلاء كالحجر ما أخطأك منه خير مما أصابك فعلمت أن الشيخ كوشف بما قال ولعمري لقد صحبت الشيخ اثني عشر عاما فما سمعت منه شيئا ينكره ظاهر العلم من الذي كان ينقله عنه من يقصد الأذى وكان سبب اجتماعي به أن قلت في نفسي بعد أن جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل دعني أذهب فأرى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنها فأتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها فقال الأول اسلام والثاني ايمان والثالث احسان وان شئت قلت الأول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة وان شئت قلت الأول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقق أو نحو هذا فما زال يقول وان شئت قلت وان شئت قلت الى أن بهر عقلي وعلمت أن الرجل انما يغترف من فيض بحر الاهي ومدد رباني فأذهب الله ما كان عندي الى آخر كلامه من قبيل هذه الحقائق التي يفيضها الحق تعالى على قلوب أوليائه فينطقون بها ناكون أولا مجملة فاذا حفظت وقيدت تتبين معناها فمنها ما تدركه العقول ويطابق المنقول ومنها ما لا تفهمها العقول فينكرها الى أربابها ولا تنتقدها عليهم فيحجر سماعها انظر قول ابن الفارض رضي الله عنه ❁ فثم وراء النقل علم يدق عن ❁ مدارك غايات العقول السليمة ❁ ومع هذا كان الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه يقول اذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك ان الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف والالهام ومثل هذا أيضا قول الجنيد ان النكتة لتقع في قلبي من جهة الكشف فلا أقبلها الا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة ولا يلزم من عدم العمل بها انتقادها على أهلها فان العلم واسع له ظاهر وباطن

ومسائل الالهام تارة تزد على حسب العلم الظاهر وتارة على حسب العلم الباطن فان لم تفهم فسلم ودع ما تعرف
لما لا تعرف وكان الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول من اداب مجالسة الصديق ان تفارق ما تعلم
لتظفر بالسر المكنون فيه يعني اذا اردت ان تظفر بما عندهم من السر المكنون فاسقط عنهم الميزان في اقوالهم
وافعالهم واحوالهم ومادمت تزن عليهم بميزان علمك فلا تظفر بشيء من سرهم وكان شيخ شيوخنا سيدي
علي رضي الله عنه يقول لطالب الفقه لا ينال منها شيئا الا من يرمي بالعلم في الجبان اردت يا اخي ان تهب عليك نسيم
اسرارهم ونفحات مواهبهم فدع ما تعرف الى ما لا تعرف واغتسل من علمك وعملك حتى تنتفع بغيرك ما عندهم
كما فعل الشيخ طريقتنا الشاذلي رضي الله عنه ولقد حدثت من اثق به ان الشيخ ابا الحسن رضي الله عنه طلع الى الشيخ ابن
مشيش رضي الله عنه بالميزان فلم يشم رائحة الولاية فرجع ثم طلع ثانيا كذلك فرجع كما طلع فلما اسقط
الميزان واغتسل من علمه وعمله وطلع فقيرا اغناه الله قال له الشيخ ابن مشيش يا ابا الحسن طلعت الينا فقيرا
من علمك وعملك فاخذت منا غنى الدارين نفعنا الله بذكرهم ونبع علينا ما نبع عليهم حتى نستغني به
غنا لا فقر معه ابدا امين ثم ان هذه الواردات التي تجلى بالحقائق والعلوم انما هي واردات اهل النهاية
واما واردات البداية فانها تاتي قوية قهارية اما بخوف مزعج او شوق مقلق لتخرجه عن شهواته وعوائده
وهو الذي ذكره الشيخ بقوله متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوائد عليك ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها **قلت** الوارد الالهي هو قوة شوق او اشتياق او محبة وقد تنشأ عن قوة
خوف او هيبة او جلال يقذفها الله في قلب العبد فتهيج تلك القوة الى النهوض الى مولاه فيخرج عن عوائده
وشهواته وهواه ويرحل الى معرفة ربه ورضاه فمتى ترادفت عليك انوار تلك المحبة والشوق فتغيبه عن حسه
بالكلية وهو الجذب وانما جمع الواردات باعتبار انوار تلك المحبة والشوق فانها لا تنقدح عوائده الا ان
كثرت وترادفت وتسمى ايضا هذه الواردات نفحات قال عليه السلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحاته
فمن لم تزد عليه هذه الواردات اختيارا فليتعرض لها بصحبة العارفين اهل الاكسير التي يقلب الاعيان فان
صحبهم ولم تزد عليه فليخرج عن عوائد نفسه من الظاهر فانها تدخل منه الى الباطن فمتى وردت حينئذ عليك
تلك الواردات الالهية هدمت العوائد عليك وافسدت ما لديك فتبدل عزك ذلا وغناك فقرا
وجاهك خمولا ورياستك تواضعا وحنوا وكلامك صمتا ولذيذ طعامك خشنا او شبعك جوعا وكثرة
كلامك صمتا وقرارك ووطنك سياحة وجميع هذا شان الوارد الالهي يخرب العوائد ويهدم مطامعه
كملك جبار دخل قرية او مدينة فافسد بناءها وخرب عوائدها فان تقلي ان الملوك اذا

دخلوا

دخلوا قرية افسدوها اي نزعوها وخربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اي رؤساءها اتباعا مرؤوسين
وكذلك يفعلون اي هذا شأنهم والاستشهاد بالاية في غاية الحسن والمناسبة ثم ذكر الشيخ علة هدم الوارد
عوائد النفس فقال الوارد يأتي من حضرة قهار لاجل ذلك لا يصادمه شيء الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فاذا هو زاهق **قلت** انما كان الوارد الذي يرد على قلوب السائرين او الطالبين قويا شديدا لانه يأتي
من حضرة اسمه تعالى القهار فيه مع يقضي فيه كل ما وجده في النفس او القلب من الاغيار وانما قلنا من حضرة
اسمه تعالى القهار لان الحق تعالى له حضرات بعدد اسمائه فاسمه تعالى القهار يتجلى من حضرة قهريته واسمه
الجميل يتجلى من حضرة جماله واسمه الجليل يتجلى من حضرة جلاله واسمه الرحيم من حضرة رحمته واسمه
الحليم من حضرة حلمه واسمه الكريم من حضرة كرمه وهكذا فكل اسم يخرج تجليه على وفق حضرته فان تجلى
وارد من هذه الاعتبار فاخير انه ولو كان هذا الوارد الذي يرد على قلوب اهل البداية من حضرة الرحيم او الجميل او
الحليم ما امكن ان يدمغ فحكمة الله ما صادم من الباطل وشبه الشيخ الباطل وهو كل ما سوى الله بحيوان
له دماغ فاذا ضرب دماغه وتشتت مات كذلك الباطل اذا صادمه الحق اهلكه وتشتت دماغه فالوارد
الالهي محض حق فاذا صادم الباطل دمغه وقتله ولذلك اتى بالاية التي نزلت في شان الغير ان معه
الكبير فان الكبير تشتت واضمحل حين نزل الذي ان كذلك السوى اذا تجلى الحق بقهرية نوره تشتت واضمحل
وكان الشيخ ابو العباس رضي الله عنه كثيرا ما ينشد هذه الابيات في هذا المعنى * فلو عاينت عيناك
يوم تزلزلت * ارض النفوس ودكت الاجبال * لرايت شمس الحق يسطع نورها * عند التزلزل
والرجال رجالي * * قال والارض ارض النفوس والجبال جبال العقل يعني ان الوارد الالهي اذا ورد
قويا من حضرة قهارية تغلب وجود النفس وتدكدكت منه جبال العقول فيكشف له حينئذ عن
اسرار خارجة عن مدارك العقول وغير مدركة بعبارة النقول فيصير صاحب هذا الوارد كله حق
لا يصادم شيئا الا دمغه وهذا المعنى فهمه شيخ شيوخ القطب ابن مشيش بقوله واقذف بي على
الباطل فادمغه كلما اريد ان يكون حقا محضا يقذف به على السوى فيدمغه فاذا ذهب السوى واضمحل بقي
الحق الذي لا يخفى بظاهر لا يختفي كما ابان ذلك الشيخ فلما ذكره ما ادى نظمه ما مناسبة الكلام وحسن
التخلص لغيل مقام حينئذ قال كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر
قلت قد كرر الشيخ هذا المعنى في كتابه مرارا تحريضا على الجمع وتحذيرا من الفرق فقد تقرر ان الحق
تعالى ليس محجوبا بشيء ولا يصح ان يحتجب بشيء اذ لو احتجب بشيء وجود لكان ذلك من اثر قدرته

وقدرته لا تفارق ذاته والصفات لا تفارق الموصوف فما ظهر شيء من بحر الجبروت الا كان نورا من انواره واثرا من اثر صفاته
وقد قال صاحب العينية * فما وصفه والاسم والاثر الذي * هو الكون عين الذات والله جامع * فلذلك تعجب
الشيخ من تصور الحجاب في حقه تعالى مع ان كل ما بين زمر عنصر القدرة كله نور من نور ملكوته * فلا يظلمنك قياس
نفي جبروته * فهو عين ذاته فحقيقته الوحدة ثم وانتفى الحجاب بالكلية * فكل موجود فهو عين ذات واجب الوجود
ثم ان الواردات هي الاحوال والاحوال نتائج الاعمال في الغالب فلذلك ذكر الشيخ العمل وامر الا تيأس
حيث لم تذق حلاوته والعمل منه ما يجد العامل ثمرته وهو الحال والحلاوة ومنه ما يجد ثمرته عاجلا فلا ينبغي
ان ييأس ولا ييأس من ثمرته ولا من قبوله كما اشار الى ذلك بقوله لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور
فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا **قلت** قد تقدم قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل
على وجود القبول ولا يقتضي المفهوم انه ان لم يجد ثمرته فليس بمقبول بل هو مسكوت عنه فان توفرت فيه
شروط القبول من جهة الشريعة بان صحبه الاخلاص والتقوى والاتقان الشرعي فهو مقبول عند العلماء ان
شاء الله سواء وجد ثمرته ام لا قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من
مسمع ولا مراء فان كنت متقيا لله في ظاهرك وباطنك على قدر استطاعتك ومخلصا لله في اعمالك
ثم لم تجد حلاوة العمل والحضور فلك فيه ولم تجد ثمرته من احوال الواجدين واذواق العارفين فلا تيأس
من قبوله عند الله فليس وجود الحال ولا الحلاوة شرطا في العمل انما هي علامة والعلامة لا يلزم طردها فربما
قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا فيعطيك ثوابه آجلا فلا لك ان تستقل عملك فتتركه لعدم حضورك
فيه او لعدم وجدان حلاوته بل يجب عليك ان تدوم عليه حتى تجتني ثمرته فمن قرع الباب يوشك ان يفتح له
واسمع قول الشاعر * اطلب ولا تضجر من مطلب * فآفة الطالب ان يضجرا * اما ترى الحبل بتكراره *
في الصخرة الصماء قد اثرا * واذكر قضية العابد الذي بقي في مكة اربعين سنة وهو يقول لبيك اللهم
لبيك والهاتف يقول لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك وهو ملازم لم يبرح من موضعه ولم يرجع
عن عمله فجاء اليه رجل يزوره فلما قال الرجل العابد لبيك قال له الهاتف لا لبيك فقام الذي اتى به منصرفا
عنه وقال في نفسه هذا رجل مطرود فناداه العابد ما لك فقال يا سيدي انت قلت لبيك والقائل قال
لك لا لبيك فقال له يا هذا لي اربعون سنة اسمع هذا الخطاب وهل ثم باب اخرى نأتيه فسمعنا انا
واقف ببابه ولو طردت الف مرة فما رجعت عن بابه فقبله الحق تعالى فلما قال لبيك قال له الحق تعالى لبيك
وسعديك او كما قال فلا تكن ممن لزم الباب * كيف التخلي بالاحباب * وفتح في وجهه الباب * ولذلك

قال

قال عليه السلام احب الاعمال الى الله ادومها وان قل وقال ان الله لا يمل حتى تملوا فالمراد من العمل القيام
برسوم العبودية وتعظيم جانب الربوبية وليس المراد منها طلب الاحوال والمقامات فان ذلك قادح
في الاخلاص عند اهل التوحيد الخاص وقد يكون الحال سببا في الحجاب لمن وقف معه واستحلاه ولذلك
قال بعضهم اتقوا حلاوة الطاعات فانها سموم قاتلة لمن وقف معها ولم ينفذ الى شهود المعبود
فلا فائدة في الحال دون غيبة المحول كما نبه على ذلك المؤلف بقوله لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس
المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها وجود الاثمار **قلت** ثمرة الوارد هو هدم العوائد
واكتساب الفوائد والتخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل وان شئت قلت ثمرة الوارد الصادق
هو ما ينشأ عنه من الذلة والانكسار والخشوع والسكينة والوقار والحلم والزهد والسخاء والايثار
والتخلص من رق الشهوات الجسمانية والعوائد النفسانية والخروج من سجن الاكوان والترقي الى فضاء
الشهود والعيان والتحرر من رق الاغيار والتخلص الى تحقيق المعارف والاسرار ومن هذا قد تقدم
للمؤلف معنى فقال في اول الكتاب اورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا اورد عليك الوارد ليتسلمك
من يد الاغيار ويحررك من رق الآثار اورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك الى فضاء شهودك
وقال فيما تقدم ايضا متى وردت الواردات الالهية عليك هدمت العوائد عليك وقال ايضا
الوارد يأتي من حضرة قهار لاجل ذلك لا يصادمه شيء الا دمغه **فاذا** اورد عليك وارد ولم تر فيك
هذه الخصال فاتهمه واتهم نفسك فيه لئلا يكون شيطانيا فان الوارد الالهي يعقبه برودة وسكون وزهد
ونحوه والوارد الشيطاني يعقبه حرارة وقساوة وتكبر وصولة ورؤية نفس فليس المراد من الحال وجده وخفته
وشطحه انما المراد منه ثمرته فهو كسحابة الامطار فليس المراد منها وجود الامطار وانما المراد
ما ينشأ عنه من وجود الآثار فلا تطلب بقاء الحال فقد يكون بقاؤه ضرا لك فان دوام الامطار
يعود نفعها ضررا والى ذلك اشار بقوله لا تطلبن بقاء الواردات بعد ان بسطت انوارها واودعت
اسرارها فلك في الله غنى عن كل شيء وليس يغنيك عنه كل شيء **قلت** طلب الشيء يدل على
محبته ومحبة الشيء عبودية له والحق تعالى لا يحب ان تكون عبدا لغيره فلا تطلب معه حالا ولا مقاما
فان وردت عليك الاحوال وهي الواردات الالهية ثم انقشعت وانصرفت فلا تطلب بقاءها
بعد ان بسطت في قلبك انوارها فاخرجته من ظلمة الاغيار وصور الآثار واودعت اسرارها من
مزيد الايقان وشهود العيان او تقول لا تطلب بقاء الواردات بعد ان بسطت انوارها من

هذه عوائد نفسك عليك فتحررت من رق الشهوات الجسمانية والعوائد النفسانية وتخلصت من الهمة الدنية
وتحليت بالفضائل فهذه آثار أنوار الواردات وبعدها أودعت أسرارها في قلبك من اليقين والطمأنينة
والمعرفة أو من الزهد والرضى والتسليم أو من الخشوع والتواضع والذلة والانكسار فهذه علامة صدق الوارد
وحصول نتيجته فإذا حصلت النتيجة فلا حاجة بالواسطة فيك فالله غني عن كل شيء فلا تفتقر إلى شيء
وليس يغنيك عنه شيء وسيأتي للشيخ ماذا فقد من وجدك وما الذي وجد من فقدك وقال الشاعر
لكل شيء إذا فارقته عوض وليس لله إن فارقته من عوض وفي الإشارة عن الله تعالى لا تركنن
إلى شيء دوني فإنه وبال عليك وقاتل لك فإن ركنت إلى العلم تتبعناه عليك وإن أويت إلى العمل رددناه
إليك وإن وثقت بالحال وقفناك معه وإن أنست بالوجد استدرجناك فيه وإن لحظت إلى الخلق وكلناك
إليهم وإن اعتززت بالمعرفة نكرناها عليك فأي حيلة لك وأي قوة معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا
وسئل أبو سليمان الداراني عن أفضل ما يتقرب به إلى الله فقال أفضل ما يتقرب به إلى الله أن يطلع على قلبك
وهو لا يريد من الدنيا والآخرة سواه وفي ذلك قيل * من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقي *
* ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقي * فإذا حصل لك الغنى بالله استغنيت عن
كل ما سواه فلا تتطلع إلى بقاء حال ولا وارد ولا مقام سوى شهود الملك العلام فتطلعك إلى بقاء
حال أو وارد دليل على عدم غناك به ثم أبان ذلك بقوله تطلعك إلى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك
له قلت إذ لو وجدته ما طلبت شيئا ولا افتقرت إلى شيء إذ كل من فرح بالوارد والحال
فهو غير متحقق بالوصال وكل من يفتقر لغير الله فليس بعارف بالله وكل من يحتاج إلى شيء أو يركن
إلى شيء فليس من الله في شيء وليس على شيء وكثيرا ما كنت أقول للفقراء كل من زوره بزور غير الشيخ
بعد أن فيض الورد فهو باق من العوام ولم يدخل بلاد الخصوص لقلة صدقه ولو دخل بلاد الخصوص
لاجتمعت همته واجتمع قلبه واستغرق ماء غيره فتعطشه إلى غير شيخه دليل على أنه لم يشرب من مائه
ولله در القائل ويقال إنه الغزالي حيث قال * كانت لقلبي أهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك
العين أهوائي * فصار يحسدني من كنت أحسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي * تركت
للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي * ومن علامة الغنى بالله أيضا الأنس به
والوحشة من غيره فالله يغني عن كل شيء ولا يغني عنه شيء فإذا فقد حالا أو مقاما سوى شهود
ربه ثم استوحش منه فهو بعيد من الحضرة ثم أبان ذلك بقوله استيحاشك لفقدان ما سواه دليل على

عدم

عدم وصلتك به قلت استيحاشك لفقدان الأحوال والواردات دليل على عدم وصلتك إذ لو وصلت
إليه لم تستوحش من فقدان شيء وفي الحقيقة ما فقدت شيئا وهذه علامة الغنا بالله أنه إذا فقد شيئا
مما هو في العادة يؤلم فقده كالولد مثلا أو خليلا أو فاتته عبادة حسية مثلا أو غير ذلك فإنه يرجع للمعرفة
بالله فيغنى عن كل شيء وهو المقصود من العبيد قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم قال
في التنوير اعلم أن الله سبحانه إنما يخلق في الحالي لتنالي منه لا لتنالي منك وإنما جاءت لتحمل هدية
التعريف من الله إليك فيها فتتوجه إليه بالاسم المبدي فأبداها وأبقاها حتى إذا وصلت إليك ما كان
لك فيها فلما أدت الأمانة توجه إليها بالاسم المعيد فأرجعها وتولاها فلا تطلب بقاء رسول بعد أن
بلغ رسالته ولا بقاء أمير بعد أن بلغ أمانته وإنما يفتقر المدعون في ولي الأحوال فيعني لهم عن ربهم
الأفوال هنالك فيه والعوارض وتتهتك الأستار فكم من مدعي الغنى بالله وإنما غناه بما عنده أو
بتركه ومتعه وكم من مدعي العز بالله وإنما عزه بمنزلته وصولته على الخلق معتمدا على ما ثبت عنده من
معرفته فكن عبد الله لا عبد الحال وكان تارك لها ولا علة فكن عبد الله ولا علة لتكون له كما كان لك هو
هذا آخر الباب الثالث والعشرين وحاصله الكلام على القرب والوصال وما ينشأ عن ذلك
من مقامات الأفوال ونتائج الأحوال والغنا بالله عنها في كل حال فهذا هو النعيم على الدوام و
الاتصال الذي فتح به الباب الرابع والعشرين فقال وقال رضي الله عنه النعيم وإن تنوعت
مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو بوجود حجابه
فسبب العذاب وجود الحجاب وإتمام النعيم بالنظر إلى وجهه الكريم قلت نعيم الروح وعذابها
إنما هو شهود ربها واحتجابها فهو ذلك بعد تخلصها من عالم الأشباح وترقيها إلى عالم الأرواح فيكون حينئذ
نعيمها روح الوصال وريحان الجمال وعذابها احتجابها عن شهود ذي الجمال وبعدها من الكبير
المتعالي وهذا الأمر حاصل في دار الدوام لجميع الأنام لأنه تتميز الحق من الباطل ويعرف كل واحد مثواه
ومستقره فأهل الجنان أحسوا بالرضى والرضوان فهم عالمون بقرب الحق منهم ورضاه عنهم لكنهم
متفاوتون في العلم فمنهم من يعلم من وراء الرداء ومنهم من يدخل إلى داخل الرداء وفي البخاري وما بين الناس
وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ولا يعلم هذا الرداء إلا أهل الأذواق
وأما أهل النار فأحسوا بالبعد من الواحد القهار فتضاعف عذابهم في دار البوار ولو أن الحق تعالى
تجلى لهم بصفة جماله لأنساهم ذلك أليم عذابه ولو أنه تعالى احتجب عن أهل الجنة لتلاشى

عليهم بنعيم الجنان ولا انقلب نعيمهم نعمة وعذابا امام كانه في دار الدنيا عارفا فلا يحتجب الحق تعالى
عنه اذ كما شهده هنا بصفاته وانواره يشاهده ثم بلطائف اسراره بل ثم اولى لغلبة المعنى على الحس
والغيبة على الحكمة واما من كان هنا محجوبا فهو ثم ايضا محجوب قال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى
ولكن تنعيمه في النعيم الظاهر والباطن لان في دار البقاء يرتفع الحجاب لرقة الابدان ولطافتها فلذلك صار نعيمهم
لا يكمل الا بشهود القرب فاذا فقدوه تنغص نعيمهم لان في تلك الدار صار الحكم للارواح وفي هذه الدار الحكم
للاشباح الامر في هذا الى عالم الارواح فهو من اهل الجنة فنعيمه نعيم الارواح وهو روح الوصال وشهود
الكمال فنعيمه بشهود اقترابه ورضوانه فلو ازل عنه شهود القرب او قطع عنه مدد الرضوان لكان
عليه قبيح الجنان واما نعيم الاشباح وعذابها اعني من كان محجوبا بها فانما هو بموافقة ملايم
طبعه او مخالفته فاذا جاءه ما يلائمه من صحة وعافية وجمال حسي فهو في حقه نعيم واذا جاءه ما يخالف طبعه
من وجع او فقد او منع او فتنة فهو عذاب في حقه اذ لا حظ له في لذة القرب ومرارة البعد فانما حظه من
النعيم نعيم البهائم نعم لو قدرنا ان العادة تخرق له وينجلي الحق تعالى له في حال العذاب الحسي بصفة
جماله لنسي ذلك العذاب وهذا الذي ذكره الشيخ مذكور عند ارباب العشق فكم من عاشق ضرب في محبوبه
فلم يحس بالم الضرب فلما غاب عنه تفجع واستغاث فقيل له في ذلك فقال لما حضر من كنت اضرب من اجله غبت
عن الم الضرب فلما غاب عني وجدت الالم قلت ولهذا المعنى استلذ العارفون البلاءات وانواع
التعجيلات وضروب البليات لما ذاقوا في ذلك من اقبال المحبوب فهو ورضى مشهود دهره كان بعض الصحابة
رضي الله عنهم يقول الا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت لما احبهم واعزهم وكانت زوجة
بلال تصيح عند موته واكرباه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه وكان ضرب
عامر بن فهيرة بالرمح ونفذ من ظهره الى صدره فقال فزت ورب الكعبة وكان بعض الاولياء مجذوما
وهو يذهب عن اللحم من المرض ويبعدون من جنبهم فقيل له لو دعوت الله ان يدفعه عنك فقال رايت رب العزة في النوم
وهو يقول لي ان زدناك ابتليك ببلية ارفع لك بها اعلى الدرجات فقلت نعم فاصبح مجذوما فانظر
هؤلاء السادات لما عبروا من عالم الاشباح الى عالم الارواح لم يبق لهم نعيم ولا عذاب الا نعيم الارواح
او عذابها واما عذاب الاشباح فقد غابوا عنه فكان نعيم هؤلاء وقوت ارواحهم ذكر ربهم وشهود
نوره واقترابه حتى صار لهم غاية الابقاء لهم الابد ولا غنا لهم عنه ولو فقدوه لفارقت ارواحهم اشباحهم
وفي ذلك قيل ✽ بالفقد احياء الجسوم وذكره ✽ تحيا به الالباب والارواح ✽ هو عيشهم ووجودهم وحياتهم

✽ حقا وروح انفسهم والراح ✽ وقد قلت في قصيدتي العينية ✽ وتلوعة بالراح اذ فيه راحتي ✽ ✽
✽ وروحي وريحاني وخير واسع ✽ سكرنا بها بهاء جماله ✽ فغبنا عن الاحساس والنور ساطع ✽
✽ تبدت لنا شمس النهار واشرقت ✽ فلم يبق ضوء النجم والشمس طالع ✽ والحاصل ان نعيم الارواح
التي تشاهد محبوبها لا ينقطع عنها فنعيم العارفين لا ينقطع لان قرب الحق لا ينقطع فمن بعد نفسه
احس بالعذاب ولزمه الهموم والاحزان والتعب كما ابان ذلك بقوله ما تجده القلوب من الهموم والاحزان
فلاجل ما منعته من وجود العيان قلت انما كان سبب الهموم هو فقد الشهود لان الحق تعالى
قريب على الدوام وغيب على الدوام فمن كان في بلاء الحبيب فكيف يحس بعذاب شيء او حرمانه ان غاب الحبيب غيب
عن كل عقيب وقريب وايضا كل ما ينزل من عند الحبيب فهو حبيب فلا يلحقه شيء مكروه عنده حتى يحتنق
به ولا يهونه محبوب سوى محبوبه حتى يحزن عليه ففي محبوبه اجتمعت المحاسن كما قال القائل ✽ ✽ ✽
تذلل تحظى برؤيا جماله ✽ ففي وجه من تهوى الفرائض والنفل ✽ وفي هذا المعنى قال صاحب العينية
✽ تلذ لي الالام اذ كنت مصغيا ✽ وان تختبرني فهو عندي صنايع ✽ وبالجملة من كان نظره الى محبوبه
ومشاهدة نوره وجماله لم يبق له هم ولا غم كما قال ابن الفارض في شهود الخمرة ✽ فما سكنت والهم يوما
بموضع ✽ كذلك لم يسكن مع النغم الغم ✽ وقال ايضا ✽ ولو خطرت يوما على خاطر امرئ ✽
اقامت به الافراح وارتحل الهم ✽ ومما اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود لا تمزج همي
غير قلبك فتنقص منه حلاوة الروحانيين يا داود انما مرادي من خلقي ان يكونوا روحانيين وبالجملة
من كان عبد الله وغاب عما سواه لم يبق له شيء من الهموم لانه قد حصلت له المعية التي توجب الانس والطرب
بكل ما يجري الا ترى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر لا تحزن ان الله معنا حين احدق به المشركون
فكان عليه السلام في محل العيان فلم يهمه شيء ولم تقرب من ساحته الاحزان وكان ابو بكر في ذلك الوقت من مقام
غير مشاهد فدله عليه السلام على مقام الكمال لان الشهود فوق الايقان وانشد ✽ اما كبر العيان علي حتى
انه ✽ صار اليقين من العيان توهما ✽ اي لما كبر علي الشهود والعيان صار اليقين الذي كان عندي من اجل
العيان الحاصل الان توهما ومن جملة ما يقع الاهتمام به لمن لم يتصل بعينه امر الرزق وخوف الخلق حتى قال
الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه من ضمنهما ضمنت له الولاية والى ذلك اشار الشيخ الى الاول بقوله من تمام
النعمة عليك ان يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك قلت من تمام نعمة الله على عبده ان
يجمع همته اليه ويفرغ قلبه من التعلق بغيره كائنا ما كان فيرزقه ما يكفيه عن التعلق بغيره وهو

الغنا بالله اذ لا نعمة اعظم من الغنا بالله والغيبة عما سواه ويكفيه كل ما يطغيه حتى يشتغل به من دينه
فاذا رزقك الحق تعالى ما يكفيك لقيام بشريتك اكلا ولباسا ومسكنا ولقيام روحانيتك علما وعملا وفهما
ومعرفة ومنعك ما يطغيك ويشغلك عن حضورك مع ربك فقد اتم نعمته عليك فاشكره على ما اسدى اليك
وتوجه اليه وحده فيما تعذر عليك وجمع ما يشغل قلبك من النهوض اليه ان الله مع الذين امنوا ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد استعاذ عليه السلام مما يشغل القلب وينسي الرب فقرا وغنى فكان
يتعوذ من الفقر المنسي والغنا المطغي وقال اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا وقال عليه السلام خير الذكر الخفي
وخير الرزق ما يكفي وقال عليه السلام ما طلعت شمس الا وبجنبيها ملكان يسمعان الخلائق
غير الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى وقال عليه السلام ليس الغنا بكثرة
العرض انما الغنا غنى النفس وفي ذلك قيل غنا النفس ما يكفيك عن سد خلة فان زدت شيئا عاد ذاك
الغنا فقرا وقال عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه سمعت جارية مجنونة في خراب الابلة تنطق بالحكمة فكنت
اطلبها حتى وجدتها وهي محلوقة الراس عليها جبة صوف فلما راتني قالت مرحبا بك يا عبد الواحد فعجبت
من معرفتها ولم تره قبلها فقلت لها رحمك الله ثم قالت ما جاء بك قلت تعظيني قالت واعجبا لواعظ يوعظ
يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ومال الى شيء من الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد فظل حيران
ولهان فان كان له عند الله نصيب عاتبه وحيا في سره فيقول له عبدي اردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي واجعلك
دليلا لاوليائي ومرشدا لاهل طاعتي فملت الى عرض الدنيا وتركتني فاورثك ذلك الوحشة بعد الانس والذل
بعد العز والفقر بعد الغنا ارجع الى ما كنت عليه ارجع لك ما كنت تعرفه من نفسك ثم انصرفت عني وتركتني
وبقيت حسرتها في قلبي وفي بعض الكتب المنزلة ان اهون ما اصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا ان اسلبه حلاوة
مناجاتي وانما كانت الكفاية نعمة والزيادة عليها نقمة كما قال الشيخ لان النفوس مجبولة على حب العطاء
وكراهية المنع فاذا اعطاها فرحت واذا ازال عنها حزنت فمن اراد ان يدوم فرحه فلا يملك شيئا يحزن
على فقده كما ابان ذلك بقوله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه قلت فاذا اردت ان يدوم سرورك
فلا تملك شيئا تحزن على فقده لان حزنك على فقده دليل محبتك له فاذا اقتصرت على الضرورة والحاجة من مال
او جاه او عز او غير ذلك فلا تجد ما تفقده حتى تحزن عليه قيل لبعضهم لم لا تغتم قال لاني لا اقتني ما يغمني
وفي ذلك قيل شعر ومن سره ان لا يرى ما يسوءه شعر فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا شعر فان صلاح المرء يرجع
كله شعر فسادا اذا الانسان جاز به الحد شعر شعر يحكى انه رفع لبعض الملوك قدح من فيروزج مرصع

بالجوهر

بالجوهر لم ير له نظير ففرح به الملك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا فقال اراه مصيبة او فقرا
فقال كيف ذلك فقال ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل
اليك في امن من المصيبة والفقر فاتفق انكسار القدح فعظمت مصيبة الملك به فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل
الينا هـ وهنا ميزان اخر احسن من هذا وهو انك اذا اطلعت من نفسك وجدتها لا تستطيع افتقار ربك
لا تعارضه فيما يفعل بك فلا شك انك تستمتع بجريه مجرى حكمه لانك حينئذ مستغن عما بين يدي الحبيب فتتلقاه
بالرضى والترحيب وهذه معاوية في الرضى والتسليم فان صحبها شهود الفاعل المختار فهو النعيم المقيم
وهذه هي الولاية الكبرى من تقلدها لا يعزل عنها ابدا كما اشار الى ذلك بقوله ان اردت ان لا تعزل فلا تتول
ولاية لا تدوم لك قلت الولاية التي لا تدوم هي الولاية التي تاتي من جهة الغير وهي ولاية الخلق كخطة السلطنة
والقضاء والقيادة وغير ذلك من الخطط التي قلدها الله بعض عباده ويدخل فيها ايضا ولاية المعاني اذا كان يعظم
من اجلها او ينتسب اليها كان خاليا عن التقوى او العلم اذا كان خاليا عن العمل وغير ذلك من رياسة الدنيا فانها
تفنى وتنقطع ويعقبها ذل وفقر والولاية التي تدوم هي الولاية التي تاتي من جهة الحق وهي الغنى بالله والغنا
به والمعرفة له والغيبة عما سواه فلا شك ان هذه ولاية لا تنقطع وشرف لا ينفد وعز لا يبيد يحكى ان سيدي
عبد الله بن المبارك وكان من تابع التابعين ومن العلماء العاملين الزاهدين قدم على هارون الرشيد فلما دخل
العسكر انكب عليه العسكر لزيارته فوقع من الازدحام ضجة كبيرة حتى تقطعت النعال وارتفعت الغبرة فاشرفت
ام ولد هارون من قصر الخشب فلما رات كثرة الناس وازدحامهم قالت ما هذا قالوا لها هذا عالم خراسان
فقالت هذا والله هو الملك والعز لا ملك هارون الذي يجمع الناس اليه بالسوط والعصا وايضا الولاية التي
تدوم تنسحب عليه وعلى ذريته بركته فيهم على قدر جاهه عند الله وعظيم ولايته فكل من عظمت ولايته
دامت على اولاده واتباعه بعد زوال الولاية وهو معنى قوله تعالى على بعض التفاسير وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم اي وليخش الله الذين خافوا على اولادهم فان الله يحفظه فيهم وقيل
في قوله تعالى وكان ابوهما صالحا انه كان جدهم السابع فحفظهما الله تعالى اليتيمين ببركة صلاح الجد والله تعالى
اعلم واما ان توليت التي لا تدوم فكن فيها على حذر ولا تغتر بحلاوة بدايتها فان نهايتها مرارة كما
ابان ذلك بقوله ان رغبتك البدايات زهدتك النهايات قلت الولاية التي لا تدوم كعز بمال
او جاه او عشيرة او غير ذلك من عز الدنيا اولها حلو لمتعة النفس ووجود حظها فيها واخرها مر لفقد
تلك الولاية ولو بالموت ولما يعقبه من الذل والهوان ولذا قال عليه السلام نعمت المرضعة وبئست

العاقبة فان رغبتك في هذه الوقاية التي تنفي حلاوة بدايتها زهدتك فيها مرارة نهايتها فان غرتك ظاهر
بهجتها فاعتبر بباطن حصر نهايتها ان رغبتك فيها حلاوة اقبالها زهدتك فيها مرارة ادبارها قال ابو علي
الثقفي رضي الله عنه اف لاشتغالي الدنيا اذا اقبلت واف من حسرتها اذا ادبرت والعاقل لا يركن الى شيء اذا اقبل كان فتنة
واذا ادبر كان حسرة وانشد ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمري عن قريب يلومها اذا ادبرت
كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها وكتب علي كرم الله وجهه ورضي عنه
الى سلمان الفارسي رضي الله عنه مثل الدنيا كمثل الحية لين لمسها قاتل سمها فاعرض عن كل ما يعجبك فيها لقلة
ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن الى سرور منها اشخصته
الى مكروهها وقيل الدنيا احلام منام وسرورها ظل غمام احداثها سهام وفتنتها طوام امواج
وسمها الله بالوحشة وقرنها بالفجائع والدهشة ثم اوحى لها بلاء فتشح على اوليائه وتوسع
على اعدائه فمن تكن الدنيا بعيس الانصاف بجاه منها افل الاوصاف اذ ليس فيها شيء محمود الا وقابله شيء
مذموم كالمال بالاسراف والغناء والهرم للشباب والصحة بالسقم والعز بالحرب والعز بالذل والحياة
بالموت قلت حكي عن الولي الصالح سيدي قاسم بن حميع من قبيلة بني سعيد انه قصده اذ ابتليه بعض الحلاج
بعض الرسبي الحي الى بتعة فجلس عنده فتحه مشتكيا بلسان حاله فصح له من القبر بعود الرجال كلا غبطه
متكوبا لم يجبا مدة فيه هذين البيتين اذا رماك الزمان يوما بنكبة فهي له صبرا واوسع له صدرا
فان حوادث الزمان غريبة فيوما ترى عسرا ويوما ترى يسرا وقوله ظاهرها الدنيا ذات هو انه
باطنها انما غرة فلا تغتر وهذا معنى قوله ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن قلت
ظاهرها خضرة حلوة وباطنها خبيثة مرة قال عليه السلام الدنيا خضرة حلوة وان مما ينبت الربيع
يقتل او يلم حبطا الحديث وقد شبه بعض الحكماء الدنيا بستة اشياء شبهها بالماء المالح يغر ولا
يروي ويضر ولا ينفع قلت وكذلك الدنيا تغر صاحبها ويموت عطشان منها وشبهها بظل
الغمام يغر ويخذل قلت وهو الذي يغطي بعض المواضع فاذا اشرقت الشمس تقشع عنه وشبهها
بالبرق الخاطف يغر بسرعة الذهاب والاضرار وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بزهرته ثم
يصفر فتراه هشيما وباحلام النائم والسرور في منامه فاذا استيقظ لم يجد بيده شيئا وبالعسل المشوب
بالسم الزعاف يغر ويقتل قال فتدبرت هذه الحروف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا واحدا
فشبهتها بالغول التي تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها ثم نقلها ابن عباد رضي الله عنه فانظره ثم علل

وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان

يغي

كون

كون الدنيا محلا لهاتين الاكدار والاغيار فقال انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك
فيها قلت انما وسم الله الدنيا بهذه الاوصاف من كونها محلا للاغيار والاحزان ومعدنا لوجود الاكدار
والفتن تزهيدا لك فيها فتقبل بكليتك عليه وتتوجه بهمتك اليه او لتعرض عن الدنيا وتقبل على الاخرة قال
بعضهم انما مثل الدنيا كالبحر الهائل المحيط والاخرة وراء ذلك البحر ولا ينكشف الحجاب عن عين القلب بالنظر
الى الدار الاخرة الا بعد الجواز على ذلك البحر بسفن الصبر والرضى لانه بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه
سحاب ظلمات بعضها فوق بعض يغشاه موج الشهوات من فوقه موج الغفلات من فوقه سحاب الظلمات
وايضا لو بسطت لك الدنيا لكرهت لقاء الله وبكيت الله لقاءك ولو بسطت لك العوائد النعم لركنت الروح
الى هذا العالم فينبغي اجلاء عالم الاشباح والمقصود منك هو الرحيل الى عالم الارواح فضيق الحق
عليك هذا العالم السفلي لترحل منه بهمتك الى العالم العلوي فهو منه سبحانه انعام واحسان
لا كنه فارق الامتنان وجباية وفقها الا اولو الالباب الحسان وبهذا ما اشار اليه بقوله علم انك لا تقبل
النصح المجرد فذوقك من ذوقها ما يسهل عليك وجدانها قلت قد علم الحق سبحانه ان من عباده من
لا يقبل النصح بمجرد القول فلا يزهد في الدنيا بمجرد سماع المواعظ فيهم من اهل العلم والفهم يسمعون
القران يقرؤهم عليها ويحذرهم من غرورها وهم غايبون عن ذلك التحذير مشغولون بما يوجب قلوبهم
التكدير فلما اراد سبحانه ان يصطفي لحضرته من شاء من عباده نغصها عليهم وشدد عليهم البلاء والمحن
واجرى على ظاهرهم مواقع المحن على ذلك عناية بهم لينفروا من اركانها بلطفها فلا يغتر بحلاوة زخرف
ظاهرها قال عليه السلام من اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين نظروا الى باطن
الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها واهتموا باجلها حين اهتم الناس بعاجلها الحديث وقد تقدم
عنه قوله لا تكون ظاهرها تغر وباطنها تقبح [illegible] من هذه الجالبة التي تغني
النفس وتغرها فهي كثير صفة فقد قالوا الاختيار بعد الامتحان وكل محنة تزيد مكنة واختيار
البالغ يقطع التباعد فقد تبقى القلب بقية من حب شيء من هذا العالم ويكون لشيء من الدنيا
فيسلط عليه ما يشوشه عليه وينغصه لديه كل ذلك عناية به ليرحل من هذا العالم الى عالم الملكوت
فلا تخفى رحيله استوى عنده الحلو والمر والعز والذل والفقر والغنى لانه تحقق ان كل ما عند الله
وما في الوجود سواه وهذا هو العالم الحقيقي الذي هو العلم النافع واليه اشار بقوله العلم النافع
هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف به عن القلب قناعه قلت العلم النافع هو علم

القلوب فمرجعه الى تصفية القلوب من الرذائل وتحليتها بالفضائل . او نقول مرجعها الى التخلية والتحلية فيجب
الاعراض عن عيوب النفس وعيوب القلب وعيوب الروح وعيوب السر فيطهر كل واحد من عيوبه فاذا تطهر الجميع تحلى
بصفات الكمال كالايمان والايقان والطمانينة والمراقبة والمشاهدة وتحلى ايضا بالحلم والرافة والعفة والكرم
والايثار وسائر الاخلاق الحسنة فشعاع العلم الذي تنبسط به الصدر هو ثلج اليقين وبرد الرضى والتسليم
وحلاوة الايمان . ومواجيد العرفان . وينشا عن ذلك محبة الله وهيبته والحياء منه والسكون والطمانينة
وغير ذلك مما تقدم من الاخلاق الحسنة والقناع الذي ينكشف عن القلب هو الغفلة وسبب الغفلة هو الرضى
عن النفس وسبب الرضى عن النفس هو حب الدنيا الذي هو اصل كل خطيئة فمن حب الدنيا ينشو الحسد
والكبر والحقد والغضب والشح والبخل وحب الرياسة والقساوة والفظاظة والغلو وغير ذلك من العيوب
فاذا انكشفت هذه الامور عن القلب انبسط فيه شعاع العلم التي هي ثلج اليقين وبرد الرضى وما تقدم
ذكره لان العلم بالله نور في القلب وينبعث منه شعاع تنبسط في الصدر فيكسبه الزهد في الدنيا فاذا
زهد في الدنيا اتسع صدره باليقين والرضى والتسليم وغير ذلك من المحاسن فكشف القناع مقدم على التخلية
فلو قال هو الذي ينكشف به عن القلب قناعه وينبسط في الصدر شعاعه وجعل ان يريد بالانبساط
الشعاع في الصدر نور الاسلام والايمان وهي انوار التوجه ويكشف القناع عن القلب كشف حجاب الحس
وظلمة الكون فتبدو انوار المواجهة وهي انوار الاحسان . واسرار العرفان . وعلى هذا يكون ترتيب كلام
الشيخ حسن والله تعالى اعلم والحاصل ان العلم الذي يوجب الخشية هو العلم النافع وغيره ليس بنافع
واليه اشار بقوله خير علم ما كانت الخشية معه فان لم تكن خشية فلا خير فيه لانه حجة على صاحبه واليه اشار
بقوله العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك قلت لان العلم الذي تصحبه الخشية يمنع صاحبه
من الغفلة واسبابها ويزهده في كل ما يشغل عن العمل به ويرغبه في كل ما يقربه الى ربه فيكون عونا له على الوصول
الى معرفة الله والقرب من ساحة رضاه فان لم تقارنه الخشية كان وبالا عليه لانه حينئذ حجة عليه لان المعصية
مع العلم اقبح من المعصية مع الجهل وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال ويل للجاهل مرة وويل للعالم
الذي لم يعمل عشر مرات ذكره الغزالي ومثله قول الشيخ ابي الحسن رضي الله عنه في حزبه الكبير فالويل لمن لم يعرفك
بل الويل ثم الويل لمن اقر بوحدانيتك ولم يرض باحكامك فان قلت فقد ورد في بعض الاحاديث ان الله يغفر للعالم
اربعين ذنبا قبل ان يغفر للجاهل ذنبا واحدا قلت قد يجاب بان الحديث الاول ورد فيمن مات مصرا
من العالم والجاهل فان عذاب العالم اشد لانه قد ورد انه يجيء فيصبه في النار ويدور برحى في جهنم بظلام الجاهل

لم يرد فيه هذا والحديث الثاني فيمن تحققت توبته منهما فان العالم بيده مصباح العلم فيتدارك به ما فات الذي
من الجاهل اذا اذنب فقد يجبر العالم الخلل في شهر ما لا يجبره الجاهل في سنة والله تعالى اعلم والحاصل ان الاولى العالم
والجاهل اذا ماتا مصرين واستوى فيهما فالعالم اشد والعكس والله تعالى اعلم وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي العلم الذي
والدراهم ان شاء الله نفعك بها وان شاء ضربك بها وقال في لطائف المنن فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله
تعالى من عباده الخشية لله وشاهد الخشية موافقة الامر اما علم تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لاربابها
وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الاخرة فما ابعد من
هذا علمه من ان يكون من ورثة الانبياء عليهم السلام وهل ينتقل الشيء الموروث الى الوارث الا بالصفة التي كان
بها عند الموروث ومثل من هذه الاوصاف اوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق
نفسها جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا في تكثير العقوبة لديه قال الشيخ زروق رضي
الله عنه وفيه اشعار بان العالم غير المتقي ليس بوارث وفيه نظر لان افساد الموروث والعمل به غير حق لا يخرج
من كون الوارث وارثا والعقوق لا ينفي النسب لكن يقال فيه وارث سوء وقد اثبت الله العلم لمن يخشاه ونفاه عمن
لم يخشاه قلت وقد يقال الموروث عن الانبياء هو غاية العلم وثمرته وهي الخشية والمعرفة فلا مجيء
الرسوم لان ذلك واسطة فاذا لم يحصل الموصول فلا عبرة بالواسطة فاذا الوراثة لعالم الرسوم اذ ليست مقصودة
بالذات وقد كان الشيخ الولي الكبير ابن ابي جمرة رضي الله عنه يقول في علماء وقته انما هم معلمون يعني انهم يحفظون
جزئيات العلم فهم صناع وليسوا بعلماء والله تعالى اعلم وقد اطال الشيخ ابن عباد الكلام في هذا الموضع فليطالعه
من اراد تخليص نفسه من فتنة العلم وبلية التعويق ومن علامة العلم النافع القناعة بعلم الله والاكتفاء بنظره
وثمرة القناعة عدم المبالاة بذم الناس ومدحهم واقبالهم وادبارهم واكتفاء بعلم الله ونظره كما اشار الى ذلك بقوله
متى آلمك عدم اقبال الناس عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يقنعك علمه
فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم قلت اذا سلط الله عليك
خلقه ليختبرك هل انت غني به او تخلفه فلا تبرح عنك او اشتغلوا بذمك وشتمك ثم توجهت من ذلك
فارجع الى علم الله فيك واطلاعه عليك اذ لا يخفى عليه شيء من امرك فان تجاري ذلك وقنعت به وانست
بذكره او شهوده استوى عندك ذمهم ومدحهم واقبالهم وادبارهم بل ربما اثرت ادبارهم اذ فيه
راحتك وتفريغ قلبك مع ربك فان لم تقنع بعلم الله ولم تكتف بنظره وتاسفت على ادبارهم او تالمت من
اذاهم فمصيبتك بضعف ايمانك وذهاب يقينك اشد من مصيبة ذم الناس وادبارهم عنك لان هذا

موجب لسخط الله وغضبه وسقوطك من عينه ومحبته واما اذاية الخلق وجفاهم عنك فرحمة بك وايضا اذا اشتغل
بك مكروا ضرارك فانظر انت مقامك مع ربك فان كنت مع ربك فاحمد فلا يكيدك شيء ولا يضرك شيء كما قال شيخ
شيوخنا المجذوب رضي الله عنه النّاس قالوا ابو بدعو وانا طيف مجبور اذا صفيت مع ربي العبد مالمه
ضرورا قال ابراهيم التيمي رضي الله عنه لبعض اصحابه ما يقول الناس فقال يقولون انك مراءٍ فقال الان طاب
العيش فقال بعض الحكماء حين بلغه كلام التيمي اكتفي والله بعلم الله فلم يحب ان يدخل مع علم الله علم غيره
وقال ايضا بعض الحكماء سكون القلب الى قبول المدح لها اشد عليها من المعاصي وقال احمد بن ابي الحواري
رضي الله عنه من احب ان يعرف بشيء من الخير او يذكر به فقد اشرك مع الله في عبادته لان من عمل على المحبة لا يحب
ان يرى عمله غير محبوبه وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه لا تنشر علمك ليصدقك الناس وانشر علمك
ليصدقك الله وان كان لابد والعلة موجودة فعلة تكون بينك وبين الله من حيث امرك خير من علة تكون بينك وبين
الناس من حيث نهاك وعلة تردك الى الله خير لك من علة تقطعك عن الله فلا جل ذلك لم يعملوا بالثواب اذ لا يخاف
ولا يرجى الا من قبل الله وكفى بالله صادقا ومصدقا وكفى بالله عالما ومعلما وكفى بالله هاديا ونصيرا وولي يهديك
ويهدي بك ويهدي اليك وينصرك وينصر بك ولا ينصر عليك ويليك ويوالي بك ولا يوالي عليك انتهى
ثم ذكر حكمة وجود الاذى من الخلق للاولياء الله فقال انما اجرى الاذى عليهم كي لا تكون ساكنا اليهم اراد ان
يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء قلت الروح اذا ركنت الى هذا العالم السفلي وسكنت
فيه واحبت ما فيه تعذر نقلها الى عالم الملكوت الذي هو العالم الروحاني لما الفته من حب الاهل والاولاد والاحباب
والعشائر من حكمة الله تعالى ولطفه وابراره بوليه ان يحرك عليه ما ركنت اليه نفسه والفته روحه لاحب
فالاحب فاول من يغيره اهله واولاده ثم جيرانه واحبابه ثم ينكره العالم باسره فاذا رأت الروح ان هذا العالم
انكرها وضاق عليها رحلت الى مولاها ولم يبق لها تشوف الى هذا العالم لما جبلت عليه من طلبها وتشوفها
بتاويها وبقاؤها لو بقيت النفس على ما هي عليه من السكون تحت ظل الجاه والعز ما رحلت من هذا العالم
اصلا وهذا قوي على الاولياء الذي دل على علو مقامهم عند المولى فانما اجرى الحق سبحانه الاذى على ايدي
الخلق اليك اذ هو المجري والمنشئ فلا فاعل غيره كي لا تكون ساكنا بقلبك وروحك اليهم فيعوقك ذلك عن
العروج الى الملكوت اراد الحق تعالى ان يزعجك عن كل شيء من هذا العالم حتى لا تركن الى شيء ولا يشغلك عن
شهوده شيء اذ محال ان تشهده وتشهد معه سواه او تحبه وتحب معه سواه ان المحبة ان تشهد غير
محبوبها فاذا تمكنت المحبة وكمال الشهود رده ان شاء الى عباده مرشدا يرشدهم بالله قال في لطائف

المنن

المنن اعلم ان اولياء الله تعالى حكمهم في بداياتهم ان يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتكمل فيهم
المزايا وكي لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد ويميلوا اليهم باستناد ومن اذاك فقد اعتقك من رق احسانه
ومن احسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه
فان لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان الخلق ويتعلق بالملك الحق ثم قال وقال
الشيخ ابو الحسن اهرب من خير الناس اكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم
يصيبك في بدنك ولان تصاب في بدنك خير من ان تصاب في قلبك ولعدو تصل به الى الله خير من حبيب يقطعك
عن الله وعد اقبالهم عليك ليلا وادبارهم عنك نهارا الا تراهم اذا اقبلوا فتنوا قال وتسليط الخلق
على اولياء الله في مبدا طريقهم سنة الله في احبابه واصفيائه قال الشيخ ابو الحسن في حزبه اللهم ان القوم
قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا انتهى قال ومما يدل على ان هذه
سنة الله في احبابه واصفيائه قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول الاية الى غير ذلك من الايات الدالة على هذا
المعنى انتهى وقال بعض العارفين ويجب ان تعلم ان النفوس شانها استخلاء الاقامة في موطن العز
والرفعة فلولا كفها الحق سبحانه لهلكت فان زعجها عن ذلك بما سلط عليها من الاذى والمؤذين ومعارضة
الجاحدين وفي هذا المعنى قيل عداتي لهم فضل علي ومنة فلا ابعد الرحمان عني الاعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا وقال بعضهم الهيبة
من العدو سوط من الله يرد بها القلوب اذا سكنت غيره والا رقد القلب في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله
تعالى عظيم وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اذا انتصرت ذرعا بذلك فتمثل من اين يقال
من علامة الصديقية كثرة اعدائها ثم لا يبالي بهم فاذا تقرر هذا علمت ان اذاية الخلق للولي سنة
ماضية بل هي سنة انبياء الله ورسله فلن تجد لسنة الله تبديلا وانظر احوال نبينا عليه الصلاة والسلام
ما وقع معه في بشرية بالبلد مكث معهم بعد النبوءة التي هي محل الاذى من الخلق ثلاث عشرة سنة كلها
جفاء وشدة وبلاء وحين انتقل الى المدينة لم تكن له راحة بين جهاد وتعليم ومعاناة احبار يهود
بالاذاية والتشغيب حتى لقي الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وكذلك اصحابه من بعده
وبعده لم تكن لهم راحة وجلهم ماتوا مقتولين فقد مات الصديق مسموما ومات الفاروق مقتولا
وعثمان مذبوحا وسيدنا علي مضروب بالسيف مسموما حتى مات والحسن مسموما والحسين مقتولا
حتى بعثوا راسه الى الشام ثم دفن بمصر حمله بعض الملوك ودفنه بمصر وهو مزارة الحسين المشهورة

عنده ثم ما انجى وقد شيعى بالجنيد واصحابه للسلطان واتى بهم للسيف ثم بعث الله بهم وفيهم
الفقهاء بغداد فقالوا للمتوكل ان الجنيد قد تزندق هو واصحابه فقال لهم الملك وكان يميل الى الجنيد يا اعداء
الله ما اردتم الا ان تفنوا اولياء الله من الارض واحدا بعد واحد قتلتم الحلاج وانتم تريدون ان تقتلوا عباد الله ولا
تزدجرون وهذا الجنيد لا سبيل لكم اليه حتى تغلبوه بالحجة فاجمعوا له الفقهاء واعملوا له مجلسا فان انتم
غلبتموه وشهد الناس بانكم غالبون عليه قتلته وان هو غلبكم والله لامشين عليكم بالسيف حتى لا يبقى
منكم احد على الارض قالوا نعم فجمعوا له الفقهاء من الشام واليمن والعراق والامصار فلما اجتمع الفقهاء
في ذلك حتى لم يبق في الجوانب الاربع من يعرف مسئلة في دين الله الا حضر فلما اجتمع الفقهاء في المجلس
بعث الملك اليه فاتى هو واصحابه الى باب القصر فدخل الجنيد وترك اصحابه وادى حق الخليفة بعض من
التعظيم وقعد فقام اليه احد الفقهاء يسئله في مسئلة فسمعه القاضي علي بن ابي ثور فقال لهم اتسئلون
الجنيد فقالوا نعم فقال لهم اعليكم من هو افقه منه فقالوا لا فقال يا عجبا هو افقه منكم في علمكم وقد تعرفه
في علم تنكرونه عليه فقط ولا تعرفونه فكيف تسئلون رجلا لا تدرون ما يقول فبهت القوم وسكتوا زمانا
ثم قالوا اما العمل يا قاضي المسلمين فانت بما شئت فنصنع فامرك مطاع قال فوجه القاضي وجهه الى الامير
وقال له اترك الجنيد واخرج الى اصحابه صاحب سيفك وهو الوليد بن ربيعة ينادي فيهم من يقوم الى السيف
فاول من يقوم اليه تسئله فقال الملك رحمه الله لم ذلك نروع القوم ولم تنقض لهم حجة لا يحل لنا
ذلك فقال القاضي يا امير المومنين ان الصوفية يحبون الايثار على انفسهم حتى بانفسهم فاذن من
ينادي ايكم يقوم للسيف فالرجل الذي يقوم مبادرا الى السيف هو اكثر الناس جهلا واكثرهم صدقا لله
عز وجل فيقوم ويؤثر اصحابه بالعيش بعده فاذا قدموا جهلهم علينا جعل الفقهاء فيما تظنون وتدرون
فيما يطلبونه منه فان الفقهاء لا يغلبونه ولا يغلبهم فيقع الصلح بيننا وبينهم فانها فتنة نزلت
مصيبة عظيمة لا ندري من يقع النجاة منها فانه ان قتل الجنيد نزلت داهية في الاسلام فانه قطب
الاخيار في عصرنا وان قتل العلماء والفقهاء فهي مصيبة عظيمة فقال له الامير لله درك لقد اصبت
ثم عمد على الوليد وقال افعل ما يقول لك القاضي فخرج الوليد وهو مقلد سيفه فوقف على المريدين
وهم ما يتان وستون رجلا قعود اناكسين رؤوسهم وهم يذكرون الله فنادى فيهم ايكم من يقوم
الى السيف فقام اليه رجل يقال له ابو الحسن النوري فقال الوليد ما رايت طالبا اسرع منه وثب فوقف بين
يدي فتعجبت من سرعة قيامه فقلت يا هذا اعلمت لم قمت فقال نعم الم تقل ايكم من يقوم للسيف فقلت

لم

له نعم ولم قمت قال علمت ان الدنيا سجن المومن فاحببت ان اخرج الى دار الجزاء وان اوثر اصحابي على بالعيش
ولو ساعة ونحن على اقتل فيقع الشيء فيسلم جميعهم ولا يقتل احد غيري قال الصاحب فعجبت من فصاحته فقلت
له اجب القاضي فتغير لونه وسالته عن ذلك على خده فقال اوقد عاد القاضي قال نعم قال فجفا على اجابته فدخلت
وهو معي فاخبرت الملك والقاضي بقصته فتعجبا منه وساله القاضي في مسئلة غميقة فقال من انت ولم خلقت
وما اراد الله بخلقك واين هو ربك منك فقال ومن انت الذي تسئلني فقال انا قاضي القضاة فقال له اذا لا رب
غيرك ولا معبود سواك انت قاضي القضاة وهذا يوم الفصل والقضاء والناس قد حشروا فهي جاء بالنفخة في الصور
التي قال الله فيها ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله أأنا ممن صعق ام انا ممن
شاء الله الذي لم اشهد النفخ فبهت القاضي زمانا وقال يا هذا جعلت مني الها فقال معاذ الله بل انت تالهت
حيث تسميت بقاضي القضاة وليس قاضي القضاة الا القاضي الذي يقضي ولا يقضى عليه فاستعليت الاسماء اما
كفاك قاضي المسلمين او احد الفقهاء ام احد من عباد الله حتى تسميت بقاضي القضاة اذ استكبرت ان تقول
انا علي بن ابي ثور فمازال يقرعه حتى بكى القاضي وهو ان ترى نفسه وبكى الملك لبكائه فقال له الجنيد اخص من
عذابك للقاضي وقد قتلته فخل سبيله فلما افاق القاضي قال يا ابا الحسن اجبني في مسئلتي وانا اتوب الى الله
من بعد بك فقال اذكر مسئلتك فانه نسيتها فاعاد عليه مسئلته فنظر عن يمينه وقال اتجاوبه ثم قال حسبي الله
ثم فعل عن يساره مثل ذلك ثم نظر امامه وقال اتجاوبه ثم قال الحمد لله ثم رجع راسه الى القاضي وقال له اما
قولك من انت فانا عبد الله لقوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا واما قولك
لماذا خلقت فان الله كنز الاجر فخلقني لمعرفته قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون
كذا قال ابن عباس وغيره واما قولك ما اراد الله بخلقي فما اراد الا كرامتي قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم فانا من
بني ادم وقولك اين ربك منك فهو مني حيث انا منه لقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم فقال اخبرني كيف هو
معك ومعنى قولك وهو معكم اينما كنتم قال هو معنا كيفما كنا معه فان كنا معه بالطاعة كان معنا
بالعون والهدى اليه وان كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشيئة وان كنا بالمعصية كان معنا بالمهلة
وان كنا بالتوبة كان معنا بالقبول وان كنا بالتعزي كان معنا بالعقاب قال صدقت فاخبرني ابن هو منك فقال
اخبرني اين انت منه اعلمك اين هو منك قال صدقت يا علي فيما قلت ولكن اخبرني بمسئلة ثانية قال وما هي
قال لهلكتم فيكم حين سالتك قال اعز الله القاضي ان المسئلة التي سالتني عنها لم يكن عندي ما اجيبك
به فيها فسالت الملك الكريم فيها جواب لاني ما سئلت فيها قط ولا سمعتها فلما سالتني لم

١٥٠

يكن عندي ما اخبرك به فسالت الملك الكريم الذي يكتب في اليمين فقلت له اخبرني انت فقال لي لا علم لي فقلت حسبي
الله وفوضت اموري الى الله فقال من عن شمالك فقال كذلك فقال وامامك فقال مسالت قلبي فقال عن سره عن ربه
ما جئتني به فقلت الحمد لله شاكرا على الهداية وقلت له يا شيخ عن اجر اي النهاية فقال يا هذا اتدرك الملايكة
فقال الله ويحك اما ترى رب الملائكة علمني حين هديتني بحجة وكنت لا اعرفها فقال لي يا هذا الا ترجع عندي حصف
وثبت عندي كبرك ورزنة فتك فما ترى يد ان اجعل بك وبالي فقلت تريد ان اقتلك فقال له وما الذي تريد ان تفعل بي
وانت قاضي القضاة ان كنت تقضي ولا يقضى عليك فاقض بما شيت واي فعل لك فقال له انا القاضي المقتضي
بما يقضى به او نقض بما يقضى به فقال له او وجهت الخطاب عن القاضي الذي يقضي ولا يقضى عليه قال له وما هو قال
لقوله تعالى واليوم لا تكلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون فقال له وما تريد انت افض بما شيت الان
طبت وطابت نفسي على لقاء ربي فعند ذلك رد القاضي راسه الى المتوكل وقال له يا امير المومنين اترى هولاء فان
كان هولاء زنادقة فليس على وجه الارض مسلم هولاء مصابيح الديجور دعائم الاسلام وهولاء المومنون
حقا عباد الله المخلصين فعند ذلك عطف الملك على الجنيد وقال يا ابا القاسم هولاء الفقهاء ما اجمعوا
لك هذا المجلس العظيم واستعدوا لمناظرتك الا ليقتلوك لو غلبوك والان انت الغالب عليهم وانا الان
على نفسي ان انت غلبتهم وان امضي عليهم السيف فاما ان تعفو عنهم او العياذ بالله ان يموت احد منهم
بسيفي عفا الله عنا وعنهم ولا اخذ عليهم بانكارهم علينا لانهم ما لم يفهموا لذلك الا الجهل وقلة
العلم بما طلبوا عفا الله عنا وعنهم فانحل المجلس على سلام ولم يمت فيه احد والحمد لله ثم عطف
القاضي على النوري وقال له يا علي اجبني حالك والله شهيد انا احبك ولاكن اسالك سوال رجل مسترشد
طالب رشد يرى حقك الله فقال سل عما بدا لك فان كان عندي جواب اخبرتك والا قلت لك لا علم لي ولا يعظم
ذلك علي ثم ساله عن مسايل عديدة كافة تقدم بعضها عنه قوله يا عجبا كيف يبقى الوجود بالعدم وباجمعها
ارشيتم وتركت الباغ الكثيرة التعجب في النسخة التي وقعت بايدينا والله تعالى اعلم فهذه محنة الصوفية
التي وقعت في زمن الجنيد وهذه سنة الله في اوليائه وانبيائه هم اشد الناس بلاء وانظر ايضا قضية العقب
الشهير شيخ اشياخنا الشيخ ابن مشيش فقد مات مقتولا كما هو معلوم وكذلك قضية تلميذه امام
القاضي ابي البراحي اخرجه من تونس وكتب به الى عامل مصر وعمل به بينة انه مشوش وانه يطلب الملك فانتصر الله
له كما هو شانه سبحانه من انتصاره لاوليائه وكذلك قضية الغي واني فانه امتحن بالقبض والسجن كما
هو مشهور ذكره صاحب المنح وغيره وذكر التجيبي ان الشبلي رجع الى السلطان واخرج ابو يزيد من

واما ان يموتوا بغير الله
الحيز العباد بالشرك

بلده

١٥١

مدينة بسطام مرارا وهذا امر شهير قال بعض الحكماء اذا اراد الله ظهور الحق جعل من خلفه من يعانده ويبرح
اخماده فيكون ذلك سبب الظهور وايضاحه ولذلك سلط الله على كل نبي عدوا من المجرمين وعلى الاولياء
كذلك وانشدوا ۞ اذا اراد الله نشر فضيلة طويت ۞ اتاح لها لسان حسود ۞ لولا اشتعال النار
فيما جاورت ۞ ما كان يعرف طيب عرف العود ۞ ۞ وانما اطلنا هذا لانجرار الحال اقتضى ذلك
لان وقت التاليف صادف عنوان الجلال والله يرزقنا التاديب نحن واحبابنا ومن تعلق بنا بجاه المصطفى
وءاله وعلامة التاديب هو حصول التوجيه بوقوف الشدة بحيث يكون اي اهميا فاذا رمى به في نار الجلال
وتحيره الكون يقول له الك حاجة يقول له العارف اما اليك فلا واما الى الله فبلى فحينئذ يقول الله لنار الجلال
كوني بردا وسلاما على وليي فينقلب حرها بردا وسلاما قال سيدنا ابراهيم الخليل ما رايت نعيما قط مثل
تلك الايام التي كان فيها في النار قلنا وكذلك نار الجلال ليس يشبهها نعيم حتى تنقلب بردا وسلاما
برد الرضى وسلام التسليم فيكمل النعيم واعلم ان اذاية الخلق من احد القواطع التي قطعت
الناس عن الولاية اذ لا يصبر عليها الا الصديقون فذكر الشيخ مضرة ذلك وسكت ومن القواطع ايضا
النفس والشيطان فاشار الشيخ الى كيفية دفع اذاية الشيطان بقوله اذا علمت ان الشيطان لا يغفل
عنك فلا تغفل انت عمن ناصيتك بيده قلت اعلم ان الحق تعالى جعل بحكمته الشيطان والنفس
والناس حراس الحضرة فلا يدخل احد الحضرة حتى يجوز عليهم ويجوز عنهم لانهم واقفون بالباب كلهم
الله بباب حضرته وقال لهم لا تتركوا احدا يدخل الا من يغلبكم فوقفوا بالباب فاذا جاء مريد يريد
الدخول تعرض له الخلق فيصيحون له الطريق وينكرون من يعرفها فاذا غلبهم جاءه الشيطان
يصول عليه مدة الفتح ويخوفه من الفقر ويقول له متى يفتح الله عليك قيل يكون وقيل لا يكون فاذا
غلبه وزاد تعرضت له النفس تقول له كيف تركت دنياك وجاهك وعزك الشيء يكون او لا يكون فاذا
غلبها قال له الحق تعالى مرحبا بك واهلا ولاكن القواطع لا يزول طمعها عنه حتى يتمكن في الحضرة
ولذلك قالوا ما رجع من رجع الا من الطريق واما من وصل فلا يرجع وقال ءاخر ۞ والله ما نشتكي
خليع ۞ وان نعل وان صحا ۞ حتى يفصح في الفصيح ۞ وبه وردوا الرحا ۞ وان ثبت سبعين
سريع ۞ وان شرب حتى امتلا ۞ فاذا ايها الفقير اما ان تعلم ان الشيطان لا يغفل عنك ساعة
لانه يتبادر صدرك من جهة شمالك فاذا غفلت عن ذكر الله وسوس واذا ذكرت الله انخنس فاذا
علمت ذلك فلا تغفل انت عمن ناصيته بيده وهو الحق تعالى فاذا اشتغلت بالله رده عنك

وكيف امره قال تعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقد حذر الله تعالى منه في كتابه قال تعالى ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا فجعلهم فوق ان الشيطان لكم عدو وانا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبة الحبيب فيكفيكم هو
عداوة العدو كما قال الشيخ ابو العباس وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه عداوة العدو
حقا هو اشتغالك بمحبة الحبيب حقا فاذا اشتغلت بعداوة العدو فاتتك محبة الحبيب ونال العدو
مراده منك وكتب الشعراني الى شيخه بالمغرب يشكو اليه اذاية الخلق فكتب له الشيخ لا تشتغل بمن
يؤذيك فتضر واشتغل بالله يرده عنك فانه هو الذي حركه عليك ليختبر دعواك في الصدق وقد غلط في هذا
الامر خلق كثير اشتغلوا باذاية من اذاهم فدام الاذى مع الاثم ولو انهم رجعوا الى الله لكفاهم امرهم
ولم هم عنهم والسلام هكذا سمعت هذه الحكاية من الشيخ وقال الشيخ زروق رضي الله عنه وانما ينقمع
الشيطان بالتوكل والايمان قال الله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وقيل
الشيطان كلب ان اشتغلت بمقاومته مزق الاهاب وقطع الثياب وان رجعت الى ربك صرفه عنك برفق
وقال ذو النون رضي الله عنه ان كان هو يراك من حيث لا تراه فالله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن
بالله عليه قلت ومن عرف الله ذاب الشيطان من نوره فلم يبق يعرف الا الله ولذلك قال بعضهم
نحن قوم لا نعرف الشيطان فقيل له اوليس قد ذكره الله في كتابه فقال اجل ولكن اشتغلنا بالله فكفانا امره
حتى نسيناه وبالله التوفيق ثم ذكر حكمة وجوده فقال جعله لك عدوا ليحوشك به اليه قلت
لم يخلق الله شيئا عبثا قال تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فايجاد الشيطان له حكم اولها
ايحاش عباده اليه لان العبد الضعيف اذا رأى عدوا يطلبه هرب الى سيده والتجأ الى حصنه فيكفيه
امره الثانية قيام الحجة على عباده فاذا خالفوا امره قال لهم اتبعتم عدوي وعصيتم امري قال تعالى
فلله الحجة البالغة الثالث كونه منديلا للعصاة تمسح فيه اوساخ الاقدار وكذلك النفس
والدنيا الرابع ظهور مزية المومن بمجاهدته ومحاربته فهذه حكم في تسليط الشيطان على الانسان
والله غالب على امره وهو الحكيم العليم حكاية روي ان الشيطان تعرض لسهل بن عبد الله التستري
وهو يضحك فقال له سهل مم ضحكك يا لعين وقد ابلست وايست من رحمة الله فقال يا سهل
انا شيء والله تعالى يقول ورحمتي وسعت كل شيء فقال سهل انه يقول فسأكتبها للذين يتقون
فاين انت من التقوى فقال التقوى صفة العبد والرحمة صفة الرب واين العلة من الصفة فلم يجد سهل جوابا
قلت وقد يجاب بان الشبهة مبنية على النظر للفرق واما على نظر الجمع فالرحمة وصفه والتقوى

نعم

فعله وجعله يفيد وصفه والكل منه واليه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ثم ذكر حكمة ظهور النفس
فقال وحرك عليك النفس ليدوم اقبالك عليه قلت انما حرك الحق تعالى عليك النفس ليدوم اقبالك
وتوجهك اليه لان النفس لما غلبت عليها البشرية جرتها اليها فهي دائما تهوي بك الى ارض الشهوات
وانت دائما تريد ان تعرج بها الى سماء الحقوق والواجبات هي تريد ان تركن الى اصلها من عالم الصلصال
والطين وانت تريد ان تردها الى اصل روحانيتها في اعلى عليين هي تريد السكون في عالم الاشباح وانت
تريد ان ترقيها الى عالم الارواح فهي دائما تريد التسفل وانت دائما تريد الترقي فهذا معنى دوام اقبالك
عليه وبيانه لولا ميلاد بين النفوس ما تحقق سير السائرين فالنفس والشيطان نعمتان في الباطن اذ لولاهما
ما تحركت اليه ولا تحقق سيرك اليه ولذلك كان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه اذا اشتكى اليه احد
بالنفس يقول اما انا فجزاها الله عني خيرا ما على الافضل الله فضلها فيشير لهذا المعنى الذي ذكرناه وهما نعمتان
في الظاهر وقعا معهما وجب بهما والحاصل ان النفس والشيطان والدنيا والناس قواطع لمن قطعوا به
الطريق موصلات للحضرة لمن وفق للتحقيق وحسبنا الله التوفيق والنفس اصعب من الشيطان لانه عدو
منفصل وانت به تشعر فهي اقبح من سبعين شيطانا لقطع الطريق وذكر ابن القسطلاني عن احمد بن سهل رحمه
الله انه قال اعدائي اربعة اولها الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها الخلوة الثانية الهوى وسلاحه
الكلام وسجنه الصمت الثالث الشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع الرابع النفس وسلاحها النوم
وسجنها السهر وقد نظم بعضهم هذه القواطع فقال ∴ اني بليت باربع يرمينني ∴ بالنبل عن قوس
له تونني ∴ ابليس والدنيا ونفسي والهوى ∴ يا رب انت على الخلاص قدير ∴ ∴ وقد ذكر هذه
القواطع الشيخ فذكر اولا الدنيا ثم الناس ثم الشيطان ثم النفس لا ترى ذكرها على وجه توحيد ولم يذكرها على
انها شرور او قواطع وانما ذكر اسرارها وحكمة وجودها فلله دره ما اشد معرفته بالتوحيد واسمى اثر
الترقية نفعنا الله بذكره ومتعنا بصلاته امين هذا اخر الباب الرابع والعشرين وحاصله ذكر غاية
النعيم وهو شهود نور وجه الكريم فمن تحقق به فلا تغني به احوال ولا هموم ثم ذكر القواطع التي تقطع عنه
وهي الدنيا وما يتعلق بها من رياسة علم غير نافع وجاه وغيره والخلق وما يتعلق باذايتهم والشيطان
والنفس لا ذكرهم على وجه التحقيق لا على وجه التشريع فاذا تخلى من هذه القواطع في الحس افضى
الى شهود نور عظمة ربه في تجلياته فيتواضع مع الاشياء كلها بمعرفته فيها كما اشار الى ذلك في اول
الباب الخامس والعشرين بقوله وقال رضي الله عنه من اثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا اذ ليس

التواضع الا رفعة بمعنى تثبت لنفسك تواضعا فانت المتكبر قلت التواضع هو مجاهدة النفس
بوضعها وسقوطها فمن تريد الرفعة وانت تريد السقوط فاذا حققت ونظرت بعين فكرتك وجدت الاشياء كلها
مستوية في حسب الخلقة والتجلي من النملة الى الفيل فالتجلي في النملة هو التجلي في الفيلة فانت والكلب في حقيقة
الخلقة سواء وانما وقع التفضيل في التشريع والحكمة عند اهل الفرق فاهل الفرق يرون المزية لانفسهم بما
سواهم فاذا تنفوا وابلوا انفسهم مع الاشياء رأوا انهم قد تواضعوا وفي الحقيقة انما تكبروا لانهم اثبتوا المزية
لانفسهم غير انهم وضعوها ثم اثبتوا لها التواضع فهم المتكبرون على خلق الله حقا والعارفون بالله
لم يثبتوا لانفسهم مزية فقد رأوا الاشياء كلها سواء خلقا واحدا ونورا واحدا فلم يثبتوا لانفسهم وجعلوا لا
وضعا فهم متواضعون من اول مرة فتواضعهم حقيقي اصلي فمن اثبت لنفسه تواضعا ورأى انها تواضعت
دون قدرها فهو المتكبر حقا حيث جعل لها قدرا زايدا على خلق الله اذ ليس التواضع واثباته للنفس الا عين
رفعة لها اولا بمعنى اثبتنا لنفسك ايها الفقير لنفسك تواضعا فانت المتكبر حقا ولا تكون متواضعا
حتى ترى الاشياء كلها مثلك او احسن منك ان عصيت ربك ، قال ابو يزيد ما دام العبد في الخلق اشر منه
فهو متكبر ولا يكون متواضعا حتى لم يثبت لنفسه حالا ولا مقاما وقال بعضهم من رأى النفسه [نفيسة] على القلب
فهو متكبر ممقوت عند الله وانما يتضع العبد بقدر تحققه بعلو قدر سيده والنفس ان لم تتصف بالذل
والهوان حقيقة فهو غير مشاهد لعظمة الله لان اصل نشأة النفس الضعف والذل والهوان ولا صلاح
الا في الرجوع لاصلها وتنبيهها من رؤية العز والجاه ومن تنبيهها من ذلك وقال الجنيد رضي الله عنه من رأى
نفسه قد تواضعت فهو يحتاج الى التواضع ولو تبرأ منها ومن تواضعها لكان متواضعا وفي الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الكرم التقوى وانما الشرف التواضع وانما الغنى اليقين والمتواضعون
في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة ولا يزيد التواضع
للعبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله واذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم
المتكبرين من امتي فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار بهم اه اوحى الله الى موسى عليه السلام
انما اقبل عمل من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه
عن الشهوات من اجلي اه ثم قسم التواضع الكامل فقال ليس التواضع الذي اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع
ولكن المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه دون ما صنع قلت التواضع الحقيقي هو الذي ينشأ من شهود
الاشياء كلها عظيمة فاذا تواضع معها رأى انها تستحق اكثر من ذلك التعظيم وان نفسه في الحق تعالى

والذل

والذل دون ما اسبل مما صنع من التواضع وليس المتواضع الذي يرى لنفسه مزية على الاشياء فاذا تواضع
معها رأى نفسه فوق واجل مما صنع من التواضع فهذا هو المتكبر لانه اثبت لنفسه تواضعا تستحق عند
وهذه الحكمة كانها بيان وتتميم لما قبلها فحكي عن ابي الحسين بن الكرنبي استاذ الجنيد رضي الله عنهما
ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعام ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله داره في المرة الرابعة فسأله
عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود
ويرمى له عظم فيجيب ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبتك قال ابو طالب رضي الله عنه
وحدثت عن بعض الصوفية انه وقف على رجل في كل جمعة بدرهم وقال ان كان شيء لله تعالى فقال اجلس فكل
فقال اعطني في كفي فاعطاه في كفه فقعد في مكانه فاكل فسأله عن امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالتي مع
الله تعالى الذي اكرمني به ان اجاري حالة وقال السهروردي رأيت شيخنا ضياء الدين ابا النجيب وكنت معه في سفره
الى الشام وقد بعث له بعض ابناء الدنيا طعاما على رؤوس الاسارى من الافرنج وهم في قيودهم فمدت السفرة
وقال للخادم احضر الاسارى مع الفقراء فجاء بهم واقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من
سجادته ومشى اليهم وقعد معهم كالواحد منهم واكل واكلوا وظهر لنا على وجهه ما في باطنه من التواضع
لله والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم وكان الشيخ الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن صحبة
من الفقهاء والعلماء العاملين فبينما هو يوما يمشي في يوم شات كثير الطين فاستقبله كلب يمشي على الطريق
التي كان عليها قال من رآه رأيت الشيخ قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز فلما
قرب منه الكلب ترك مكانه الذي كان فيه ونزل اسفل وترك الكلب يمشي فوقه قال فلما جاوزه الكلب وصلت
اليه فوجدته وعليه كآبة فقلت له يا سيدي رأيتك صنعت الان شيئا استغربته كيف رميت بنفسك
في الطين وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي فقال بعد ان جعلت له طريقا تفكرت وقلت ترفعت على الكلب
وجعلت نفسي ارفع منه بل هو والله ارفع مني واولى بالكرامة لاني عصيت الله تعالى وانا كثير الذنوب
والكلب لا ذنب له فنزلت له عن موضعي وتركته يمشي عليه وانا الان اخاف من الله الا يعفو عني لاني
رفعت نفسي على من هو خير مني اه نقله الشيخ ابن عباد رضي الله عنه ثم ان التواضع منه ما يكون
مجاهدة وتصنعا وهو مجاهدة اهل اليقين من الطالبين ومنه ما يكون اختياريا حقيقيا وهو تواضع
العارفين لانه ناشئ عن شهود عظمة المعبود فلا يتخلف الا في وقت الغفلة وهو قليل وهو الذي
ابانه بقوله التواضع الحقيقي ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفاته قلت التواضع الحقيقي

هو تواضع العارفين لانه ناشئ عن شهود عظمة الحق وتجلي ذاته وصفاته وهو من عطف التفسير لان تجلي الصفات
هي غير عظمة الذات وذلك ان الحق تعالى كان في ازله القديم متصفا بصفاته ومتسميا باسمائه بخفاء ولطف
لم يعرفه احد فلما اراد ان يعرف الخلق بعد رتبه واراد ته عظمة ذاته المقدسة متصفة بصفاته الازلية فتجلت
القدرة لعظمة الذات فشهود عظمة الذات هو شهود تجلي الصفات واليه اشار صاحب العينية بقوله
* فاوصافه والاسم والاثر الذي * هو الكون عين الذات والله جامع * * فالتواضع الحقيقي هو الذي
ينشأ عن شهود عظمة الذات ونور الصفات قال ذو النون رضي الله عنه من اراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة
الله فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب عنه سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة
عند هيبته ومن اشرف التواضع الا ينظر الى نفسه دون الله تعالى والحاصل ان التواضع الحقيقي انما هو
للعارفين لانهم حين شهدوا عظمة الحق خرجت عنهم اوصاف نفوسهم اذ لا يخرج عن الوصف الا شهود
الوصف كما ذكره بقوله لا يخرجك عن الوصف الا شهود الوصف فلا يخرجك عن اوصاف نفسك الذميمة الا
شهود اوصاف ربك العظيمة فلا يخرجك عن دناءة نفسك الا شهود كرم ربك فلا يخرجك عن شهود
اوصافك الحادثة الا شهود اوصاف ربك القديمة فيخرجك عن شهود فعلك بشهود فعله وعن
شهود صفاتك بشهود صفاته وعن شهود ذاتك بشهود ذاته وقد سئل شيخ اشياخنا القطب ابن
مشيش رضي الله عنه عن حقيقة المحبة فقال المحبة اخذ القلب وخطفه عند كشف نور الجمال وقدس
الجلال والشرب مزج الاوصاف بالاوصاف والاخلاق بالاخلاق والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء والنعوت
بالنعوت والافعال بالافعال ثم ان العبد لم يشاهد اوصاف ربه العظيمة لا يمكنه ان يخرج عن اوصاف
نفسه البهيمية خروجا كليا وانما يكون ذلك مجاهدة تارة له وتارة عليه بين طلوع ونزول بخلاف ما اذا
شاهد اوصاف ربه فانه يغيب عن نفسه فتتولاه محبوبه فيكون سمعه وبصره ويده ورجله ومن يؤيده الله فلا
يتصرف الا بالله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وانشدوا * اذا جن العذار فكان تبلد *
* بنفي في الجبلة او كمال * فما التأنيث في اسم الشمس نقص * ولا التذكير فخر للهلال * *
يشير الى انه اذا تحقق الفناء في الذات والبقاء بالله فلا نقص للنفس ولا كمال وانما الكمال للكبير المتعالي
فله الحمد والثناء على كل حال ثم قال الشيخ رضي الله عنه المؤمن يشغله الثناء على الله عن ان يكون
لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا قلت النفس عند تحقق الفناء
لا وجود لها حتى تذكر ولا فعل لها حتى تشكر فليس للعارف عن نفسه اخبار حتى يخبر عنها ببعض شيء

فضلا

فضلا عن ان يشتغل لها وصفاته استغرق في شهود فعل الحق عن فعله وشهود وصف الحق عن شهود وصفه
وشهود نور ذات الحق عن شهود ذاته فيشغله الثناء على الله عن الالتفات الى ما سواه اذ لا يشهد في الكون
الا اياه وتشغله حقوق الحق عن الالتفات الى حظوظ النفس اذ لا نفس مع الفناء فلا يبقى الا حقوق العالم
الاسنى فينقلب الحظوظ في حقه حقوقا لانه اذا نزل من عش الحضرة الى ارض الحظوظ نزل بالاذن والتمكين
والرسوخ في اليقين نزل بالله ومن الله والى الله فليس لهم تكلف الى سواه فقد تخلصت ارواحهم من طلب
الحظوظ معجلة او مؤجلة نفسانية او روحانية ان صدر منهم عمل راوه منة من الله فيستحيون ان يطلبوا
عليه عوضا او غرضا كما بان ذلك بقوله ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضا او يطلب منه غرضا قلت
لا شك ان المحبة التي تكون على الحروف والحظوظ ليست بمحبة وانما هي مطامعة لقضاء الحاجة فمن احب
احدا ليعطيه او يدفع عنه فانما احب نفسه اذ لولا غرض نفسه فيه ما احبه قال ابو محمد رويم رضي الله
عنه من احب العوض نقض العوض ابيه محبوبه وايضا فطالب العوض انما هو يريد ان يعطى لينال
والمحب مقتول في محبة سيده لا يعرج على سوى مرضاته وفي معنى ذلك قيل * بني الحب على الجور فلو *
* انصف المحبوب فيه لسمج * ليس يستحسن في حكم الهوى * عاشق يطلب تاليف الحجج * ومما
لا يستحسن ايضا في حكم المحبة والهوى اظهار الحزن والكآبة من اجل جفا المحبوب او الشكوى
بذلك بل الواجب هو التجلد والصبر على جفاء المحبوب حتى يظفر بالمطلوب وفي ذلك قيل * ان شكوت
الهوى فما انت منا * احمل الصد والجفا يا معنا * تدعي مذهب الهوى ثم تشكو * اين دعواك
في الهوى قل لي اينا * لو وجدناك صابرا لهوانا * لاعطيناك كل ما تتمنى * وقال اخر الحب ديني
فلا ابغي به بدلا * والجسم ملك مطاع جار او عدلا * والنفس عزت ولكن فيك اذلها * والذل مر
ولكن في رضاك حلا * يا من غدا يعذب في محبته * لا اشتكي منك لا صدا ولا مللا * وان شئت قلت
المحبة هي اخذ الرب بقلب العبد بحيث لا يلتفت الى غيره او اخذ جمال المحبوب بحبة القلب حتى لا يجد
معها التفاتا لسوى المحبوب فمتى وقع الالتفات نقص الحب على قدره قال بعض الناس
لامرأة اني احبك فقالت وكيف وخلفك من هو احسن مني فالتفت فقالت فضحك الله من محب تدعي المحبة
وتلتفت للغير وكذلك العبد اذا ادعى محبة سيده ثم احب شيئا او استحسن شيئا من السوى او
استحسن شيئا سوى محبوبه فهو ناقص المحبة او مدعيها ومراد الشيخ ما ليس فيه فتخذله شواهد
الامتحان ثم علل الشيخ كون المحبة على العوض مدخولة فقال فان المحب من يبذل لك ليس المحب

من يشاء الله قلت المحب في الشيء هو الذي يبذل نفسه وفلسه فيه ويزهد في جنسه من اجله ولا يجمع
ذلك الا على التمام الا في جانب الحق اسبغ عليك سوابغ الانعام انعم عليك اولا بالايجاد وثانيا بالامداد
واعطاك كل ما تريد وملكك الكون كله تتصرف فيه كما تريد قال تعالى وآتيكم من كل ما سألتموه وقال خلق لكم
ما في الارض جميعا فبهذا السبب محبة العوام واما محبة الخواص فهي ناشئة عن شهود جماله وبهائه فغابوا
في شهود جماله وتاهوا في حضرته فبها سموا فمحوا ٭ يا ساقي القوم من شذاه ٭ الكل لما سقيت تاهوا ٭
٭ تاهوا وبالسكر فيك طابوا ٭ ومحوا بالهوى وفاهوا ٭ فهؤلاء بذلوا ارواحهم في طلب مولاهم ثم
اشتغلوا ما بذلوا واستغنوا ما بذلوا لغلبة ما اعطوا في جانب ما طلبوا وفي ذلك يقول سلطان العشاق ابن
الفارض رضي الله عنه ٭ ٭ لو ان روحي في يدي ووهبتها ٭ لمبشري بقدومكم لم انصف ٭ ما لي سوى
روحي وباذل روحه ٭ في حب من يهواه ليس بمسرف ٭ فلئن رضيت بها فقد اسعفتني ٭ ويا خيبة
المسعى اذا لم تسعف ٭ ٭ قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه حقيقة المحبة ان تهب كلك
لمن احببته حتى لا يبقى لك منه شيء وقال ابو يعقوب السوسي حقيقة المحبة ان ينسى حظه من الله
وتنسى حوائجه اليه وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه المحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه
لغير محبوبه ولا مشيئة له مع مشيئته وقيل لولي ما يقول الله للعبد اطلب العافية والجنة والاعمال
وغير ذلك فقال لا ما اريد الا انت فقال له من دخل في هذا فما بعد خل باسقاط الحظوظ
ورفع الحدث واثبات القدم وذلك يوجب لك العدم وفي معنى ذلك قيل ٭ من لم يكن بك فانيا عن حظه ٭
٭ وعن الفناء والانس بالاحباب ٭ فلانه بين المنازل واقف ٭ لمنال حظ او لحسن مآب ٭ ٭
وبالجملة فامر المحبة كبير وخطرها خطير وفي ذلك قالوا اما خفوا في الرياح حتى خاضوا في الخسارة
لا تنال الا بموت النفوس وترك الفلوس ٭ ان ترد وصلنا فموتك شرط ٭ لا ينال الوصال من فيه فضله ٭
فما تحقق سير المحبين ورحيلهم الى المحبوب الا بمحاربة النفوس ومجاهدتها وقتلها كما اشار لذلك
بقوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين قلت الميادين جمع ميدان بكسر الميم
وفتحها وهو صحن الفرس وهو مجال الخيل ثم استعير هنا لمحاربة النفوس ومجاهدتها فتارة
تكر عليه فيتغلب به وتارة يكر عليها فيظفر بها وفي هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه
٭ سايس من النفس جهدك ٭ وجع ومر عليها ٭ لعلها تدخل بيدك ٭ فتعود تنطاد بها ٭
فقد بين رضي الله عنه كيفية مجاهدتها وعلمك الحيلة في اخذها وذلك ان تخالفها شيئا فشيئا

فتعلمها

فتعلمها مثلا الصنعة وحدها ثم الحق له ثم تقدمها الحق اذا شيئا فشيئا تقدمها القليل فاذا استانست به زدتها
شيئا اخر وهكذا في جانب الاعمال الى الله ادومها وان قل ولا يعطيها البطالة جملة من العمل الذي تموت به لا بتركه
وقد كنت في حالة المجاهدة اذا همت نفسي بترك وردي تارة تقنع هواتف الاقوال حتى كنت في بعض الايام تخاطبني
الصبيان بياهذا اليهودي حتى تعتم بترك وردي من السؤال وقد سمعت مرارا المتعة ذاكر في تستعمل ابدا
زد على يدك وتارة يقول زد في سيكتك وتارة تسمع فيها عساس جير بيسر فيه شيء من الحسن وكانت مجاهدتي
لنفسي كلها سياسة لم احملها من المرة الاولى الا ما تطيقه حتى نفتتنا نسر بمن ترى بدها حتى كنت نفعل
بها ما نشاء قال بعض العارفين انتهى سير الطالبين الى الظفر بنفوسهم فان ظفروا بها وصلوا وما
ذكرته من السياسة للنفس والاحتيال عليها هو الصواب قال في المباحث ٭ واحتل على النفس فرب حيلة ٭
٭ انفع في النصرة من قبيلة ٭ واما من حملها من اول مرة ما لا تطيقه فانها تنسخ وتمل وربما ترجع
بالكلية قال صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال لا يشاد احدكم
كالمنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى والمنبت هو المنقطع وحاصل ما ذكره الشيخ في هذه الحكمة
ان الناس على قسمين قسم لا يبلغهم قوة الا لتوجههم الى الله فهم واقفون مع ظاهر الشريعة كلما
ابلحت الشريعة اخذوه وكان تقيا على النفس وخفيفا بل لا يأخذون الا الخفيف لانهم يفهمون رخص
الشريعة وتسهيلها مما يوافق هواهم ولم يغيروا من عوائدهم وشهواتهم شيئا فهم واهم جاههم
باق ودنياهم في الزيادة وهؤلاء عوام المسلمين وقسم شاقت نفوسهم الى حضرة الملك وغلبهم الشوق
فتوجهوا الى حضرته واشتغلوا بمجاهدة نفوسهم ومحاسبتها فكل ما يثقل عليها ادخلوها فيه وهي
تموت وكل ما يخف عليها جنبوها منه وهم تتبكى هكذا يدومون عليها حتى ترتاض وتطير وحينئذ تطاوعهم
فيما يريدون فاول ما يجاهدها المريد في ترك الدنيا والتخفيف حتى لا يبقى ما يشغله عن ربه ثم في ترك الناس
والفرار منهم بتبتل لمن يعرف ولا يتعرف لمن لا يعرف ثم في اسقاط المنزلة والجاه حتى يسقط من عيني
الناس ويسقط الناس من عينه ثم في الذل والانكسار قلبا وقالبا بالمشي بالحفا وتعرية الراس وغير
ذلك فاذا تحققت بالذل والتواضع والخمول والفقر وسكنت في ذلك واستحلته فقد تمكنت منها وملكتها
بل ملك الكون كله ٭ ونفسك تحوي بالحقيقة كلها ٭ اسرت بحد القول ما انا خادع ٭ فمن ملك
ملك نفسه فقد ملك الوجود باسره فلولا مجاهدة النفوس ومحاربتها في هذه الميادين ما تحقق سير
السائرين اذ لا يتحقق السائر من القاعد الا بمخالفة الهوى وخرق العوائد من خرق عوائد نفسه حتى

استوى عنده العز والذل والفقر والغنى وغير ذلك من مكروهات النفوس فقد تحقق سيره ووصوله ومن لم يفقد ر
على تغيير شعرة من نفسه فلا سير له ولا وصول قال ابو عثمان الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في اربعة
في المنع والعطاء والعز والذل يعني انه يكون عنده الذل كالعز والمنع كالعطاء لا يتغير من واحد منهما
وقال محمد بن خفيف رضي الله عنه قدم علينا بعض اصحابنا فاعتل وكان بعلة البطن فكنت اخدمه واخذ منه
الطست طول الليل فاغفيت مرة فقال لي نمت لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك
الله فقال كقوله رحمك الله وحكي عن ابراهيم ابن ادهم رضي الله عنه انه قال ما سررت في الاسلام الا ثلاث
مرات معدودات كنت في مركب يوما وكان فيه رجل يحكي الحكايات فيضحك منه الناس وكان يقول ان اخذنا وقتا
في معركة الترك عجبا ويقول هكذا وكان ياخذ بلحيتي ويمر يده على حلقي والناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك
المركب عنده احد اصغر مني ولا احقر فسررت بذلك ويوما اخر كنت في المسجد نعسان فصفعني ويوما
اخر كنت في المسجد نعسان وبال علي وقال بعضهم وحقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله في كل
نفس من غير اختيار حالة يكون عليها فاذا وجد المريد هذه العلامات في نفسه فقد فني عن عالم حسه
ووصل الحضرة قدسه وكان كما قال الشاعر ۞ لك الدهر طوع والانام عبيد ۞ فعش فكل يوم من ايامك عيد
وكما قال سيدي ابو العباس بن العريف رضي الله عنه في هذا المعنى ۞ بدا لك سر طال عنك اكتتامه ۞
ولاح صباح كنت انت ظلامه ۞ فانت حجاب القلب عن سر غيبه ۞ ولولاك لم يطبع عليه ختامه ۞
فان غبت عنه حل فيه وطنبت ۞ على منكب الكشف المصون خيامه ۞ وجاء حديث لا يمل سماعه ۞
شهي الينا نثره ونظامه ۞ اذا سمعته النفس طاب نعيمها ۞ وزال عن القلب المعنى غرامه ۞
فان لم يجد المريد هذه العلامات فليستعن على سيره ولا يبالي ولا يلتفت حتى يعرف ما قصده فان عليه مات ترك وهذا
الكلام انما هو مع من اسعده الله فوصل الى الشيخ التربية واما من لم يصل اليه فلا يجمع في السير ابدا ولو جمع
العلوم كلها وصحب الطوائف كلها وهذا امر ذوقي لا اقلد فيه احدا فقد صلينا كثيرا وصمنا كثيرا واعتزلنا كثيرا
وذكرنا كثيرا وقرانا القران كثيرا والعلماء صحبنا فلو لا ان الله تداركنا بالمعاني حتى صحبنا رجال اهل المعاني فاخرجونا
من التعب الى الراحة ومن التخليط الى الصفا ومن الافكار الى المعرفة فان قلت قد قال الحضرمي قد انقطعت
التربية وما بقي الا الهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة قلت لم يقصد الحضرمي انقطاعها على
الابد وحاشى الحضرمي ان يتحكم على الله ويحجر قدرة الله وانما اراد انه في زمنه مدعين كثير من جهة اهل
زمانه منهم ومعرفة الحضرمي وزروق رضي الله عنهما تنازع هذا القصد وعلى تقدير وجودها منهم فليسا

المعصوم

بعد كلام في ويقبل الا صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وقد وجد بعد الحضرمي رجال كانوا من اهل التربية
النبوية بالحال والمقال والهمة لا يحصى عددهم وهم موجودون في زماننا هذا مشهورين كثيرا على علم فقد هدى
الله على ايديهم خلقا كثيرا وتخرج على ايديهم من الاولياء ما لا يعلمهم الا من من عليهم بصحبته قال ابن عطاء الله
الشيخ انما يكون الاقتداء بولي دلك الله عليه واطلعك على ما اودعه من الخصوصية لديه فيطوي عنك
شهود بشريته ويعرفك وجود خصوصيته فالقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد ويعرفك رعونات
نفسك ودقائقها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل
الى الله يوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة اساءة نفسك الهرب منها
وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على
ممر الساعات بين يديه قال فان قلت فاين من هذا وصفه لقد دللتني على اعز من عنقاء مغرب فاعلم انه
لا يعوزك وجدان الدال وانما يعوزك وجود الصدق في طلبهم جد صادقا تجد مرشدا وتجد ذلك
في كتاب الله قال تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه وقال فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت
الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف الى الامن لوجدت ذلك اقرب اليك من وجود
طلبك ولو اضطررت الى الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت
الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك ۞ قال الشيخ ابن عباد رضي الله عنه
وفي كلامه تنبيه على ان الشيخ من منح الله وهداياه للعبد المريد اذا صدق في ارادته وبذل جهده
في مناصحة مولاه على ما يزعمه من لا علم عنده من كونه لا يشترط ثم قال وعند ذلك يوفقه الله تعالى
لاستعمال الادب معه لما اشهده من علو مرتبته ورفيع درجته ۞ وقال ايضا في لطائف المنن
وليس شيخك من استفدت منه انما شيخك من اخذت عنه ليس شيخك من واجهتك عبارته انما شيخك
من سرت فيك اشارته وليس شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب وليس
شيخك من واجهك مقاله انما شيخك من انهضك به حاله شيخك هو الذي اخرجك من سجن الهوى ودخل
بك على المولى شيخك هو الذي ما زال يجلو مراة قلبك حتى تجلت فيه انوار ربك نهض بك الى الله
فنهضت اليه وسار بك حتى وصلت اليه ولا زال محاذيا حتى القاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة
وقال ها انت وربك هو والسير هنا الى الله تعالى مجازي عبارة عن قطع العلائق والعوائق الا لا امر
قال الشيخ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك

قلت هذا سر الغريب مغدر ركابها قال له هل بيننا وبينه مسافة حتى يقطع سير السائرين اليه فقال
لا مسافة بينك وبينه الا حجاب النفس الكثيفة وعلائق القلب الكونية بخرق عوائدها وقطع شهواتها
وقطع العلائق والعوائق هو السير الى الله فمن خرق عوائد نفسه زالت عنه الحجب الظلمانية ومن قطع
علائق القلب فاضت عليه العلوم الربانية واشرقت عليه الشموس العرفانية وهذا هو الوصول فلا
مسافة بينك وبينه حسية حتى تطويها رحلتك ولا قطيعة بينك وبينه الا حاجز بينك وبينه حتى تمحوها
وصلتك قال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فما حال بيننا
وبينه الا توهم وجود نفوسنا فلو غبنا عنها لوجدنا انفسنا في الحضرة ولا يكون الغيبة عنها الا بموتها
وموتها في مخالفة عوائدها قال الشيخ ابو مدين من لم يمت لم ير الحق وقال الشيخ ابو العباس المرسي
رضي الله عنه لا دخول على الله الا من بابين اما بالفناء الاكبر الذي هو الموت الطبيعي او بالفناء الاصغر الذي
تعنيه هذه الطائفة وقال بعضهم لا يدخل على الله حتى يموت اربع موتات الموت الاحمر وهو مخالفة
النفس والموت الاسود وهو احتمال الاذى من الخلق والموت الابيض وهو الجوع والموت الاخضر وهو
لبس المرقعات قال الشيخ رضي الله عنه واعلم ان طريق الله تعالى ليس فيها مفازة ولا متاهة بل
هي منازل واحوال قد جعل الله جميعها اعوانا وانصارا وهو سبحانه يصدق وعده وينصر عبده ويهزم
الاحزاب وحده وانما المفاوز والمسافات في الركون الى المالوفات واتباع العادات وفي مسامحة النفس
والوقوف مع الحس والحجاب عنه كشف الغطاء يتبين ذلك كما قال صاحب المباحث ** وانما القوم
مسافرون ** لحضرة الحق وظاعنونا ** فافتقروا فيها الى دليل ** ذي بصر بالسير والمقيل ** **
** قد سلك الطريق ثم عاد ** ليخبر القوم بما استفاد ** ** الى اخر كلامه وقال ايضا ومن الناس
من تحجبه المجاهدة عن المشاهدة فتفسد عليه الاحوال فيحول بينه وبين الغاية القصوى ومناهج الخلق
متفاوتة لا تجري على منهاج واحد قال الله العظيم لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات وكل شخص انما يعبر عن وجهته التي خصه الله بها ولذلك كان النطق في الكتب يقع
المخالف لتشعبها وكثر فيها عند اختلاف الفهوم لا سيما من جبلت طبيعته على علم الظاهر فانه ابعد
الناس عن الطريق ما لم يدركه الله بفتح منه لان النقش يقع كل جهة تحتها حكم من لم يفهمها فيستأنه
منزهة غير متسم ومن هنا وقع الانكار حتى امتحن الله كثيرا من الصوفية على ايدي علماء الظاهر حتى
ما نسبوهم للكفر والزندقة والبدعة والضلال ومن الخصوصية يقتضي ذلك لا محالة سنة الله التي

قد

قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وما هلكت
الامم السابقة الا بقولهم انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فتحصل ان الانسان اذا جاء مع
النفس في ميدانها مجاهدا حتى هذبها وطهرها من الاوصاف الحاجبة لها رجعت نفسه الى اصلها وهي
الحضرة التي كانت فيها اذ لم تكن بينها وبين الحضرة الا الحجب الظلمانية فلما تخلصت منها رجعت الى اصلها
نورا مشرقا في قالب ظلماني فصارت عنده ياقوتة مكنونة تنطوي عليها اصداف المكونات كما اشار لذلك بقوله
جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة تنطوي عليك
اصداف مكوناته قلت قد عظم الله سبحانه هذا الانسان وجعله نخبة الاكوان اجتمع فيه ما لم يجتمع
في غيره فيه ملك وملكوت ونور وظلمة وغيب وشهادة وعالم علوي وسفلي وقدرة وحكمة وحس ومعنى
فقد جعلك الله ايها الانسان ناشئا في العالم المتوسط بين ملكه وهو بشريتك وملكوته وهو روحانيتك
او تقول بين ملكه وهو عالم الاشباح وملكوته وهو عالم الارواح فلست ايها الانسان ملكا فقط فتكون
كالبهائم او الجمادات ولا ملكوتيا فقط فتكون كالملائكة ولكن جعلك مركبا من ملك وملكوت لتتطهر من بشريتك
بالمجاهدة والمشاهدة ولذلك خصصت بالخلافة ووقعت منك حمل الامانة ثم متعت بالنعيم والنظر
الى وجهه الكريم ثم انقسمت الناس على قسمين فمنهم من غلبت بشريته على روحانيته وملكه على
ملكوته وظلمته على نورهم فبقوا في ظلمة الاكوان ومنعوا من الشهود والعيان وهم عوام المسلمين
ومنهم من غلبت روحانيته على بشريته ونوره على ظلمته وملكوته على ملكه وهم الخواص العارفون
السائرون اليه بمجاهدة نفوسهم في ميدان الحب وهو مجال الفرسان فمنهم السابق والمقرب ومنهم اللاحق
المنجذب كل واحد على قدر صدقه في محبة سيده وظاهر كلام الشيخ ان الانسان شيء زائد على البشرية والروحانية
لانه قال جعلك في العالم المتوسط بين الملك وهو البشرية والملكوت وهو الروحانية فيقتضي انه ناشئ ثالث
بينهما والتحقيق ان الانسان هو المجموع من الجسد والروح فهو بنفسه عالم متوسط اي مركب من ملك
وملكوت فلو قال جعلك عالما متوسطا بين ملكه وملكوته لا يفهم المراد بسهولة اي لست ملكا فقط ولا ملكوتا
فقط بل جعلك متوسطا بينهما اي مركبا منهما كقوله عليه السلام كنت نبيا وادم بين الماء والطين اي مركبا
منهما دون روح ولان عبارة الشيخ فيها الغاز وتدقيق اشارة وعلمائه اشارة واذا جعلك بين ملك
وملكوت ليعلمك جلالة قدرك وفخامة امرك قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم وقال لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم وليعلمك ايضا انك جوهرة نفيسة مصونة في صدف نفيس وهو الكون باسره فتنطوي عليك اصداف

مكونا له من عرشه الى فرشه فانت ايها الانسان كالياقوتة في صدف الارض تقلك والسماء تظلك والجهات
تكتنفك والحيوانات تخدمك وتتبعك والجمادات تدفع عنك وانت في وسط الجميع والافلاك دايرة
بك والشمس والقمر ميزان لما انت فيه فانت جوهرة الصدف ولباب الكون ومداره عليك قال الشيخ ابو العباس
المرسي رضي الله عنه الاكوان كلها عبيد مسخرة وانت عبد الحضرة وقد ورد في بعض الكتب يا ابن ادم انا بدك
اللازم فالزم بدك وفي بعض الاثار المروية عن الله عز وجل يا ابن ادم خلقت الاشياء من اجلك وخلقتك من
اجلي فلا تشتغل بما هو لك عمن انت له وقد قالوا في عجايب الانسان ان الوجود كله منطو فيه فهو نسخة من
العالم الاكبر ومما ينسب لابي العباس المرسي رضي الله عنه * يا تايها في مهمه عن سره * انظر تجد فيك الكون
باسره * انت الكمال طريقة وحقيقة * يا جامعا سر الاله باسره * وقال في المباحث * يا سابقا في موكب
الابداع * ولاحقا في جيش الاختراع * اعقل فانت نسخة الوجود * لله ما اعلاك من موجود * اليس
فيك العرش والكرسي * والعالم العلوي والسفلي * ما الكون الا رجل كبير * وانت كون مثله صغير *
قلت انما يكون الانسان نسخة من العالم وكونا صغيرا اذا لم تغلب روحانيته على بشريته ومعناه على
حسه وقد صار حينيذ ملكا روحانيا جبروتيا فقد استولى على الكون باسره فصار هو العالم الاكبر والكون نسخة
منه وفي ذلك يقول ابن الفارض رضي الله عنه * واني وان كنت ابن ادم صورة * فلي فيه معنى شاهد بابوتي *
اذ الروح لم يسعها ارض ولا سماء كما اشار لذلك بقوله وسعك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك
من حيث ثبوت روحانيتك قلت الروح اذا انبعثت وتطهرت من كدرات الحس عرجت الى عالم الجبروت فلم
يحجبها عن الله ارض ولا سماء ولا فلك ولا عرش ولا كرسي بل يغيب ذلك في وجودها كشيء لا تلاقيه وهذا امر مذوق
عند العارفين اذا نظروا الى الكون باسره ذاب وصار هباء فاذا اشرقوا صار في قلبهم كنقطة وهم متفاوتون
في احاطتهم بالكون فمنهم من يصير عنده كالنقطة ومنهم من يصير عنده كالخردلة وذلك بحسب انساع
النظرة وضيقها فلما جالت الروح في بحر الجبروت صغر الكون عندها حتى لا يحس به ولذلك قال بعضهم
لو كان العرش في زاوية من زوايا قلب العارف ما احس به وقال اخي العرش والكرسي منصبغان في سعة
وقال شيخ اشياخنا مولاي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه والعرش والكرسي في طي قبضة تنوجنا لا شيء
الكون ويضمحل ويتصل عالم الملكوت بعالم الجبروت فلا يبقى الا الحي الذي لا يموت وهذا لا يفهمه الا العارفون
الذين غلبت روحانيتهم على بشريتهم فصاروا روحانيين ملكوتيين اشباحهم مع الخلق وارواحهم
مع الحق فقد وسعك ايها الانسان الكون وحصرك من حيث جثمانيتك وبشريتك وهيكلك المحصور

ولم

ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لان روحك متصلة بعالم الجبروت المحيط فلما تكثفت وانحصرت في هذا الهيكل
لزمتها القهرية فانحجبت بالحكمة وتقيدت تبعا للقدرة فما زالت البشرية كثيفة بحب الشهوات والعوايد فهي
محجوبة فاذا انلطفت بذكر الله وانخرق عنها حجاب الحس رجعت الى اصلها فانطلقت في هواء فضاء الملكوت
والملك في فضائها فلم يسعها حينيذ ارض ولا سماء ولا يحصرها عرش ولا كرسي ولذلك قيل الصوفي لا تقله
الارض ولا تظله السماء وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى لم يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المومن
اي الكامل وهو العارف والله تعالى اعلم فالجبروت هي المعاني اللطيفة الغيبية التي لم تدخل عالم التكوين والملكوت
ما دخل عالم التكوين من جهة معناه والملك ما ظهر من جهة حسه فاذا انضموا الى شيء الى اصله لم يبق الا الجبروت
باعتبار الحقيقة واهل الفرق اثبتوا الملك بوهمهم فحجبوا به عن الله واهل الجمع اثبتوه بالله قياما
بوجود الحكمة وغابوا عنه فيما يشهدون القدرة والله غالب على امره فما دام العبد مسجونا بالكون محصورا
في بشريته فهو في سجن الاكوان فان نفذت بصيرته وعرجت روحه الى الملكوت خرج من الضيق الى الفضاء كما يبين
ذلك بقوله انت مع الكون ما لم تفتح لك ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته محصور في هيكل ذاته قلت ميادين
الغيوب هي ما ادركته الروح حين خرجت من ضيق الاشباح الى عالم الارواح ومن فضاء الشهود ومعرفة الملك
المعبود فما دام الانسان في الكون بحيث لا يشهد الا الكون ولا يدركه الا الحس ولم تفتح له ميادين
الغيوب اي لم يخرج الى فضاء الشهود فهو مسجون بمحيطاته اي بالاكوان المحيطة به كالسموات والافلاك
الدايرة به فهو في سجن الاكوان قال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه الكون كالبيت وانت ساكنه وليس من
شان الرجل ان يحصر في بيته الا اذا كان مريضا او مجبورا او يكون ايضا محصورا في هيكل ذاته اي في شكل
بشريته وكثايف جسمه فاذا غلبت روحانيته على بشريته فقد خرجت من حصر الهيكل واذا نفذت
بصيرته الى فضاء الملكوت او بحار الجبروت فقد خرجت من سجن الاكوان الى شهود المكون فغيبته تنحى ر
من رق الاكوان وتحلى بنعيم الشهود والعيان واما ما دام محصورا في الهيكل ومسجونا في الاكوان فهو
محجوب عن الله ولو كان عالما بالعلوم الرسمية متبحرا فيها اذ لا يزيده التغلغل فيها الا بعدا عن
الله وقد قال الشيخ ابو الحسن التغلغل في علم الظاهر يفضي بصاحبه في علم الخصوص او ما هذا معناه
وقال في قوت القلوب كل من لم يفتح له في هذا العلم يعني علم الباطن فهو من اهل اليمين وكل من فتح له
في علم الباطن فهو من المقربين السابقين هـ وهو ظاهر لان علم الرسوم لا يخرجهم من سجن الاكوان فهو مع
الاكوان على الدوام واذا كان مع الاكوان فاته شهود المكون كما قال الشيخ رضي الله عنه انت مع الاكوان

مالم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك **قلت** مادام العبد مقيدا في سجن الاكوان
ومحصورا في هيكل جسمه فالاكوان حاكمة عليه فهو يحبها ويعشقها وهي تبغضه وتبعده عن ربه وهو
يفتقر اليها وهي غنية عنه وهو يميل اليها ويجري عليها وهي تفر منه وهو يخاف منها ويهابها وهي
تخوفه وتغيبه فاذا شهد مكونها وغاب عنها وتحرر من رقها كانت هي تهابه وهو حاكم عليها
وهي تحبه وتعشقه وهو مشغوف بحب خالقها وهي تفتقر اليه وهو غني عنها وهي تجري عليه وهو
زاهد فيها وهي تخاف منه وتهابه وهو في امن منها فالجنة تشتاق اليه وهو غني عنها وفي الحديث اشتاقت
الجنة الى علي وعمار وصهيب وبلال كانوا من اهل الصفة والنار تهابه وهو في غيبة عنها **وقد** ورد
في الحديث انها تقول يوم القيامة جز يا مومن فقد اطفا نورك لهيبي فانت ايها الانسان محبوس مع الاكوان
في عالم الاشباح مقيدا بقيود هياكلها حينئذ تتصرف فيك كيف شاءت حين تكون تحبها وتجري عليها وتشتاق
اليها كائنة ما كانت شهادية او غيبية مالم تشهد المكون وتغيب فاذا شهدت المكون وغبت كانت
الاكوان معك لانك تكون حرا عنها وهي مملوكة لك لا تحب منها شيئا من حيث كونيتها ولا تخاف منها
شيئا كذلك لانك قد رحلت عنها الى عالم الارواح فحينئذ تكون في قبضتك تتصرف فيها كيف شئت لانك
حينئذ تصير خليفة الله في ارضه الكون كله في قبضتك وعند همتك لانك علقت همتك بالله فجميع الاشياء عند
همتك **وفي بعض** الاثار المروية عن الله عز وجل يقول عبدي اجعلني مكان همك اكفك كل همك ما كنت بك
فانت في محل البعد وما كنت بي فانت في محل القرب فاختر لنفسك **وقال** بعض الاشياخ انك لا تدخل السوق
والاشياء كلها تشتاق اليك وانا غني عنها **وقال** ابن الجلاء رحمه الله من علت همته عن الاكوان وصل الى
مكونها ومن وقف بهمته على شيء دون الحق فقد حجب عنه لانه اعز من ان يرضى معه بشريك فمن رفع
همته عن الاكوان ومتع بشهود المكون فقد ثبتت له الخصوصية الكبرى والولاية العظمى ولا يلزم من
رفع الهمة عن الاكوان استغناؤه عما تحتاج اليه البشرية مما يقوم به وصفها اللازم لها واليه اشار
بقوله **لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية** المراد بالوصف البشري ما جعله الله محتاجا
اليه بحكمته في قوام بدن الانسان من اكل وشرب ولباس ومسكن وما فطر عليه من شهوة مباحة كنكاح
وشهوة غير محرمة فهذه الاوصاف لا ينافي وجودها وجود الخصوصية فقد قال تعالى في الرسل وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
وجعلنا لهم ازواجا وذرية نعم وصف البشرية في حق اهل الخصوصية ليس هو كغيرهم لان اهل الخصوصية

امرهم

امرهم كله بالله اذ قلبت حظوظهم حقوقا بخلاف غيرهم فانفسهم غالبة عليهم فيفعلون كل ما في حظوظ
انفسهم فاذا تقرر هذا علمت انه لا يلزم من ثبوت الخصوصية وهي الولاية والمعرفة او النبوءة ومعناها واحد
عدم وصف البشرية فالخصوصية محلها البواطن ووصف البشرية محلها الظواهر ولذلك اختفت الاولياء
والانبياء والرسل عند الناس لظهور اوصاف البشرية عليهم فكيف تعرف رجالا ياكلون كما تاكلون ويشربون كما تشربون
وينامون ويتزوجون النساء فطابعهم وبطونهم الا من اراد الله سعادته وما وقع الانكار على الانبياء والاولياء الا لاعتقادهم
ان اوصاف البشرية تنافي ثبوت الخصوصية فقد قال الكفار في حقه عليه السلام وقالوا مالي هذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فرد الله تعالى عليهم بعدم تنافيهما فقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الاية فهذه الاوصاف التي ذكرنا لا ينفك الطبع البشري عنها وهي موجودة مع خصوصية النبوءة والولاية
واما الاوصاف التي ذكرنا هي مذمومة كالحسد والكبر والبغض والعجب والرياء والغضب والقلق وخوف
الفقر وهم الرزق والتدبير والاختيار وغير ذلك فهذه لا يجامع التطهير منها في خصوصية النبوءة والولاية
وقد تقدم قوله اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته
قريبا اما في حق النبي فتطهيره منها واجب لانه معصوم من جميع النقائص واما في حق الولي فليس بواجب
لانه محفوظ فقد يصدر منه شيء من هذه الاوصاف المذمومة على سبيل الهفوة والزلة ولا تنافي وجود
خصوصيته لكنه لا يدوم عليها ولا يدوم فيها فقد يصدر من الولي الغضب مثلا والقلق والتدبير والاختيار
وغير ذلك لكنه كالبرق يضرب ويمضي **قال** في النصيحة الكافية وقد تكون للولي هفوة وهفوات وزلة وزلات
ولكن لا يدوم عليها **وقيل** للجنيد ايزني العارف فسكت ثم قال وكان امر الله قدرا مقدورا وقال ابن عطاء الله
ليت شعري لو قيل لم اتكون همة العارف مع غير الله لقال لا **ثم** ضرب مثلا لنور الخصوصية مع ظلمة
البشرية الحسية فقال **انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت في الافق وليست منه
تارة يشرق شموس اوصافه على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك فالنهار
ليس منك اليك ولكنه وارد عليك** **قلت** مثل نور الربوبية الذي اشرقه الحق في قلوب اوليائه وستره
بظهور البشرية كمثل نور الشمس اذا اشرق على الافاق وهو الفضاء الذي بين السماء والارض فان الفضاء
قبل ظهور الشمس مظلم ليس فيه نور فاذا اشرقت عليه الشمس رجع نورا صافيا فنوره ليست من
ذاته وانما هو من نور الشمس كذلك نور الربوبية هو مستودع في باطن البشرية فاذا اراد الله تعالى ان
يظهر خصوصية عبده اشرق ذلك النور على ظاهر بشريته فيستولي روحانيته على بشريته فلا يبقى

للبشرية أي تقصى البشرية كلها نورا وجنود البشرية ليس منها ولكنه وارد عليها تارة يشرق شموس
أوصافه وهو الوجود والقدم والبقاء وسائر أوصافه السلبية والوجودية والمعاني المعنوية على ليل وجودك
الظلماء الكثيفة فتذهب أوصافك الحادثة العدمية بظهور أوصافه القديمة الأزلية فيختفي الوصال
وتذهب الانفصال، وتارة يقبض ذلك النور ويغيبه عنك ويرده إلى باطنك فترجع إلى شهود عبوديتك
وترى الحدّ وذلك وهذا حال الوارد إذا فاض على الانسان غيبه عن نفسه، وانقطع عن حسه فلا
يرى إلا أوصاف ربه، ويكون وجود نفسه من أصله، فإذا سكن الوارد رجع إلى شهود نفسه وربه أو إلى شهود
عبوديته ورجع ذلك النور إلى باطنه فيكون باطنه نورا على الدوام وظاهره تارة يغلب عليه ذلك النور وتارة
يغلب عليه الظلمة أي العبودية فنور الوارد ليس من الانسان من حيث بشريته ولكنه وارد عليه من حيث
روحانيته كما أن نور الأفق ليس هو من ذات الأفق لكنه وارد عليه من إشراق شمس النهار عليه وها أنا
مثال آخر وهو الحديد والفحمة إذا جعلتهما في النار ونفخت عليهما فإنهما يصيران من جنس النار
وتكسوا النار الحديد كله والفحمة كلها فإذا برد رجع الحديد حديدا والفحمة فحمة كذلك البشرية إذا
استولت عليها الروحانية صارت كلها روحانية معنوية فلا ترى إلا المعاني ولا تخبر إلا إياها واعلم أن
الناس في هذا النور على ثلاثة أقسام فقسم تورد هذه البواطن ولم يصعد من شعاعه شيء إلى الظاهر وهم
العوام وقسم استولى نوره على ظاهره وباطنه وهم المجاذيب ويدوم حضرة انسه وقسم أشغل باطنهم
نورا وصعد شعاعه على ظاهرهم فاستولى على الظاهر على الدوام وهم السالكون بعد الجذب الراسخون في المعرفة
والله تعالى أعلم ثم ذكر الطريقة الموصلة إلى الخصوصية فقال دل بوجود آثاره على وجود أسمائه وبوجود
أسمائه على ثبوت أوصافه وبوجود أوصافه على وجود ذاته إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه قلت
هذه طريقة الترقي بوجود الآثار يدل على وجود القادر والمريد والعليم والحي مثلا والقادر يدل على قيام
القدرة به بحيث لا تفارقه إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه فيلزم من وجود الآثار وجود المؤثر وهنا افترق
أهل الظاهر من أهل الباطن فأهل الظاهر أثبتوا من وجود الآثار وجود الأسماء والصفات ولم يقدروا على
شهود الذات غلبهم الحس عن شهود المعنى والوهم عن ثبوت العلم وشهود الحكمة عن شهود القدرة
وأهل الباطن لما فرغوا قلوبهم من الأغيار وباعوا نفوسهم للواحد القهار فتح الله عين بصيرتهم فاطلعوا
على مكنون سره فأجود والمحو بالوجود وانتفى عن نظر بصيرتهم كل موجود إذ محال أن تفارق الصفة موصوفها
أو تقوم بنفسها فلزم من وجود الصفات وجود الذات وهذا هو سر الخصوصية التي خص الله بها أولياءه

ولم

ولم يشاركهم فيه غيرهم ثم بين أهل الجذب من أهل السلوك وأهل التدلي من أهل الترقي فقال فأرباب الجذب يكشف
لهم عن كمال ذاته ثم يردهم إلى شهود صفاته ثم يردهم إلى التعلق بأسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره والسالكون
على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا
في تدليه قلت عباد الله المخصوصين بسر الخصوصية هم في سيرهم على قسمين منهم مريد الجذب ثم
يرد إلى السلوك ومنهم من يبدأ بالسلوك ثم يدركه الجذب ثم يسموا أرباب الجذب يكشف لهم أولا من حجب
مجاهدة عن شهود الذات فيستغرق في شهود نورها فربما يبقى الواسطة أصلا ويبقى الكرابع إلا أنه مغلوب
ثم يرد من شهود الذات إلى شهود الصفات فلا يرى إلا الصفات التي ظهرت أنوارها وأسرارها ويبقى الاثر
ثم إذا شهد الصفات تعلق بالأسماء اللازمة لها كالقادر للقدرة والعليم للعلم وهكذا ثم يرجع إلى
شهود الآثار فيقوم بمقام عبوديته والسالكون على عكس هذا فبدايتهم الاستدلال بوجود آثاره على وجود
أسمائه وبوجود أسمائه على وجود صفاته وبوجود صفاته على وجود ذاته كما تقدم فنهاية السالكين
وهي شهود الذات بداية المجذوبين ونهاية المجذوبين وهي شهود الآثار بداية السالكين ولكن ليس
بمعنى واحد فإن أحدهما نازل يشهد الأشياء بالله والآخر صاعد يشهد الأشياء بنفسه لكن ربما التقيا
في الطريق كشهود الصفات والتعلق بالأسماء فإن هذا في ترقيه وهذا في تدليه فإذا اجتمعا
كان المنتهي يرجع للآثار الذي انتهى إليه المجذوب بعد شهود الذات ويكون رجوعه بالله فيجتمعان معا
في مقام البقاء المنزه أكبر من القصد في التربية لأنه قاس شدائد الطريق وما هو الهلاك المجذوب فإنه
كان محمولا وهو نادر والغالب على الناس السلوك ثم الجذب والطريقة الشاذلية الغالب عليهم الجمع
بين الجذب والسلوك من أول قدم ومعنى الجذب هو اختطاف الروح من شهود الكون إلى شهود المكون
واعلم أن الناس في الجملة على أربعة أقسام سالكون فقط ومجذوبون فقط وسالكون ثم مجذوبون
ومجذوبون ثم سالكون فالأولان لا يصلحان للتربية والإرشاد أما السالك فقط فلأنه ظاهر محض فلا
نور له في باطنه يجذب به القلوب إلى الحضرة وأما المجذوب فقط فلا سلوك عنده يسير به غيره والآخران
يصلحان للتربية مع أفضلية الأول واعلم أيضا أن حقيقة السلوك الأول هو شهود خلق بلا حق وحقيقة
الجذب هو شهود حق بلا خلق وحقيقة السلوك الثاني هو شهود خلق بحق والله تعالى أعلم ثم ما يدركه
البواطن من أنوار الشهود والعيان ليست هي حسية يدركها كل انسان وإنما هي معان قلبية وأسرار باطنية
ملكوتية كما أشار إلى ذلك بقوله لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا في غيب الملكوت كما لا تظهر أنوار

السماء الا بشهادة العدل قلت اعلم ان الناس كلهم عنده هو النور في قلوبهم بدليل قوله صلى الله عليه
وسلم كل مولود يولد على الفطرة اي على اصل النشأة الاولية وهي القبضة النورانية وقال تعالى الله نور السموات
والارض قال اهل التفسير الظاهر اي نور اهل السموات والارض وهو عام في كل موجود فيهما فيقع تحقق ان
النور سار في الجميع فمن الناس من حجب عن هذا النور وعمي عنه وهو من وقف مع ظاهر الملك وهو قشر الكون
وجنسه الظاهر ويسمى عالم الاشباح ولم ينفذ الى باطنه وهو الملكوت ويسمى عالم الارواح فهذا محجوب عن
نور الباطن لا يرى الا النور الحسي لانه محجوب في سجن الاكوان محصور في ظلمات الحس والوهم ومن الناس من
نفذت بصيرته الى شهود النور الباطن فيه ولم يقف مع القشر بل نفذ الى شهود اللب وهو نور الملكوت واسرار
الجبروت وهو الذي اشار اليه في المباحث بقوله * مهما تعديت عن الاجسام * ابصرت نور الحق ذا ابتسام *
وهذا النور ايضا هو الذي تراه قلوب العارفين دون الغافلين كما اشار اليه الحلاج بقوله * قلوب العارفين
لها عيون * ترى ما لا يراه الناظرونا * فاذا تحققت هذا علمت انه لا يعلم بالبناء للمفعول اي لا يعرف
قدر انوار القلوب الغيبية وشهودها وانوار الاسرار القدسية وكمالها الا في غيب الملكوت والجبروت فانوار
القلوب لا يعلم قدرها الا في غيب الملكوت وهي الانوار المتدفقة من بحار الجبروت فمن لم ينفذ الى شهود
الملكوت لم يعلم قدرها وشهودها بل ربما انكرها وانوار الاسرار وهي الارواح الصافية لا يعلم قدرها
الا في غيب الجبروت وهي الانوار الاصلية الازلية وهو ما لم يدخل عالم التكوين فمن كان محجوبا في عالم الملك
لا يعلم قدر انوار الملكوت ولا يحس بها بل ينكرها كما انكرها هذه ثلة ممن يدعي الخصوصية وهو بعيد منها
ومن كان واقفا مع انوار الملكوت لا يعلم قدر انوار الجبروت ومن نفذ منهما شيئا شهد الجميع وكما لا تظهر
الانوار الغيبية الا في غيب الملكوت او الجبروت كذلك لا تظهر انوار الملك وهي الانوار الحسية الا في عالم
الشهادة وهو عالم الحس ويسمى عالم الملك والحاصل ان انوار القلوب هي انوار الملكوت وانوار الاسرار
هي انوار الجبروت وهي غيبية لا يعلم قدرها الا من ترقى الى عالم الملكوت او الجبروت فحينئذ يدركها ويعلم قدرها
علما وحالا والله تعالى اعلم تنبيه قد رايت كثيرا ممن شرح هذا الكتاب غلط في تفسير الملك والملكوت
والجبروت فزعموا ان الملك هو عالم الدنيا والملكوت عالم الاخرة والجبروت ما لا يعلمه احد وهذا غلط اذ لو
كان كما زعموا ما صح الترقي من الملك الى الملكوت والى الجبروت اذ لا يترقى على تفسيرهم لان الملك لا يرجع ملكوتا والملكوت
لا يصير جبروتا وهو غير صحيح اذ قد نص كثير من المحققين ان اهل الملكوت لا يرون الملك اصلا واهل الجبروت
يحجبون عن الملكوت هكذا ذكره النقشبندي في شرح الهداية والصواب ان المحل واحد وهو الوجود الكلي

فما لم يدخل عالم التكوين من عظمة الحق تعالى فهو عالم الجبروت وما دخل التكوين فهو عالم الملك فمن نظر الى
حسه سماه ملكا ومن نظر الى معناه والحقه باصله سماه ملكوتا فتحصل ان المحل واحد والامر انما هو اعتبار
تختلف التسمية باختلاف النظرة وتختلف النظرة باختلاف الترقي في المعرفة فمن وقف مع حس الاكوان كان
في حقه ملكا ومن نفذ الى شهود المعاني القائمة بالاشياء كان في حقه ملكوتا ومن نظر الى بحر المعاني الاصلي الذي
تتدفق منه الانوار كان في حقه جبروتا والله تعالى اعلم ولابد لمن اراد ان تنكشف له هذه الانوار ويدرك هذه
المقامات من وجود اعمال ومقاسات احوال فاذا عمل عملا وذاق حلاوته فليستبشر بالفتح الذي هو جزاء السالكين
وهو الذي اشار اليه بقوله وجود ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها اجلا قلت
من وجد في بدايته حلاوة مجاهدته فليستبشر بوجود مشاهدته ومن لم يجد حلاوة فلا ييأس من روح الله
فان لله نفحات تهب على القلوب فتصبح عند علام الغيوب او تقول من وجد ثمرة عمله في الدنيا فليستبشر
بوجود الجزاء اجلا في الاخرة وقد تقدم هذا الشيخ مرارا وهذا الجزاء الذي يستبشر به لا ينبغي قصده ولا طلبه
لئلا يكون ذلك قدحا في الاخلاص كما ابان ذلك بقوله كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ام كيف
تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك قلت العبد انما هو الة مسخرة فاذا اشتغل ربه تحرك والا بقي
واذا كان كذلك فلا نسبة لك في العمل الا ظهوره عليك حكمة فكيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك
واذا امر عليك بصدق العبودية وهو سر الاخلاص او بصدق التوجه اليه وهو عنوان الوصول فكيف تطلب
الجزاء على صدق هو مهديه اليك وعبر في جهة العمل بالصدقة التي تكون للمحتاجين وفي جهة الصدق بالهدية
التي تكون للمحبوبين لان العمل الناس مشتركون فيه اذ جل الناس في العمل والاخلاص قليل واهله اقل من القليل
وهم الخواص او خواص الخواص قال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه في قوله عليه السلام انما انا رحمة مهداة
الانبياء لامتهم عطية ونبينا لنا هدية فالعطية للمحتاجين والهدية للمحبوبين وقال الواسطي رضي الله عنه
مطالعة الاعواض على الطاعة من نسيان الفضل وقال ابو العباس بن عطاء اقرب الاشياء الى مقت الله رؤية
النفس وافعالها واشد من ذلك مطالعة الاعواض على افعالها ثم بين الاعمال التي توجد ثمرتها
عاجلا واجلا هو ذكر الله وثمرته هو النور الذي يشرق في القلوب فيضمحل به كل باطل والناس في هذا النور
على قسمين قسم تسبق انوارهم قلوبهم فهم ذاكرون على الدوام وقسم يطلبون وجوده باذكارهم والى
هذا اشار بقوله قوم تسبق انوارهم اذكارهم وقوم تسبق اذكارهم انوارهم قلت اما القوم
الذين تسبق انوارهم اذكارهم فهم الواصلون واما الذين تسبق اذكارهم انوارهم فهم السائرون

الاولون لهم انوار المواجهة لا تبارحهم فهم ذاكرون على الدوام فبإرادة والذين ذكروا باللسان سبقت الى قلوبهم
الانوار فكانت هي الحاملة لهم على وجود الاذكار واما الاخرون فلهم انوار التوجه وهم طالبون لها محتاجون
اليها فهم يجاهدون انفسهم في طلب تلك الانوار ثم بين حال الفريقين فقال ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار
قلبه فكان ذاكرا قلت فالذي ذكر ليستنير قلبه هو الذي يسبق ذكره نوره فهو من القوم الذين تسبق اذكارهم انوارهم
والذي استنار قلبه فكان ذاكرا هو الذي يسبق نوره ذكره فهو من القوم الذين تسبق انوارهم اذكارهم وهم العارفون
بالله لا تجدهم الا في حضرة الله بين ذكر او فكرة او نظرة او ارشاد الى الحضرة فقلوبهم معتكفة في الانوار وارواحهم
دائما في حضرة الاسرار ثم ان وجود الذكر في الظاهر عنوان وجود شهود الباطن اذ لولا وارد ما كان ورد وهو الذي
اشار اليه بقوله ما كان ظاهر ذكر الا عن باطن شهود او فكر قلت اذا كان الظاهر مشتغلا بذكر الله فهو علامة
وجود محبة الله في الباطن اذ من احب شيئا اكثر من ذكره ولا تكون المحبة عن نفس ذوق ومعرفة فلا يكون الظاهر
في ذكر الا عن باطن شهود اي شهود كان وان كان لا يشعر بشهوده فما في ترك الروح حتى فنيت ولا فنيت حتى
شهدت فكل من فتح في ذكر الله فان روحه شهدت جمال الحضرة او تجلت في جمال الصفة كوروده لها او في حس
ترابه وحجابه مفصل او وجود الذكر في الظاهر ناشئ اما عن شهود في الباطن وهو حال المريد السائر او العارفين
او ناشئ عن فكرة وهو حال الطالبين للجزاء فان الناس في الذكر على ثلاثة اقسام قسم يطلبون الاجور وقسم
يطلبون الحضور وقسم وصلوا ورفعوا الستور ثم بين وجه كون ذكر الظاهر ناشئا عن شهود الباطن فقال
اشهدك من قبل ان استشهدك فنطقت بالالهية الظواهر وتحققت باحديته القلوب والسرائر قلت الارواح
في اول ظهورها في عالم الشهادة في الصفا جميع ابرزها الله في عالم كانت عالم الذر دراكة فاشهدها الله تعالى عظمته
وجلاله وجماله وبهائه وكمال وحدانيته فقال لها حين اشهدها الست بربكم قالوا بلى فنطقها اقرت بالربوبية
جميع كلها في هذا القالب فمنها من اقرت بذلك العهد ومنها من جهلت وانكرت فقد اشهدك الحق تعالى
حين كنت في عالم الارواح ربوبيته ووحدانيته وعظمته وصفاته من قبل ان يستشهدك اي يطلب منك
تلك الشهادة فحصل طلبها منك وجدت روحك عالمة فنطقت بالالهية التي عرفتها في عالم الذر الحسنة
الظواهر وتحققت باحديته التي شهدتها قبل تركيب القلوب والسرائر فجعل ما ظهر من الاقرار بالربوبية
في عالم الشهادة فهو فرع الاشهاد المتقدم في عالم الغيب وكل ما ظهر من التحقق بالاحدية للقلوب فهو
فرع العلم السابق في علم الغيوب فالواجب على العبد ان يكون جامعا بين اقرار الظاهر وتوحيد الباطن فالاول
فرق والثاني جمع والى هذا المعنى اشار الجنيد بقوله ؏ فقد تحققتك بسري حين ناجاك لساني ؏ فاجتمعنا لمعان

فوائد

وافترقنا

١٦٦

وافترقنا لمعان ؏ ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني ؏ فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني ؏ ثم بين كرامات الذكر
المتقدم فقال اكرمك كرامات ثلاثة جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا
به اذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك قلت لقد اكرمك الحق تعالى ايها الانسان كرامات
كثيرة وانعم عليك نعما غزيرة قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واجل الكرامات واعظمها كرامة
الذكر وفي الحديث ما من يوم الا ولله فيه نعم يمن الله بها على عباده وما انعم الله على عبد افضل من ان يلهمه
ذكره او كما قال عليه الصلاة والسلام ذكره المنذري ومرجع هذه الكرامات الى ثلاثة امور الكرامة الاولى جعلك ذاكرا له
ومن ايسر نعمة ذليل ان يذكر سيدا جليلا ولولا فضله عليك لم تكن اهلا لجريان ذكره على لسانك الكرامة الثانية
جعلك مذكورا به حيث ذكرك بنفسه حين ذكرته قال تعالى فاذكروني اذكركم واذا كنت مذكورا بسبب ذكره
لك فقد ثبتت خصوصيتك عنده فاي كرامة اعظم من هذه فقد حقق نسبته لديك حيث اثبت لك
الخصوصية وقال لك يا وليي ويا صفيي بمن ابرزت وهذه النسبة لولا ان الله تفضل عليك قال بعضهم في تفسير
قوله تعالى ولذكر الله اكبر اي ولذكر الله لعبده اكبر من ذكر العبد له الكرامة الثالثة حيث جعلك مذكورا
عنده في الملائكة المقربين ففي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا عند ظن عبدي بي
وانا معه حين يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب مني شبرا
تقربت منه ذراعا وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وفي حديث اخر ما جلس
قوم يذكرون الله فيه الا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وكان يحيى بن معاذ
رضي الله عنه يقول يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا
فاذا عمرت اوقاتك بذكر الله فعمرك طويل وان غفلت ايامه كانت ابابيل لك بقوله رب عمر اتسعت
اماده وقلت امداده ورب عمر قليلة اماده كثيرة امداده قلت رب هنا للتكثير في الموضعين فكثير
من الاعمار اتسعت اماده جمع امد وهو الزمان اي كثير من الناس طالت اعمارهم واتسعت ازمنتهم
وقلت امدادهم اي فوائدهم فلم يحصلوا على شيء حيث اشتغلوا بالبطالة والتقصير حتى مضت تلك
الايام كطيف المنام واضغاث احلام وكثير من الاعمار قلت اماده اي ازمنتهم وكثرت امدادهم
اي فوائدهم فادركوا من فوائد العلم والاعمال والمعارف والاسرار ونال غيرهم في زمان قليل ما لم يدركه
غيرهم في الزمان الكثير ومثال ذلك اهل الجذب مع اهل السلوك وحده فان اهل الجذب الموافقين
للعمل في الاعمال يحصلون في ساعة واحدة من مسافة الغيب ما لا يدركه اهل السلوك في سنين وكذلك اهل

البكرة مع اهل الخدمة بكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة وفي ذلك قال الشاعر ⁂ كل وقت من حبيبي ⁂
⁂ قدره كالف حجة ⁂ اي سنة وقال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه اوقاتنا كلها ليلة القدر اي كل وقت
عندنا افضل من الف شهر عند غيرنا قال القاضي ابو بكر بن العربي المعافري تلميذ الغزالي لقيت الشيخ ابا حامد
على انقطاعه واعتزاله عن الخلق وقطع انتفاعهم بما وهبه الله له من العلم الظاهر والباطن فقال ممتثلا ⁂
⁂ قد تيممت بالصعيد زمانا ⁂ وانا الآن قد ظفرت بالماء ⁂ من سرى مطبق الجفون واضحى ⁂ ⁂
⁂ فلا تجد الابدر هالة العماء ⁂ ⁂ ⁂ اي من كان يمشي مسدود العينين واضحى اي صار فاتحا عينيه لا يرجع للعماء
ثم قال قلت فالصحيح ان الاشتغال بالعلم نفع عام وهو من افضل العبادات وقد قال صلى الله عليه وسلم لان يهدي
الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وقال لما طلع قمر السعادة في افق الارادة واشرقت شمس
الوصول في ارض الاصول ⁂ تركت هوى سعدى وليلى بمعزل ⁂ وملت الى علياء اول منزل ⁂ فنادتني
الاكوان من كل جانب ⁂ الا ايها الساعي رويدك فاحمل ⁂ غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد ⁂ لغزلي نساجا
فكسرت مغزلي ⁂ ⁂ وانظر من اطلعه الله على بركة عمره واراد توفيقه كيف اختار الانكد فالانكد والاولى
فالاولى ليدرك ما تلقمه من الفوائد ويحظى بالخصائص والزوائد ⁂ قال الشعيبي رحمه الله قال احمد ابن ابي
الحواري كان ابو سليمان الداراني رضي الله عنهما قد غلبت بني اسرائيل قال باي شيء قلت بثمان مائة عام حتى
يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا والاوتار فقال ما ظننت الا وقد جئت بشيء والله ما يريد الله منا ان تيبس
جلودنا على عظامنا وما يريد منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق في عشرة ايام نال ما ناله الآخر
في اعمارهم الطويلة ⁂ وقال في القوت فان البركة في العمر ان تدرك في عمرك القصير بيقظتك ما فات غيرك
في عمره الطويل بغفلته فيفتح لك في العشر ما لا يفتح له في عشرين سنة والمخصوص من المعنى بيسير مقام القرب
عنه الفضل بمعرفة الرب الحاق في جميع الدرجات وتدارك ما فات عند اذكارهم واعمال قلوبهم اليسيرة
في هذه الاوقات فيكون ذكره من ذكر تسبيح او تهليل او حمد او تمجيد وتبصرة او تفكر وتذكرة لمشاهدة قرب ووجد
في ب ونظرة الى حبيب ودنو من قريب افضل من امثال الجبال من اعمال الغافلين الذين هم في نومهم ساهون وهم واجدون
وللخلق مشاهدون وقال العارفون فيما ذكرناه من قيامهم بشهاداتهم ورعايتهم لاماناتهم وعهدهم في وقت
في بقائهم وحضورهم مثل العامل في ليلة القدر العمل فيها موافقة خير من الف شهر وقد قال بعض العلماء
كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر فهو منه في لبركة في العمر هو ادراك الامداد العظيمة في الاماد القليلة كما تقدم
وكما ابينه بقوله من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمان من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة

وفي التحفة الاشارة قلت ليست البركة في العمر بكثرة ايامه وطول ازمانه وانما البركة في العمر ان تجد
العناية وتهب عليه نفحات الهداية فيدرك في يسير من الزمان من منن الله تعالى من علومه ومعارفه واسراره
ما لا يدخل تحت دوائر العبارة لان ما ادركه اوسع من ضيق العبارة اذ قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقد يدرك العارف من دقائق الاسرار ما تعجز عنه عبارة
اللسان في كل ذلك في اقل زمان وغالب هذا يحصل من ملاقاة الرجال وصحبتهم فان المدد الذي يحصل للانسان
في ساعة واحدة معهم لا يحصل في ازمنة طويلة مع غيرهم ولو كثرت طاعاتهم وصيامهم اذ ليس العبرة بكثرة
الاوراد وانما العبرة بكثرة الامداد ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم
فكرة في الجامع والذكر من اعمال القلوب افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح والعلم مع المعرفة ليس
كالعمل مع الجهل وذلك معلوم قال الشيخ الحضرمي في بعض طرائقه من كان يستمد من حضرة الجمع فهو
يكتب ما يكون وما لا يكون طويل الطويل طويل قصير القصير قصير شيء شيء لا شيء لا شيء عدم
عدم عدم وجود وجود وجود ذلك ان المعنى طويل الطويل والحصر قصير القصير والموجود القديم شيء ثابت
وما سواه ليس بشيء والسوى عدم والواحد القهار وجود فالذي يكتب من حضرة الجمع اي يستمد من حضرة
الجمع يكتب الاشياء كلها ويستمد من الاشياء كلها لمعرفته في الاشياء كلها كانت قصيرة او طويلة
وجودية او عدمية وبالله التوفيق وسبب البركة في العمر هو التفرغ من الشواغل والشواغب فمن كثرت
شواغله وعوائقه لا بركة له في عمره لانه منع من تصريفه في طاعة مولاه بمتابعة شهواته وتحصيل مناه ومن تفرغ
من الشواغل ولم يقبل على مولاه فهو مخذول مصروف عن طريق استقامته وصده عما يراد منه بقوله الخذلان
كل الخذلان ان تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه قلت اذا قلت شواغلك
في الظاهر وعوائقك في الباطن ثم لم تتوجه اليه بظاهرك ولم ترحل اليه بباطنك فهو علامة غاية الخذلان
لان جل الناس انما حبسهم عن التوجه الى الله الا كثرة اشتغالهم الحسية واشتغلت جوارحهم بخدمة الدنيا
في العيال والاتباع والظهور والاعوان حتى انقضى العمر كله في البطالة والتقصير فهذا هو الخذلان الكبير
ومن الناس من قلت شواغلهم الظاهرة لوجود من قام لهم بها لكن كثرت عوائقهم في الباطن لكثرة ما تعلق
بهم من الشواغب فهم مغرقون في التدبير والاختيار والاهتمام بامور من تعلق بهم من الانام لا سيما
من كان له جاه ورياسة وخطة او سياسة فهذا باعتبار العادة بعيد من الاقبال على مولاه الا ان سبقت
له سابقة عناية فتجذبه الى حضرة ربه ورضاه والحاصل ان الخير كله في التخفيف من الشواغل والعلائق

فمن تفرغ منها فهو قريب من الحضرة واما من تشتت شواغله وعوائقه فامره بعيد لان فكرته مشغولة بالعلائق والخواطر
فمنها هو بالنسبة فجنبة الخواطر اليها وبقي مرهونا معها وهو الذي اشار اليه بقوله الفكرة تسير القلب
في ميادين الاغيار فمن لا تفرغ له لا فكرة له ومن لا فكرة له لا سير له ومن لا سير له لا وصول له فالفكرة هي سير القلب
الى حضرة الرب وذلك السير في ميادين الاغيار اي مجالي شهود الاغيار ليستدل بها على وجود الانوار وهذه
فكرة اهل الحجاب وفكرة اهل الشهود سير الروح في ميادين الانوار او سير السر في ميادين الاسرار فتكلم الشيخ
على بداية الفكرة ولم يتكلم على نهايتها ولو تكلم عليهما معا لكان احسن لما فعل فيما بعده حيث قال الفكرة
فكرتان الخ وقال الشيخ زروق رضي الله عنه الفكرة انبعاث القوة الادراكية في عالم الغيب والشهادة لتدرك
حقيقة الاشياء على ما هي عليه ومن وجد ذلك فهو عارف ه وقيل انما عبر الشيخ بالاغيار وهي المخلوقات
لقوله عليه السلام وقد راى قوما يتفكرون فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون الحق
قدره قلت انما نهى عليه السلام عن التفكر في كنه الذات وادراك الحقيقة واما التفكر في عظمة الذات
وقدمها وبقائها ووحدانيتها وتجليها انتهاء بظهورها وبطونها فهذا لا ينهى عنها لانه سبب المعرفة
مع العجز عن ادراك الكنه والتحقيق ان اهل الحجاب لا يحل لهم التفكر الا في المصنوعات واما اهل العرفان
فانهم يتفكرون الا في عظمة الذات اي في عظمة الصانع وتوحيده وقدمه وبقائه وظهوره واحتجابه وفي الغيبة
عن الحس وشهود المعنى وفي الغيبة عن الكون بشهود المكون وفي الغيبة عن الظلمة بشهود النور وهو سراج
القلب الذي اشار اليه بقوله الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له قلت الفكرة في عظمة البارئ
وتوحيده نور فاذا كان القلب مشغولا بالفكرة في عظمة الحق فهو منور بنور الحضور واذا نام الفكرة في الحق
دخلته الفكرة في الاغيار وهي ظلمة ولا يجتمع الظلمات والنور ابدا فالفكرة سراج القلب فاذا ذهبت الفكرة
في الحق انطفا نوره بدخول ظلمة الكون فلا اضاءة له ولذلك قال الجنيد رضي الله عنه اشرف المجالس واعلاها
الجلوس مع الله في ميدان الفكرة على بساط التوحيد ه وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه اربعة
من حازهن فهو من الصديقين المقربين ومن حاز منهن ثلاثة فهو من اولياء الله المقربين ومن حاز منهن اثنين
فهو من الشهداء المومنين ومن حاز منهن واحدة فهو من عباد الله الصالحين اولها الذكر وبساطه
العمل الصالح وثمرته النور الثاني الفكر وبساطه الصبر وثمرته العلم الثالث الفقر وبساطه الشكر وثمرته
المزيد منه الرابع الحب وبساطه بغض الدنيا واهلها وثمرته الوصول الى المحبوب ه ثم بين فكرة البداية
والنهاية فقال الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان وفكرة شهود وعيان قلت فكرة اهل التصديق

والايمان

والايمان هي سير القلب في ميادين الاغيار فهم يتفكرون في المصنوعات ليتوصلوا الى معرفة الصانع وقدرته وعلمه
وحياته وغير ذلك من صفاته جل جلاله وهم الذين قال الله فيهم يومنون بالغيب وفكرة اهل الشهود والعيان
هي سير الروح في ميادين الانوار فهم انقلبت الاغيار في حقهم انوارا والدلائل مدلولات والغيب شهادة وهم
الذين اطلعهم الله على سر قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض ثم بين حال الفريقين فقال فالاولى
لارباب الاعتبار قلت الفكرة الاولى وهي فكرة تصديق وايمان لاصحاب الاعتبار وهم اهل الاستدلال يستدلون
بالصنعة على الصانع وهم السائرون الى الله بانوار التوجه والثانية لارباب الشهود والاستبصار قلت
الفكرة الثانية وهي فكرة شهود وعيان هي لارباب الشهود والاستبصار لانهم ترقوا من شهود الدليل
الى المدلول ومن الاثر الى المؤثر ومن الاغيار الى شهود الانوار ومن الفرق الى الجمع ومن الملك الى الملكوت
فلا يشهدون الا انوار الملكوت قد فنيت وانصبت من بحار الجبروت فهم غرقى في بحار الانوار مطموس
عنهم وجود الاثار فان ردوا الى البقاء فانما بالله ومن الله والى الله فما اعظم قدرهم عند الله
وفي مثلهم قال القائل ** هم الرجال وغبن ان يقال لمن ** لم يتصف بمعانيهم وصفهم رجل **
حققنا الله بما حققناهم امين هذا اخر الباب الخامس والعشرين وبها ختمت الابواب وما
بقي الا المراسلات والمناجات وحاصل المراسلات ثلاثة كتب وجواب فاول الكتب رسالة في السلوك التي
هي في ملك الملوك في بدايتها ونهايتها ونصها وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه
اما بعد فان البدايات مجلات النهايات قلت البدايات ما يظهر على المريد في اول دخوله من مجاهدة
ومكابدة وصدق وتصديق وهو مظهر ومجلات للنهايات اي يتجلى فيها ما يكون في النهايات فمن اشرقت
بدايته اشرقت نهايته فمن رايناه جادا في طلب الحق باذلا نفسه وفلسه وروحه وعزه وجاهه ابتغاء
الوصول الى التحقق بالعبودية والقيام بوظائف الربوبية علمنا اشراق نهايته بالوصول الى محبوبه
واذا رايناه مقصرا في ذلك علمنا قصوره عما هنالك وانشدوا ** بقدر الكد تكتسب المعالي **
** من اراد العز بسهر الليالي ** اتروم العز ثم تنام ليلا ** يغوص البحر من طلب اللآلي ** **
وبالجملة من رايته صادق العزم في البداية فاعلم انه من اهل العناية ومن رايته في سلوكه معتمدا على
الله ومفوضا امره الى الله كانت غاية سلوكه الوصول الى الله كما نبه عليه اذ قال ومن كانت بالله بدايته
كانت اليه نهايته قلت البداية بالله هو ان لا يرى لنفسه حولا ولا قوة لا في عمل ولا حال ولا مجاهدة
ولا مكابدة بل ما يبرز منها من الاعمال ومن الاحوال يراه منة من الله وهدية اليه فان كان هكذا فقد تحققنا

بالله بدايته والبه تكون نهايته ومما يتأكد الشكر الله في البداية تصحيح ما ينبغي الله في سلوكه من علم الشرع

وعلم الطريقة فالعمل بلا علم جناية والعلم بلا عمل وسيلة بلا غاية وفي ذلك قيل ❀ اذا كنت ذا علم ولم تك

عالما ❀ فانت كذي رجل وليس له نعل ❀ وان كنت ذا علم ولم تك عاملا ❀ فانت كذي نعل وليس له رجل ❀

جواد كمصبوق الكل غاية ❀ وهل ذو جواد رب يسبقه البغل ❀ وقد ذيلتها ببيت تكميلا للافساح

فقلت ❀ وان كنت ذا علم وحال وهمة ❀ جواد سابق يمم لدى الوصل ❀ فاذا احصل المريد

ما يحتاج اليه في بدايته من اتقان طهارته وصلاته وصومه فليشتغل بطاعة ربه ويعرض عما اشغله عنه كما

ابان ذلك بقوله والمشتغل به هو الذي احببته وسارعت اليه والمشتغل عنه هو المؤثر عليه قلت

الموصلة في الموضع ان الذي تشتغل به في جميع اوقاتك وتصرف اليه كليتك هو الحبيب الذي تسارع اليه

وافضل اشتغالك ذكره ويكرره ذكرا واحدا وقصدا واحدا تبلغ مرادك ان شاء الله والذي تشتغل عنه او تغيب

عنه هو المؤثر عليه بمعنى انتاء ان هو الذي تركته واثرت حب الله عليه والحاصل ان الذي تشتغل به وتقصده

هو الذي احببته وسارعت اليه والذي تغيب عنه هو الذي تركته واثرت حب الله عليه فاجمع ان الله يلطف

ما زيد ان الله يرزق العبد على قدر همته وانشدوا ❀ اذا العبد الذي يبرى عينيه عزمه ❀ واعرض عن كل

الشواغل جانبا ❀ فقد نال عند العارفين جالبا ❀ عليه قضاء الله ما كان جالبا ❀ وقيل ان علامة

الصادق الذي يدون الغاية ابدا مع ان الغاية لا تدرك ابدا وقال الفضيل من رابتموه وكلامه حكمة

وصمته عبرة وتنهنه عبرة فلا تتعوا منه فانه قد قطع عمره في عبادة وسلوكه ابدا في زيادة ومن رابتموه

يميل الامراء ويصحب العلماء فلا تعلموا انه عصاني له واعظم ما يشتغل عنه المريد ويغيب عنه حب الدنيا

فانه سم قاطع ولا يكمل المسير الى الله بصفاء القلوب مع بقاء شي منها وقليلها كثيرها روي ان بعض

المريدين قام ليلا بعبادته فلم يجد قلبه فقال اذا اصبحت شكوت هذه الوسوسة للشيخ فوقف الشيطان على

الشيخ وقال له ان رجلا يريد ان يشكوني وانا ما خلعت ان الدنيا بعضها وانا اخرجها ان اخذ منه شيئا لا تتركه

حتى يترك ما اخذ فلما اصبح جاء التلميذ للشيخ فقال له الشيخ جاء ابليس يشتكي بك ما الذي اخذت له فقال ابيعي

خلق ثوبي بطلبت اجرة لا رفعه فقال له اخرجها وقل تتجنبك المموت اقرب من ذلك فخرجها فوجد قلبه

وانشدوا ❀ لا تحقرن ضعيفا عند رؤيته ❀ ان البعوضة تدمي مقلة الاسد ❀ وللشرارة حقير حين

تنظرها ❀ وربما اضرمت نارا على بلد ❀ ثم هذا الذي تشتغل به وتسارع اليه هو ايضا يطلبك ويسارع

اليك وان تقربت اليه شبرا تقرب اليك ذراعا كما ابان ذلك بقوله ومن ايقن ان الله يطلبه صدق الطلب

اليه قلت اليقين هو سكون القلب وطمانينته بحيث لم يبق فيه اضطراب ولا ريب في جميع الامور وطلب الله

تعبده من وجوه منها انه يطلبه بالقيام بحقوق العبودية ووظائف الربوبية ومنها انه يطلبه بالتوجه

اليه والاعراض عما سواه ويطلبه بالعكوف في حضرته على بساط الادب والمحبة فمن ايقن ان الله يطلبه بهذه الوجوه

صدق الطلب اليه وصدق الطلب هو افراد القلب والقالب بجهة المطلوب بحيث لم يبق التعلقات لغيره ولا

يبقى الا به ولا يعتمد الا عليه كما اشار الى ذلك بقوله ومن علم ان الامر كله بيده انجمع بالتوكل عليه قلت

قال تعالى واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وقال قل ان الامر كله لله فمن علم ان الامور كلها بيد الله امر

الدنيا وامر الاخرة والنفوس والقلوب لم يبق له نظر الى ما سواه وانجمع بكليته عليه قال تعالى ومن يتوكل على

الله فهو حسبه اي كافيه ومن كان الله كافيه ماذا يفوته حكي عن بعض المشايخ انه دخل بادية الحجاز مع

اصحابه بغير زاد فلما طالت عليهم المدة واجهدهم الجوع انحرف الشيخ عن الطريق وهو تحيره فاصطفت رهبا

جنيا فاكلوا منها الا كتابا فقال له الشيخ لم لم تاكل فقال انه زمن التوكل على الله ووصفنا الاسباب جملة فكيف

اجعلك عندي بمنزلة السبب حتى تكون النفس متشوقة لما علمت منك ثم لم يصحبهم تصحيحا ليقينه واتمام

لعقده ومما يعين على تحقيق اليقين وصدق التوكل رفض الدنيا واهلها واليه اشار بقوله وانه لا بد

لهذا الوجود ان تتهدم دعائمه وان تسلب كرائمه قلت قد حكم الله على هذا الوجود الظاهر

الحسي بالفناء فلا بد ان تتهدم دعائمه وهو ما يشتغل به وجوده في العادة وهي هنا استعارة عن

هدم وجوده ونبه عليه في غلوه اي قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقال كل شيء هالك

الا وجهه على زوال اهل الظاهر ولا بد ايضا ان تسلب كرائمه والمراد زوال بهجته وجماله وهي زينة الدنيا

التي ذكرها الله بقوله زين للناس حب الشهوات فمن تيقن بفناء هذا الوجود وزوال هذا العرض العاجل جعل

الدنيا محلا للعبور يعبر منها الى دار البقاء فيصير على شدتها ولا واهها حتى تنقضي عنه ايامها فهذا

هو العاقل الذي ذكره بقوله فالعاقل من كان بما هو ابقى افرح منه بما هو يفنى قلت الامر بكمالات

العقل التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتاهب ليوم النشور

كما قال عليه السلام فالعاقل هو الذي يميز بين الحق والباطل والنافع والضار والحسن والقبيح وكل

ما يفنى وان طال العهد قبيح وكل ما يبقى وان غاب فهو مليح قال بعضهم يا عجبا للمطمئن للدنيا

والراكن اليها والحريص عليها وهو يرى سرعة زوالها وكثرة تقلبها باهلها ومعاجلة نوائبها

وانشدوا ❀ اين الملوك وابناء الملوك ومن ❀ كانوا اذا الناس قاموا هيبة جلسوا ❀

كأنهم فيها ما كانوا ولا خلقوا ۞ ومات ذكرهم بين الورى ونسوا ۞ حتى الطائرين لما الفوا محلهم ۞
۞ من التراب على اجسامهم وكسوا ۞ ۞ قال مالك بن دينار مررت بمقبرة فوجدت بهلول المجنون قاعدا
بين القبور وهو عريان الا ما ستر العورة فاتيت نحوه لا نشبه من حاله فوجدته تارة ينظر الى السماء فيبتهل
وتارة ينظر الى الارض فيعتبر وتارة ينظر عن يمينه فيضحك وتارة ينظر عن شماله فيبكي فسلمت عليه فرد علي السلام
فسألته عما رأيته من حاله فقال يا مالك ارفع رأسي الى السماء فاذكر قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون
فابتهل وانظر الى الارض فاذكر قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فاعتبر وانظر عن
يميني فاذكر قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فاضحك وانظر عن شمالي فاذكر قوله تعالى واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال فابكي فقلت يا بهلول والله انك حكيم اتاذن لي ان اشتري لك قميصا فقال افعل فاسرعت
للسوق واتيته بقميص فنظر اليه وقلبه يمينا وشمالا ورمى به الي وقال ليس مثل هذا اريد قلت وكيف تريده
قال اريد قميصا من الاخلاص ۞ محبوكا من الدنس والانقطاع ۞ مرقعا بالحقائق ۞ وجوهر جميع الجوانب
سقيه بماء السلسبيل فاتبع حسنه ۞ واتى فكتبناه ۞ وقطعته ايدي الفقراء البررة ۞ التالين سورة الحمد والبقرة ۞
ثم خيطته ايدي الوفاء ۞ بغير خياط من غير جفاء ۞ ثم خللته الاوتار ۞ المتصلة بالانوار ۞ وعنقته مغازل الحمد
والثناء بالمحبة والاعتناء ۞ فجعلت الجنة لناسجه ثوابا ۞ وكان هو لابسه من النار حجابا ۞ فطفقت يا مالك على
مثل هذا فقلت انما يقدر عليه من خصه بوحيه ۞ والهمك بمعاينته وكشفه ۞ ثم قلت يا بهلول صف لي لابس هذا
القميص فقال نعم انما يلبسه من خصه الله بانواره ۞ وكتبه في ديوان ابراره ۞ واحياه بالحقائق ۞ وفؤاده بالعز يسمو
الصادقة فجسمه بين الخلق يسعى وقلبه في الملكوت يرعى فلا يتكلم بغير ذكر الله لحظة ۞ ولا ينظر لغير الله
لحظة ثم صاح صيحة عظيمة وقام وهو يقول ۞ اليك فر الهاربون ونحوك قصد الطالبون ۞ وببابك اناخ التائبون
اللهم انا فقراء وقفنا ببابك فلا تكلنا دونك ۞ ونحن انتسبنا الى جنابك فلا تخلنا منك يا ارحم الراحمين ثم مضى الى البادية واعرض
عن الدنيا فتشرق عليه الانوار ۞ وتلوح له الاسرار كما ابان ذلك بقوله فقد اشرق نوره وظهرت تباشيره قلت
قد اشرق نوره بحلاوة الزهد في الدنيا والاقبال على المولى لان حب الدنيا ظلمة فاذا خرج من القلب دخله النور وهو
حلاوة الزهد وراحة القناعة وروح الرضى ونسيم التسليم وظهرت تباشيره اي مبشرات تبشره بالاقبال وروح الوصال
وجنة المعارف والجمال وانشدوا ۞ اذا هبت علينا من حماكم ۞ نسيمات تذكرنا الوصالا ۞ مبشرات بالاقبال
وسعة ۞ وعيش دائم دهرا طويلا ۞ مبلغات شذا تلك المعاني ۞ مذكرات ربابها والطلولا ۞ فدائي خبروني
بالمعاني ۞ واحسن ما تغاني السلسبيلا ۞ فحين اشرق نوره وظهرت تباشيره اعرض عن الدنيا بالكلية كما ابان

ذلك

ذلك بقوله فصدف عن هذه الدار مغضيا واعرض عنها موليا قلت الصدوف هو الاعراض والتولية فاعرض هذا
السائر الى الله عن الدنيا فجعل فيها مغضيا اي مغمضا عين بصيرته عن النظر الى زهرة هذه الدار وبهجتها
ممتثلا في ذلك قول المولى لرسوله المصطفى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا اي اصنافا من الكفار زهرة الحيوة
الدنيا لنفتنهم فيه واعرض عنها قلبا وقالبا موليا ظهره عنها مقبلا بوجهه الى المولى قال الشيخ واعلم
ان الاعراض عن الدنيا انما هو بالقلب ومتى كان القلب معلقا بها لم ينفع زوالها من اليد ولا يضر اسبابها بل
المطلوب زوالها من القلب سواء كانت في اليد او لم تكن قال تعالى لمن اعطاه ملك الارض بحذافيرها سليمان عليه السلام
هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقال فيه ايضا نعم العبد انه اواب وقال لمن نزعها منه بحذافيرها
سيدنا ايوب عليه السلام ووهبنا له اهله ومثلهم معهم ثم قال انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فلا حرج من
علامة حب الاخرة ترك الدنيا لا يفرح بالموجود منها ولا يتاسف على ما فاته منها ولا يكثر ذلك الا بترك الانتصار
للتعبد وفيما لعبنها وانشدوا ۞ فلا تبصر في التغرب كرامة له ۞ فتجني في ذكر الهوى بهوان ۞ واذا ملت بدار قوم
دارهم ۞ فلهو عليك نعم الاوطان ۞ وسئل الشيخ ابو محمد عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه عن الدنيا
فقال اخرجها من قلبك واجعلها في يدك فانها لا تضرك وقال الحضرمي رضي الله عنه ليس الرجل الذي يعرف
كيفية امساكها فيمسكها قال الشيخ زروق رضي الله عنه لا تنافي المحبة وليس الشأن في قتل الحبة انما الشأن
امساكها حبة ه وقد يقصد بترك الدنيا ما هو اعظم من الدنيا كحب الجاه والرياسة وغير ذلك من الحظوظ
ولذلك قيل من اراد ان يكون منه شيء فلا يأت منه شيء الا انه عبد ارادته وعامل لحظ نفسه فاذا انقطعت عنه
الحظوظ النفسية والشهوات الدنيوية صح قصده الى الله وانبعث قلبه بالتوجه لمولاه ه قلت ولذا الانوار
التطاونية فيه تنبيه هذا المعنى قال في بعضها ۞ ومن كان قصده في نيل ما ۞ يريد فقام بالحجة ۞ واصل
طريقنا رفض العلائق مع الصبر والرجوع للهمة ۞ وحسن الحب منشأ هدى ۞ يقينا للمحبة وامن حضرة ۞
۞ وجهك عنه جدير بان ۞ يعوضك الصنع بالمنة ۞ وابو الانوار التطاونية هذا العبد ابو المحاسن سيدي
يوسف الفاسي وقبره بتطوان بالمحل القديمة لناحية القصبة نفعنا الله بذكره ثم ان من اعرض عن الدنيا فلا
وطن له فيها وانما وطنه عند مولاه كما اشار الى ذلك بقوله فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا قلت لان من
ترك الشيء فقد خلا فيه والساري لا مقام له الا عند مولاه وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقول في شأن
الدنيا اعبروها ولا تعمروها وقال عليه السلام ما لي وللدنيا ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب
سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ثم راح عنها وتركها فليست الدنيا دار اقامة ولا سكنى وانما هي قنطرة

من هنا الرجاء العارف لا يكون مع غير الله في ارادة لان همته كلها عند الله كما قال بل انهض الهمة فيها الى الله
وصار مستعينا به في الغدو واليه قلت النهوض هو القيام كان السائر الى الله انهض همته واقامها من هذا
العالم يريد به الدخول عالم الملكوت وانهاض الهمة يكون بامتثال امره والاستسلام لقهره والاستعانة
به على سيره وهو قوله وصار مستعينا الخ والقدوم على الله هو الوصول الى معرفته وتحقيق العلم به ولا يتم ذلك
الا بالتبري من الحول والقوة ومن ظن ان اجتهاده يوصله لمرغوبه فقد جهل ومن صح اعتماده على الله وصل ثم بين
السير فقال فجاز ان مطية عزمه لا يفتر في رحلها قلت المطية في اللغة هي المركوب واستعيرت هنا للعزم
القوي اي فجاز الى عزمه قوية ووجهه شايعة لا يفتر في رحلها اي لا يسكن في رحلها في موضع دون سيره حالا الى الوطن واقلقها
وخوف جوات الخوف ازعجها فهي في السير على الدوام كما قال دائما تسيار رحلها قلت انما دام سيرها لقلة
عوائقها لانها لما اعرضت عن الدنيا مولية عنها قلت عوائقها لان الدنيا شبكة العوائق واصل العلائق
وكل من قطع عوائقها فهام قلبه ذهبت عنه العلائق كالشيطان الذي هو ابوها فلما طلع بنفسه في كره وكل النفس
لان قوامها الدنيا فلما ذهبت ماتت لان الدنيا جيفة والناس كلابها فلما تركت لهم جيفتهم سلمت منهم
فدام سيرها الى ان وصلت الى المطلوب كما اشار اليه بقوله الى ان اناخت بحضرة القدس وبساط الانس قلت
الاناخة هي النزول وهو كناية عن الحصول ولما وصلت الروح الى مشاهدة الاحباب وفتح لها الباب ازالت ما كان
عليها من الاثقال وجلست على بساط النزاهة والكمال وهي حضرة القدس التي التنزيه الخ هو دائرة الولاية
المقتضية للعبد تحققه بتقديس مولاه عن كل وصف لا يليق به انه حق عرف انما جل من ان يعرف واعظم من
ان يوصف فيقول لا احصي ثناء عليك فيغرق في التعظيم ويتكرر التقديس فينعكس تقديسه عليه فيجب فيجعلهم
مولاه فلا يعصيه بل يكون مقدسا بتقديس الحوا اليه اذ قدس مولاه فقدسه مولاه كل على ما يليق به فعند
ومن هذا التقديس ينسى كل شيء بمولاه فيما نصريه دون ما سواه فيغير اجلاله والهيبة منه تعظيما
لا وفا وتذللا في غير الاذى لا اوامهم قاله الشيخ زروق رضي الله عنه وبساط الانس هو محل البهج بقرب الحبيب
ومناجات القريب فليغيب عن كل شيء ويتانس به في كل شيء ثم بين اسرار الحضرة وهي ست فقال في محل
المعاتبة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة قلت اما المعاتبة فهي معاتبة علم
الغيوب فانت تعاتبه بطلب العطاء وهو يعاتبك بكشف الغطاء انت تعاتبه بطلب الزيادة وهو يعاتبك
بنوال الافادة انت تعاتبه بالترقي في المقامات وهو يعاتبك باسرار العلوم والمكاشفات واما
المواجهة فهي مواجهة انوار الملكوت واسرار الجبروت فانت تواجهه بانوار التوجه وهو يواجهك

بانوار المواجهة وهي كشف الحجاب وفتح الباب انت تواجهه بالطاعة وهو يواجهك بالمعرفة انت تواجهه
بالاقبال وهو يواجهك بالوصال انت تواجهه باستكشاف انوار الملكوت وهو يواجهك بكشف اسرار
الجبروت واما المجالسة فهي مجالسة الادب والهيبة فانت تجالسه بالادب والحياء وهو يجالسك بالتقريب
والاجتباء انت تجالسه بمراقبته وهو يجالسك بحفظه ورعايته انت تجالسه بذكره وهو يجالسك ببره انا
جليس من ذكرني كما في الحديث واما المحادثة فهي المكالمة القلبية وهي الفكرة والجولان في عظمة الجبروت فانت
تحادثه في سرك بمناجاته وسؤاله وهو يحادثك بمزيد احسانه ونواله انت تحادثه بمداومة حضوره في سرك
ولبك وهو يحادثك بالقاء العلوم والاسرار والحكم في قلبك انت تحادثه في عالم الشهادة وهو يحادثك في عالم
الغيب وفي التحقيق ما ثم الا عالم الغيب لكنه في عالم الشهادة وفي هذا المعنى قال الجنيد لي اربعون سنة
وانا احدث الحق والناس يرون اني احدث الخلق وقالت رابعة العدوية رضي الله عنها ولقد جعلتك
في الفؤاد محدثي وابحت جسمي من اراد جلوسي فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد
انيسي واما المشاهدة فهي كشف حجاب الحس عن ذات القدس او تقول كشف رداء الصون عن المكون
فانت تشاهد ذاته في عالم ملكوته وهو يشاهدك في عالم ملكه انت تشاهد ربوبيته وهو يشاهد عبوديتك
والحاصل ان المشاهدة من العبد هي شهود العظمة بالعظمة كما قال شيخنا رضي الله عنه ومشاهدة
الرب للعبد هي احاطة علمه باحواله واسراره واما المطالعة فهي مطالعة اسرار الملك والملكوت والجبروت
واسرار القدر فانت تطالعه بالتوجه اليه وهو يطالعك بالنزع اليه انت تطالع مواقع قضائه وقدره
فتتلقاها بالقبول والرضى وهو يطالع احوالك وسرائرك فيكشف عنك الحجب ويوسع عليك العطاء انت
تطالعه بالتقرب والاقبال وهو يطالعك بالمحبة والوصال وهذه الاسرار لا تذوق الا لاهل الاذواق وكل
واحد يذوق منها على قدر شربه ووجده والله تعالى اعلم فان سكنت الروح في هذه المراتب صارت الحضرة
ماويها ومثواها كما اشار الى ذلك بقوله فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها ياوون وفيها يسكنون
قلت عش الطير وكره الذي ياوي اليه فكان ارواح العارفين طيور الحضرة تطير في الملكوت وتسرح في الجبروت
ثم تاوي الى عش العبودية في الظاهر وعش الشهود في الباطن فالحضرة اذا هي معشش قلوب العارفين هي
حضرة الذات اليها ياوون واليها يرجعون بعد الطيران الى فضاء الملكوت واسرار الجبروت وفيها يسكنون
لا يخرجون منها ابدا كما قال تعالى لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ومحلها في اعلا عليين فان نزلوا
الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين قال الشيخ زروق رضي الله عنه الحقيقة

الحقيقة التوحيدية عرش والشريعة المطهرة كرسي لذلك العرش والحقوق المعملة فيها اسماء وتها والحظوظ
النفسانية ارضها فكل حقيقة لا تصحبها شريعة لا عبرة بصاحبها وكل شريعة لا تعضدها حقيقة لا كمال لها
قلت النزول هنا مجاز لان الحرية عرش والعبودية سماء او ارض ونقول الحقيقة عرش والشريعة ارض فلا دامت
الروح في جو الوحدة كانت في عرش الرحمن فان نزلت للعبودية كانها نزلت الى السماء او الارض وهذا النزول
لابد له من الخروج من الحضرة كما يوهمه ظاهر الكلام اذ من كان عمله بالله ونظره لله كلها بالله لا خروج له من
الحضرة وانما النزول بحسب الغالب فقط دون القلب فالقلب لا يخرج من عرشه ابدا بعد ان تمكن منه فكل من بلغ ان يكون
عمله بالله ومن الله والى الله لا يكون تنزله للشريعة خروجا عن الحضرة لا سيما الصلاة التي هي معدن المواصلات
فيها تنفتح ميادين الاسرار وتشرق فيها شوارق الانوار ويدل على هذا قوله فيما يأتي بل دخلوا في ذلك بالله
ونزولهم الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ انما يكون بالاذن والتمكين اما الاذن في نزولهم الى الحقوق فاذن شرعي
اذ حقوق الشريعة كلها مؤقتة والتمكين فيها هو سهولتها والتمكن منها بحيث لا يعارضه عارض يمنع
منها شرعا وطبعا واما الاذن في نزولهم الى ارض الحظوظ فبالالهام والاعلام بحيث يتلقى في الامور حتى يفهم
انه مراد الحق تعالى بوارد قوي في قلب صفي او هاتف حسي وقد كان شيخ المشايخ الجيلاني رضي الله عنه في حالة
سياحته لا ياكل حتى يقال له بحقي عليك الا ما اكلت قلت وكل من كان عنده الفهم عن الله لا يتصرف الا بالاذن
من الله وحقق من طبع الله على قلبه من جلامدة الفقهاء ينكر هذا وهو معذور في بلد الضعف اذ من جهل
شيئا عاداه والمراد بالتمكين هو صحة الفهم عن الله حتى لا يبقى له تزلزل انه مراد الحق بحيث لم يكن له معارض
شرعي ولا عادي وكذلك الرسوخ في اليقين هو الثبوت في الحضرة حال ارادة الفعل فالله تعالى يمن علينا بالفهم
عنه في امورنا كلها امين ثم ذكر مفهوم قوله بالاذن والتمكين فقال فلم ينزلوا الى سماء الحقوق بسوء
الادب والغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة قلت اما النزول بسوء الادب فهو ان يكون نزولهم
في طلب الاجور او الحظوظ وهو الجزاء واما الغفلة فهي رؤية النفس في حال العمل وهو عندهم ذنب يستغفرون منه
فاستغفارهم بعد الصلاة انما هو من حضور نفوسهم في عملهم ولذلك قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب والحاصل
ان اهل الحضرة نزولهم بالله وعملهم بالله لا يرون لانفسهم حولا ولا قوة ولا يطلبون من ربهم جزاء ولا اجرا اذ
محال ان يطلب الجزاء على عمل غيره هذا في حال نزولهم الى سماء الحقوق واما نزولهم الى ارض الحظوظ فلا لما هو
لاداء حقوق العبودية فليس نزولهم بشهوة النفس ونيل متعتها لتخفى فيها ومتابعتها اذ نفسهم قد تطهرت
حقوقها ولاجل هذا المعنى قال سيدنا عمر رضي الله عنه اني لا اتزوج النساء واجامعهن وليس في ذلك شهوة

قالوا ولم نفعل ذلك يا امير المؤمنين قال رجاء ان يخرج الله من صلبي من يكثر به محمد صلى الله عليه وسلم امته وقال سيدنا
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اذا وافق الحق الهوى كان كالزبد مع العسل يعني اذا وافقت النية الصالحة الهوى
كان كالزبد مع العسل وقال صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به فمحصل مقام
النزول يقتضي الغنى عن الحظوظ كلها ولم يبق الا الواحد الاحد كما ابان ذلك بقوله بل دخلوا في ذلك بالله ولله ومن
الله والى الله قلت بل للاضراب عما تقدم من دخولهم في الحقوق بسوء الادب والغفلة او نزولهم لارض الحظوظ
بالشهوة والمتعة وانما دخلوا في الحقوق او الحظوظ بالله لتحققهم بفنائهم عن انفسهم ولله لتحقق اخلاصهم ومن
الله لشهودهم الفعل من الله والى الله لتحققهم ان الامور ترجع كلها الى الله قال تعالى واليه يرجع الامر كله فاعبده
وتوكل عليه فامر العباد كله قائم بالله وصادر منه ومنتهي اليه ثم استدل بالاية الكريمة على ان الدخول
في الاشياء والخروج منها يكون بالله فقال وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق ليكون نظري الى
حولك وقوتك اذا ادخلتني وانقيادي اليك اذا اخرجتني واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ينصرني وينصر بي على
نفسي ويفنيني عن دائرة حسي قلت الاية لها تفسير ظاهر وتفسير باطن اعني على طريق
اهل الاشارة اما تفسير اهل الظاهر فقالوا هذه الاية نزلت في فتح مكة وان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم
يقول هذا الدعاء عند دخولها حال فتحها ومعناه رب ادخلني مكة مدخل صدق اي ادخال الصدق بان يكون دخولي
بك واعتمادي عليك تمام الدين بحولك وقوتك وهذا كقوله عليه السلام في بعض ادعيته حين كان يقدم من سفر
صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده واخرجني من مكة مهاجرا الى المدينة عند الخروج منها مخرج صدق اي اخراج
صدق بان تكون منصورا بك محصورا بحفظك ورعايتك واجعل لي من لدنك سلطانا اي برهانا اقهر الكل بالحق
نصيرا ينصرني على من عاداني واما تفسير اهل الباطن فهو ما اشار اليه الشيخ رضي الله عنه مستدلا بالاية على ان دخول
العارف في الاشياء كلها يكون بالله وخروجهم منها يكون بالله فقال وقل ايها العارف رب ادخلني
في الاشياء حقوقا كانت او حظوظا مدخل صدق اي ادخال صدق بان يكون ذلك الادخال بك معتمدا فيه
على حولك وقوتك متبريا من حولي وقوتي ومن شهود نفسي واخرجني منها مخرج صدق اي اخراج صدق بان يكون
ماذونا فيه باذن ظاهر محفوفا بالخشية وسر الاخلاص وهذا معنى قوله ليكون نظري الى حولك وقوتك اذا
ادخلتني في الاشياء وانقيادي اليك اذا اخرجتني منها واجعل لي من لدنك اي من مستنبط امورك بلا واسطة
ولا سبب سلطانا اي برهانا قويا وليس ذلك الا وارد قوي من حضرة قهار لا يصادم شيئا الا دمغه فيجو الحق
ويزهق الباطل ويكون ذلك السلطان نصيرا ينصرني ولا ينصر علي اي ينصرني على الغيبة عن الحس وشهود الغيبة

ثم بين ذلك بقوله فقال بنهية على شهود نفسه اي بقويته على الغيبة عنها فاذا انتهت على شهودها انهزم عنه
وذهب شهودها وبقي شهود ربها فالنهية على الشيء هو غلبته حتى يضمحل وينقطع وكان شهود النفس عدو
يحاربك ويقطعك عن شهود ربك فاذا انتهى الله عليه غلبته ودفعته عنك فتتصل حينئذ بشهود محبوبك وانما
بني شهود النفس فني حينئذ وجود الحس وهو معنى قوله ويغنيني عن دايرة حسه فاذا فنيت دايرة الحس
بقي متسع المعاني وفضاء الشهود وهذه هي الولادة الثانية فان الانسان بعد ان يخرج من بطن امه وهي
الولادة الاولى بقي محجوبا بالحيطانة محصورا في هيكل ذاته قد التقمه الهوى وصار في بطن الحس والوهم وسجن
الاكوان المحيطة بجسمانيته فاذا فنيت دايرة حسه وخرج من بطن عوايده وشهوات نفسه نفخت روح الكون
باسره وخرجت الشهود فكونها فقد ولد مرة ثانية وهذه الولادة لا يعقبها فناء ولا موت قال تعالى لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى وهذا معنى قول سيدنا عيسى عليه السلام ليس منا من لم يولد مرتين هكذا ذكره
الشيخ من قول سيدنا عيسى عليه السلام وقال بعض الحكماء في قوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح ولكن
جهاد ونية قال الهجرة هجرتان هجرة صغرى وهي هجرة الاجساد من اوطانها وهجرة كبرى وهي هجرة النفوس عن
مألوفاتها وعوايدها وهو معنى قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فجعلوا الجهاد
الاكبر هو جهاد النفس والجهاد الاصغر هو جهاد الجسم وقال ايضا عليه السلام الهجرة باقية الى يوم القيامة
يعني الهجرة الحسية والمعنوية فكل بلد لا يجد فيها من يعينه على دينه او لا يجد فيها قلبه تجب الهجرة عنها وكل
شهوة تقطعه عن ربه تجب الهجرة عنها والله تعالى اعلم وهذا اخر الكتاب الذي ارسله الى بعض اخوانه
وحاصله بيان السلوك من اوله الى اخره فهو ينبغي لذوي الالباب عن مطالعة كل كتاب ثم ذكر الكتب الثلاثة التي
ارسلها لبعض اخوانه ايضا فقال وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه قلت وكانت الرسالة المتقدمة
في بيان السلوك بدايته ونهايته وهذه الرسالة في بيان الوصول الى الحقيقة مع مراعاة حرمة الشريعة ولما
كان الناس في الحقيقة لها طرفان وواسطة قوم فرطوا وقوم افرطوا وقوم توسطوا وجمعوا بين الشيخ
الاقسام الثلاثة تتميما للتقسيم فاشار الى اصل التقسيم فقال ان كانت عين القلب تنظر الى ان الله واحد
في منته فالشرع يقتضي انه لا بد من شكر خليقته قلت عين القلب هي البصيرة ومن شأنها ان لا ترى الا المعاني
دون المحسوسات كما ان البصر لا يرى الا المحسوسات دون المعاني والحكم للغالب منهما فمن غلب بصره على بصيرته
لا يرى الا الحس وهو الغافل ومن غلبت بصيرته على بصره لا يرى الا المعاني فهو معاني التوحيد واسرار التفريد
فالبصيرة لا ترى الا النور الحق دون ظلمة الخلق لكن لا بد من اثبات الحكمة وقد تقدم قوله الاكوان ثابتة

باثباته

باثباته ممحوة باحدية ذاته فلا بد من اثباتها قياما بالحكمة ونفيها قياما بالوحدة فان كانت عين القلب
تنظر الى ان الله واحد في منته بل واحد في جميع نعمه فالشريعة والحكمة تقتضي انه لا بد من شكر خليقته
قال تعالى ان اشكر لي ولوالديك فاذا انعم الله عليك بنعمة كانت دنيوية او دينية على يد واسطة فعليك في ذلك
وظيفتان احداهما قلبية وهي اعتقادك ان انعام الله بلا واسطة وان ما سواه مقهور على ايصالها والثانية لسانية
وهي ان تدعو له وتثني عليه قياما بالشريعة فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لم
يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن اساء به نقل الشكر فليتخلق العبد بذلك
وحقيقة اعتبار الواسطة ثلاث اولها انها رسل من الحق تحمل الهدايا اليك ومن الكرم اكرام الرسل وثانيها
انها اواني تنقل فيها اليك المنافع ومن الحكمة تزيين الاواني المنافع وثالثها ان في ذلك مدح حقيقة الوصف اذ
الوهم يقتضي بطبعه الميل لمن احسن اليه فاذا كافيته باللسان فقد اعتقت من رق احسانه ثم قسم الناس باعتبار
الحقيقة الى كبير وواسطة كما تقدم فقال وان الناس في ذلك على اقسام ثلاثة اما واقف مع الحس ناظر
للاسباب او غايب عن الحس وعن رؤية الاسباب او جامع بينهما او تقول اما عامة او خاصة او خاصة الخاصة
ثم اشار الى الاول فقال غافل منهمك في غفلته اي مستهل في غفلته مستغرق في نومه لا يبالي بما وقع منه
ولا ينتبه من نومه ثم بين اصل غفلته فقال قويت دايرة حسه اي قوي تكثيف حسه الدايرة به فكثفت حينئذ
حجابه وعظم جهله وعظمت غفلته في غير الغيرة ولو فنيت دايرة حسه لانطلقت روحه في عالم الملكوت او في
الجبروت فلا ترى الا الجمع او ترى الجمع في عين الفرق والفرق في عين الجمع لكن لما قويت دايرة حسه انطمس
نور بصيرته كما قال وانطمست حضرة قدسه اي انطمست عنه حضرة القدس وهي شهود المعاني الملكوتية
لانطماس بصيرته بغرة ثلاثة الحس انطمس نور حضرة القدس عنه ثم ذكر ما ترتب على انطماس حضرة القدس
وهو شهود الخلق دون الحق فقال فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين قلت
كل من لم تغب دايرة حسه ولم يغب عن شهود نفسه في شهود ربه لا يمكنه ان يتحرر من رق احسان الخلق
اما اعتقادا او استنادا ولو جاهد نفسه في مراعات التوحيد فان من الطبع ان ينسرق بخلاف من تحقق بالزوال وغرق
في بحر الوحدة فلا يسرقه شيء وعلى تقدير غفلته فيكون سريع الانتباه ثم بين حال الغافل في نظره الاحسان من
المخلوقين فقال اما اعتقادا فشركه جلي اذ لا خفاء في ان من نسب الفعل لغير الله استقلالا فانه كافر خارج
عن الايمان وان كان ظاهره متوسما بوظايف الشريعة لان من اعتقد خالقا او رازقا مع الله لا يقال له فهو
كافر بالاجماع ثم ذكر الشرك الخفي فقال واما استنادا فشركه خفي قلت الاستناد هو الميل الخفي اذا

فلذا لمن الذي رزقه يقول الله لان الغالب ان قلبه يسبق الى روية الخالق قبل روية الخلق وربما يقولون بلسان الحالي
والمقال لولا الذي جاء من قبله ما كان ولولا الاسباب ما كانت المسببات بوقوفه مع ارتباط الاسباب دون التعوذ
الى مسبب الاسباب هو شركه الخفي ولو نفى الاسباب ونفذت بصيرته الى شهود مسبب الاسباب لتبرا من
الشرك الجلي والخفي وتحلى بمقام الاخلاص الكامل الوفي واليه اشار بقوله وصاحب حقيقة غاب عن الخلق
بشهود الملك الحق وفني عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب **قلت** الحقيقة هي شهود نور الحق في مظاهر
الخلق او شهود نور الربوبية في قوالب العبودية فصاحب الحقيقة هو الذي يغيب عن الخلق بشهود نور الملك الحق
ويفنى عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب فان كان مع مراعاة الحكمة فهو كامل وان كان من غير مراعاة الحكمة
فان كان غائبا مصطلما فهو معذور وهو الذي بينه بقوله فهذا عبد مواجه بالحقيقة اي كوشف بنورها
ظاهر عليه سناها اي نورها فلما دهمته الانوار سكر وانمحى الحكمة فهو باعتبار ما قبله كامل الاستغراق في
بحر الوحدة وهو معذور في نفيه الحكمة لغلبة وجده وظهور سكره وباعتبار ما بعده ناقص لقصور
نفعه على نفسه وان كان قد سلك الطريق وانتهى على غايتها حتى وصل الى التحقيق كما يشير ذلك بقوله سالك للطريقة
اذ لولا سلوكه مع الطريق لما استنارت له معالم التحقيق وانما جاءته انوار التشريع واسرار الحكمة واما الطريق
فقد سلكها وانتهى على غايتها كما ذكره قد استولى على مداها يعني على غايتها فلا وصول للحقيقة الا بعد
سلوك الطريقة وتحقيق ظاهر الشريعة قال تعالى وأتوا البيوت من ابوابها فلا باب لبيت الحقيقة الا من
جهة الشريعة والطريقة فاذا وصل الى الحقيقة فمن الناس من يكون صدره ضيقا فلا يحمل تلك الانوار ولا يطيق
مشاهدة تلك الاسرار فيغيب في شهود الوحدة ويترك الحكمة ومن الناس من يكون واسع الصدر قوي النور
فاذا اشرقت عليه انوار الحقيقة لم تغلبه عن القيام بالحكمة فصار برزخا بين حقيقة وشريعة هكذا ابن سيرين
بين فناء وبقاء حتى يتمكن فيهما ويعتدل امره بينهما وهذه حالة الافوياء والطريقة الشاذلية جلها هكذا
بصيرا اهلها بين حقيقة وشريعة حتى يقع التمكين والاعتدال ثم بين الشيخ هذا القسم الذي غلبت عليه
الحقيقة فقال غير انه غريق الانوار اي غلب عليه انوار الحقيقة حتى غاب عن احكام الشريعة مطموس الاثار
اي غائب عن شهود الكون من حيث ان الحق ابتهم ليعرف به وهذا لما اشرقت عليه انوار الحقيقة ضو البروع
الى اصولها وانوار الملكوت الى الجبروت وانمحى الوسائط لغلبة السكر عليه كما بينه بقوله قد غلب سكره على صحوه
السكر وارد قوي يغيب القلب عن شهود الحس والصحو هو ذهاب ذلك الوارد حتى يرجع القلب الى الاحساس بعد
الغيبة وغلب عليه ايضا جمعه على فرقه الجمع روية الحق بلا خلق والفرق روية الخلق بلا حق فان كان بعد

الجمع فهو روية الخلق والحق والحاصل ان اهل الجمع لا يشهدون الا الحق واهل الفرق لا يشهدون الا الخلق
ويستدلون به على الحق واهل الفرق في الجمع يشهدون الخلق والحق اعني يشهدون الواسطة والموسوط
من غير فرق بينهما وغلب عليه ايضا فناؤه على بقائه الفناء الغيبة عن الخلق بشهود الحق والبقاء هو شهود
الخلق بالحق ان كان بعد الفناء وان كان قبل الفناء فهو شهود خلق بلا حق وهو مقام اهل الحجاب وغلب عليه
ايضا غيبته على حضوره الغيبة انقطاع القلب عن ملاحظة الخلق والحضور مشاهدة الخلق في مظهر الحق
وهذه احوال اهل الجذب من السالكين فان كان لهم شيخ فلا بد ان يخرجهم الى السلوك وهو مقام البقاء فان
البقاء يطلب الجذب حتى يدركه كما يدركه عمر بن الخطاب لما قال بعض الصحابة بقول ارنا من يخرج الى البرزخ
ظا منوطا المخرج الى البر وهو البقاء الذي اشار اليه الشيخ بقوله واكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد
حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه
يعطي كل ذي قسط قسطه ويوفي كل ذي حق حقه **قلت** هذا هو القسم الثالث وهو مقام خاصة الخاصة
وهم اهل الرسوخ والتمكين فكلما شربوا من خمر الحقيقة زاد صحوهم وتجوهر عقلهم وكلما غابوا عن
شهود الخلق بشهود الحق زاد حضورهم وتنزهت فكرتهم في العظمة والنظرة ومع ذلك يحسون
بذبيب النملة حتى يظن من لم يبلغ مقامهم انهم من اهل الغفلة لكثرة ما بهم من الفطنة وهم مستغرقون
في الحضرة وقد كان عليه السلام يطيل بالناس فاذا سمع بكاء الصبي خفف شفقة على امه فاهل هذا المقام
الكامل لا يحجبهم جمعهم عن فرقهم فهم مجموعون في فرقهم مفرقون في جمعهم يشهدون الحق في حال
شهودهم الخلق ولا يصدهم فناؤهم عن بقائهم فهم فانون عن انفسهم باقون بربهم ولا بقاؤهم يصدهم
عن فنائهم فظاهرهم مشغول بالحس وباطنهم معمور بالمعنى يعطون كل ذي حق حقه فيعطون
الحقيقة حقها بشهود الحق في الباطن والشريعة حقها باستعمال الجوارح في وظائف الظاهر ويوفون
كل ذي قسط قسطه فيوفون الناس قسطهم من الاحسان والحق حقه في توحيده بالجنان او تقول
الجود والحق بالانعام وشهود الاحسان واثنوا على الوسائط باللسان او تقول اعطوا الربوبية حقها
بشهود الاحسان منه وحده واعطوا الخليقة حقها بشكر الواسطة اقامة لرسم العبودية والحاصل
ان هذا المقام هو قال الشاذلي رضي الله عنه الجمع في باطنك مشهود والفرق على لسانك موجود **تنبيه**
قد راينا كثيرا من الناس يتقدمون على هذا المقام الكامل من غير صحبة ولا جذب ويزعمون انهم يصلون اليه
باتقان علم الشريعة وعملها وهو غلط اذ لا سبيل الى هذا المقام الا من ورد على المقام الذي قبله وهو

الجذب والاختطاف من شهود الاكوان الى شهود المكون ولا بد من سكر ثم صحو وجذب ثم سلوك وجمع ثم فرق
وفناء ثم بقاء نعم قد يكون بعض الافراد اقوياء فيجذبون الى الحضرة الحق مع مشاهدة الخلق ويصيرون في
جذب وسلوك كما تقدم في الطريقة الشاذلية فينبغى امثالها واما من لم يصحب العارف فيريد ان يسلك هذه المقامات
فلا يطمع في نيل هذا المقام ابدا الا البعيد النادر الذي لا حكم له والله تعالى اعلم ثم استشهد لعلو المقام الثالث
وهو الجذب والفناء والثالث وهو الصحو والبقاء بقضية السيدة عائشة مع ابيها في قضية الافك فقال
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الافك على لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا اشكر الا الله قلت
قضية الافك مشهورة مذكورة في سورة النور تولى شرحها اهل السير الا ان ظاهر كلام الشيخ رضي الله عنه
ان القائل لها هو ابوها والذي في الصحيح ان الذي قال لها اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم هي امها
وفي رواية فقالت لي امي لما نزلت براءتي من السماء قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا اقوم
اليه ولا اشكر الا الله ويمكن الجواب بان ذلك وقع باشارة من ابيها وقاله معها او سكت فكانه قاله والله
تعالى اعلم ثم ذكر الجواب عن امتناعها من شكر الواسطة فقال دلها ابو بكر على المقام الاكمل مقام البقاء
المقتضي لاثبات الاثار قلت المراد باثبات الاثار بعد الفناء عنها فاثباتها بالله ونفيها بالله جمعا بين
القدرة والحكمة وانما كان هذا اكمل مما قبله لان هذا حاز المقامين اعني القدرة فحقها الباطن وهو الشهود
والحكمة فحقها في الظاهر وهو العبودية فهو سالك بنفسه دال لغيره كامل مكمل عالم معلم عارف محقق
وهو غاية القصد والطلب لانه مقام الخلافة التامة والمتابعة العامة ولا شك ان الجمع العام خير من الجمع
الخاص والجمع العام هو الذي يعطي كل ذي حق حقه ويوفي كل ذي قسط قسطه وسئل بعضهم عن قوله
تعالى اتقوا الله حق تقاته مع قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فقال له اتق الله حق تقاته بقلبك واتق
الله ما استطعت بجسمك فتكون جامعا للشريعة والحقيقة ثم استشهد على اثبات الاثار بالكتاب والسنة
فقال وقد قال تعالى ان اشكر لي ولوالديك فامر ان يشكر من تولى نعمة الايجاد وامر ثانيا ان يشكر من
تظهر على يديه نعمة الامداد فالواسطة ثابتة محمودة بالحديث والاية صريحة في اثبات الواسطة
ادبا والغيبة عنها عند الاجلاء توحيدا ثم ذكر دليل السنة فقال وقال صلوات الله وسلامه عليه
لا يشكر الله من لا يشكر الناس قلت يصح في اسم الجلالة الرفع على الفاعلية والنصب على المفعولية
ومعنى الاول الله تعالى لا يشكر فعل من لم يشكر الناس ولا يجيبه وعلى الثاني من لم يشكر الناس لم يشكر الله

اي فلا يسمى شاكرا لله وتقدم حديث النعمان بن بشير من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس
لم يشكر الله ثم بين الجواب عن امتناعها من شكر الواسطة في ذلك الوقت فقال وكانت في ذلك الوقت
مصطلمة عن شاهدها قلت الاصطلام نعت الحيرة ومحل الدهشة والغيبة اي كانت رضي الله عنها
في ذلك الوقت غائبة عن الاثار فانية عن حسها كما هو حال الجذب وقوله في ذلك الوقت يقتضي انه لم يكن
ذلك حالها على الدوام وانما هو عارض قهري ووارد الاهي اختطفها عن حسها كما عرض ذلك للخليل
ابراهيم حين عرض له جبريل فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى فلم يلتفت الى الواسطة
فقال لم يسأله فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وكقوله عليه السلام لي وقت لا يسعني فيه غير ربي فكانت
عائشة رضي الله عنها في ذلك الوقت غائبة عن الاثار فلم تشهد الا الواحد القهار قلت ومما يقوي
عذرها في شكر الله وحده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لها يا عائشة اشكري الله فان الله قد برأك
فهي راجعة لامره في عدم شكره كما قاله ابن جمرة لكن بتضمينه ما ذكره المؤلف اذ لا جمع مع الصحو
اهمال الوسائط في المقام الاكمل قاله الشيخ زروق رضي الله عنه وهذا اخر الرسالة التي كتبها لبعض
اخوانه وهي غاية الاتقان والكمال فلو لم يكن في هذا الكتاب الا هذه الرسالة مع التي قبلها لكانت
كافية فجزاه الله عن اهل الطريق خيرا ولما كانت صلاة العارفين ليست كصلاة الغافلين تكلم في هذه
الرسالة الثالثة على قرة العين التي تكون في الصلاة هل هي خاصة بالانبياء او للاولياء نصيب من ذلك
فقال وقال رضي الله عنه لما سئل عن قوله صلوات الله وسلامه عليه وجعلت قرة عيني في الصلاة هل
ذلك خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم او لغيره منه شرب ونصيب فاجاب ان قرة العين بالشهود على
قدر المعرفة بالمشهود قلت قرة العين كناية عن شدة الفرح لان بكاء الفرح دمعه بارد والقر بالضم
هو البرد يقال في الدعاء اقر الله عينك اي افرحك حتى تبرد عينك بدموع الفرح ومضمن كلام الشيخ
في جوابه ان قرة العين في الصلاة متفاوتة على قدر التفاوت في المعرفة والشهود والمعرفة على قدر التخلية
والتخلية فمعرفته عليه السلام لا يوازيها معرفة وشهوده عليه السلام لا يقرب منه شهود لكن
قد تحصل المشاركة في مطلق الشهود من حيث هو وتكون القرة على قدره فالاولياء ورثته عليه السلام
فلهم نصيب من قرة العين على قدر صفاء مشربهم وتفريغ قلوبهم واسرارهم فالعلماء ورثة الانبياء
فمن جملة ما ورثوه قسط من قرة العين في الصلاة ولذلك كانوا يغيبون فيها ويجدون من النعيم
واللذة فيها ما تعجز عنه العبارة وقد كان منهم من يفتح الليل كله في ركعة ويختم القرآن في كل ليلة

فلولا ما ذكرنا لوجبه ونه من محادثة المناجات مادامت له تلك الحالة ويفهم هذا من قول الشيخ في الجواب ان قرة العين
بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود فاتى بعبارة عامة تصدق بكل من له نصيب من الشهود فان قرة عين
الرسول صلى الله عليه وسلم لا يوازيها قرة عين احد وكذلك الانبياء عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم
والى هذا اشار بقوله والرسول صلوات الله وسلامه عليه ليس معرفة كمعرفته فليس قرة عين كقرته قلت
لم يؤنث الفعل لمجاز التانيث في الموضعين وانما كانت معرفته عليه السلام لا يساويها معرفة لانه اول
قدمه في مقام الاحسان اذ لا مجاهدة له ولا سير له باعتبار الوصول لانه واصل من اول قدم فنهاية الاولياء بداية
الانبياء ونهاية الانبياء بداية الرسل وبدايته عليه السلام من نهاية الرسل وانما قلنا لا سير له باعتبار
الوصول لان السير في مجاهدة الاوصاف الذميمة وهو مطهر منها كما قال القايل فيه خلقت مبرءا من كل
عيب كانك قد خلقت كما تشاء . . واما السير بمعنى الترقي فهو ثابت له على الكمال فقد كان عليه
السلام يترقى في الساعة الواحدة مقامات ويستغفر من المقام الذي يترقى منه حكي عن الشيخ ابي الحسن
الشاذلي رضي الله عنه انه كان يستشكل قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين
مرة وفي رواية مائة مرة حتى رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا مبارك غين انوار لا غين اغيار فعلم حينئذ
ان ذلك الغين وهو التغطية انما هو انوار الشهود وهي تتفاوت بالقوة والضعف باعتبار الشخص فكلما
كشف له عن مقام رأى ذلك المقام نقصا باعتبار ما بعده ورآه حجابا وتغطية لما فوقه وهكذا وعظمته تعالى
لا نهاية لها ولذلك قال له وقل رب زدني علما وقال ابو العباس رضي الله عنه الانبياء عليهم السلام
خلقوا من الرحمة ونبينا عليه السلام هو عين الرحمة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال الشيخ
الحضرمي رضي الله عنه بعد كلام ذكره فهو صلى الله عليه وسلم مختص بالحجاب الاكبر وهو اكبر مظاهر الحق
في الوجود فلذلك كان كل حرف من كلامه يوازن الجم الغفير وكل قطرة من فيضه تحيي قوانين الحي الاكبر
واعظم من ذلك بالله ان نظيره فخيم لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون لم المراد منه فمحصل ان مقامه
عليه السلام في العرفان لا يوازيه مقام وكذلك قرة عينه عليه السلام لا يناله غيره من الانبياء والاولياء وانما
يكون لهم من ذلك شرب ونصيب على قدر شهودهم ومحبتهم قال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه
انما قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ولم يقل بنبيه ولا برسوله ليفتح باب الاسراء لغيره من اهل قسطه
من العبودية لم فصحه من الاسراء ولما كان له عليه السلام كمال العبودية كان له كمال الاسراء فاسري بروحه
وجسده ولم يكن ذلك لغيره فاذا وقع الاسراء بالروح الى الملكوت حصلت له قرة العين في العبادة بقدر

اسرابها

اسرابها واسراؤها على قدر تصفيتها من العلائق والعوائق والله تعالى اعلم واما كان جوابه بان قرة العين
بالشهود على قدر معرفته بالمشهود فيه خفاء عن المقصود بينه بقوله وانما قلنا ان قرة عينه في صلاته
بشهوده جلال مشهوده لانه اشار الى ذلك بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة قلت لان الافعال التي فيها
ان تكون على بابها في قرة عينه صلى الله عليه وسلم انما هي بشهود ربه ومسامرته ومكالمته والصلاة انما هي
محل لتلك القرة لا انها تكون القرة واما قوله عليه السلام ارحنا بها يا بلال فالباء سببية اي ارحنا بسببها
وراحته عليه السلام انما هي بمناجات ربه لا بغيره ثم ذكر علة كونه عليه السلام لا تقر عينه بالصلاة وانما تقر
عينه بربه فقال اذ هو صلوات الله وسلامه عليه لا تقر عينه بغير ربه فلا فرح له الا به ولا سرور له الا في اقباله
فقد رفع همته عن الكونين وخلع نعليه من الدارين ولاجل ذلك قال فيه القايل . . له همة لا منتهى لكبارها . .
. . وهمته الصغرى اجل من الدهر . . له راحة لو ان معشار جودها . . على البر كان البر اندى من البحر . .
كيف وهو يدل على هذا المقام وهو مقام الاحسان اذ به تحصل قرة العين ويأمر به من سواه من الاتباع
بقوله صلوات الله وسلامه عليه اعبد الله كانك تراه قال الشيخ زروق رضي الله عنه لم يقع في الحديث بهذا
اللفظ وانما وقع في تفسير الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قلت وفيه نظر
فان في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قلت يا رسول الله اوصني فقال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك
في الموتى واذكر الله عند كل حجر وعند كل شجر واذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية
بالعلانية رواه الطبراني كما في المنذري ثم من كان يعبد الله كانه يراه فلا جرم ان يتحقق الرؤية لما سواه
كما بينه بقوله ومحال ان يراه ويشهد معه سواه قلت لان ثبوت السوى حجاب فلا يتم الشهود حتى يزول
كل موجود ولا يبقى الا واجب الوجود ويرى ما سواه كانه خيال والخيال عند التحقيق مفقود فان قلت اذا
كان السوى مفقودا فلم قال عليه السلام في تفسير الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال لمعاذ اعبد الله
كانك تراه فاتى بكاف التشبيه اذ كانت الرؤية حاصلة فكيف يشبهها عليه السلام بمن يرى فالجواب
انه عليه السلام في محل التشريع والتحقيق وهذا الحديث وقع في محفل كبير فيه من هو من اهل البداية وفيه
من هو من اهل المشاهدة فاتى بكلام يقبله الخاص والعام فالكل مخاطب باتقان العبادة كانه يشاهد
فمنهم من يبلغ ذلك ذوقا ومنهم من يكون ذلك منه مجاهدة وايضا شهود انوار الملكوت من اسرار
الربوبية لا تكشف لغير اهلها ولو قال عليه السلام ان تعبد الله لانك تراه اي ترى انواره وتنظر جنة
لم يطق ملكوته لكان فيها افشاء لسر الربوبية ولا يفهمه الا الخواص وقد قال عليه السلام خاطبوا

الناس بعد ما يجمعون فاتى بكلام موجه يقبله اهل الظاهر واهل الباطن فاهل الظاهر يتركون الكلام على بابه
واهل الباطن يحملونه على معنى الكلام لان رؤية البصيرة عندهم في معنى العيان لان البصر اذا فتحت البصيرة غلبت
عليه ولم يبق له حكم اصلا وكلام الشيخ ان قرة عينه صلى الله عليه وسلم انما هي بالله لا بالصلاة بحث معه باحث
فاشار الى البحث بقوله قال لي سائل فقد تكون قرة عينه بالصلاة لانها فضل من الله وبارزة من منة الله فكيف
لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال تعالى فبذلك فليفرحوا قلت مقتضى البحث ان قوله عليه
السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة يحتمل ان تكون في بمعنى الباء اي بالصلاة ويكون وجه الفرح بها لانها فضل
الله ورحمة وبارزة من منة الله وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فقد امر الله تعالى عباده بالفرح
بفضل الله ورحمته والصلاة من ذلك فيجب الفرح بها وهو معنى قرة العين فاجاب فقال اعلم ان الاية قد اومأت
في اشارة الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب اذ قال فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم
فليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن انت فرحك بالمتفضل كما قال في الاية الاخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون قلت مقتضى الجواب ان قرة العين بالصلاة انما يصح ان تكون في حق غيره صلى الله عليه وسلم من اولياء
امته لانهم يفرحون بفضل الله واحسانه لانها علامة على رضوانه واما هو صلى الله عليه وسلم فلا تكون قرة
عينه الا بالله ويدل عليه قوله تعالى فبذلك فليفرحوا ولم يقل فبذلك فافرح يا محمد فدل الخطاب في الاية ان الفرح
بالفضل والرحمة انما هو لامته صلى الله عليه وسلم وهو انما يكون فرحه بالله لا بشيء دونه كقوله في اية الانعام
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون والتحقيق هو ان يقال من تحقق بنعت شهود الربوبية لم يكن في حده
الا شهود محبوبه دون غيره كائنا ما كان ومن كان مقيما في محل العبودية ولم يذق شيئا من مطالعة انوار
الربوبية لم يكن فرحه الا بفضل الله ورحمته ومن ذاق ولم يتحقق يكن فرحه بهذا وبهذا اشارة بهذا وتلاوة
بهذا فعلى هذا يكون لكامل من امته صلى الله عليه وسلم قسط من الفرح بالله دون ما سواه لكن لا يبلغون مقام
الرسول عليه السلام لان شهوده عليه السلام لا يساويه شهود فتكون قرة عينه كذلك والله تعالى اعلم
خاتمة في ذكر الحديث الذي اشار اليه الشيخ وما يتعلق به روي ان جابر بن عبد الله صنع طعاما
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع هو ونفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ابو بكر وعمر
وعثمان وعلي رضي الله عنهم فتذاكروا في الطاعة لله ولرسوله الى ان قال ابو بكر انما حبب لي من الدنيا يا رسول
الله ثلاث انفاق مالي عليك والجلوس بين يديك وكثرة الصلاة عليك وقال عمر وانا حبب الي من الدنيا
ثلاث اكرام الضيف والصيام في الصيف والضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال عثمان

حبب

حبب الي من الدنيا ثلاث اطعام الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام وقال علي مثل ذلك فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة فنزل جبريل
فقال وانا حبب الي من الدنيا ثلاث تبليغ الرسالة واداء الامانة وعيادة المرضى ثم غاب ورجع وقال يا رسول الله
ورب العزة يقول وانا حبب الي من الدنيا ثلاث لسان ذاكر وقلب شاكر وجسم على البلاء صابر […] ذكره القشيري
والله اعلم بصحته نعم انه كلام صحيح في نفسه والحكمة في حب النساء الترغيب في كثرة التناكح ليكثر النسل في
هذا العالم واما الطيب فانه عليه السلام كان طيبا في نفسه في الوجود فتعطرت به الاكوان فكان عليه السلام
يتبع طيبا من طيب او لم يمسه لانه يستعمل الطيب الحسي ليستتر به الطيب الوهمي خشية ان يتغالى الناس
فيه كما تغالوا في عيسى عليه السلام وقيل ان الطيب من صفة اهل الجنة وقد كان عليه السلام في الجنة فتطيب
بطيبها والله تعالى اعلم ثم ذكر الرسالة الثالثة في الفرح بالمنن بعد ان قدم الفرح بالله فقال وقال رضي الله
عنه مما كتب به لبعض اخوانه الناس في ورود المنن عليهم على ثلاثة اقسام يعني عوام وخواص وخواص الخواص
ثم ذكر مقام العوام فقال فرح بالمنن لا من حيث مهديها ومنشئها ولكن بوجود متعته فيها قلت
وهذه الطبيعة ليس شأنه وهمه الا نفسه وحسه ولهذا […] حيث قال […] واعلم بان عصبة الجهال […]
[…] بطالهم في صورة الرجال […] ثم ذكر حكمهم فقال فهذا من الغافلين لانه ان النعم اذا اقبلت عليه اشتغل
بها عن ذكر معطيها تلذذا وترفها واذا ادبرت اشتغل فكره بطلبها والحرص عليها واذا ما اشغلته
منعتها عن شكرها فيكون ذلك سببا في زوالها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وربما يصدق عليه قوله
تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فالاية وان نزلت في الكفار فحكمها عام في كل من اشتغل بنعيم
الدنيا وزخارفها عن ذكر الله وما طلب منه فيصدق عليه انه فرح بما اوتي فبينما هو منهمك في غفلته مستغرق
في شهوته اخذه الموت بغتة فاذا هو مبلس اي ايس من الرجوع اليها ومن الانتفاع بها وقد تؤخذ منه
قبل موته فتشتد حسرته عليها وقد تقدم من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها […] من لم يعرف قدر النعم
بوجدانها عرفها بفقدانها ثم ذكر القسم الثاني وهو مقام الخواص فقال وفرح بالمنن من حيث انه شهد
[…] منة ممن ارسلها ونعمة ممن اوصلها قلت ويستفيد ايضا اقبال من ارسلها عليه وذكره
لها اوحى الله تعالى الى سيدنا موسى عليه السلام يا موسى اعلم انك اذا اعطيتك ثمرة مسوسة فاذا […]
بها فاشكرني عليها فانه لا يعطيكها غيري فتكون تلك النعمة سببا في الرجعة الى المنعم فيترقى الى
الدرجة الثالثة ثم ذكر شاهد هذا القسم من القرآن فقال فيصدق عليه قوله تعالى فبذلك فليفرحوا

هو خير مما يجمعون قلت ليس بجمعهم بفضل الله وهو الايمان ورحمته وهو القرآن وغير ذلك هو افضل السور وهنه
خير مما يجمعون من حطام الدنيا وشهواتها الغرارة وانشدوا اطلق الدنيا ثلاثا والتمس زوجا سواها
تب الى ربك منها واحترس قبل اذاها انها زوجة سوء لا تبالي من اتاها انه نعيسك عن الغنى
وجانب هواها قيل ان بعض العباد اراد ابليس فتنته فجاءه من باب الرغبة في الدنيا فوجده قد سده
بالزهد والقناعة فجاءه من باب الشهوة فوجده قد سده بدوام الحزن والكآبة فجاءه من باب الغضب والحدة
فوجده قد سده بالتواضع والاستكانة فصاح وقال هذا عبد قد تحصن مني فليس لي عليه سبيل وفي الخبر
ان المنادي ينادي يوم القيامة اين اصحاب المناجي الرابحة من اهل الاعمال الصالحة فيقوم الاولياء والاصفياء
والعباد والزهاد فيؤتون بنجائب من النور فتطير بهم نحو العرش وتستقبلهم الملائكة تسير بهم الى ان
تنزلهم في منازلهم من الجنة ويقولون لهم هذه احمالكم وفيها اعمالكم وينادي المنادي ايضا اين ابناء الدنيا
اين المخلطون والمقصرون اين من عصى المولى هلموا الى دار البلوى فيؤتون وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا
ساء ما يزرون فيؤمر بهم الى العذاب ثم ذكر القسم الثالث وهم خواص الخواص فقال ومن بالله ما شغله
من الحس ظاهر متعتها ولا باطن منتها قلت ظاهر متعتها هو حظ البشرية وهو اللذة الحسية وهو
حال اهل المقام الاول اعني الغافلين وباطن منتها هو ذكر المنعم والاقبال عليه وهو حال اهل المقام الثاني والمشار
اليه حال المقام الثالث فقال بل شغله التفكر الى الله عما سواه من المتعة الحسية والمعنوية وشغله الجمع
على الله بالتوكل عليه وبعباده شؤونه واموره حتى لم يبق له اهتمام بغير مولاه بل اغناه به عما سواه فلم
يشهد الا اياه ولا يحب شيئا سواه ومما وجد في بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى عبدي ان اطعتني
اطعتك وان اتقيتني نجيتك وان استغنيت في اكرمتك وان توكلت علي كفيتك وان عصيتني عافيتك فعقوبتي
لك من اجلك لا من اجلي جل قدري وعظم وضعي عبدي انا اعلم منك ما لم علمته زوجتك لعلك التي الكافي
ولو علم عبدك لسالك الغفار ولو علمه ابوك لهان عليه البكاء عبدي ان جئتني تقول اسأت اقول لك
وانا قد غفرت وان قلت تبت اقول وانا قبلت ثم ذكر مصداق هذا القسم الثالث فقال قل الله ثم
ذرهم في خوضهم يلعبون قلت المراد بالقول في هذا المقام القول القلبي اي اذكر الله على الاشياء كلها فنفس
ولم يبق الا مولاها فاترك الناس في خوضهم يلعبون من جملة الاشياء التي يتجلى بها فاذا ذكر العبد
عليها غاب في شهوده عنها واستغنى به عن كل ما سواه قال الشبلي رضي الله عنه الشكر رؤية المنعم
لا رؤية النعمة وقال ابو محمد الجريري رضي الله عنه من رأى النعم ولم ير المنعم فقد حجب عن الشكر ومن

رأى المنعم بعينه النعم فقد شكره تنبيه كثيرا ما يستعمل الصوفية هذه الآية على الانقطاع الى الله
والغيبة عما سواه وهو تفسير اشاري لا تفسير معنى الآية لانها في الرد على اليهود حيث قالوا
ما انزل الله على بشر من شيء فقال لهم الحق تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى فلما لم يجيبوا قال الله
تعالى لنبيه عليه السلام قل الله اي قل الله هو انزله الله ثم لا تجادلهم بل ذرهم في خوضهم يلعبون والصوفية
رضي الله عنهم يقرون الظاهر على ظاهره ويقتبسون اشارات خفية لا يعرف مقصودهم غيرهم ولذلك رد
عليهم بعض المتفقهين حيث لم يعرف قصدهم وقد علم كل اناس مشربهم واما ذكر هذا الاسم باللسان
مجردا ففيه ثلاثة اقوال احدها الجواز مطلقا والثاني الكراهة مطلقا والثالث التفصيل يجوز لاهل النهايات
دون اهل البدايات والمشهور الاول وعليه عمل الشاذلية ومن تعلق بهم والله تعالى اعلم ولما استند لي
بما في كتابنا ذكر ما في كتاب من قبلنا فقال وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين
بي فليفرحوا وبذكري فليتنعموا قلت لا يكمل الفرح بالله حتى يخلو القلب من محبة سواه فما دام العبد
متعلقا بشيء من السوى فلا يكمل فرحه بالله ولا يتم تنعمه بذكر الله او تقول ما دامت الروح مسجونة في سجن
الهيكل لا يتم فرحها بالله ولا تتنعم بذكر الله فلما تخلصت من سجن البدن وتحررت من رق الاكوان تم
فرحها بالواحد المنان وانشدت انتم سروري وانتم مشتكى الم وانتم في ظلام الليل اقماري
فلو تلفت لم التمس بغيركم وان ضقت فانتم عقد اصباري وهذا هو الفرح الحقيقي والسرور الكامل
وما عداه اعراض لا اغراض قال السرور اعلى من الفرح لان الفرح ربما شيب بالحزن الذي هو مقابله والسرور لا حزن
معه وقيل هما شيء واحد وقال بعضهم السرور على ثلاثة اقسام بداية ووسط ونهاية فبداية السرور
يذهب به خوف العقوبة وظلمة الجهل ووحشة الفراق واما وسطه فانه يكشف حجاب العلم ويفك رق
التكليف ويجمع التدبير والاختيار واما غايته فانه يمحو آثار الوحشة ويقرع باب المشاهدة ويضحك
وجه الروح لبشارة التجلي ففي بداية الفرح والسرور يحصل التصديق وفي وسطه يحصل الانس وفي نهايته
يحصل الجمع والوصال وقد ضرب بعضهم مثالا للاقسام الثلاثة اعني من يفرح بالنعم من حيث انه ينال فيها
شهوته او يشهد فيها منته ومعونته او يفرح بالمنعم وحده فقال مثل ذلك ثلاثة رجال قدموا على
السلطان فاعطى لكل واحد فرسا وسيفا اما احدهم فقال هذا فرس نتفرج به ونركب عليه في حوائجي ونقاتل
به عدوي ففرح به من حيث انه يقضي به ماربه وشهواته وليس في قلبه محبة للملك انما جاء لقضاء
حاجته واما الآخر فقال هذا فرس نستعين به على خدمة الملك وعلى الغدو عليه وعلى مجاهدة عدوكم فيه

بالبعد من حيث انه يستعين به على حوائج الملك ومآربه دون حوائج نفسه واما الثالث فقال ان الملك
يحبني ويحكمني حتى اعطاني هذا الجيش وهذا اعتناء من الملك واقبال علي فيفرح بالجيش من حيث انه يدل
على محبة الملك له واعتنائه به فهذا مثال الاقسام الثلاثة وقد اشبع الغزالي الكلام في هذا المعنى في باب
الشكر فانظره ان شئت ثم ختم رضي الله عنه بدعاء مناسب فقال والله يجعل فرحنا به [illegible] والخالق
هو المرسل اليه هذه البطاقة او كل من يطالع كتابه او يحفظه او يعمل به او من يسمعه وفي عليه واذا كان فرحنا
به وحده كان من القسم الثالث الذي هو مقام خواص الخواص ومن كان فرحه بالله كان راضيا به مرضيا عنده فلذلك قال
وبالرضى منه اي ويجعل فرحنا بالرضى من قبله بحيث لا نرضى بشيء دون رضاه عنا فنكون راضين به مرضيين عنه
قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ومن تحقق بهما تخلص من الغفلة بحصن منيع ولذلك قال ولا يجعلنا
من الغافلين الذين يفرحون بالنعم دون شهود المنعم وقد اشتمل دعاؤه على الاقسام الثلاثة من باب
التدلي فالفرح بالله هو المقام الثالث وبالرضى منه هو الثاني واحترز من الاول بعدم جعلهم منه واذا خرج
من حرز الغفلة حصل على اليقظة وهي مقام التقوى الذي اشار اليه بقوله وان يسلك بنا مسالك المتقين
الذين اتقوا الشرك والمعاصي اولا والشهوات والعوائق ثانيا والسوى والغيرية ثالثا وهو معنى قوله
تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين فالتقوى على ثلاثة اقسام بحسب المقامات
فتقوى اهل مقام الاسلام هي كف الجوارح من المخالفات اتقاء سخط الله تعالى واليهم توجه الخطاب بقوله تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم وتقوى اهل مقام الايمان هي كف القلوب من الشهوات والحظوظ واليهم توجه
الخطاب بقوله تعالى فاتقوا الله يا اولي الالباب ولا تنقى القلوب من الشهوات والحظوظ حتى تشهد معاني الصفات
وتقوى اهل مقام الاحسان هي كف السر عن شهود السوى والله ولا ينقى السر من الاغيار حتى يشهد كمال انوار
وهي عظمة الذات ولكل مقام من مقامات التقوى باعث تبعث على تقواهم فالباعث لاهل مقام الاسلام على
تقواهم رجاء الثواب وخوف العقاب فتقواهم على سبيل الخوف والرجاء والباعث لاهل مقام الايمان على تقواهم
شهود الجلال والجمال فتقواهم على سبيل الهيبة والحياء والباعث لاهل مقام الاحسان على تقواهم شهود
العظمة والكمال فتقواهم على المحبة والتعظيم والانشراح ولذلك قال [illegible] العبد اخا تقى ٥ هنيئا لاهل
في المعارج باللقاء ٥ وتوبا لهم بالصنع تحظ بفعله ٥ وعلوا اليه الفضل بغيد بالعطاء ٥ وحوض
وسلوا ورد من رح الصفا ٥ على الكون فخرا بالفخار وما الخزى ٥ وتدرك ما اقسى الورى عنه في عمى ٥

المعنى

ونرعوا

وترعوا شيئا لا تبقى على الرضا ٥ وهي محل مقام التقوى ٥ وحاز منها الغاية القصوى ٥ ودام عليه السرور
والفرح ٥ وذهب عنه الحزن والترح روى ان رابعة العدوية رضي الله عنها لقيت عتبة الغلام وهو يتبختر
في قميص جديد فقالت له ما هذا التيه والعجب انه ما رأيته منك قبل اليوم فقال ومن اولى بهذا مني وقد اصبح
لي مولى واصبحت له عبدا وقال ذو النون رايت شيخا في الركب يمشي وبيده مخصرة وهو يتبختر ويهتز
في مشيته فقلت يا شيخ ما هذا الذي فيك فقال الست في نفسي عبد من انا وكلام من اتلوه بين
يدي ما افارق حضرته هذه حالة الفرح واكمل في ذلك من غير فرح به ثم توسل فيما طلب بمنة الله وكرمه
فقال بمنه وكرمه اي انما اطلب ما تقدم من منة الله وكرمه لا بسبب عمل واحوال وكل هذا اعتماد على
مولاه في مبتداه ومنتهاه وها هنا انتهى الكتاب وما بعده المناجاة الكبرى للوهاب قال بعض
الشراح هذه المناجاة على قسمين قسم يغلب فيه التعريف والتنبيه وقسم يشهد بالتعلق والتذلل
والثاني ما يتضمن مظهرها للتدلي في وقت الانتصار وبعض [illegible] الفتح بلغها هنا كمن عظيم ٥ ويتم جسيم
لمن لازمها في ذلك المكان ونيتي ٥ وجرى بسكان [illegible] على العادة ولها فوائد واسرار يجدها من جربها من
العباد والزهاد والكاملين من عرف رب العالمين وقد ذكر بعضها الشيخ ابن عباد في شرح الحكم فقال
لم يبق للماية المناجات ٥ سياقه حقت له الطاعات ٥ لكونه يهذب الاسرار ٥ ويجلب الاضواء ٥
والانوار ٥ وانت بالخطى وبالصعيب ٥ ان انتجت نهج ذا الولي ٥ وسقته مسافة الجميلة ٥ منكسرا
وخاضعا ذليلا ٥ رايتها في باطنك اتيارا ٥ والغيب واستبشرت بالسعادة ٥ ووجه مناسبتها لما
قبلها ان القلب اذا انتعش بالفرح بالحبيب ٥ انطلق اللسان لمناجاته [illegible] رب فقال في اولها الهي
انا الفقير في غناي فكيف لا اكون فقيرا في فقري قلت انما ابتدا مناجاته بالتعرف بالفقر
لان معرفة موجب الغنا وقد قال في قصيدة تقدم ذكرها تحقق بوصف الفقر في كل لحظة ٥ فما اسرع
الغنا اذا صح الفقر قال الشيخ ابو عثمان في قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية التضرع هو ان
تدعو بافتقار [illegible] وخفية [illegible] ولا يكون لحظ
عن الخفاء [illegible] يقول رضي الله عنه انا الفقير في غناي الذي لا غنى لي وكيف لا اكون فقيرا في فقري
الحقيقي اللازم لي وغناي في موافقة الاسباب الظاهرة لي [illegible] وابقاء [illegible] فانا فقير في حالة
وجودها فكيف لا اكون فقيرا في حال فقدها او يقول انا الفقير في حال حياتي التي يظهر فيها صورة غناي
بعيشي واسبابه فكيف لا اكون فقيرا بعد مماتي حين ينقطع عني اسباب جميعها او يقول انا الفقير

اليك في حال غناي بك فلا غنى لي عن زيادة مددك وهذا معنى قول القائل انا الفقير اليكم والغني بكم ... وليس لي
بعدكم حيلة ولا احد ... فكيف لا اكون فقيرا في حال فقري اليك اذا كنت فقيرا في حال نظري الى غناي بك فكيف لا اكون فقيرا
في حال نظري الى فقري اليك ولله در القائل ... انا اليك مع الانفاس محتاج ... لو كان في مفرقي الاكليل والتاج ...
وفي اظهار الفاقات الى الله والى المحتاجين بساحة مولانا ... مع رفع الهمة عما سواه من الكونين والمكانة وعن ازالة
القدر عنه الله ما نزل ... فال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما اظهر عبد
فقره الى الله تعالى في الدعاء الا قال الله الحق لبيك ... لا يستطيع سمع ذلك وفي كلام الله تعالى في بعض الكتب
المنزلة يقول الله تعالى ما رفع عبد حاجة الي دون خلقي اعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع والارضون السبع
الا جعلت له فرجا ومخرجا من امره او كما قال وقال ابو القاسم القشيري من اشار الى الله ثم رجع في حوائجه الى
غير الله ابتلاه الله الى الخلق ثم نزع له الرحمة من قلوبهم ومن شهد محل افتقاره الى الله ورجع في حوائجه اليه اغناه
الله من حيث لا يحتسب واعطاه من حيث لا يرتقب قيل لبعض العارفين ايطلب العبد الرزق فقال ان علم اين هو
فليطلبه قال ايسأل الله قال ان علم انه نسيه فليذكره قيل انتوكل على الله قال ان شك فليجربه قيل فما
الذي يعمل قال ما امر به هو فليبق العبودية وليشتغل بما امر به وليكن كما قال بهلول المجنون نعبده كما
امرنا وهو يرزقنا كما وعد ... لا يتعلق بمخلوق اصلا قلبا ولا قالبا وليتبع الخواص الذي تخلص بالله من هذا
المعنى قبل ان ... فيعاقب بالحرمان ويرمى بالخذلان قال ابراهيم الخواص رضي الله عنه تهت في البادية
حتى ضاق الحال فسمعت نباح كلب فاصغيت اليه واخذت نحوه فاذا ابلق قد سبقني فجعلت في نفسي هذا جزاء
من توكل على مخلوق فقيل لي في سري يا ابراهيم ما دمت في قفارتنا انت جوارنا وعهدنا كنت عن بزار فلما دخلت في خفارة
كلب سلطه عليك الخلق ... الى الله تعالى واذا بالذي سبقني قد سقط عن جنبي فطار راسه وانشدوا
مددت يدي ارجوا نوالا ورحمة ... وما لي شفيع غير جودك والرجا ... فجد لي بعفو منك وارحم تذللي ...
فانت الذي اعطيتني الفقر والتجا ... ثم ان الفقر والجهل من اوصاف العبودية كما ان الغنى والعلم من
اوصاف الربوبية فلما ادى بفقره الى غنى مولاه ادى بجهله الى سعة علم مولاه فقال في المناجاة الثانية الاهي
انا الجاهل في علمي فكيف لا اكون جهولا في جهلي قلت يقول رضي الله عنه انا الجاهل في علمي العارض الذي
علمتني فكيف لا اكون جهولا في جهلي الاصلي الذي فيه ارتكزت او يقول انا الجاهل في حال نسبتي الى العلم الذي علمتني
فكيف لا اكون جهولا في جهلي الذي هو اصلي ومحلي وما نسبة علم العبودية في جانب علم الربوبية الا كنقرة العصفور
من البحر كما قال الخضر عليه السلام لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال ولا يحيطون

بشيء من علمه الا بما شاء وقال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا فالعلم العارض لا يدفع الجهل
الاصلي هذا باعتبار الحكمة والنظر الى اصل البشرية واما الروحانية فاصلها علامة دراكة لانها نفخة ربانية
ولطيفة ربانية فانما حجبها لتلابسها بالبشرية وخلطة الطبيعة كما قال في المباحث ... فلم تزل بحر نفوس الاحيا ...
علامة دراكة للاشيا ... وانما تحجبها الابدان ... والانفس النزع والشيطان ... فكل من اذا فهم جهاده ...
الحق للغا بخرق العادة ... ثم ان من تحقق بفقره الاصلي لا يسكن الى غناه العارض ومن تحقق بجهله الاصلي
لا يسكن الى علمه الفرعي فان الامر كله بيد الغني الكريم والقلوب كلها بيد المدبر الحكيم كما ابان ذلك في المناجات
الثالثة بقوله الاهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك من السكون الى عطاء
واليأس منك في بلاء قلت اختلاف التدبير هو اقامة كل عبد في حكمته على حسب ارادته ومشيئته من فقر وغنى
من علم او جهل من عز او ذل من قبض او بسط من سقم او مرض من ايمان او كفر الى غير ذلك من اختلاف اثار
القدرة وتنوع مظاهر الحكمة وسرعة حلول المقادير هو تبدل تلك الاحوال في اسرع حال من فقر الى غنى ومن غنى
الى فقر ومن علم الى جهل ومن جهل الى علم ومن عز الى ذل ومن ذل الى عز ومن قبض الى بسط ومن بسط الى قبض ومن سقم
الى صحة ومن صحة الى سقم ومن ايمان الى كفر والعياذ بالله ومن كفر الى ايمان فقلوب الخلق بيد الله الواحد القهار
يقلبها كيف يشاء ويختاره ويفعل بها ما يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فاذا تحقق العبد بهذا امتنع
من ان يسكن الى عطاء مولاه لانه قد يسلبه ذلك في ساعة واحدة وامتنع ايضا ان ييأس من مولاه في وقت
شدته وبلواه فالتعلق بالله مع العسر يصير مع العسر يسرا ودوام الحال من قضايا المحال لا يكون يتحقق
بهذا الا العارفون فلذلك لا يسكنون الى عطاء ولا ييأسون في بلاء بل يسكنون الى من بيده المنع والعطاء
فلذلك لا يزول اضطرارهم ولا يكون مع غير الله قرارهم ودليل ما قاله الشيخ قوله تعالى كل يوم هو في شان ولا يعجزه
شيء بل في كل لحظة هو في شان يرفع قوما ويخفض اخرين يميت قوما ويحيي اخرين يعطي قوما ويمنع اخرين
من امور يبديها ولا يبتديها وقال بعضهم في تفسير الاية كل يوم يجهز ثلاثة عساكر عسكرا من الاصلاب
الى الارحام وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون الى الله جميعا وقد
بعض الكلام على علامة العارف وقال القشيري في هذا المحل قلوب العارفين تشاهد بنوره ولا تشاهد
لحق سواه ومنازلات الربوبية خارجة عن رسوم البشرية فعلامة العارف ان يكون بقلبه مرآة ان يرى فيها
ما غاب عن عينه وجلاء القلب لا يكون الا بنور الايمان والايقان فعلى قدر قوة الايمان يكون نور القلب وعلى
قدر نور القلب تكون مشاهدة الحق وبقدر مشاهدة الحق تكون المعرفة بأسمائه وصفاته وبقدر رهد...

يكون التعظيم لذاته وبقدر التعظيم لذاته يكون كمال المحبة وبقدر كماله يكون استغراقه في اوصاف العبودية
وبقدر استغراقه في اوصاف العبودية يكون قيامه بحقوق الربوبية وما قدروا الله حق قدره ﴿قلت﴾ وبقدر قيامه
بحقوق الربوبية يكشف له عن اسرار الالوهية وانشدوا ۞ كانت محادثة الركبان تخبرني ۞ عن جعفكم وسناكم
الطيب الخبر ۞ حتى التقينا فلا والله ما سمعت ۞ اذني باحسن مما قد رأى بصري ۞ ومن اوصاف العبودية بعد
الفقر والجهالة والخساسة والدناءة كما ان من اوصاف الربوبية بعد الغنا والعلم الاحسان والكرم وفي ادنى
الشيخ بذلك نفسه الى كرم مولاه واحسانه فقال في المناجات الرابعة الهي مني ما يليق بلؤمي ومنك
ما يليق بكرمك اللؤم بضم اللام وسكون الهمزة هو الشح والدناءة وفي القاموس لؤم بالضم فهو لئيم يقول
رضي الله عنه الهي يظهر مني من الدناءة والخساسة والشآمة والمساوي ما يليق بلؤمي ودناءتي ويظهر منك
من البرة والاحسان والكرامة والامتنان وتغطية المساوي والنقصان ما يليق بكرمك الزاخر وكمال احسانك
الباهر فقابل اساءتنا باحسانك وغط مساوينا بوصف كرمك وامتنانك فانك اهل التقوى واهل المغفرة
بلا خلاف الامير حكي عن بعض الناس انه قال الهي كم اعصيك وانت تسترني فسمع قائلا يقول لتعلم اني انا
وانت انت وقيل ان الله تعالى خلق ملكا ينادي يا ابن ادم يا مسكين كنت في العدم مفقود مرة الى حين
نفخة الوجود الا الى نور الجود مرة الى ان ابرزتك من عالم الغيب لعالم الشهود مرة الى ان استنقذتك
من ظلمة الكفر الى نور الايمان مرة الى ان تكفل بشؤونك الا الكريم بعد الغفران وكن مطيعا لله تكن عبده حقا
ولا تتبع نفسك وهواك فتكون لهما رقا ومن كرمه تعالى ان سبقت رحمته غضبه ومن كرمه ايضا اقباله
على العاصي والمطيع في الحديث الصحيح لما خلق الله الخلق قال للقلم اكتب قال وما اكتب قال اكتب رحمتي
سبقت غضبي فكتبه والقى القلم ومن الحكمة زاد بعضهم فاذا كان يوم القيمة في الناس ذلك الكتاب
فيفرح كل من سبقت له السعادة ويحتج عن اهل الشقاوة وفي الحديث ايضا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى خلق مائة رحمة انزل منها واحدة الى الارض وامسك عنده تسعة وتسعين من تلك الرحمة
الواحدة التي اهبطت الى الارض تراحمت الخلائق بينهم حتى ان الدابة لترفع حافرها عن ولدها خشية ان
تصيبه فاذا كان يوم القيامة ضم تلك الرحمة الى التسع والتسعين ونشرها على عباده فتسع الخلق كلهم
ويرجع منها كل كافر وهو معنى قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء الاية انتهى بالمعنى ويروى ان حيا اصطاد
ابن خاء فلما اخذه جعلت امه تطير فوقهم ثم سقطت عليهم فحملها مع اولادها فجاء بها النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره خبرها فقال له عليه السلام اتعجبون لهذا الطائر والله لله ارحم بعبده المومن من هذا

الطاري

١٧٧

بالاخرة وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج من النار رجلان ثم يقال لهما يفعل بي ربي الله فيؤمر برجوعهما
الى النار فيسرع احدهما فيلقي نفسه فيها ويتعاصى الآخر عن الرجوع فيقال للاول ما حملك على ان القيت نفسك
في النار فيقول قد كنت عاصيا في الدنيا ثم اكون عاصيا في الاخرة ويقال للثاني لم لم تمتثل الامر كما فعل هذا فيقول
رجوت من كرم الله ان لا يعيدني اليها بعد ان اخرجني منها فيؤمر بهما الى الجنة وانشد ۞ اناب الى الله مستغفرا ۞
۞ لما وجد الله الا رحيما ۞ وكيف لا يرجى حلمه وكرمه وشمول لطفه ورحمته وقد سبق وجود العباد
لطفه ورافته كما ابان ذلك في المناجات الخامسة حيث قال الهي وصفت نفسك باللطف والرافة بي
قبل وجود ضعفي افتمنعني منهما بعد وجود ضعفي ﴿قلت﴾ اللطف بالقمر الرفق والمبرة وصلاح العبد
في عاقبته وفي القاموس لطف لطفا بالضم رفق ودنا ولطف الله بك اوصل اليك مرادك بلطف ۞ والرافة اشد الرحمة
وارقها قاله في القاموس ايضا والضعف ضد القوة يقول رضي الله عنه شاكيا الى ربه ضعفه وفقره ومستمدا من مولاه
لطفه ورافته الهي وصفت نفسك في كتابك العزيز الذي انزلته الينا باللطف والرافة فقلت فيه الله لطيف بعباده
وقلت ان الله بكم لرءوف رحيم واتصافك باللطف والرافة قديم فاذا كنت بنا لطيفا رحيما قبل وجود ضعفنا
فكيف لا نغنمها من لطفك ورافتك بعد ظهور ضعفنا فلطفك بنا ونحن للطف غير محتاجين افتمنعنا منه عند
احتياجنا اليه وانت ارحم الراحمين اجريت علينا رفقك قبل ان تبرزنا الى دارك افتمنعنا منه بعد ظهورنا مع
عظيم ابرارك ومن تفكر في عجائب صنع الانسان وما خصه الله به من كمال الخلق والاتقان وما يلحقه من ضروب
المنن والاحسان وجد نفسه مغمورا في لطف مولاه من مبدا نشاته الى اول منشاه ومنتهاه قال بعض الحكماء
قد ادركت العقول مما اودع في الانسان اثني عشر الف حكمة واما التي لم تدركه العقول فلا يعلمه الا الله
هذا في خاصة نفسه واما فيما خلقه له وسخره لاجله وما يلازمه في لباسه وسائر لوازمه فلا يحصى قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم وقال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الاية فسبحان من اعجزت العقول بدايع لطائفه وقصرت
الافكار عن عظيم اوصافه وهو اللطيف الخبير ما اكثر لطائفه للعبيد وما اوفاها للمستغفرين واعظمها
في جميع المخلوقين فقد سرى لطفه في جميع الاكوان وابهرت حكمته افكار الانس والجان وانشدوا ۞ ۞ ۞
۞ احاط بتفصيل الدقائق علمه ۞ فاتقنها صنعا واحكمها فعلا ۞ من لطفه حفظ الجنين وصونه ۞
۞ بمستودع قد مر فيه وقد حلا ۞ تكنفه باللطف في ظلماته ۞ ولا مال يغنيه هناك ولا اهلا ۞
۞ ويلقيه رزق سابغ منه سائغ ۞ يروح له طولا ويغدو له فضلا ۞ وما هو مستودع غداء يقيمه ۞
۞ ولا هو ممن يحسن الشرب والاكلا ۞ جرى في مجاري عرقه بتلطف ۞ بلا طلب على قدره سهلا ۞

* وأجري على التعرّي لطاعة عذابا * شرابا هنيئا ما ألذّ وما أحلى * والهمهم مطالعة حكمة باطن * تجلى لأرباب
العقول بها أولا * واخترع للسر عينه لوقتها * فأبرزها عونا وجاء بها طولا * وقسمها للفصيح والكسيح
قسمة * وللعجم أعطى نحو فنسولها تشكلا * وصح بالوك الطعام لسانه * بمخرجه علوا إذا شاء أو سفلا *
* ولولا وجود الحي في تيسير لقمة * والطاف فيما تكنعها كلا * فمنه غذاء فيها وكم صانع لها * كذلك مشروب
وملبسه كلا * وكم لطف من حيث تحذر أثرت * وما كنت تدري الفرع منه ولا الأصلا * ومن لطفه تكليفه
لعباده * ليثيبهم أو أعطاهم من النعم الجزلا * ومن لطفه توفيقهم للإنابة * توصل للخيرات من قبلهم فضلا *
ومن لطفه بعث النبي محمد * ليشفع في قوم ولبسوا التقى أهلا * ومن لطفه جعل العقال بد منهم * ولو غلا الخ
العاصي المسيء ذو ارتكاب * ومن لطفه إخراجه عسلا كما * تشاهد من أكل أو دعم النخلا * وإخراجه من بين فرث
مجاور * دما للبنا صرفا لشارب رسلا * وإخراجه من دودة ملبسا له * روافا عجيبا أحكمته لنا غزلا *
وأعجب من ذا خلقه القلب عالما * به شاهدا بلا شبيه ولا مثلا * وألطافه أنحا العجيبات بها * بذلك
وأشهدها وإياك والجهلا * وصل على المختار أفضل مرسل * على خالق العرفان باسمه فدح لاما * *
فهذه ألطافه الواصلة إلينا ومحاسنه الجارية علينا وإن وفقنا سبحانه للقيام بشكرها فيها ونسأل الأفعال
والأقوال فذلك من فضله وكرمه وإن صرفنا عن شكرها بظهور مساوي أفعالنا فبقهره وعدله كما أبان ذلك
في المناجاة السادسة فقال إلهي إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي وإن ظهرت المساوي مني
فبعدلك ولك الحجة علي قلت ظهور المحاسن على الإنسان في أقواله وأفعاله وأخلاقه هو من منة الله العظيمة
وهدايته الجسيمة لأنه عنوان المحبة والقبول وذلك هو غاية المطلوب والمأمول وظهور المساوي على
العبد في أقواله وأفعاله وأخلاقه هو من عدله تعالى وقهره وإظهار الحجة عليه قال تعالى قل فلله الحجة البالغة
فلو شاء لهداكم أجمعين فالعبد ليس له مع الحق اختيار ولا له قدرة على نفع ولا إضرار فإن صرفه فيما يرضى
فلظهور اسمه اللطيف وإن صرفه فيما لا يرضى فلتصريف اسمه الحكيم أو لإظهار اسمه القهار أو المنتقم
أو الجبار والنواصي بيده والقلوب بين أصبعيه ولله در الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه حيث يقول في بعض أحزابه
اللهم إن حسناتي من عطائك وسيئاتي من قضائك فجد اللهم بما أعطيت على ما به قضيت حتى تمحو إذا إلى بذلك
لا كمن أطاعك فيما أطاعك فيه الشكر له ولا كمن عصاك فيما عصاك فيه العذر لأنك قلت وقولك الحق لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون اللهم لولا عطاؤك لكنت من الهالكين ولولا قضاؤك لكنت من العاجزين وأنت أجل وأعظم وأعز
وأكرم من أن تطاع إلا بإذنك أو أن تعصى إلا بقضائك إلهي ما أطعتك حتى رضيت ولا عصيتك حتى قضيت

أطعتك بإرادتك ولك المنة علي وعصيتك بقدرتك ولك الحجة علي بوجود حجتك وانقطاع حجتي إلا برحمتك وبفقري
إليك وغناك عني إلا ما كفيتني اللهم إنه أتى الذنب جرأة مني عليك ولا استخفافا بحقك لا حرمني بذلك
فضلك ونفذ به حكمك ولا حول ولا قوة إلا بك والعذر إليك وأنت أرحم الراحمين اللهم إن سمعي وبصري ولساني
وقلبي وعقلي بيدك لم تملكني من ذلك شيئا فإذا أمضيت بشيء فكن أنت وليه واهدني إلى أقوم سبيل يا خير مسئول
ويا أكرم من أعطى يا رحمان الدنيا والآخرة ارحم عبدا لا يملك دنيا ولا آخرة هـ وهو الذي اختتم الشيخ في هذه
المناجاة باختصار عبارة أوجز لفظ فلله دره وهذا شأنه في تهذيب لطف أبي الحسن الشاذلي جزاه الله عن المسلمين
خيرا ومثل هذه المناجاة وقعت من بعض أهل الحب روي أن شابا من العباد تعلق بأستار الكعبة وقال إلهي
إن أطعتك فبفضلك ولك الحمد وإن عصيتك فبجهلي ولك الحجة علي فبإثبات حجتك وانقطاع حجتي إلا ما غفرت
لي فسمع هاتفا يقول أنت عتيق من النار هـ وقال ذو النون رضي الله عنه رأيت جارية والصبيان يرمونها
بالحجارة فكففتهم عنها فتكلمت إلي وقالت أتعرفني يا ذا النون ما علامة الهدى قلت صيام النهار وقيام
الليل فقالت يا ذا النون كيف يلذ النوم لمن علم حبيبه لا ينام ثم بكت وقالت إلهي إن عجزت في إحسانك إلى سوء
أبلغ كنههم بعجزي وإن ذكرت حسنك علي لم أقم فيه بشكره فيا عجبا لقلوب العارفين بك كيف لا تقطع إجلالا
لقدرك وإعظاما لوصفك تباركت يا مولانا ما أحلمك على من عصاك وما أفضلك على من لم تدع له شغلا بسواك
ثم أنشدت * يا حبيب القلوب أنت الحبيب * أنت أنسي وأنت مني قريب * يا طبيبا بذكره يتداوى *
* كل ذي سقم فنعم الطبيب * طلعت شمس من أحب بليل * واستنارت فما تلاها غروب * إن شمس
النهار تغرب بليل * وشمس القلوب ليست تغيب * فإذا ما الظلام أسبل سترا * فإلى ربها تحن القلوب *
وإذا حنت القلوب إلى مولاها وانضمت إليه بعشقها وهواها كيف يردها إلى غيره وهو قد تولاها
وكيف لا يتم ما هو إليه قد أولاها كما أبان ذلك في المناجاة السابعة بقوله إلهي كيف تكلني أي تحوجني
إلى غيرك وقد تكفلت لي بأموري وشؤوني كلها حيث قلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقلت وما من دابة
في الأرض إلا على الله رزقها وكيف أضام أي أظلم وتتعدى حرمتي وأنت الناصر لي فتنصر ونشهر لي وتنصر في
وقد قلت في كتابك الحكيم إن الله يدافع عن الذين آمنوا وقولك الحق إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم
وقلت وعدك حق وكان حقا علينا نصر المؤمنين فانصرنا يا خير الناصرين كما نصرت أنبياءك ورسلك وخاصة
أوليائك المقربين يا أرحم الراحمين أم كيف أخيب أي أحرم وأمنع من الخير وأنت الحفي بي أي المعتني
بأموري أو الرحيم في جميع أحوالي قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا وقال وهو يتولى الصالحين فلا نبالي مع مولانا

بعنايتك ووجهنا بجنابك واجعلنا بك مستنصرين وعليك متوكلين يا رب العالمين ها انا اتوسل بفقري

اليك حتى من فقري وافتقاري اذ لا نسبة لي منك سوى فقري اليك فانا فقير اليك من كل شيء حتى من فقري فارتكان

الاغنياء على ما في ايديهم من الاموال فانا اقدم اليك فقري في جميع الاحوال وان كان الاقوياء قدموا

اليك صالح الاعمال فانا اقدم اليك التضرع والابتهال ع ما لي سوى فقري اليك وسيلة ع فبافتقاري اليك

ربي اضرع ع ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ع فلئن رددت فاي باب اقرع ع واي نسبة لفقر العبد من غناه

مولاه كما قال وكيف اتوسل اليك بما هو محال ان يصل اليك لانك غني عن الانتفاع بالمنافع فاغننا بك عن

الاحتياج الى غيرك حتى الغنى بك لا بغيرك انك على كل شيء قدير روي ان شيخ اشياخنا القطب الجامع

مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه قال للشيخ ابي الحسن رضي الله عنه يا ابا الحسن يوم تلقى الله فاتيه بفقرك

فقال له والله لم تلقين الله بفقري لتلقينه بالصنم الاعظم هكذا الفيته به وكانه رضي الله عنه دله على الزوال عن نفسه

وعن كل ما ينسب اليها من فقر وغيره قال الشيخ زروق رضي الله عنه وجواب عن ابي الحسن بانه اراد بفقره التصوف

حتى من فقره المنسوب اليه وهو الزوال فاذا صح افتقاره من كل شيء فقد صح غناه بالله عن كل شيء واذا صح

غناه بالله فما يبقى له الا بالله قال الهروي رضي الله عنه فقر العامة ترك الدنيا وفقر الخاصة ترك الدنيا

والاخرة وفقر خاصة الخاصة ترك الدنيا والاخرة والنفس والاعتبار هذه الامور بين يدي العليم الخبير

عبودية فقط ولذلك قال او كيف اشكو اليك وهو لا يخفى عليك اذ محال ان يخفى عليك شيء في الارض

ولا في السماء وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور

الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فحسبي من سؤالي علمه بحالي ام كيف اترجم لك بمقالي وهو

منك برز اليك اذ انت موجده واليك ينتهي امره اذ لا موجود سواك غير ان مقام الربوبية يقتضي وظائف

العبودية وهي اظهار الفاقة والاحتياج والتضرع باللسان والابتهال دون طلب دفع ما قدر او جلب ما لم يقدر

كما قال الشيخ ابو الحسن ولا نسالك دفع ما تريد ولكن نسالك التاييد بروح من عندك فيما تريد كما ايدت انبياءك

ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك انك على كل شيء قدير ام كيف تخيب امالي اي مطالبي وحوائجي وهي

وفدت عليك اي نزلت بساحة كرمك وعلى ساحل بحر جودك وحطت الاحمال على باب فضلكم والنجات الى حصى

عزكم وكيف تخيبون امال الطامعين وباب كرمكم مفتوح او كيف يجيء فاصدكم ويجيء فضلكم واحسانكم ممنوع

او كيف يضام جاركم وجاه عزكم منيع او كيف يجيع جواركم ونفوذ امركم في الاشياء سريع وانشدوا ع ع

ايضام عبد في حماكم وفد نزل ع يا من لهم كل الامانة والامل ع ه ام كيف لا تحسن احوالي بل لا تكون الا جمالية

الحسن

الحسن والكمال والجلالة اذ لا قيام لقلبه الا بالله ولا وجود له من ذاته بذاته وكل من كان بالله ومن

الله والى الله فكيف يلحقه النقص والخلل ولذلك قال واليك اي قامت بعد ذلك وانتهت الى امرك ومرادك فالامور

كلها انت مبداها ومصدرها واليك منتهاها ومرجعها قال تعالى واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه

وانشدوا ع اقبل علينا ولا تخف فلنا الهدى ع ولنا الجلال مع الجمال خذ الصفا ع واقصد حمانا فما انا اتلانا

مذنب ع الا تجاوزنا من الذنوب على شفا ع ع اللهم انا قصدنا حماك خاضعين وبجنابك متنصبين وبحبل

جوارك متمسكين وبعز جاهك متشفعين ومن تنصرك الله فانه مستنصر به فانصرنا ولا تسلط علينا يا رحيم

انام بمن حاشر عهدك انوابه ونصرك الحاج ع ان يجتني من خلا تحت جوارك او يطرد من وفد بابك يا رحيم

من سبيل ويا اكرم من اعطى ارحم عبدا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا من عنك يا ارحم الراحمين الاهي ما الطفك

بي مع عظيم جهلي وما ارحمك بي مع قبيح فعلي قلت هذه المناجاة السابعة وهو تتميم لما قبلها لان

الحسن اذا كان تجليا لك وقائما بك ومنك واليك فقد لطف بك وانت لا تشعر فاللطف هو سوق المسار من حيث

لا تظن او سوق المنافع من قلب الفجائع والحاصل ان اللطف هو جلب الخير جلبا لطيفا لا يعرفه الا اهل

البصائر فاللطف الجميل هو الذي يكون باطنه نعمة وظاهره نقمة باطنه جمالي وظاهره جلالي فالعارف

بالله يرى نفسه مغمورا في اللطف في كل حال ولذلك قال الشيخ رضي الله عنه فيما تقدم من ظن انفكاك لطفه عن

قدره فذلك لقصور نظره واما الجاهل بالله فلا يشعر باللطف الا اذا كان حسيا ظاهرا جليا ولذا قال الشيخ في هذه

المناجاة تواضعا وتنزلا الاهي ما الطفك بي مع عظيم جهلي حيث جهلت لطفك الخفي وطلبت لطفك

الجلي ولو عاملنا الحق تعالى بمقتضى جهلنا لنزع لطفه الخفي عنا وتركنا مع مرادنا ولكنه سبحانه حليم لم يعاملنا

بمقتضى جهلنا فلطف بنا مع عظيم جهلنا ولذلك تعجب الشيخ من شدة لطف الله به مع عظيم جهله

وهذا كما قال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه اذا سالت الله العافية فاطلبها من حيث يعلم انها لك

عافية وقال ايضا وهو في مرضه حين قال له انسان اسال الله لك العافية فقال له ما انا فيه هو العافية

وقد سال العافية ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمات مسموما وسالها عمر فمات مطعونا وسالها عثمان

رضي الله عنه فمات مذبوحا وسالها علي رضي الله عنه فمات مقتولا ع فالعافية واللطف هو الرضى

والتسليم وسكون القلب عند مجاري الاقدار والرحمة هي العطف والمحبة والتقريب فالحق تعالى يريد ان

يقرب عبده اليه ويقصر مسافة البعد بينه وبينه بما يسلط عليه من اذاية الخلق والفقر والامراض او

غير ذلك مما يؤلم النفس ثم ان العبد يفر منها ويسال الله بعده منها لاجل جهله وقبيح فعله

ولذلك ورد في بعض الأخبار يقول الله تعالى يا عبدي كيف أرحمك بشيء ما به أرحمك أو كما قال وهذا معنى قوله إلهي
ما أرحمك بي مع قبيح فعلي وهو هروبي مما به رحمتني ويحتمل أن يريد بقبيح الفعل الذنوب والمعاصي فإنها توجب
المقت والبعد فلو عاملنا بمقتضى فعلنا الذميم لأذاقنا من بأسه الأليم ولكن رحمة الرحمن الرحيم غلبت نقمة بأسه
الأليم أوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام يا موسى خاطب العصاة بالتيسير باللطف والليونة وادعهم إلى
بالقول الجميل ورغبهم في النعيم المقيم ولا تغلظ عليهم فلو شئت أن أعجل عقوبتهم لما أمهلتهم طرفة عين
وأعلمهم أنه من تاب إلي قبلته ومن تمادى أمهلته ومن عصاني عذبته يا موسى من ذا الذي قصدني فما رددته فخيبته
أو نادى فأسلمته أو سألني فمنعته أو رجع إلي فطردته أو تاب إلي فما قبلته أو تضرع إلي فما رحمته ولما
أنزل الله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير قال سيدنا علي كرم الله وجهه ما معناها
يا رسول الله قال يا علي من أخذه الله بذنبه في الدنيا فهو أكرم من أن يعذبه عليه في الآخرة ومن ستره في الدنيا
فهو أجل من أن يفضحه في الآخرة قال علي رضي الله عنه فكانت عندي خيرا من الدنيا وما فيها وأنشدوا
سبحان من أبدع الأشياء وقدرها ومن يجود على العاصي ويسترها يخفي القبيح ويبدي كل صالحة
ويغفر العبد إحسانا ويشكره ولما كان اللطف يقتضي التهذيب والرحمة تقتضي التقريب
تعجب الشيخ من شدة قرب الحق لعبده مع بعد العبد عنه فقال في المناجاة الثامنة إلهي ما أقربك مني
وما أبعدني عنك ما أرأفك بي فما الذي يحجبني عنك قلت قرب الحق من العبد قرب رحمة واعتناء وتقريب
واصطفاء هذا في حق الخواص وفي حق العوام هو قرب إحاطة وقدرة وعلم ومشيئة وتصريف وقهرية
والمراد هنا هو الأول فإن بعد العبد من ربه إنما هو بسوء أدبه وإلا فالحق تعالى قريب من كل شيء محيط بكل شيء
ليس شيء أقرب إليه من شيء ولا شيء أبعد إليه من شيء وما بعد العبد من ربه إلا وهمه وسوء فعله ولذلك
قال الشيخ تواضعا وأدبا إلهي ما أقربك مني بلطفك ورأفتك وعلمك وإحاطتك وما أبعدني عنك بوهمي وسوء
أدبي وما أقربك مني بأوصاف الربوبية وما أبعدني عنك بأوصاف العبودية فأوصاف الربوبية رفيعة القدر عظيمة
الشأن وأوصاف العبودية خسيسة القدر دنية المقدار فلا مناسبة بينهما في القدر مع تلازمهما في المحل
بتحقيق الوحدة فيهما مثلازمان في القيام متضادان في الأحكام والرأفة شدة الرحمة والعطف وذلك يقتضي
شدة القرب والوصال وينفي وجود السوية والانفصال وهو الحجاب ولذلك تعجب الشيخ من وجود الحجاب بينه
وبين مولاه مع شدة رحمته له ومحبته إذ من تعطف عليه وأراد أن لا يتكدر أن تلتفت عنه إلى سواه وفي الحكمة
مكتوب يا عبدي قد أسجدت لك الكون بما فيه الفلك والأملاك والملكوت والملائكة فأنت أنا بما أبدتك

وانا

وأنا أنت بما قلدتك فجعلتك لابدا فقامك لا يزاحمك فيه أحد يا عبدي خرقت لك الحجاب وفتحت لك الباب
وأظهرت لك أحكام العجاب فما بلغ فهمك اللباب ولو قالوا إنما هو ساحر أو كذاب فأنا قد وهبتك الأنظار وهم
يقولون إن هذا إلا اختلاق يا عبدي قد جعلتك تقول للشيء كن فيكون وما عليك أن قالوا ساحر أو مجنون أنت
تمشي من جيب الكرسي وهم يقولون إن هذا الأمي يوثق عرجت بسرك إلى السماء وعلمتك خصائص الأسماء
فأنت أمين حق أمين التحقيق الدال بجميع الخلق على الطريق يا عبدي من عرف الوزير وسمع أمره فقد رد
أمر الأمير وجهل قدره من أطاع الرسول فقد أطاع الله هو في الله تعالى بفضله وجوده إذا اصطفى عبدا
من عباده قربه بفضله واجتباه لحضرة قدسه وصفاه من كثائف طبعه وحماه من رعونات نفسه
فيصير من أهل قربه فقد ارتفع الحجاب عن عين قلبه فيرجع روحه في بحار الأحدية وغاب بسره في سبحات الوحدانية
فإن كان ممن أريد للاقتداء به رد إلى شهود حسه ووجوده وقد كحلت عين قلبه ببصر الحقيقة وكسيت ذاته وجودا
معارا عليها هو وجود الحق المعار على جميع الممكنات فيرى ذاته المتوهمة كسراب بقيعة يحسبه
الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده هنالك يحيى العبد بالله وله أمره بأمر الله
حيث لم يبق له شائبة لسواه ولا شيء يحجبه عن الله وهذا الذي أحبه مولاه واصطفاه لحضرة قدسه
واجتباه فكان سمعه وبصره ويده وجوارحه في تقلبه ومثواه هنالك يجري عليه في كل حال وخصوصا
عند اختلاف الأحوال كما أشار إلى ذلك في المناجاة التاسعة حيث قال إلهي قد علمت باختلاف
الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرف إلي في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء قلت إنما اختلفت
في آثار القدرة لنعرف عظمة القادر واختلافها يكون في الأجسام كالعلويات والسفليات والجمادات
والمائعات والنورانيات والظلمانيات والمائيات والناريات وكاختلافها في الحيوانات كأجناس بني آدم والأنعام
والبهائم والطيور والسباع والوحوش والحشرات وكاختلافها في الألوان كالبياض والسواد والحمرة والصفرة
والزرقة والشهبة وغير ذلك من الألوان لنعرف من ذلك سعة قدرته وعلمه وعظمة ذاته المقدسة وأما
تنقلات أطوارها من شباب وكهولة وشيخوخة ومن مرض وصحة وفقر وغنى وعز وذل وسلب ورد ومنع وعطاء
وقبض وبسط وجلال وجمال وحياة وموت وغير ذلك لنعرفه تعالى في كل حالة من هذه الأطوار وعند اختلاف
أجناس هذه الآثار حتى لا نجهله في شيء منها فإن الحق تعالى قد تعرف لعباده في أجناس مصنوعاته
وفي اختلاف أحوال قدرته فجهله من جهله وعرفه من عرفه فلا يسمى الإنسان عارفا حتى يعرفه في الأشياء
كلها مع اختلاف آثارها وتنقلات أطوارها فيعرفه في الذل كما يعرفه في العز ويعرفه في السلب

كما يعرفه في العطاء ويعرفه في العرض كما يعرفه في الصحة ويعرفه في الجلال كما يعرفه في الجمال الى غير ذلك مما
تقدم ويتلون مع كل لون ويتطور مع كل طور فالعارف هو الذي يتطور بجميع الاطوار ليقضي جميع
الاوطار والتلون مع الاشياء هو الادب معها والخضوع لمن فيها واما من كان يعرفه في الجمال دون
الجلال او في العطاء دون المنع او في العز دون الذل او في الصحة دون المرض او في العافية دون المحنة او في الغنا
دون الفاقة او في الرخاء دون الشدة فانه كذاب وانظر الى قول القائل حبيبي ومحبوبي على كل حالة وما اقبح
الانسان يدعي الخصوصية والمحبة ويبقى السوء فاذا انتعرف له الحق تعالى باسمه الجليل انتفى وهرب منه
وهذه عادة الله في عباده كل من ادعى خصوصية او غيرة اختبره في الحين ليمسك الصادق ويظهر فهم
واحد للتعبير بعد ابتلائهما فيفتضح المدعون ويثبت الصادقون وقد قال الشيخ رضي الله عنه هذا
المعنى بعد ان كان يعرف في البعض وينكر في البعض فلما خفي عليه ان اختلاف الاثار وتنقلات الاطوار
اناس هما يعرف الحق بها فقال الاهي قد علمت اني تيقنت باختلاف الاثار وتنقلات الاطوار
الاطوار ان العراض والاحوال ان مرادك مني ان تتعرف الي في كل شيء من اختلاف اجناس القدرة وتنقلات
اطوارها حتى لا اجهلك في شيء منها قال في التنوير كل حالة زائلة لا محالة لان مراد الحق ان يتعرف عبده
في الاطوار ويخالف عليه الاثار حتى يتعرف اليه في كل حالة خاصة بتعرف خاص ومراد حالة واحدة لم
يرد الفعال فيما له تعالى انما اراد من عباده معرفته قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس
اي ليعرفون ومعرفته ان تكون بتخالف الاثار وتنقلات الاطوار وذكر في تفسير قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان ان احد الجنتين معرفة الله وهي جنة المعارف والاخرى جنة الزخارف ومن دخل جنة المعارف لم
يشتق الى شيء سواها وقال مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا اطيب شيء فيها قيل وما
ذاك قال معرفة الله تعالى وقيل انه وجد في مكتوب بقلم القدرة من احسن كل شيء ولم يعرف الله لم يحسن
شيئا ومن يعرف الله فاذا عرف الله فقد احسن كل شيء ولم يغب عنه شيء وقيل من عرف الله الراحة من
كد الزهد وتعب الجهد وتشويش البال منه وتعلق الوهم به فانه لن يبرح الخلق الامر الا هتمام به ولو
قنع العبد لاستغنى الغناء الذي لا فقر بعده والتوكل على الحي الذي لا يموت هو الغنا الاكبر الذي لا يلحقه فقر
ابدا قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه بينما العبد معافا تراه مبتلا بينما العبد غنيا تراه فقيرا وبينما
العبد ضاحكا تراه باكيا وبينما العبد مسرورا تراه حزينا بينما العبد حيا واذا به ميتا تغترس وتبقى بغير الله
او ترتكن لشيء سوى الله وحكي ان رجلا خاف حال الهم اجل المعيشة وكثاية العد والنغب فخرج هاربا على

وجهه

وجهه ودخل الصحراء فوجد فيها راسلا فاذا كشفه عنه الريح الرمل واذا بلوح من الرخام فيه حائط
ذلك القص وفيه مكتوب هذه الحكمة ٭ لما رايتك جالسا مستقبلا ٭ ايقنت انك للهموم قرين ٭
٭ مالا يقدر لا يكون بحيلة ٭ ابدا وما هو كائن سيكون ٭ سيكون ما هو كائن في وقته ٭
٭ واخو الجهالة متعب محزون ٭ فيحاز الحريص ولا ينال لحرصه ٭ شيئا ويحظى عاجز ومهين ٭
٭ فدع الهموم تعرمن اثوابها ٭ ان كان عندك بالقضاء يقين ٭ هون عليك وكن بربك واثقا ٭
٭ فاخو الحقيقة شانه التفويض ٭ طرح الاذى عن نفسه في رزقه ٭ لما تيقن انه مضمون ٭
ومن نظر الى سعة كرم الله وبره ٭ ثم نظر الى عجز نفسه وفقره ٭ طرح احمال الهموم عن ظهره ٭ واكتفى بعلم
مولاه ونظره ٭ وهذا اشار الى ذلك في المناجات العاشرة بقوله الاهي كلما اخرسني لؤمي انطقني كرمك
ومهما ايستني اوصافي اطمعتني منتك قلت العبد اذا نظر الى اوصاف نفسه الدنيئة ٭ وافعاله
الذميمة ٭ استحيا من الله ان يرجع اليه في حاجة يطلبها ٭ وخرس لسانه عن النطق بها ٭ لانه يرى من خساسة
نفسه وشؤمها ما لا تستحق بذلك الا العقوبة والطرد فاذا نظر الى سعة كرم الله وجوده واحسانه وبره
انطلق لسانه بالسؤال ٭ وطمع فيما له من سعة العطاء والنوال ٭ وقد تقدم قوله ان اردت ان ينفتح لك باب
الرجاء فانظر ما منه اليك وان اردت ان ينفتح لك باب الحزن فانظر ما منك اليه ولا شك ان من نظر نفسه بعين
الانصاف لم يجد ها اهلا لغير العقوبة امام جهة الغفلة والتقصير وامام قلة الوفاء بالشكر والحمد ولهذا
ورد في بعض الادعية اللهم افعل بنا ما انت له اهل ولا تفعل بنا ما نحن اهله وقال بعض اهل التشديد
من العباد لا ينبغي للعبد ان يرى نفسه الا شبه بجنس ان جلس مع الداعين لم يرهم منعوا الاجابة الا من سببه
ولو سجد على الجمر لم ير عمله اهلا للقبول ولو كانت نفسه في غاية التزكية لا يراها اهلا لمدح ولا لثناء ومتى
ما نفسح الناس ثناء به تبرك فانه يرى نفسه كالبكر الزانية تزوجها وهي متقنة بعجوز حلها ابرا بها وعظموا
شانها زاد حزنها من خوف الفضيحة قلت كل من تخفى زواله عن نفسه وبقاؤه بربه فلا حرج عليه
في ثنائه ومدحه اذ ليس هو الممدوح ٭ وانما الممدوح من فضله عليك ممنوح ٭ وكل مربه يدعى للتقبيل
ولم يرها يد الجليل كان القطع في مقام التقليل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا يكون يده
يد الجليل حتى تتحقق خلافته في الارض ولا تتحقق الخلافة حتى يستولي على الوجود باسره من عرشه الى
فرشه ٭ وبصيرة قلبه تحقيقه الارض فاذا صار هكذا كان خليفة الله في ارضه وبيده بيد الملك فكل من يبايعه
فانما يبايع الله يد الله فوق ايديهم والله ذو الفضل العظيم وانشد واوفى مثله ٭ ٭ ٭ ٭ ٭

۞ فقد استقام على المنهاج يسلكه ۞ ولم يزغ حائداً عنه ولا عدله ۞ من حاله يعصم الدنيا بظاهره ۞
۞ وقلبه في أعالي الخلد فيه تنزله ۞ وأيقن الأمر حقاً في مسالكه ۞ من أول النشأة حتى شيب واكتهله ۞
۞ ونالت فنه العبا بالوهم ظامنة ۞ وميز القد والأرواح والعلما ۞ والحق الصورة العليا بصورتها ۞
۞ الحسنى من قبل كانت البعث خللا ۞ قال بعضهم اشتريت جارية سوداء فلما جن الليل وأردت أن أنام
قالت يا مولاي أما تستحيي مولاك لا ينام وأنت تنام ثم قامت تصلي فانتبهت وهي ساجدة فسمعتها تقول
في سجودها بحق حبك لي لا تعذبني فقلت لها غلطت قولي بحق حبي إياك لا تعذبني فلما سلمت قالت يا مولاي ما علمت
بل أصبته ولولا محبته لي ما أنامك وأقامني فقلت اذهبي فأنت حرة لوجه الله قالت هذا العتق الأصغر
وبقي العتق الأكبر ۞ وكان بعض الواهبين يقول في بعض مناجاته الهي لو أردت إهانتي ما هديتني
لطاعتك ولو أردت فضيحتي ما سترت عيبي عن خلقك الهي لولا ذنوبي ما خفت العذاب ولولا كرمك
ما رجوت الثواب ثم جمع الشيخ الأوصاف التي ابتدأ بها من التحلي بها من منة الله ورحمته فقال في المناجاة
الحادية عشرة الهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي ومن كانت حقائقه
دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى قلت محاسن الانسان لا تخلو من خلل ونقصان ولو لم يكن
الا نسبتها لنفسه وفعله ورؤيتها من قوته وحوله لكان كافياً في خللها ونقصها فتنقلب حينئذ
مساوي بعد أن كانت في الصورة محاسن وإذا كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي و
كذلك حقائق المحبة وهي ما تحقق به من المقامات والمنازل كانت وإذا دام الحال جبير ومواجيد المحبين
لا تخلو من شوائب الدعوى ومسارقة الهوى لولا مسامحة المولى فإذا كانت حقائقه التي تحقق
بها وذاقها لا تخلو من شوائب الدعوى فإذا نسبها لنفسه كانت كلها دعاوى فكيف لا تكون
دعاويه الفارغة دعاوى فإذا علم العبد هذا استحيا من مولاه أن ينسب لنفسه شيئاً من المحاسن
أو يثبت لها نوعاً من الحقائق وربما يفتضح على رؤوس الخلائق ويكفي المريب وجدان السلامة قال ذو النون
رضي الله عنه الحياء من الله يقطع العبارة ويدفق الإشارة وقال السري السقطي رضي الله عنه الحياء
من الله يحيي القلب فإذا وجد فيه شيئاً من حب الدنيا رحل وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه
يقول الله تعالى إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب
زلاتك ولا أناقشك بالحساب يوم القيامة ۞ وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الحياء فقال الحياء
من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر القبر والبلى وتترك أفضل زينة الدنيا فمن

جعل

جعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء ۞ ووجد رجل نائماً في موضع مخوف كثير السباع والآفات وفي أذنه
حولة ترعى فقيل له إنك في موضع مخوف فقال أنا أستحيي أن أخاف غير الله ثم رجع لنومه وفي الحكم
مكتوب من استحيا من الله وهو مطيع استحيا الله منه وهو مذنب وسئل الجنيد عن الحياء ما هو فقال هو
شيء يتولد بين رؤية النعماء ورؤية التقصير وقال الفضيل علامة الشقاوة خمسة قلة الحياء وقسوة
القلب وجمود العين والرغبة في الدنيا وطول الأمل ۞ ثم علق تحققه بمحاسنه من المساوي وتحققه حقائقه
من الدعاوى على من المشيئة مبهم والسابقة والخاتمة غيب معلوم أمرها فلا يدري ما يفعل الله به كما
أبرز ذلك في المناجاة الثانية عشرة بقوله الهي حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذي
مقال مقالاً ولا لذي حال حالاً قلت لا شك أن حكم الحق نافذ في خلقه لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهذا هو الذي حرك قلوب العارفين
فلم يطمئنوا لحال ولم يعتمدوا على عمل ولا مقال بل صاروا مفتقرين إلى الله في كل حال لأنهم قد
علموا أن حكم الله نافذ كلمح البصر وهو أقرب ومشيئته قاهرة لا يقف لها أحد فإذا من الجهال عارف
ولا أدنى من الأولياء ولا عارف في لحظة واحدة يقرب البعيد ويبعد القريب ويرفع الوضيع ويضع
الرفيع ويجبر الذليل ويذل العزيز ويغني الفقير ويفقر الغني ويبسط المقبوض ويقبض المبسوط
ويمرض الصحيح ويصحح المريض فكيف يبقى لعاقل أن يركن إلى حاله ومقاله أو يعتمد على علمه وأعماله أو
يغتر ببسط لسانه ومقاله والله تعالى يقول واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون
قال بعضهم من أين للعبد ثبوت حال ومقال وهو عين المقال في الحال ذرة جلت جلالة على معناها فلم
تبلغ منتهاها فوالله ما بلغ العبد شعيرة معناه فلاني له يوقني في معناه جوهرة رأت فلاحت
وأومضت فغمضت وسكنت فتمكنت فبرزت من فحج الغيب فغار منها الغير واجتالها في سواد
عينها خيفة أن تنال أو تمس أو تقع فعلاً كيف لها ولا أين ولا رسم ولا غير ولا وطن ولا بين ۞ ومعنى
قوله عين المقال في الحال يعني أن أمر العبد بين الكاف والنون فهو عين قول كن في أسرع حال فالمراد
بالمقال هو قول كن فيكون نصيب ذلك الأمر في الحال وقوله ذرة جلت أي الذرة النملة الصغيرة وجلت
عظيمة أي ذرة صغيرة في الحس عظيمة في المعنى جلت بعظمتها في إدراك معناها فلم تبلغ منتهاها ۞
كناية عن عجائب صنعة الباري في أصغر شيء فكيف بالانسان ولذلك قال فوالله ما بلغ العبد شعيرة
معناه وشعيرة معنى العبد هي بشريته الظاهرة لأنها محل العبودية التي هي شعيرة باعتبار

الربوبية ونزيه معناه هي روحانية لانها واحدة وقوله جوهرة زامنة المراد بالجوهرة هي الروح زامنة
اي قصدت الظهور فلما حنا الظهور في هذا القالب البشري والوصف اي اشرقت انوارها على ذلك القالب
بمقتضاه استترت واحتجبت فلم يعلمها الا من اوجدها وتعشقها وسكنت في قفصها فتمكنت فيه
وقوله فبرزت من فتح حجاب غيبه يشير الى ظهورها من حجب الجبروت فلما برزت الى عالم التكوين عالمة باسرار
الغيب وهي اسرار الملك تمارت منها النفس وخافت عليها ان تفشي اسرار الملك فاجناها اي حجبها عليها بصورة
في سواد عينها فحجبها عن تلك الاسرار خشية ان تنال تلك الاسرار او تفشيها او تعرف فلا كيف للروح ولا
مكان ولا رسم لها بل هي ذرة تنبعث ولا عين لها نحو منها ولا وصل لها بشيء ولا قطع لها عن شيء فجل ربنا ان يتصل
بشيء او ينفصل هو بشيء وانشدوا ... بالقلب يطاب نعمى حبيب ظل وما ... يحظى بنعماء سوى من دا
بابي ... مهلا عليك وعند حبيب حيث وصل ... في الدارين غدا عن سائر الوادي ... عساك تلقى حبيبا
عالما بهو ... ينبيك بهم ولم يلمعوا ابعاد ... قال بعض الحكماء تالله ما طغى بصحة في الامر الا في ارض
التقدير ونزه عن التيسير والتعسير فما صح جسمه موسى وروحه العصا ونفسه فرعون فكلام صفت
وحقيقة كلام ولسان حاله يخاطبها جميع الانواع فلو عرضت عليه الشهادة في باب الحجة والموت اختارها
على حسن الختام لترك الشهادة واختار الموت على اكمل النظام فعامل على اليقين دون الشك والعلم
خير وابقى يا هذا ما اطيب عيش من دعي فاجاب وما اعز قدر من لازم الباب وما اخسر قدر من ابعد عن
الجناب وما اخس قيمة من له على الغفلات انكباب اذا غلب الطبع فلا تنفع الحيلة ومن سبق له
الفضل تبعته الوسيلة فسبحان من يعطي ويمنع ويخفض ويرفع جذبت العناية سلمان الفارسي
من ارض فارس ونودي بلال من بلاد الحبشة وابو طالب على باب التحقيق وقد حرم التوفيق ونفع الحكم
ونفذ الامر وسبقت المشيئة وجف القلم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف
بينهم هو وكما ان مقصد الناس فيه عدم الاعتماد على الاحوال وكذلك عدم الفلاح في عدم الاعتماد على
الاعمال كما اشار لذلك في المناجات الثالثة عشرة حيث قال الهي كم من طاعة بنيتها وحالة
شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل اقالني منها فضلك قلت لا ينبغي للعبد ان
ينظر الى شيء من طاعته وان عظمت ولا ان يستحسن شيئا من احواله وان حسنت فان الناقد بصير
والراقب على الضمائر خبير فكم من طاعة تعظم في عين صاحبها كامثال الجبال لا تساوي عند الله جناح
بعوضة وكم من احوال تعجب صاحبها وهي عند الله مدخولة وقد تقدم قوله لا كبيرة اذا قابلك

بفضله

بفضله ولا صغيرة اذا واجهك عدله فما قابله بفضله عادت كبائره صغائر ومن واجهه بعدله رجعت صغائره
كبائر ولذا قال هنا كم من طاعة بنيتها اي نميتها وكم حالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك اي نظري الى عدلك
فلما نظرت الى عدلك تلاشت اعمالي واضمحلت احوالي وكم من حالة شيدتها ورفعتها فلما نظرت الى
عدلك وشدته فيها فسدت انهدمت وتلاشت بل اقالني منها بان ازالت نسبتها عني فضلك وهدايتك
وتوفيقك فلم تبق لي طاعة ولا حالة ورجع ذلك الى الفاعل المختار الكبير المتعال فالواجب على العبد ان ينسلخ
من علمه وعمله وحاله ونفسه وروحه وحوله وقوته ويبقى فقيرا بين يدي سيده عبدا مملوكا لا يقدر على
شيء قال بعضهم والله ما غاص في بحر الفناء الا من باع نفسه من الله ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة كيف يخوض في بحر الصفا من لم يخلع علمه وعمله وحاله من الزيف وحلية الحق
بالجد الصميم على الساحل يرددون من لا يخلص وابن الاخلاص هذا الموصل الى ساحل ذلك البحر وكيف لمن يتيه ولا
يصدق به او يجيء اليه مفرجا دون استغفار منه كما قيل ... ليس من بات في براعينه ... مثل من اصبح
فقرا دونها ... ليس من اكرم بالوصل كمن ... ظل يهدى بعلو وعنا ... ليس من البس اثواب التقى
... مثل الذي البس ثوبا دنسا ... ليس من يسري به مثل الذي ... بات يرعى النجم مبتئسا
... ليس من شاهد صبحا واضحا ... مثل الذي تشهد ليلا غلسا ... ليس من بوئ روضات الحمى
... مثل الذي امسى فقيرا يابسا ... ليس من اشبه غصنا يانعا ... مثل من اشبه عودا يابسا
ثم ان عدم الاعتماد على العمل لا يقتضي ترك العمل بل يجب على العبد ان يداوم على العمل ولا يتكل
عليه فان لم يقدر على مداومته بالفعل فبالمحبة والعزم كما اشار لذلك في المناجات الرابعة عشرة بقوله
الهي انك تعلم وان لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما قلت طاعة العبد
لربه يجب ان تكون فعلا ومحبة وعزما في كل لحظة ووقت فان لم يقدر على ذلك فليعزم على البر والتقوى
وينوي فعل الخير فنية المومن خير من عمله ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ منكم اي يعطيكم
افضل مما اخذ منكم من مال او عمل وقال بعضهم الفعل الجزم هو وجود العمل والمحبة والعزم
هو التوجه للعمل وكم من متوجه لم يصل وكم من مجد لم يسبق لاني في العزم تحققت الخلافة وبه
جاءت الشريعة وليس على العبد الا القصد والجد والعزم واما النفوذ فيقدر ربه لا بقدره والله
غالب على امره والمراد بالعزم القصد والنية هو توجه القلب للامر المطلوب ه واعلم ان متابعة
العلم اختيارية ومتابعة الحال اضطرارية فما دام العبد معه بقية اختيار وجب عليه اتباع

العلم وهو مقام السلوك فإن غلب الحال وجب اتباعه وهو مقام الجذب ومثل في التغضية الصديق حيران
بماله كله فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام ما تركت لأهلك فقال تركت لهم الله ورسوله ولم يلتفت لقوله صلى الله
عليه وسلم بحال النفقة في أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ولما غلب الحال
على العلم صار الحكم للحال فيما له من مقام وما أعز شأنه وأرفع قدره عند المحققين وأنشدوا ** وحاشا هم
من جاء ركب بعثهم ** ومطلوبهم العشق المطالب كلها ** حبا هم بتأييد وعز وعصمة ** بلا كسب منهم
بأوصاف لهم ما أجلها ** واعلم أن العازم على الخير فاعل والعازم على الوصول واصل وليس على العبد
إلا الاجتهاد فإذا بذل مجهوده وأخلص مقصوده فهو والواصل سواء وكان شيخ شيخنا مولاي العربي
رضي الله عنه يقول من مات وهو في الطريق أدركته الولاية بعد الموت على التحقيق وقال تعالى والذين آمنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وفي الحديث من مات في طريق الحج فهو حاج ومن مات في طريق
الجهاد فهو مجاهد قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره
على الله ومن مات في طريق الله فهو شهيد وفي الحديث من مات وهو يطلب العلم لقي الله تعالى ليس بينه
وبين النبوءة إلا درجة واحدة ومن توجه لأمر يطلبه وبذل نفسه وماله في تحصيله فقد نال أجره ولا بد في مبادئ الأمور من الصبر والتحمل
للمشاق وقمع النفس عن الهوى والراحة ولذلك سمي الجهاد جهادا فالقاصد يطلب الباب بعد أن كان
يطلب سواء السبيل فإذا وصل الباب فتح له يطلب الدخول فإذا دخل فتح له الوصول فإذا وصل فلا تعلم
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وأنشدوا ** من فاته طلب الوصول ونيله ** منه فقل له ما الذي هو
يطلب ** حسب المحب وفاؤه عما سوى ** محبوبه راض ومغتبط ** ثم إن عزم العبد على الطاعة
ليس هو بيده حقيقة لأنه مأمور به شرعا وهو الذي نبه عليه في المناجاة الخامسة عشرة بقوله
إلهي كيف أعزم وأنت القاهر أم كيف لا أعزم وأنت الآمر **قلت** عزمة الطاعة والعزم عليها
والعمل بها ليس هو من قدرة العبد وفعله في الحقيقة وهو مأمور به من جهة الشريعة لتقوم الحجة
وتظهر المحجة قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين إن الله لا يظلم مثقال ذرة فمن نظر إلى
الباطن وجد العبد مجبورا ومن نظر إلى الظاهر وجده غير معذور والواجب على الإنسان وخصوصا العارف
أن ينظر بعين الحقيقة لبواطن الأمور فيعذر الخلق لأنهم مجبورون في قوالب الاختيار وينظر بعين الشريعة
لظواهر الأمور فيتبع الحقوق ويقيم الحدود ستر السر الربوبية وإظهار الوظائف العبودية لأن ذلك
بلطف وليس في قلبه حجر عليهم وظاهره يغلظ عليه كالعبد يؤدب ابن سيده وهذا معنى هذه المناجاة

أو كيف أعزم على الطاعة وأعزم عليها وأنت القاهر فلا طاقة لي على فعلها وأنت تقهرني عنها وهذه هي الحقيقة
وكيف لا أعزم عليها وأنت الآمر لي بها فإن لم أعزم عليها عصيتك وهذه هي الشريعة فلا بد أن أعزم وتكل
ما تفعل فإن وفقتني للعمل فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة وإن لم توفقني فأنت أهل العفو والمغفرة وأنت
الفاعل المختار فلا أمر لي أمرك والعبيد عبيدك ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ولو شاء ربك
لهدى الناس جميعا **قال الشيخ** رحمه الله أراد المؤلف رحمه الله أن يدل المريد على مقام الجمع بين الحقيقة والشريعة
لأن عزم العبد مطلوب منه شريعة وتحققه مسلوب منه في الحقيقة ولا يثبت بينهما إلا من ثبته الله
فلهذا تعجب الشيخ رحمه الله من تضاد الطالبين لأنه خارج عن مقدور البشر لأن لسان الاتصاف نعت
الوجود وأشرف كل موجود أودع فيه من أسرار حكمته ما يؤلف بين الضدين ويجمع بين الضدين
قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فمن أطلعه الله على البرزخية على جوارحه عمل أعمال
الدنيا وأعمال الآخرة ومن أطلعه الله على البرزخية على قلبه جمع بين أعمال الآخرة ومشاهدة الحضرة
وأشرق نورها عليه ومن أطلعه الله على البرزخية على روحه جمع بين المشاهدة والمحبة ثم قال واعلم أن
الأجسام تموت وتبعث وتحشر وكذلك النفوس والأرواح فأما موت الأجسام فهو عند الخروج
من الدنيا وتبديل القصور بالقبور وأما موت النفوس فهو عند الخروج من الحظوظ وتبديل سفها
بالحقوق وأما موت الأرواح فهو رجوعها لعالمها النوراني ومحبة الملإ الأعلى عن الهواجس
النفسانية فإذا لم يبق للنفس تعلق إلا بالله ولا للروح تعلق إلا بالله وفني من لم يكن وبقي من لم يزل اجتمع
الظاهر بالباطن والباطن بالظاهر وتعينت المشاهدة من كل وجهة وغاب ما سوى الحق بقوله
تعالى كل شيء هالك إلا وجهه وحينئذ يتحقق هاتف التجريد من مقام التجريد لم الملك اليوم
فلم يجبه من عوالم البشرية والصور الآدمية مجيب فيجيب نفسه بنفسه لله الواحد القهار هو
المراد منه مختصرا وإنما أمر الله تعالى بالطاعة والعزم عليها لأنها سبب للوصول إليه حسبما جعلها
الحق تعالى حكمة وشريعة كما أشار إلى ذلك في المناجاة السادسة عشرة بقوله إلهي ترددي في الآثار
يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك **قلت** التردد في الآثار هو التردد
بين إثباتها ونفيها وهي حالة المستشرف فإذا أثبتها مستقلا كان في حالة البعد وإذا نفاها كان
في حالة الجمع فيطلب الجمع على الدوام بحيث لا يبقى له تردد في نفيها وإثباتها بالله وهو مقام البقاء
فإثبات الأشياء بالنفس على الدوام هو بعد على الدوام وهو مقام أهل الحجاب من العوام ونفيها

على الدوام وهو مقام اهل الجمع من اهل الفناء والجذب ونعيبه ثم اثباته بالله هو مقام البقاء فيلا حظ
بوظايف الحكمة والقدرة وجمعا بين الحقيقة والشريعة وهذه المناجات انما تليق باهل الاستشراف
ولواراد الشيخ رضي الله عنه ان ينبه على مناجات السايرين والواصلين والمتمكنين لقال بعد هذه المناجات
التي هي للسايرين الاهي تنزهت في الانوار يوجب في العسار وفاجمعني اليك بحضرة تنوصلني اليك
وهذه مناجات الواصلين قبل الرسوخ والتمكين ثم يقول الاهي تنزهت في الاسرار يوجب وصل المسار
فاجمعني اليك بنظرة تقيمني بين يديك وهذا غاية الجمع وهو تمكن النظرة ودوام شهود
الحضرة ولاية وهذه الامر سبقت له الخدمة وتداركته عناية الجدية فلا ممنع من العلم يزيد بين
وبين محبوبه من الواصلين وقد قيل اذا ابغض الله عبدا او العياذ بالله سقط عن بابه وشغله عنه بما يدكه
ويقع حجابه وليس له طاقة على ذالك مالم يكن الله في عونه وهو معنى لا حول ولا قوة الا بالله لان
العنين لا يدرك لذة الجماع والاعمى لا يدرك رحب الساحات والبقاع قيل ان بعض
المجذوبين على الله اراد ان يتستر عن مقامه بكان لا يسئل عن شيء الا قال هو فقيل له لعلك تعني الله
فسقط ميتا ويسمى هذا عنه هو جمع الجمع وهو خاص بخواص الخواص وقيل بالانبياء عليهم
السلام وقيل بالرسل وقيل نبينا محمد عليه السلام ولا يمكن الوصول الا بر فع الهمة عن الكونين
وخلع النعلين من الدارين قال بعضهم عرضنا على الدنيا بزخرفها وزينتها فاعرضنا عنها
فعرضنا على الجنان بقصورها وحورها وحللها فاعرضنا عنها فقيل لو وقفت مع الدنيا لحجبناك
عن الاخرة ولو التفت للاخرة لحجبناك عنا فاذا رغبت عما سوانا وقفت بك بانتيك من الدنيا والاخرة وقال
اخي رأيت رجلا وضع سجادته على الماء ومضى به فقلت في نفسي جاز الرجال وانا لو اصطلح للدنيا ولا للاخرة
فسمعت هاتفا يقول من لم يصلح للدنيا ولا للاخرة يصلح لنا هو قال الشطيبي ثم ان التي ذكر من الاثار او
النظر اليه انما هو لاهل الدليل المفتقر للنظر اليه ليستدلوا به على صانعه واما اهل الشهود فهم
اغنياء عن الاثر لان ظهور الحق عندهم هو الظاهر من غير بل لا وجود لغيره اصلا والى هذا اشار في المناجات
السابعة عشرة بقوله الاهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور
ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى
تكون الاثار هي التي توصل اليك قلت وقد تعجب الشيخ رضي الله عنه ممن يستدل على الله بنوره بعد
كمال ظهوره وكيف يفتقر النور بعد ظهوره الى دليل يدل على وجوده وكيف يحتاج الى دليل من هو

اظهر

م الزهرا

اظهر من كل دليل ام كيف يفتقر الى دليله من نصب الدليل ولله در القايل شعر عجبت لمن يبغي عليك شهادة
وانت الذي اشهدته كل شاهد وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه كيف يعرف بالمعارف
من به عرفت المعارف ام كيف يعرف بشيء من سبق وجوده كل شيء قلت فيا عجبا كيف تكون
الفروع اظهر من الاصول ولولا الاصول لم يكن للفروع حصول ام كيف تكون السواقي والانهار الجارية
من البحار اظهر من تلك البحار وما هي الا من انوار الملكوت الا من بحار الجبروت لاكن البصيرة العمياء
لا ترى الشمس في جو السماء ومن ابن ترى الشمس مقلة عمياء قال مريد لشيخه يا استاذ ابن الله
فقال له اسحقك الله اتطلب مع العين اين وقال رجل للجنيد رضي الله عنه يا ابا القاسم هل رأيتم
ربكم حين عبدتموه ام اعتقدتم الوصول اليه بقلوبكم فقال الجنيد رضي الله عنه ايها السائل ما كنا
لنعبد ربا لا نراه وما كنا بالذي نراه اعيننا فنشبهه وما كنا بالذي نجهله فلا نتعبده فقال له الرجل وكيف
رايتموه فقال الكيفية معلومة في حق البشر مجهولة في حق الذي لن تراه الابصار في هذه الدار
بمشاهدة العيان ولاكن تعرفه القلوب بحقائق الايمان ثم تترقى من المعرفة الى الرؤية بمشاهدة
نور الامتنان فهو سبحانه مرئي بالحقائق الغيبية منزه عن الصفات الحدثية مقدس بجلاله
منعوت بكماله متفضل على القلوب بمواهبه ونواله معروف بعدله منعوت بفضله انتهى
فلما سمع الرجل مقالة الجنيد قام وقبل يده وتاب ولازمه حتى ظهر عليه الخير ولزم صحبته حتى مات
رحمة الله عليهما واعلم ان اهل الدليل يستدلون بالصنعة على الصانع وبالشاهد على الغائب
واهل العيان صار الغيب عندهم شهادة والدليل عين المدلول فالقسم الاول اهل علم اليقين والثاني
اهل عين اليقين او حق اليقين فالقسم الاول عوام والثاني خواص او خواص الخواص قال الشيخ
ابو الحسن اهل الدليل والبرهان عموم عند اهل الشهود والعيان فما اشتد الحق في ظهوره ان
يحتاج الى دليل يدل عليه وهو معنى قول الشيخ هنا الاهي كيف يستدل عليك بما هو الكون الذي هو
في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك على تقدير وجوده من الظهور ما ليس لك متى غبت عن البصائر
والعيان حتى تحتاج الى دليل يدل عليك وذلك الدليل لا قيام له الا بك فما ان يظهر في الوجود
غير نورك ومتى بعدت عن الاشباح التي قامت بك حتى تكون الاثار هي التي توصل اليك لا مسافة
بينك وبين خلقك ولا قطعة تقطعهم عنك الا وجود الوهم وظلمة الحجاب اعاذنا الله
منه بمنه وكرمه وكيف تجوز عليه الغيبة وهو الرقيب القريب كما اوردنا ذلك في المناجات الثامنة

عشرة بقوله الهي عميت عين لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا
قلت الظاهر ان هذا اخبار وان كل عين خلت من مراقبة الحق تعالى فهي عمياء وكل صفقة خلت من محبة
الله فهي خاسرة ويكون العمى فيها معنويا وكانها حيث لم تراقب الله تعالى ولم تستحي منه عمياء
لان الله سبحانه يقول ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون
من عمل الا كنا عليكم شهودا فمن لم يعتقد هذا فهو كافر ومن اعتقده ولم يستحي من الله فهو جاهل اعمى
البصيرة وقد قالوا ان الحياء جله من البصر الا ترى ان الاعمى قليل الحياء فدل ان البصر الذي لم يراقب الله
تعالى ولم يستحي منه ليس ببصر وانما هو عمى ويحتمل ان يريد بالعين عين البصيرة قال بعضهم
اذا عصيت الله تعالى فاعصه بموضع لا يراك فمن لم يستحي من نظر الحق تعالى وبارز مولاه بانواع المعاصي
فقد عميت عين بصيرته وسئل بعضهم بما يستعين العبد على حفظ بصره فقال بعلمه ان رؤية الحق
تسبق نظره وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل
ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان والصفقة هي ما يشترى جملة وكنى بها عن حظ العبد
وقسمته الازلية فمن كان حظه من الله المقت والبعد كانت صفقته خاسرة نسال الله العافية كان
بعض العباد يبكي فقيل له لم هذا البكاء فقال ليس بكائي من ذنوب وعصيان لا ادري من حبه نصيبي
وانما بكائي على ان كانت اقساما قسمت وحظوظا اجريت وكان حظي منها البعد هـ وفي بعض الكتب
المنزلة على بعض الانبياء عليهم السلام يا عبدي انا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا فمحبة الله
لعبده تقريبه واجتباؤه لحضرته ومحبة العبد لله طاعته بامتثال امره واجتناب نهيه اي دوام
الاستطاعة لقهره فهذا اول المحبة وهي كسبية ونهايتها كشف الحجاب ومنها اللقاء والدخول
مع الاحباب وهذه وهبية نتيجة الكسبية والى هذا المعنى اشارت رابعة العدوية في شعرها
حيث قالت احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاك فاما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمن سواك واما الذي انت اهل له فكشفك الحجب حتى اراك فلا الحمد
في ذا ولا في ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك فاشارت رضي الله عنها الى ان محبة العبد لله
على قسمين قسم ناشئ عن شهود الاحسان وقسم ناشئ عن شهود الجمال فاما الاول فهو ناشئ
عن شهود الاحسان فلا شك ان العبد اذا نظر الى احسان الله اليه وانعامه عليه بفنون النعم الحسية
والمعنوية احبه لا محالة لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها وهذا هو المسمى بحب الهوى لانه الميل

وهو

وهو مكتسب لان الانسان مغمور باحسانات الله اليه وهو متمكن من النظر فيها وخاصة عند تواتر نعمه
بعد نعمه ومنه بعد منه وكل نعمة اعظم من التي قبلها فتعظم محبته لمولاه وبذلك يبلغ قصده
ومناه واما الثاني وهو الناشئ عن شهود الجمال فان العبد اذا كشف الحجاب عن قلبه وزالت عنه
الموانع والقواطع رأى جمال الحق وكماله واشرقت انوار الحضرة وسناها على قلبه والجمال محبوب
بالطبع فتحققت المحبة بينه وبين مولاه وانما خصصت رابعة رضي الله عنها الحب الناشئ عن
شهود الجمال بالاهلية دون الاول وان كان اهلا للجميع لان هذا منة الله لا كسب للعبد فيه والاخر
فيه سبب فعمل العبد معلول وقولها فشغلي بذكرك عمن سواك من باب التعبير بالمسبب عن السبب
والاصل فثمرته شغلي بذكرك الخ وقولها ايضا فكشفك الحجاب حتى اراك من باب التعبير بالسبب عن
المسبب عكس ما قبله والاصل فسببه ومنشاه كشفك للحجاب حتى رايتك بعين قلبي وقولها فلا
الحمد الخ اخبار منها بان الحبين معا منه واليه وفيه في الحقيقة لا كسب لها في ذلك وادراك التفاوت
بين ما تؤثره ثمرة المحبة الناشئة عن شهود الاحسان وما تؤثره ثمرة المحبة الناشئة عن
شهود الجمال ونعوت الكمال وان الثانية اقوى من الاولى بل لا نسبة بينهما ضروري عند كل
ذي ذوق هـ قاله العلامة في شرح الاوزية وقول الشيخ رضي الله عنه لم تجعل له من حبك يحتمل ان يكون من
اضافة المصدر الى الفاعل او المفعول والاول ابلغ لان محبة الله لعبده اعظم لانها اصل محبة العبد
لمولاه قال تعالى يحبهم ويحبونه فمن اعطاه الله تعالى من محبته اعظم نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز
بغاية التيسير ومن حرم ذلك فقد خسرت صفقته وبان غبنه وخيبته نسال الله منته ورحمته
قال زيد بن اسلم رضي الله عنه ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول له اصنع ما شئت
فقد غفرت لك انتهى من ابن عباد ولما كانت نهاية المحبة الفناء في المحبوب ونهاية الفناء البقاء وهو
الرجوع الى الاثر اشار الى ذلك الشيخ فقال في المناجاة التاسعة عشرة الهي امرت بالرجوع الى الاثار
فارجعني اليها بكسوة الانوار وهداية الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت اليك
منها مصون السر عن النظر اليها مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها انك على كل شيء قدير قلت
الرجوع الى الاثار هو النزول من عش الحضرة التي هي الاغراق في بحر الوحدة والغيبة عن السوى بالكلية
الى سماء الحقوق وارض الحظوظ فيتنزلون الى سماء الحقوق ادبا مع الربوبية وقياما بحق العبودية
والى ارض الحظوظ ادبا مع الحكمة واظهارا لوظائف العبودية ومثال الاول هو التنزل الى السماء

الحقوق ما يلزم العبد من العبادات البدنية او المالية موقتة او غير موقتة ومثال الثاني وهو
النزول الى ارض الحظوظ ما تقتضيه البشرية من ماكل ومشرب وملبس ومنكح وغير ذلك من الامور الحاجية
وقد امر الله تعالى بها محلا ليتبين سر الربوبية من سر العبودية او ليظهر استغناء الربوبية بافتقار العبودية
فمطلب الشيخ رضي الله عنه ان يرده اليها بعد ان كان رحل عنها بهمته بكسوة الانوار وهي انوار الشهود
فيكون رجوعه الى الاثار بالله غائبا عن حظه وهواه وقد كان قبل ان يرحل عنها يتعاطاها بنفسه
مع منفعته وحظه فلما عرف الحق غاب عن نفسه فاذا رجع الى رسم بشريته رجع اليه بالله فقد
كسته انوار الشهود عن الالتفات الى سواه وطلب ايضا ان يكون رجوعه الى الاثار ملتبسا بهداية
الاستبصار وهي تحقيق المعرفة في الاشياء التي يتعاطاها كانت عبادات او عادات فلا يتصرف فيها الا
وكان ممن يدخل فيها بالله ومن الله والى الله ويخرج منها كذلك وهو معنى قوله حتى ارجع اليك
منها حتى تكون تلك الاشياء هي التي تدل اليك حين تعرف فيها وتشاهد عظمتك ونور جبروتك
فالعارف يعرف من كل شيء ويتعرف من كل شيء باخذ النصيب من كل شيء ولا ينقص من نوره شيء
فتحصل ان كسوة الانوار هي دخوله في العبادات او في العادات بالله لا بنفسه وهداية الاستبصار هي
معرفته في تلك الاثار التي نزل اليها ورجع لها وقوله كما دخلت اليك منها معناه انه كان مع الاكوان
وهي حاجبة له عن شهود المكون فلما عرف فيها كان دخوله على الله منها وهذا كما قال الشيخ شيوخنا
المجذوب رضي الله عنه : الخلق نوار : وانا رعيت فيهم : هم الحجب الاكبر : والمدخل فيهم :
واذا دخل في الاشياء بالله وشاهد فيها انوار الاله فقطعا كان مصون السر عن النظر اليها
على انها كونية مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها كانت عبادات او اسبابا وعادات لان العارف
فقير بالله لا يفتقر الى شيء سواه ولا يعتمد الا على مولاه فانه غني حسيب سميع بصير على كل
شيء فغني ثم اذا رجع العبد الى الاثار فلا بد ان يظهر على ظاهره اثار الذل والافتقار تحقيقا
لوظائف العبودية وقياما بشئاب الربوبية كما ابان ذلك في المناجات الموفية عشرين الاهي هذا
ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك منك اطلب الوصول اليك وبك استدل عليك لا بغيرك
فاهدني بنورك اليك واقمني بصدق العبودية بين يديك **قلت** هذا اعتراف منه رضي الله عنه
بغاية الذل والانكسار واظهار لشدة الفاقة والاضطرار وانطراح على باب مولاه في اظهار ذله وفي
شكواه ولا شك ان الله سبحانه قد كساه حلة العز والافتخار وبعد ذلك بين خلقه بالظهور والاشتهار

فيها اذ الوجود كله مستمد
من نور جبروتك باعتباره

حتى

حتى صار كلامه تتحلى به القلوب والاسماع ويعظم به التاثير والانتفاع وذلك ثمرة من تذلل بين يدي العزيز الحكيم
الغني الكريم كما قيل : تذلل لمن تهوى لتكسب عزة : فكم عزة قد نالها المرء بالذل : وقال في اخرى
تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل : اذا رضي المحبوب صح لك الوصل : تذلل له تحظى برؤية
جماله : ففي وجه من تهوى الفرائض والنفل : وقال ذو النون المصري رضي الله عنه ما اعز الله عبدا
بعز هو اعز له من ان يدله على ذل نفسه وما اذل الله عبدا بذل هو اذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه ه
والحال الذي لا يخفى على مولاه هو حال الضعف والافتقار والذل والانكسار وانما يكون ظهور ذلك الحال
بتحقيق المعرفة والوصال ولذلك وصله بقوله منك اطلب الوصول اليك لا من غيرك ولا على يد غيرك
ولا الى غيرك بل انت تتولى قبض ارواحنا الى حضرتك بيدك وتحول بيننا وبين غيرك وهو معنى قوله
وبك استدل عليك لا بغيرك اذ لا وجود لغيرك معك على التحقيق وقد تقدم قول من قيل له بم عرفت
ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه لا دليل على الله سواه
وانما يطلب العلم لاداب الخدمة ه وكما لا دليل عليه غيره كذلك لا هادي اليه سواه كما قال فاهدني
بنورك اليك اي اهدني بنور التوجه في حالة سيري اليك وبنور المواجهة بعد وصولي اليك فنرجع الى
رسم العبودية مع غيبتي بشهود انوار الربوبية والله ذو الفضل العظيم هنالك تفيض العلوم اللدنية
والاسرار الربانية كما ابان ذلك بقوله في المناجات الحادية والعشرين الاهي علمني من علمك المخزون
وصني بسر اسمك المصون **قلت** العلم المخزون هو العلم الموهوب الذي يفيض على القلوب من حضرة
علام الغيوب لا ينال بحيلة ولا اكتساب ولا يوخذ من دفتر ولا كتاب وانما يقتبس من حضرة الكمال
مع صحبة الرجال او بمحض الفضل والنوال وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان
من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله ه
وهي اسرار الربوبية التي اخفاها الله عن خلقه ولم يطلع عليها الا خواص اوليائه فاذا نطقوا بها مع
غير اهلها ردوا عليهم وربما اباحوا دماءهم ومنها الاطلاع على اسرار القدر وعجائب الغيبيات ومنها
الاطلاع على مفاتيح العلوم ومخازن الفهوم فيستخرجون بنتائج افكارهم من درر الحكم ويواقيت العلم
ما تكل عنه الالسن وتعجز عن حمله العقول قال ابو بكر الواسطي في قوله تعالى والراسخون في العلم هم
الذين رسخت ارواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا في بحار العلوم بالفهم
لطلب الزيادة فانكشف لهم من مذخور الخزائن تحت كل حرف من كتاب الله من الفهم وعجائب

الادراكات الوهبية فيتصفوا بالحكمة البالغة والاعمال الصالحة اولئك حزب الله اولئك حزب
الله وقال بعض الثقات بعض اسرار الله تعالى لا يبديها الا لامناء اوليائه من غير سماع ولا دراسة وكان الشيخ
ابو العباس المرسي رضي الله عنه يقول شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ولم يشاركونا فيما نحن فيه وكان اكثر
كلامه في العقل الاكبر والاسم الاعظم وشعبه الاربع ودوائر الاولياء ومقامات الموقنين
والاملاك المقربين وعلوم الاسرار وامداد الاذكار ويوم المقادير وشان التدبير وعلم البدء
وعلم المشيئة وشان القبضة ورجال الغيب وعلوم الافراد واخبار القيامة وهذا كله
من العلم المخزون واما الصون الذي طلب فهو صيانته من رؤية الاغيار او الوقوف مع الانوار دون
معرفة الواحد القهار واسم الصون هو الاسم الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل اعطى
وسره هو ظهور نتيجته فيما طلب به والله تعالى اعلم ثم اذا تحقق الصون من الاغيار دخل القلب بحضرة
الاسرار وهي حضرة المقربين من الملك الكبير والمجد وبيره كما ابان ذلك في المناجات الثانية والعشرين
بقوله الاهي حققني بحقايق اهل القرب واسلك بي مسالك اهل الجذب قلت الحقايق جمع
حقيقة وهي ادراك معرفة الاشياء على ما هي عليه بالاصالة وحقايق اهل القرب هي علومهم ومعارفهم
واذواقهم وكشوفاتهم واهل القرب هم المقربون سواء كانوا من اهل المراقبة الكاملة او المشاهدة
او المكالمة فالقرب يتفاوت بتفاوت الحب والتصفية فيكون اولا مراقبة ثم شهودا ووصولا ثم محوا
واضمحلالا ثم بقاء وتنزلا وهذا يكون بالمجاهدة والمكابدة وهو مقام اهل السلوك من المحبين
ويكون جذبا وعناية وهو مقام اهل الجذب من المحبوبين وقد يكون اولا مجاهدة وءاخره جذبا وعناية وهو
اعظم قدرا واعم نفعا وانفع تربية وهو الذي اراد الشيخ رضي الله عنه لانه طلب اولا التحقق بحقايق اهل
القرب وهم اهل التقرب عندنا حبهم الله ثم طلب ثانيا سلوك اهل الجذب وهم المحبوبون الذين اجتباهم
الله واختطف ارواحهم من شهود الاغيار الى شهود الانوار قال تعالى الله يجتبي اليه من يشاء
وهم المحبوبون ويهدي اليه من ينيب وهم المحبون فاراد الشيخ ان يكون جامعا بين سلوك وجذب
وهو اعظم من غيره وقال بعضهم اهل القرب هم اهل الحضرة المستغرقون في الشهود لان الله تعالى
ليس في حقه قرب ولا بعد وانما ذلك في حق العبد بمعنى رفع الحجاب عن عين قلبه وفاضت عليه انوار قربه
ورفعته المراقبة للمشاهدة والمشاهدة للمكاشفة والمكاشفة للمعاينة والمعاينة للمساررة
والمحادثة والمكالمة وصار الحق ابدا جليسه وانيسه فهذا هو التقريب للعبد بعد البعد ورفع

ويقال له الروح الاعظم وهو النور الاول الذي برز من بحر الجبروت وشعب الاسم الاعظم الذي هو الله اربعة اسماء الاول والاخر والظاهر والباطن

جميع

جميع الحجب وهذا المقام هو الذي طلب الشيخ ابو الحسن بقوله واقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب
محقته عن ابراهيم خليلك الخ وقال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه اهل المحبة والشوق على قسمين قسم
اشتاقت نفوسهم على الغيبة فلا سكون لهم الا باللقا وقوم اشتاقت ارواحهم على الحضور والمعاينة
والشهود فلا سكون لهم الا بالغوص في بحر الاسرار وتنزل المعارف على قلوبهم وقال ابو يزيد رضي الله عنه
لله رجال لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث اهل النار من النار ولكنهم
على الارايك ينظرون وقال سمنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والاخرة لانهم معه ابدا والنبي صلى
الله عليه وسلم قال المرء مع من احب وسال جماعة من المشايخ الجنيد رضي الله عنه عن المحبة فبكى وقال
كيف اما عبد ذاهبا عن نفسه متصلا بذكر ربه قائما باداء حقوقه ناظرا اليه بعين قلبه فقد احرق
قلبه نار هيبته وصفا شربه من كاس وده وانكشف له الجبار من استار غيبه فان تكلم فبالله وان نطق
فمن الله وان تحرك فبامر الله وان سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله فقالوا ما على هذا مزيد
يا تاج العارفين وهذا الوصف صادق باهل السلوك والجذب والله تعالى اعلم ولما كان من بلغ هذا
المقام ورسخت المحبة والمعرفة في قلبه على التمام لم يبق له مع محبوبه تدبير ولا اختيار ولا تشوف
ولا انتظار كما ابان ذلك في المناجات الثالثة والعشرين بقوله الاهي اغنني بتدبيرك عن تدبيري
وباختيارك عن اختياري واوقفني على مراكز اضطراري قلت الاستغناء بتدبير الله عن تدبير النفس
وباختيار الحق عن اختيار العبد انما يكون بعد الغيبة عن النفس بشهود مجري الامور والمتصرف فيها وهو
الفاعل المختار الواحد القهار لانه هو المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقتدار واما قبل
الغيبة عنها بمعرفة سيدها فلا يتخلص العبد من كد التدبير وظلمة التكدير ولذلك طلب الشيخ
ان يغنيه الله بمعرفته حتى تجتمع همومه وقصوده وارادته واختياراته في هم واحد وهو شهود
محبوبه كما قال القائل ✤ كانت لقلبي اهواء مفرقة ✤ فاستجمعت مذ راتك العين اهوائي ✤
فصار يحسدني من كنت احسده ✤ وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي ✤ تركت للناس دنياهم ودينهم
شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ✤ فقوله اغنني بتدبيرك اي بشهود تدبيرك وشهود تدبيره
لا يكون الا بعد معرفته كما تقدم وطلب ايضا الوقوف على مراكز الاضطرار وهو التمكن في مقام
العبودية في الظاهر على الدوام لان العارف لا يزول اضطراره وما يكون مع غير الله في اركانه لا يبرز اضطراره
ظاهرا ولا يكون مع غير الله فراره باطنا وقد تقدم هذا ومركز الشيء محل استقراره الذي يكون فيه

وهو هنا استعارة عن تحقق العبودية وهو ان يعرف قدره ولا يتعدى طوره فمن تخلص من ظلمة التدبير
والاختيار ووقف مع مراتب الاضطرار فقد تخلص من ذل نفسه وتطهر من شرك تخمينه وحدسه كما
ابان ذلك في المناجاة الرابعة والعشرين بقوله الهي اخرجني من ذل نفسي وهو ذلها لغير الله بالطمع
والحمى الذي هو غاية ثمرة الذل وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي قلت ـــ العبد لا يتطهر
من الشرك الجلي والخفي حتى يغرق في بحر التوحيد الخاص في صحبة اهل الصفاء من اهل الاختصاص فحينئذ تشرق
عليه اسرار الذات وانوار الصفات فيغرق في بحر الاحدية ويغيب عن وجود الاثنينية والغيرية
فلا يرى مع الحق سواه ولا يسمع الا من مولاه فحينئذ تنتفي عنه الشكوك والاوهام ويتطهر
من الشرك الجلي والخفي التطهير التام وهذا انما ينفع قبل حلول الموت ونزول العبد في رمسه واما
اذا نزل به الموت فلا ينفع الادراك حينئذ فحياتئذ يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه
ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ولعل المراد بالشك هنا فتور تصميم العزم وهو التخميم الظلماني
او يريد بالشك خواطر الرزق التي لا تثبت وقال الشيخ ابن عباد رضي الله عنه الشك ضيق الصدر عند
احساس النفس بامر مكروه يصيبها فاذا ضاق صدره بسبب ذلك اظلم قلبه واحاطت به مراجل الهم والحزن
وطهارته منه انما تكون بوجود ضده وهو اليقين فيه يتسع الصدر وينشرح ويزول عنه الحرج والضيق
وبقدر احتظاء القلب من نور اليقين يكون انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك يجد القلب الروح والفرح
بالله تعالى وبفضله وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بقسطه وعدله جعل الروح
والفرح في الرضى واليقين وجعل الهم والحزن في السخط والشك والشرك هو تعلق القلب بالاسباب عند
غفلته عن مسبب الاسباب ونسيانه له تعالى تعلق الصيد بالشرك ويكون مبدأ ذلك هيجان الشهوة
عند استيلاء ظلمة الشك على القلب فيحملها حينئذ الهوى فيقع في اذاية الاسباب التي يتوصل
بها الى بغيته اذ لا يرى غيرها فيشتبك مراجل ذلك في حبائل الشرك وطهارته منه بضده وهو نور
التوحيد الذي يقذفه الحق تعالى في قلبه فيتخلص بذلك نفسه وتنفك من الشرك والطيش الذي اصابها
وكلما قوي نور التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك اشد فينمحي من قلبه الاسباب ويثبت فيه خالص
التوحيد فاذا تطهر العبد من الشك والشرك تولاه الله بالهداية والتسديد والمعونة والتأييد
وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود هل تدري متى اتولاهم اذا طهروا قلوبهم
من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك هـ ويحتمل ان يكون طلب طهارته من الشك والشرك عند نزول

الدواعي

الدواعي الصواب لانها مظنة الشكوك والاوهام فلا يشك في لطف الله عند نزول قدره ولا يتعلق بسبب
ولا غيره فيكون ابراهيميا حنيفيا اذ القي في نار الجلال وقال له الكون الك حاجة فيقول له بلسان حاله او مقاله
اما اليك فلا واما الى الله فبلى فاذا قال له سله يقول له علمه بحالي يغني عن سؤالي فلا جرم ان الله تعالى
يقول لنار الجلال كوني عليه بردا وسلاما فتنقلب جمالا محضا فاذا تخلص العبد من الشك والشرك في ذلك
الوقت كان موحدا حقيقيا واماما حنيفيا فلا يعتمد الا على الله ولا يستنصر الا به كما قال الشيخ في
استنصر لا بغيرك فانصرني وعليك اتوكل اي افوض اموري كلها اليك فلا تكلني اي تحوجني الى غيرك واياك
اسأل حوائجي كلها لا من غيرك فلا تخيبني مما رجوت لانه لم تقتض ان ترد من رفع يديه اليك صفرا
خائبتين وفي فضلك ارغب فلا تحرمني من فضلك العظيم ولجنابك اي حماك وحرمتك انتسب فلا
تبعدني من حماك وجوارك بسوء ادبي معك وانت عفو حليم وببابك اقف واتضرع والزم تلك الاعتاب
واقرع فلا تطردني اذ ليس من شأن الكريم ان يطرد عن بابه العظيم او يرد من أم بحر جوده العميم
اذا طردت يوما كلاب قبيلة فبقوم كرام لا تغير كلابها ويحرق الدار ضيفها ولم تزل ترغب
مواليها وتحيي سراياها قال علي بن هند الفارسي رضي الله عنه اجتهد في الا تفارق باب سيدك
بحال فانه ملجأ الكل فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما هـ واذا لزمت الباب
اعطاك قبل الطلب ومنحك بلا سبب والى ذلك اشار في المناجاة الخامسة والعشرين بقوله الهي
تقدس رضاك ان تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني قلت رضى الله تعالى لا ينال بسبب ولا
عمل ولا طلب وانما هو منح الاهية ومواهب اختصاصية يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم فقد تنزه وتقدس رضى الله تعالى ان تكون له علة منه لانه قديم فكيف تكون له علة من غيره
وهو الغني الكريم ولذلك قال انت الغني بذاتك عن ان يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا
عني فكما تنزه رضاه وسخطه ان تكون لهما علة او سبب كذلك تنزهت ذاته المقدسة عن ايصال المنافع
منه او من غيره فكما ان ذاته المقدسة قديمة كذلك اوصافه المطهرة قديمة ازلية قال ابو بكر
الواسطي رضي الله عنه الرضى والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على الابد بما جريا في الازل يظهران
الوسمين على المقبولين والمطرودين فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما بانت
شواهد المطرودين بظلمها عليهم فأنى تنفع من ذلك الالوان المصفرة والاكمام المقصرة والاقدام
المنتفخة هـ لاكن جرت عادة الله تعالى وسنته ان من كتب له الطاعة والاحسان كان ذلك

علامة الرضى والرضوان، ومن ظهرت عليه الغفلة والعصيان كان ذلك علامة السخط والخسران وبهذا
جاءت الشرائع والمرء يموت على ما عاش عليه والنادر لا حكم له والله تعالى أعلم وقد قال بعض العلماء
في قوله عليه السلام إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار أن الأول كثير بفضل الله والثاني نادر لا حكم
له لسبقية رحمة الله غضبه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ومع هذا لم تزل الأكابر تخاف من
السابقة أو الخاتمة إذ لا يدري بما سبق به القضاء والقدر كما أشار إليه الشيخ في المناجاة السادسة
والعشرين بقوله إلهي إن القضاء والقدرة غلبني وكم أعزم على الطاعة والقضاء يغلبني وكم أحجم من
المعاصي والقدر يقحمني فما حيلتي إلا الرجاء حولك وقوتك وإن الهوى بوثائق الشهوة أسرني
أي ربطني وحبسني عن النهوض إلى حضرتك والفوز بدخول جنتك وكن أنت الناصر لي دون واسطة من
غيرك حتى تنصرني على من يحجبني عنك وتنصر بي من تعلق بجنابي أو لاذ بسببي وهذا كما قال الشيخ أبو
الحسن رضي الله عنه واغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأوليائك وبرزخا بينهم وبين أعدائك
ثم سأل الغنى الأكبر فقال واغنني بفضلك حتى أستغني بك عن طلبي فإن العبد إذا انعمر قلبه بالله
استغنى به حتى عن طلبه زيادة لهم الأدب على ترك الطلب وهذه هي السعادة العظمى والولاية الكبرى
كما قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك وهذه نتيجة أنوار الولاية
التي أشرقت في قلوب العارفين وهذا معنى قوله أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى لحظوا
الحق وزهق عنهم الباطل فعرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الأغيار من قلوب أحبائك فملأتها
بأنوار شهودك فأحبوك ولم يحبوا سواك لأنهم لم يشهدوه وأنت المؤنس لهم بحلاوة ذكرك وشهود
نورك حيث أوحشتهم العوالم فلم يستأنسوا بشيء منها بل استوحشوا منها من حيث كونيتها
واستأنسوا بصانعها والمتجلي فيها فبدلهم الله الأنس به في الخلوات والنعمة الحسنة معه في الجلوات
بحلاوة المشاهدة والمكالمة والمسارة والمناجاة وهذا هو النعيم المقيم والفوز العظيم قال ذو
النون المصري رضي الله عنه بينما أنا أمشي في البادية إذ لقيتني امرأة فقالت من أنت فقلت رجل غريب
فقالت وهل توجد مع الله غربة وكتب مطرف بن الشيخ إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وليكن
أنسك بالله وانقطاعك إليه فإن لله عبادا استأنسوا بالله وكانوا في وحدتهم أشد استئناسا منهم

من

١٩٠

من الناس في كثرتهم وأوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون أنت
الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم أي أنت الذي هديتهم بالوصول إلى حضرتك حتى استبانت أي ظهرت
لهم معالم أي علامات التحقيق وهذا من الشيخ رضي الله عنه تعريض بالسؤال وهو أعظم من التصريح وكأنه يقول
إلهي كما أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك وكما أزلت الأغيار من قلوب أحبائك حتى أحبوك وكما
آنستهم حيث أوحشتهم العوالم وهديتهم حتى استبانت لهم المعالم فأشرق أنوار المعارف في قلبي
حتى أعرفك وأزل الأغيار من قلبي حتى أحبك وآنسني بك حيث أوحشتني العوالم واهدني إلى طريق التحقيق
حتى تستبين لي المعالم فأستغني بك عن كل شيء وأجدك عند كل شيء كما قال ماذا وجد من فقدك ولو ملك
الدنيا بحذافيرها فهو في الفقر كما قال الشاعر: لكل شيء إذا فارقته عوض ** وليس لله إن فارقت
من عوض. قيل للشبلي أي الخسران أعظم فقال من فاتته الجنة ودخل النار فعلامات ردع المتاع فقيل له
ما عند الله بك فقال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوي الأعلى واحد فقلت ذات يوم لا خسارة أعظم
من خسران الجنة ودخول النار فقال بلى وأي خسارة أعظم من خسران لقائه أي شهوده ومعرفته وما
الذي فقد من وجدك لقد ملك الوجود بأسره واستغنى غناء لا فقر بعده إذ في حضرته لقد خاب من
رضي دونك بدلا أي لقد خاب وخسر من أحب شيئا دونك ورضيه بدلا منك وأنشدوا: سهر العيون
لغير وجهك باطل ** وبكاؤهن لغير فقدك ضائع ** إني لأحسد مستهاما في الهوى ** هيهات
قد جمع الهوى بي جامع ** بعثوا سمعي ما يعرف والمنا ** أنا مبتلى في الحياة وسامع
ولقد خسر من بغى عنك متحولا أي ولقد خسر من أوقفته ببابك ثم طلب بابا غيرك وتحول إليها والتجأ إلى
غير جنابك فلا أخسر منه ولا أخس صفقة من تجارته ترك باب الكريم والتجأ إلى باب العبد اللئيم فقوله
متحولا مفعول لبغى بمعنى طلب وهو اسم مفعول بمعنى المصدر وعنك متعلق بالمصدر أي ولقد خسر
من طلب تحولا عن جنابك العظيم وبابك الكريم كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان لما تقطعه
أبدا عن الإنسان أم كيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان بل امتنانك فائض على الأنام
وهو واصل إليهم على الدوام عرفه العارفون وجحده الغافلون يا من أذاق أولياءه حلاوة مؤانسته
وذلك حين استوحشوا من مؤانسة غيره فقاموا بين يديه متملقين قلت التملق هو التلطف
في الشكوى والتودد بمسارة النجوى وفي الحديث إذا أحب الله عبدا قال للملائكة إذا دعا أخروا
حاجة عبدي فإني أحب أن أسمع صوته فالتملق بين يدي الحبيب ومسارة القريب من أعظم الرغائب

وأفضل المطالب لا يعرفها إلا أهل الشوق والاشتياق كما قال الشاعر: سقيتني الحب في بحر الهوى ففنيت
فامنن علي برؤية منك أحيى بها — لا يعرف الشوق إلا من يكابده — ولا الصبابة إلا من يعانيها
لا أوحش الله منكم من يحبكم — وآنس الله دارا أنتم فيها — يا من ألبس أولياءه ملابس
هيبته حتى هابهم كل شيء وخاف منهم كل شيء ولم يخافوا من شيء، وفي الحديث: من خاف الله خاف
منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء، وحيث ألبسهم لباس هيبته فقاموا بعزته مستغنين بين
لما رفعوا همتهم عن الخلق أعزهم الله ولما رفعوا همتهم عن الدنيا أعزهم الخلق فإن الولي إذا أراد الله
أن يرده إلى الخلق لينتفع به عباده ألبسه حلتين حلة البهاء والجمال ليقبل الناس عليه بالمحبة والوصال
فيغنيهم الله به وحلة الهيبة والجلال ليمتثل أمره إذا أمر ويجتنب نهيه إذا نهى وهاتان الحالتان
يكسبهما عند الرسوخ والتمكين وإلى ذلك أشار بعض الشعراء والله أعلم بقوله: إن عزهم في الجلال
لحق — وضياء وبهجة وسرور — وعلى العارفين أيضا بهاء — وعليهم من المحبة نور — فهنيئا
لمن عرفك إلاهي — هو والله دهره مسرور — فلما كانوا بالله ولله ومع الله أعزهم الله وأغنى من
أعزهم قيل في تفسير قوله تعالى نرفع من نشاء فالجاه يكون لك بك معك بين يديك ه وسبب الغنى
من الله هو ذكر الله كما قال: أنت الذاكر قبل الذاكرين، أي أنت الذاكر لهم من قبل أن يذكروك فلولا
ذكرك إياهم ما ذكروك، قال أبو يزيد رضي الله عنه غلطت في بداية أمري في أربعة أشياء توهمت أني
أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري ومعرفته سبقت معرفتي ومحبته
أقدم من محبتي وطلبه لي أولا حتى طلبته، وأنت البادئ بالإحسان من قبل توجه العابدين فلما بدأتهم
بالإحسان توجهوا إليك بالطاعة والأذكار، وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين حيث حكم الأزل
أن يضاف إلى الأسباب والعلل، وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين فقد وهبت لنا
النعم وأمرتنا بالسخاء والكرم ووفقتنا للعطاء بها ووعدتنا بالنعيم الجزيل على بذلها فله ما أعطى
وله ما أخذ فإذا عرف العبد هذا لم يبق له وسيلة يتوسل بها إلا فضل الله وكرمه، وفي مناجاة الجنيد رضي
الله عنه يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ويا بادئ العارفين بما به عرفوه ويا موفق العابدين لصالح
ما عملوه من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك ومن ذا الذي يذكرك إلا بفضلك ه واستقراض الرب من
عبده ما وهبه له غاية في ترفيعه لقدره وإبانة لتشريفه ووعده مع ذلك جزيل الثواب نهاية في إكرامه
له وتفضله عليه، وقال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك محض نسبة ثم استقرض منك

ما اشترا

ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض أضعافا كثيرة فيه أن نعمه وعطاياه بعيدة من أن تكونا مشوبتين بالعلل
قال ابن عباد رضي الله عنه ولما تبين أن طلب الحق سابق على طلب العبد طلب منه أن يطلبه ليتحقق منه الطلب فقال
في المناجاة السابعة والعشرين: إلاهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك، أي اطلبني برحمتك الأزلية حتى أطلبك
وأصل إليك فإن الطلب سابق الوصول وهذه طريقة السلوك ثم أشار إلى طريق الجذب والعناية فقال: واجذبني
بمنتك حتى أقبل عليك، قلت: ولو عكس لكان أحسن فيقول اطلبني برحمتك حتى أقبل عليك واجذبني
بمنتك حتى أصل إليك فإن الجذب هو الاختطاف من شهود الأكوان إلى شهود المكون والغالب أنه يكون بعد
التوجه والطلب والمجاهدة والتعب وقد يجذب أولا ثم يرد إلى السلوك والأول أكمل، ثم إذا حصل طلب
الرب لعبده حتى وصله إليه لا ينقطع عنه خوفه ورجاؤه كما أبان ذلك في المناجاة الثامنة والعشرين
بقوله: إلاهي إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك كما أن خوفي لا يزايلني وإن أطعتك، قلت: لما كانت
السابقة مبهمة والخاتمة مجهولة كان العبد بين خوف ورجاء ولو بلغ ما بلغ فإن القلوب بيد الله يقلبها
كيف يشاء والنواصي بيده فترده حيث شاء قال الشاعر: حسبي الله توكلت عليه
من نواصي الخلق طرا بيديه — ليس للهارب في مهربه — أبدا ملجأ إلا إليه — فكيف يصح للعبد أن ينقطع
خوفه إن أطاع أو ينقطع رجاؤه إن عصى وقد تقدم في أول الكتاب أن خوف العارفين ورجاءهم ناشئ عن
شهود صفات الجلال والجمال وهما لا يتغيران فكذلك ما ينشأ عنهما ولذلك وصف الشيخ نفسه
بهذه الحالة التي هي دوام الاعتماد على الله دوام ظهرت منه طاعة أو معصية وراجع ما تقدم وانظر
قوله لا كبيرة إذا قابلك فضله إلخ، ولما تحقق أن العبد لا مهرب له في حال عصيانه إلا وقوفه ببابه
ولا سكون له في حال طاعته إلا إلى كرمه وإحسانه علم أنه مدفوع إليه على كل حال وهذا معنى قوله
قد دفعتني العوالم إليك فمهما ملت إلى شيء دفعتني عنه أو ركنت إلى شيء حركتني عنه حتى تردني
إليك فما أرحمك بي مع عظيم جهلي وهذه علامة العناية من الله بعبده فمهما رءاه وقف مع شيء
أو ركن إلى شيء ولو كان طاعة شوشه عليه ورحله منه وقد تقدم في الجملة العقوبة التي يعاقب بها
المريد تركه وصلا بربه وقال شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه إذا رأيتم الفقير يقع في الغواء
والتشويش عليه من كل جهة فاعلموا أن الله تعالى أراد أن يسكنه عنده أو كما قال هذا معناه، والحاصل
أن الحق تعالى غيور لا يحب قلب عبده أن يسكن إلى غيره وهذا من كرمه تعالى وإحسانه إلى عباده ولذلك
قال وقد أوقفني علمي بكرمك عليك، قلت: لما دفعته العوالم إليه لم يجد كريما سواه

لعباده

فاوقعه كرمه على بابه ولا ذ بجنابه فالكريم لا تتخطاه الامال قيل معنى كرم الله احسانه وقيل الذي
مابدع حاجتهم لغيره وقيل الذي يعطي قبل السؤال قال الجنيد الكريم الذي لا يحوج الى السؤال وقال
المحاسبي الذي لا يبالي من اعطى ولا كم اعطى وقيل ان من جوهر كرم الله تعالى لم يجمع من سوء قضاء لانه يرى
المصيبة نعمة مستورة عن اكثر الخلق كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه ما ابتلاني الله بمصيبة الا رايت فيها
ثلاث نعم الاولى حيث لم تكن في ديني الثانية حيث لم تكن اعظم مما وقعت الثالثة ان الخطايا تكفر بها
والدرجات ترفع بها فانا اشكر الله عليها ولهذا قالوا ليس العجب ممن يتلذذ بالنعيم انما العجب
ممن يتلذذ بالعذاب الاليم وذلك لا يكون الا لمن غاب عن النفس حتى تلتذ بما يتالم به الناس كما قال القائل
اريدك لا اريدك للثواب ولكني اريدك للعقاب وكل ماربي فقد نلت منها سوى ملذوذ
وجدي بالعذاب وقال اخر اذا كانت الاقدار من مالك الملك فسيان عندي ما يسر وما يبكي
والحاصل ان الهيبة اذا قويت غيبت المحب عن الالام والاوجاع نافضة ومنشا الهيبة شهود الكرم كما تقدم
ومن وقف بباب كرم مولاه لا يخيب امله ومنه ما كان ذلك في المناجات التاسعة والعشرين بقوله الاهي كيف
اخيب وانت املي اي محل طمعي ورجائي والكريم لا يخيب امال الطامعين وهو اكرم الاكرمين ام كيف
اهان وعليك متكلي وقد قلت في كتابك العزيز ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه ومن كنت
كافيه وناصره لا يهان ابدا حكي ان بعض الاولياء ولدت له بنية في اخر عمره وماتت امها وحضره
اوان فقال له رجل اوصي عليها اكفلها فقال له كلا وكلا اذا انا مت فاحملها الى حرم الله وضعها
في الحجر وامض ودعها في كفالة الله فلما مات جعل الرجل ذلك وطاف فيها على بعد من تهدام الخليفة
وهو يطوف وامر بحملها له فتبنتها وربتها حتى بلغت وزوجتها لابن الوزير واحد فتم ما عجب
الماجد فانظر حال من توكل على كفالة مولاه كيف اوى الى حصن رعايته وحماه وانشد وا
احبس في دارهم ونزولهم او جئت يوما للعباد رجائي يحق لمثلي ان يعود لمثلكم
وان انا كنت جميع العباد ورائي وحكي ان رجلا كانت له امراة حامل فاراد سفرا فلما خرج لسفره
قال اللهم اني استودعك ما في بطن هذه المراة ثم غاب فلما قدم من سفره سال عنها فقيل له انها ماتت
وهي حامل فلما كان الليل خرج الى المقابر فراى نورا فتبعه فاذا هو في قبرها فنبش عليها فاذا بالصبي يرضع
في ثديها فهتف به هاتف يا هذا انك قد استودعتنا الولد فوجدته اما انك لو استودعتنا الام
لوجدتهما جميعا فهو من التشوير في الطمع سبحانه بمن استرعاه وما احفظه لمن دخل حماه اللهم

اجعلنا

اجعلنا ممن تخصص بك فلقيته وممن استرعاك فكنت في رعايته بلا رحم الراحمين ولا شك ان من دخل
تحت كفالة العزيز كان عزيزا بالله دليلا له واليه اشار بقوله في المناجات الموفية ثلاثين الاهي كيف
استعز وفي الذلة اركزتني اي كيف استعز عليك وانت في ذل العبودية اركزتني اي اقررتني واقمتني ام كيف
لا استعز واليك نسبتني اي ام كيف لا استعز في قلبي وروحي وسري واليك نسبتني لما اودعت في قلبي من
سر الخصوصية ونور المعرفة وقوة الحرية فلله يا عجبي ويا ويلي ولا شك ان هذه النسبة توجب الافتخار
على الوجود والتيه على كل موجود فالعارف يرجع الظاهر عبودية ويرجع الى باطنه حرية
بما شهد من انوار الربوبية واليه اشار بعضهم بقوله نحن ان كنا به نتهادى لا لا على سمائي
الاعلى ارو العبيد وان نحن رجعنا اليننا على خلقنا ذل اليهود فقال بعضهم ان ذل
كل فتى ذل فهو اذ نفى على الدهر ونطقت في عز كل في عز مخفي فهو ذ عن على عزهم ام وقال الشبلي رضي
الله عنه لقد ذللت حتى تعزز في ذلتي كل ذل وعززت حتى ما تعزز احد الا بي ومنه يعرف ان الفقير
اخو الذل ولذا لعل في المناجات الحادية والثلاثين فقال الاهي كيف لا افتقر اليك وانت الذي
في الفقر اقمتني لان القايس بيدك فكيف لا افتقر اليك في كل لحظة في الايجاد والامداد فال تعالى يا ايها الناس
انتم الفقراء الى الله وهذا هو الفقر الى نعمة الايجاد ثم قال تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق
جديد وهذا هو الفقر الى نعمة الامداد ام كيف افتقر الى غيرك وانت الذي بجودك اغنيتني
حيث كفيتني ما اهمني وتكفلت لي برزقي وما تقوم به بنيتي واغنيتني بمعرفتك حتى لا احتاج الى
غيرك وفي الحديث ليس الغنى بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس اي الروح وغناها انما يكون
بربها انت الذي لا اله غيرك تعرفت لكل شيء فما اظهرته من نور جلالك وجمالك فصار مسجد
لحمدك وساجدا لك فما جهلك شيء فالكل عارف بك ومقر لك بالربوبية اما طوعا كاهل واما باطنا
واما باطنا فقط لتظهر حكمتك وانت الذي تعرفت الي في كل شيء من اختلاف الاثار وتنقلات الاطوار
فرايتك ظاهرا في كل شيء بنورك الازلي الذي اعطى وجود كل شيء فانت الظاهر لكل شيء وانت الباطن
لكل شيء وفي الحديث اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت
الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء وقد تقدم اقسام الظهور مستوفى
في اول الكتاب وعبر هنا بعبارة لم تتقدم فقال يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش
غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه قلت اشار الى تفسير قوله تعالى الرحمن

على العرش استوى وقوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمن فذكر ان استواء الحق تعالى على العرش انما هو
برحمانيته وهو مغمور في رحمانية الحق حتى صار غيبا في رحمانيته اذ لا نسبة له معها ورحمانية الحق تعالى
وصف قائم بذاته والصفة لازمة للموصوف فاذا غاب العرش وانطوى وجوده في رحمانية الحق غابت
العوالم ايضا في رحمانيته لانها غابت في وجود العرش فلما انطوى وجود العرش في عظمة الحق ورحمانيته
انطوى وجود العوالم كلها لانها في وجود العرش كحلقة في ارض وهو محيط بها كما احاطت الرحمانية
بالعرش ولا نسبة له معها ثم فسر ذلك فقال محقت الاثار بالاثار فالاثار الاول هي العوالم والاثار
الثاني هو العرش فقد امحقت الاكوان كلها في عظمة العرش حتى صارت كالعدم ومحوت الاغيار بمحيطات
افلاك الانوار قلت المراد بالاغيار هو العرش وما احتوى عليه من الاثار او تقول هو كل ما دخل عالم
التكوين من العرش الى الفرش وما جرى وجوده مجراها عن العرش وافلاك الانوار هي انوار الذات والصفات
فقد احاطت بالاغيار ومحت وجودها بل اعتبارها فاذا امحقت الاغيار وهي الاثار بانوار عظمة الذات
بقيت الانوار وانفرد بالوجود الواحد القهار فانوار الصفات هي انوار الذات وانوار الذات هي انوار
الصفات والله تعالى اعلم يا من احتجب في سرادقات عزه عن ان تدركه الابصار قلت السرادقات في الاصل
هي الاسوار المحيطة بالدار وهي هنا كناية عن الحجب القهرية وهي حجب العزة التي احتجب الحق تعالى
بها عن عباده مع شدة ظهوره ومرجعها الى دوائر الحس والوهم والغفلة والاكنة التي على القلوب
وتنحصر في خمسة امور الاول حب الدنيا الذي زرعه الحق تعالى بقهريته في قلوب الناس حتى انصبت اليها الهمم
وتاهت فيها العقول وتخلقت بصور خيالها القلوب واشتبكت فيها الفكرة فلا تنصرف الى غيرها
وبهذا احتجب جل العباد الا من عصمه الله الثاني ارتباط الاسباب مع مسبباتها والعوائد مع ما تعودت
بها كتوقف امر الرزق على حركة التسبب والنبات على وجود الامطار وغير ذلك من ارتباط الاسباب فظن
الجهال انها لا تنفك عن مسبباتها فحجبوا بها عن مسبب الاسباب والحكيم العليم يرزق من غير اسباب
ويعطي بلا حساب وبهذا احتجب كثير من الناس فوقفوا مع الاسباب وحجبوا عن شهود رب الارباب
الا من نفذت بصيرته من ذوي الالباب الثالث الوقوف مع ظاهر الشريعة ترغيبا وترهيبا علما وعملا
فقوم وقفوا مع الترغيب فانكبوا على العمل طلبا للجزاء وهم العباد وقوم وقفوا مع الترهيب فغلب
عليهم الخوف وهم الزهاد وقوم وقفوا مع ترغيب العلم فاشتغلوا بعلم الرسوم والحروف وتركوا علم
اليقين والخشية والمعرفة وهم علماء الظاهر حجبوا بالعلم عن المعلوم وعن معرفة الحي القيوم الرابع

الوقوف

الوقوف مع حلاوة الطاعات ولذة المناجاة وهو سم قاتل لمن وقف معها وهو لاهل المراقبة
وبها احتجب كثير من العباد والزهاد وقد تظهر لهم خوارق وكرامات حسية فتزيدهم حجابا عن الله
الخامس ظهور اثر القدرة على هذه التجليات واتصافها باوصاف العبودية كالفقر والذل والجهل والمرض
والموت وغير ذلك من اوصاف البشرية التي سترت سر الخصوصية وبهذا احتجب بعض المستشرفين على الفناء
في الذات فجحدوا من حيث جاءوا والله قاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فهذه سرادقات العزة التي احتجب
الحق تعالى بها فان العزيز هو الذي لا ينتهي احد اليه وهو محتجب بقهريته ولا يبلغوا الصمدانية بفهم فهمه
التجويز وقيل العزيز من ضلت العقول في بحار عظمته وحارت الالباب في ادراك نعمته وكلت
الالسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف جماله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الاسرار
انه اسرار العارفين فبه دام سرورهم وحبورهم الى يوم الدين ثم تتصل فرحتهم بنظرهم الى رب العالمين
وانشد في سروري بكم اضحى يجل عن الوصف وفرحي منكم بالمودة والعطف وانتم معي حيث
استقل بي الهوى فيا ليت شغل عن الذات والالف وسويد قلبي احبتي منكم تصرف
بها لاسرار من علم اللطف وسائل ما بين المحبين احبتي تجل عن التعريف والرسم
والعرف رسائل جاءتنا برقيا جنابكم عوارف عرف فاق كل شذا عرف كيف تخفى
عن بصائر العارفين وانت الظاهر وحدك لا ظاهر معك قال تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن فالحق
هو الظاهر الذي لا تدركه ابصار المخلوقين ولا يرى الحادث القديم انما يرى الحق الا الحق فاذا فني المخلوق الحادث
وبقي الحق القديم رأى القديم القديم وعرف الحق الحق فاذا لم يغب الحق تعالى وصفك بوصفه ونعتك
بنعته لا تطمع في شهوده ومعرفته مع شدة ظهور نوره ام كيف تغيب وانت الرقيب الحاضر الشاهد
لا يخفى عليه شيء ولا يغيب عنه شيء وهو المحيط بكل شيء والله الموفق الى سواء الطريق والموصل
الى عين التحقيق وبه استعين فانه القوي المعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله
على سيدنا ومولانا محمد النبي المصطفى الكريم وعلى اله وصحبه وسلم تسليما دائما الى يوم الدين
تم ما قصدنا جمعه بحول الله وقوته فان وافق الحق والصواب فالمنة لله العلي الكبير والا فالعبد
محل الخطا والتقصير ولا سيما مع البلادة القلبية والعلم القصير واقول كما قال الشيخ خليل واعتذر
لذوي الالباب عن التقصير الواقع في هذا الكتاب واسال بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل

والخضوع، ان ينظر بعين الرضى والصواب، فما من نفس معصومة من خطإ الصحوة، فقلما يخلص مصنف
من الهفوات، او ينجو مؤلف من العثرات، وكما قال ابن مالك في التسهيل اعاذنا الله من حاسد
يسد باب الانصاف، ويصد عن جميل الاوصاف، والهمنا شكرا يقتضي توالي الالاء، ويقضي بانقضاء
اللاواء، وكما قال في الفية الاماجيد عاطر الانفاس احسن الاولا وانا اسئل الله تعالى ان ينفع به من
كتبه او طالعه او حصل شيئا منه او سمعه او عمل بما فيه وان يكسوه جلباب القبول، ويبلغ محصله
كل مطلوب ومامول، بجاه نبي الاتقاء مولانا محمد الشفيع المقبول، صلى الله وسلم عليه وعلى
آله واصحابه، وعشيرته واحزابه، اهل الحجة والوصول، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين
ووافق الفراغ من تبييضه عشية يوم الاربعاء ثامن جمادى الثانية سنة احدى عشرة ومائتين
والف وابتدى جمعه في شهر المحرم من ذلك العام، وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة
عند العصر يوم الخميس الخامس عشر من ذي الحجة الحرام عام واحد وثمانين ومائتين والف
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين
وامام المتقين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه
فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول
من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم فليقل اللهم صل على محمد
وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته
وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين تم هذا التاليف المبارك بحمد الله وحسن عونه وتاييده
على يد العبد الفقير الذليل المعترف بالعجز والتقصير كثير الخطايا والذنوب ... الغالي بن الحاج المكي بن
... محمد بن ... عبد عبد الرحمان بن محمد المكي بن ... عبد الرحمان بن الحاج عبد الحق الفاسي ...
... نسخها لكاتبها الله ... غفر الله له ولوالديه ولاشياخه ولاصحابه ولمحبيه ولجميع المسلمين
واستغفر الله العظيم من جميع الذنوب انه كان غفارا ونطلب من نظر فيه ووقف فيه على عيب ان يصلح
اصلح الله حاله اللهم الطف بنا من حيث لا نعلم ولا نحتسب وخذ بايدينا عند كل شدة ولا تبتلينا بمحنة ولا
بسوء عافية وتسلك بخلقه فقد زلت ان تعصمنا من الزيغ والزلل في الاعتقاد والقول والعمل يا رب العالمين
انك على كل شيء قدير سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
الدعاء لله يا ناظر الخط ... لكاتبه ولوالديه ولجميع المسلمين وءاخر دعوانا ان الحمد
لله رب العالمين